المئذنة الحمراء

سيرة ذاتية



إبراهيم غوشة

الناطق الرسمي باسم حركة حماس سابقاً

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

إهـــــــــداء ٢٠٠٩
مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المئذنة الحمراء

سيرة ذاتية

إبراهيم غوشة

الناطق الرسمي باسم حركة حماس سابقاً



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات – بيروت

The Red Minaret
Memoirs of Ibrahim Ghusheh
(Ex-Spokesman of Hamas)

Author:
Ibrahim Ghusheh

الطبعة الأولى
2008م – 1429هـ
بيروت - لبنان

ISBN 978-9953-500-41-6

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
تلفون: 44 36 80 1 961 +
تلفاكس: 43 36 80 1 961 +
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net
الموقع: www.alzaytouna.net

تصميم الغلاف
الحارث عدلوني

طباعة
Golden Vision sarl + 961 1 362987

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذه السيرة الذاتية مع بلوغي العقد السابع من عمري، الذي منحني إياه رب العالمين إذ عشت سعيداً في ظلاله، وأشكره على نعمه التي لا تحصى وأولها نعمة الإيمان وبركة القرآن مقتدياً بالرسول الكريم الذي شبّه فترة الحياة الدنيا برجل استظل بظلّ شجرة ثم مضى، وأسأل الله تعالى أن يظلني يوم القيامة بظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله.

أهدي هذا الكتاب أولاً إلى الشهداء الذين قضوا في سبيل الله وهم يجاهدون ذوداً عن أرض الإسراء والمعراج، وأسأله تعالى أن يلحقني بهم، إنه سميع مجيب.

كما أهدي هذا الكتاب إلى إخواني في الدعوة والحركة، الذين عملت معهم وأحببتهم في الله؛ من أجل تقديم نموذج إسلامي ناجح يحقق آمال الأمة بتحرير فلسطين الحبيبة، ويقيم نظاماً ربانياً عادلاً للبشرية جمعاء، تتنفس فيه الحرية والعدالة الاجتماعية، واحترام الإنسان بعد اقتلاع الظلم والفساد والقمع من جذوره.

وأهدي هذا الكتاب إلى عائلتي الصغيرة؛ زوجتي العزيزة التي وقفت بجانبي تشد من أزري عندما تعرضت للأخطار والسجون والإبعاد والإقامة الجبرية، وكذلك أبنائي وبناتي الأعزاء الذين تحملوا أيضاً معي؛ فجزاهم الله جميعاً خيراً في الدنيا والآخرة.

وأشكر الإخوة الأحبة الذين شجعوني على إصدار هذه "السيرة الذاتية"، وعملوا على إخراجها ومنهم الأخ العزيز (ع) الذي عمل معي بجد وعزم طيلة أربعة أشهر متواصلة، والأخ عبد العزيز وكل من ساعد على نشرها وإخراجها للعلن فجزاهم الله خيراً.

هذا الكتاب لا يحمل في طياته إلا الحقائق، التي عشتها منذ تفتَّحت عيوني على الحياة في بيتنا القديم في "حارة السعدية" بالقدس بجانب "المئذنة الحمراء" أعلى ما كنت أراه وأنا صغير أعشق اللعب مع الأطفال في الحارة وبحياتي المدرسية الابتدائية والثانوية ثم مغادرتي القدس إلى القاهرة، لمدة ست سنوات تعلمت فيها الهندسة التي أحببت، وعملت بها 30 عاماً في الأردن، الذي أخلصت له في قناة الغور الشرقية، وسدّ خالد بن الوليد،

وسدّ الملك طلال أكبر مشاريع الأردن، وفي عملي الخاص في تصميم المباني والعمارات والمصانع والمساجد والمدارس وبنائها بإتقان وإخلاص وتفانٍ. وفي الكويت التي أخلصت في عملي لها في البلدية وأبراج الكويت وغيرها.

أما نقابة المهندسين فأعتز بالعمل مع إخوة أحبة على تأسيس العمل النقابي الجاد والنظيف وتعميم الخير الذي يجري الآن على عشرات الآلاف من المهندسين، وتعلمت في قاعاتها وجنباتها العمل المشترك مع الآخرين، والتنافس الشريف وحرية العمل والتعبير التي أتمنى أن تسري في شرايين الأردن العزيز، وفي بلاد العرب والمسلمين.

عملت في بقاع الأردن، وخاصة في أواسطه وشماله فعرفت جباله ووديانه ومشيت فيها على أقدامي، وغسلت وجهي بمياه الزرقاء واليرموك عندما كانت مياهه نظيفة رقراقة، قبل أن تصلها لعنة التلوث. وتعرضت للظلم من البعض في الأردن لا لسبب إلا لأنني أحببته وأحببت فلسطين معاً، وكرهت الظلم والاحتلال الصهيوني البغيض للأرض المباركة، التي أتمنى أن أصلي في أقصاها قبل أن أموت، والتي فارقتها منذ 40 عاماً ولمّا تكتحل عيناي برؤيتها، والتي آمل أن يدخلها في يوم من الأيام محررة أحد أبنائي أو أحفادي ويحقق رغبتي الأخيرة بإذن الله. ومازلت أردد أبيات الشاعر عبد الله بن الدمينة التي أحببت:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجتَ من نجد ... لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أئن هَتَفَتْ ورقاءُ في رونق الضحى ... على فنن غضِّ النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن ... جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنا ... يملُّ وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يُشفَ ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

والله ولي التوفيق

إبراهيم غوشة

الفصل الأول

ذكريات الطفولة

منذ المولد وحتى عام 1948

بيئة النشأة:

مدينة القدس عمرها أكثر من ستة آلاف سنة، سكنها العرب، وفتحها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في القرن السابع الميلادي وحررها، وأعطى اتفاقية العهدة العمرية للمسيحيين مع صفرونيوس، وفيها أكد حقّ المسيحيين في البقاء في القدس وحماية مقدساتهم، وفيها أيضاً طلب المسيحيون بأن لا يكون لليهود أي وجود في القدس وفعلاً تمّ ذلك. وقصة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكيف رفض أن يصلي في كنيسة القيامة، قصة معروفة، حيث صلى على بعد حوالي 100 متر في مسجد سمي الآن في القدس باسم مسجد عمر بن الخطاب.

مدينة القدس مدينة كانت أولاً هي المدينة القديمة، ولها عدة أبواب أهمها؛ باب العمود، وباب الجديد، وباب الخليل، وباب المغاربة الذي يحاول الإسرائيليون هذه الأيام (سنة 2007) أن يدخلوا من خلاله بالحفريات الجديدة، وباب الأسباط الذي دخل منه إسحق رابين وموشيه ديان سنة 1967 وتوجهوا من هناك إلى حائط البراق. و باب الساهرة وهو شمال القدس. وكل هذه الأبواب مقامة على السور الذي بناه السلطان سليمان القانوني في أواسط القرن السادس عشر.

إذا دخلت من باب الساهرة تصعد درجات على اليمين إلى محاذاة زاوية الهنود وهو مكان إقامة الهنود المسلمين الذين يزورون القدس (وهو مكان كبير مازال قائماً)، ثم تنزل من هناك إلى حي السعدية، وهو الحي الذي يوجد فيه بيت أجدادي الذي ولدت فيه. على يمينك هناك ملعب السعدية، كان روضة وملعب للأطفال. تتجه إلى الجنوب، الاتجاه الجنوبي يؤدي في نهايته إلى المسجد الأقصى، تمرّ عن عدد من المساكن، ثم تمرّ على بقالة السمان، وبجانبها فرن، ومقابلها عين ماء بلدية كنا نأخذ منها المياه ونحملها إلى البيت، ثم تتجه إلى الجنوب وعلى اليمين تصل إلى درج على يساره مئذنة اسمها **المئذنة الحمراء**، تصعد هذا الدرج وتدخل. وبجانب هذه المئذنة مسجد صغير على يمينها دير للمسيحيين. وتمرّ على حوش صغير اسمه حوش الكرشاني كان هذا الحوش مناسب لنا للعب القلال/ القلول (وهي كرات زجاجية صغيرة يلعب بها الأطفال)، وتنزل تحت قنطرة، وتصادف ساحة صغيرة. في هذه الساحة ثلاثة بيوت؛ البيت الأول على اليمين

بيت الحاج منيب وهو مشهور بطحن القهوة في القدس، وبعد ذلك بيت غوشة، وهم أجدادي، وجدي الأخير هو شحادة غوشة، ثم مقابله بيت نجم وهو بيت الضابط هاشم نجم (أبو محمود) وعلى يسارنا عائلة الكرشه.

هذه هي البيئة الصغيرة التي حفظتها عن ظهر قلب. هذا البيت الذي ولدت فيه كان سابقاً يعيش فيه جدي وأبي وإخوته. وإخوته الذين كانوا يعيشون فيه هم: والدي داود الأكبر سناً وقد رزق بأربعة أولاد وبنتين، الأولاد هم: موسى الأكبر، وإبراهيم، وجواد، وعرفات. موسى محامي، وإبراهيم مهندس، وجواد طبيب، وعرفات مهندس. والشقيقتان الكبرى لمعة وقد توفيت، وقد كانت مربية في المدرسة المأمونية، ثم عملت في الكويت. وشقيقتي الصغرى لبيبة وقد عملت أيضاً مربية. أما والدتي فهي إسمت العريان، هذه كانت عائلة داود.

العائلات الأخرى لأبناء شحادة، كانت عائلة شحادة، وقد تزوج جدتي سارة وهي آخر زوجاته، فقد تزوج قبلها اثنتين، وقد توفيتا، الأولى كانت والدة أبي والثانية كانت والدة الشيخ عبد الله غوشة ويعقوب وسعاد (وأبناء وبنات الشيخ عبد الله هم عاصم وعصمت وليلى)، والثالثة أكبر أبنائها يوسف وهم عبد الرحمن ومصباح وعادل وذو الكفل، وقد توفيت. وأيضاً كان عمي علي أبو حسن يسكن هذا البيت مع أبنائه حسن ورجائي وربحي وبهائي. هذا البيت مبني على الطريقة العربية شأن بيوت القدس القديمة، وهي عبارة عن قباب وكل أب وأولاده يعيشون في البيت، الساحة مفتوحة للسماء مباشرة، وكل الأبواب تطلّ على الساحة. ويوجد في البيت مرحاض وحمام، ويوجد في البيت بئر ماء تجميعي بحيث كل الأمطار التي تنزل من سطح البيت تتحول إلى البئر. هناك اكتفاء ذاتي من المياه، وكان على البئر مضخة، وما تحتاجه تأخذه من البئر، وهذا ينفع في أيام الحصار، أما في الأيام العادية فكنا نذهب إلى العين التي ذكرتها سابقاً (وقد امتلكها والدي ثم باعها) ونحضر الماء بالتنكات إلى البيت.

كان هذا فكرة عن البيت الذي ولدت فيه، فقد **ولدت فيه يوم 1936/11/26**، الموافق 11 رمضان 1355هـ، وقالت لي والدتي رحمها الله بأنني قد ولدت بعد نهاية الإضراب الكبير الذي حصل في ثورة 1936 وقد انتهى قبل ولادتي بأسبوع أو أسبوعين بعد أن

استمر ستة أشهر، ويقال إن هذا الإضراب كان أكبر إضراب في التاريخ، الناس جاعت، وكانت تقول لي والدتي وكذلك والدي أن الناس من الجوع كانوا يبحثون عن قشر البطيخ ويأكلونه، كان إضراباً شديداً ضدّ الإنجليز، وتأييداً للثورة الفلسطينية التي بدأت عام 1936، بعد أن فجرها الشيخ عز الدين القسام والذي استشهد في غابات يعبد في عام 1935. هذه الثورة استمرت من عام 1936 إلى عام 1939، كان الهدف الأكبر من الثورة هو الإنجليز واليهود؛ لأن الإنجليز هم سبب وعد بلفور والهجرة اليهودية والضغط على القرويين لبيع أراضيهم، ثم استهداف الفلسطينيين بالإعدام. ذكر لي شيخ المجاهدين بهجت أبو غربية، وكان له نصيب كبير في هذه الثورة بأن الإنجليز قد أعدموا في هذه الثورة لوحدها ثلاثة آلاف فلسطيني، فكان بعضهم يعدم إذا وجد في جيبه رصاصة. هذه هي الأجواء التي ولدت بها.

أعود إلى **المئذنة الحمراء** لأتحدث عنها قليلاً، وهذه المئذنة هي الدلالة على البيت القريب منا، المئذنة الحمراء هي لمسجد صغير يواجه بيتنا، والمئذنة سميت حمراء ربما لأنها مبنية بالحجر الأحمر، وفلسطين هي منبع للحجارة البيضاء والحمراء الجميلة، وتصدّر الحجارة لكل الشرق الأوسط. قال لي والدي رحمه الله بأنه سمع من بعض علماء المسلمين بأن سيدنا عيسى عليه السلام عندما ينزل إلى الأرض سينزل على هذه المئذنة، وذكر لي بأنه عندما دخل الإنجليز إلى القدس عام 1918 وحصلت مقاومة لهم، لأن الأهالي هناك كانوا يدينون بالولاء للدولة العثمانية، وقف أحد المجاهدين في رأس المئذنة ومعه مسدس وأخذ يطلق الرصاص على الإنجليز وهم داخلون، وأصاب منهم ثم حاصروه واستهدفوه وأطلقوا عليه الرصاص فاستشهد فوق رأس المئذنة. وقيل إن هذا المجاهد كان أطرشاً ولم يكن يسمع. هذه بعض القصص عن المئذنة الحمراء. المئذنة الحمراء... ربما المؤرخون يؤرخون لها أوسع مما قلته أنا عنها.

مسقط الرأس القدس، القدس القديمة معظمها مبلطة (أي وضع على أرضها البلاط)، وتتنقل بها على قدميك، يوجد شارع واحد مزفت أي معبَّد لتسير عليه السيارات فقط، يأتي من باب الأسباط إلى شارع الواد فقط. وما غيره بلاط، كنت أنزل أنا ووالدي رحمه الله وإخوتي إلى المسجد الأقصى من بيتنا إلى المسجد الأقصى

لا تأخذ معنا الطريق سوى خمس دقائق. نمرّ عن فرن البزلميط وفرن أبو فرحة، فقد كانت الأفران كثيرة بسبب بسيط لأن كل عائلة كانت تعجن وترسل العجين إلى المخابز لخبزه، وكنا نحن الأطفال نحمل الطرحه المحملة بالعجين فوق رؤوسنا ونذهب بها إلى الفرن الذي كان يستعمل الجفت، وهي بقايا عصر الزيتون ويستعمل في هذه الأفران للخبز، فالأفران كانت كثيرة في القدس القديمة. بعد ذلك ننزل نزلة ونقطع طريق الواد المزفت، في المقابل على يساري قبل أن أدخل على باب الغوانمة كان يوجد مبنى الروضة، كانت مدرسة روضة المعارف. ثم تحولت هذه الروضة إلى مقرّ للبوليس البريطاني وفي أواخر سنة 1948 تحولت إلى مقر المجاهدين، وأقام فيها قائد المتطوعين واسمه فاضل (عراقي)، وكان ممن قاتل معه كثير من المتطوعين منهم مصطفى السباعي من سورية، ومنهم سعيد رمضان من مصر، ومنهم الصواف من العراق وآخرين. ثم تدخل إلى باب الغوانمة. والمسجد الأقصى له عدة أبواب؛ منها باب الغوانمة، وهو الباب الشمالي الغربي، وتواجهك ساحة كبيرة، وهي ساحة المسجد الأقصى، مساحتها حوالي 144 دونم تقدر بحوالي سدس مساحة البلدة القديمة كلها، في كل مكان في أرض المسجد الأقصى الصلاة فيه مرادفة للصلاة داخل المسجد الأقصى وداخل قبة الصخرة، ثم توجد ممرات إذا مشيت في الممر المظلل بالمباني تجد عليه مباني للأوقاف وللمجلس الإسلامي، وتمرّ على ثلاثة مدافن: مدفن محمد علي وهو زعيم هندي ودفن في المسجد الأقصى، وأيضاً مدفن عبد القادر الحسيني، ومدفن الشريف حسين والد الملك عبد الله الأول وجد الملك حسين ملك الأردن. وبعد ذلك تمرّ على باب السلسلة. هناك أيضاً المجلس الإسلامي، ومكان المجلس الإسلامي هو بيت للحاج أمين الحسيني سكن فيه وأسس فيه المؤتمر الإسلامي سنة 1953. وبعد ذلك يواجهك باب المغاربة، وهذا الباب هو الباب الوحيد الذي استلم الإسرائيليون مفتاحه سنة 1967 عندما احتلوا القدس، ومن هنا يعيثون فيه فساداً ويحاولون هدمه والدخول فيه، وهناك المتحف. أما المسجد الأقصى، فقد بناه عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك. والمسجد الأقصى يشبه بناؤه بناء المسجد الأموي في دمشق، ولكن في نهايته إلى اليسار هناك يوجد مسجد طويل كنت أحرص دائماً أن أصلي فيه، هذا المسجد بسيط وهو المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما دخل القدس وحررها وأزال القمامة هو والصحابة، فهذا المكان تركه الأمويون

كما هو، وهذا يطل على الناحية الجنوبية (القبلة)، بعد ذلك يوجد ساحات كبيرة جداً في المسجد الأقصى.

بعد عام 1967 بني تحت المسجد الأقصى مسجد آخر اسمه المسجد المرواني وكان للحركة الإسلامية برئاسة الشيخ رائد صلاح دور كبير في تعمير هذا المسجد. إذا اتجهت إلى الشمال تصعد عدة درجات، هناك توجد أقواس، ويواجهك مسجد قبة الصخرة، كان المسجد الأقصى يصلي فيه الرجال ومسجد قبة الصخرة تصلي فيه النساء، ومسجد قبة الصخرة في وسطه صخرة ومحاطة بسور منخفض وعلى جوانبه أماكن للصلاة، هذه الصخرة التي عرج منها الرسول ﷺ إلى السماء، بينما المسجد الأقصى الذي صلى فيه الرسول ﷺ بالأنبياء. وتحت الصخرة يوجد كهف، وبعض العوام يقولون إن هذه الصخرة لحقت بالرسول عند المعراج لكنها قصة فيها نوع من المبالغة؛ فالناس يصلون فيها ويتبركون بها وكل الأماكن مباركة، ومسجد الصخرة تحفة فنية؛ فهو مثمن الشكل ومكتوب على محيطه سورة **يس**، وقد تمّت صيانته في عهود كثيرة أيام الأمويين والعباسيين والمماليك، ثم كان للهاشميين أيضاً دور في تعميره، والحفاظ عليه هو والمسجد الأقصى.

أما ساحة قبة الصخرة ففيها غرف كثيرة، هذه الغرف كان يأتي إليها المسلمون والعلماء ويعتكفون فيها العشر الأواخر، أما في الساحات الأخرى فهناك مساطب كثيرة، وروي أنه في فترة من تاريخ الإسلام الزاهر كل مسطبة كان عليها عالم يدرس... عشرات المساطب... وعشرات العلماء، وكانوا يدرسون القرآن والحديث والفقه وغيره.

بقية المسجد مزروع بالأشجار والحشائش، أهالي القدس القديمة متنفسهم الرئيسي هو المسجد الأقصى فيصلون فيه الصلوات الخمس، ويصلون فيه الجمعة ويأتون من جميع النواحي ويكون مزدحماً جداً. والآن لا يسمح للصلاة فيه إلا لأهالي القدس وفلسطينيي الـ 48 فقط، أما أهل الضفة والقطاع فممنوع عليهم دخوله إلا بالتهريب. كان للمسجد الأقصى أيضاً دور في المولد النبوي؛ حيث كان يقام فيه الاحتفال، وتقرأ قصة المولد النبوي في مسجد قبة الصخرة، كنا صغاراً ونجلس في الخارج ونستمع إلى هذه القصة الجميلة ونصلي هناك. وكان إحياء ذكرى الإسراء والمعراج في 27 رجب

يتمّ في المسجد الأقصى، ويأتي العلماء ويتكلمون عن قصة الإسراء والمعراج وعن أهم أحداثها، وعن صلاة النبي محمد ﷺ بالأنبياء، وكيف فرضت فيها الصلاة؛ حيث كانت 50 ثم نزلت إلى خمسة، بعدما كان سيدنا موسى عليه السلام يطلب من سيدنا محمد ﷺ أن يراجع الله سبحانه وتعالى، حتى صارت خمس صلوات.

وكان المسجد الأقصى يبتدئ منه كل سنة موسم النبي موسى. ما هو موسم النبي موسى؟ الذي اخترعه وفكر به هو صلاح الدين الأيوبي عندما فتح القدس عام 1187، بعد أن بقيت بيد الصليبيين أكثر من 90 سنة، صلاح الدين اختار موسم النبي موسى في نفس موعد مواسم عيد الفصح عند النصارى، فكان الصليبيون يتجمعون فيه، وكان يخشى صلاح الدين أن يهاجم الصليبيون المسجد الأقصى والقدس فخرج بهذه الفكرة بحيث يأتي المسلمون والفلسطينيون من كل أنحاء فلسطين ويجتمعون في المسجد الأقصى، أهل نابلس يأتون بمسيرات، وأهل الخليل يأتون بمسيرات، ويافا يأتون بمسيرات وحيفا وبيسان وكل المناطق... وكلهم يحملون الأعلام والبيارق والطبول، ويجتمعون فترة في المسجد الأقصى، ويوحدون صفوفهم، وينشدون ويدبكون، ولهذا الموسم تراث قديم منذ عام 1187 وحتى 1948، والغاية منه الحفاظ على القدس، بحيث يبقى المسلمون جاهزين ومسلحين فيما لو صار أي نوع من محاولة الغدر بالقدس، ثم ينزلون إلى مقام النبي موسى، وهو بعد الخان الأحمر وقبل أريحا يقيمون هناك ويذبحون الذبائح وينشدون، وبعد ذلك يعود كل إلى بلده ويستمر ذلك حوالي أسبوع، كنت أذكر خالاً لي اسمه سعيد العريان (أنا أخوالي من عائلة العريان) كان مسؤولاً عن أحد البيارق، عندما يجتمع أهل القدس يخرج ببيرقه ومعه الناس، وكنت وأنا صغير أشاهده وأرى أنها عملية جميلة جداً تجذب النفوس.

من ذكريات الطفولة:

الطفولة كانت جميلة في القدس القديمة، وفي حارة السعدية كان هناك عدد من أصدقائي وأصحابي، وكان هناك ألعاب مشهورة في الطفولة، فمع أن القدس عبارة عن شوارع مبلطة إلا أننا كنا نلعب لعبة السبعة حجار، وكنا نلعب لعبة اسمها القلال (القلول) وكنت أنا ماهراً في هذه اللعبة، وكان لي عم أكبر مني بسنتين (ذو الكفل) حيث كنت أعمل شراكة

معه، ونلعب مع آخرين ونكسب، وكنت حتى الآن أعجب كيف كنت أستطيع أن أصيب القل وهو وراء الصخرة من شدة الدقة، وكنا نلعب مع آخرين وخرجنا خارج السور حيث السكان خارج السور أكثر ثراء ممن يعيشون داخل السور، (نحن عائلتنا تعتبر عائلة متوسطة الحال إلى حدٍّ ما) فكنا نلعب معهم وهذه من الألعاب المهمة، وكنا نلعب لعبة "الفرَارات"، وكنا نلعب لعبة "طُقُّه واجرِي" وهي عبارة عن خشبة طويلة وقطعة أخرى صغيرة... هذه الألعاب التي كنا نلعبها ونحن صغار، وكان أهم شيء عندما نعود إلى البيت تطلب منا الوالدة غسل أيدينا جيداً بعد اللعب.

بعد ذلك عملنا فرقة لكرة القدم من حارة السعدية، وصرنا نلعب خارج السور في ملاعب المدارس منها ملعب المطران خارج السور، وكنت أنا ممن ينظم هذه الفرقة، وكان معي عدد من الأصدقاء أذكر منهم الشيخ ياسر قليبو وهو شيخ الآن وقارئ للقرآن، وفتحي كلبونه، وكان معي أيضاً أحمد البنا ومفيد الشيخ ورأفت الرابي وشكلنا فرقة لنلعب مع الآخرين كرة قدم. ولكن اللعبة التي كنا نتقنها أكثر وقد أحببتها كثيراً هي صيد العصافير، كل منا كان يُعدّ مغيطته (وتُعرف أيضاً بالقُفَّاز، وهي قطعة ثنائية الشعبة، ومثبت مطاط من طرفيها)، وكان معي عمي وهو أكبر مني بسنتين فقط، وهو صيّاد ماهر، وكان معي ابن خالي وهو أكثرنا احترافاً بالصيد، واسمه غازي العريان، وهو موجود الآن في الولايات المتحدة. كنا نحن الثلاثة ننزل للصيد، فإذا كان الصيد لحمامة برية فهذه كان يقوم بها غازي، بضربة واحدة يصيبها. وكنا نستعمل قطعاً من الرصاص، حيث كانت تمديدات الرصاص خارجية سابقاً، فكان ما يلقى منه من فضلات قطعه صغيرة، هذه القطع إذا أصابت الحمامة تنزلها فوراً، أما العصافير فكنا نستعمل الحجارة الصغيرة لصيدها، وبعد ذلك في المهارة كان عمي وبعد ذلك أنا، ومنذ ذلك الوقت أحببت الصيد، ومارست الصيد بالبارودة بقية حياتي، ومارست أيضاً صيد السمك (في الكويت) كهواية جميلة جداً.

وعن كيفية اصطيادنا للحمام في منطقة الواد، من على الأبنية العالية جداً، وإذا ما كان الترافك الإنجليزي (الشرطي الإنجليزي) ماشياً في الطريق، نكون مستعدين؛ وعندما يتجاوزنا، غازي يضرب بالمغيطة فيصيب الحمامة فوراً، فيستلمها ذو الكفل، وأنا

أكون مرتدياً جاكيت فأخبئها تحت الجاكيت، ونمشي ثلاثتنا دون أن يلاحظنا الترافك الإنجليزي، لأن حمل المغيط كان ممنوعاً في ذلك الوقت. وعندما نأتي بهذا الصيد إلى البيت كانت والدتي ترفض تحضيره لنا لنأكله، وكانت جدتي أيضاً أم يوسف ترفض، ولكن زوجة عمي أم حسن كانت تأخذه وتنظفه وتحضره وتدعونا لنأكله، وكنا نجده من ألذ أنواع الطعام.

أحياناً كانت تحدث اشتباكات بيننا وبين آخرين فيكون عليك أن تدافع عن نفسك، أما أنا فلم أكن مهاجماً وإنما كنت مدافعاً عن نفسي، أذكر مرة كنت مع اثنين من إخوتي فصادفنا مجموعة من عائلة الحجازي، وقطعوا علينا الطريق، فاضطررنا أن ندخل معهم في معركة وجرح من جرح منا، وبعد ذلك أصبحنا أصدقاء، وهذا شيء طبيعي في حياة الحارات، هذه بعض نشاطات الطفولة في تلك الأيام.

في **رمضان في القدس**، كان هناك مواسم مهمة نحتفل فيها في رمضان، نزور بعضنا بعضاً، فكل عائلة لديها طفل، يذهب إليها مجموعة من الأطفال وينشدون لها، فمثلاً لو اسم الطفل علي، ينشدون له بالخارج، ويقولون له "علي لينا وكويسه وعريسه، علي قاعد عالمسطبة والدكة مقصبة، ويا أهل البيت طعمونا"، فيحضرون لنا مكسرات، ثم نذهب إلى ناس آخرين، وهكذا، هذه كانت من عادات رمضان.

بيتنا كان هو بيت جدي لوالدي، أما جدي لأمي الحاج محمد العريان (أبو سعيد) فكان قريباً منا، جدي شحادة غوشة آخر زوجاته من دار العريان، وجدي لأمي هو من دار العريان وزوجته من دار غوشة، لذلك عائلة غوشة وعائلة العريان متداخلة جداً. فكنا نذهب نحن أولاد وأحفاد الحاج شحادة ونلعب مع أولاد وأحفاد الحاج محمد العريان، أولاد خالي، منهم محمود العريان، وأسامة العريان، وعز الدين العريان، وعوني وعاهد، فكانت هذه العلاقة متداخلة فيما بيننا، وإذا أحبوا الذهاب في رحلة قريبة إلى المسجد الأقصى، النساء يصلين هناك، ويجلسن مع بعض في الساحات الخضراء، وهكذا كل سكان القدس القديمة.

خارج أسوار القدس توجد مقبرتان، مقبرة باب الساهرة وهي ما زالت موجودة، وهذه المقبرة كان منصوباً عليها مدفع رمضان، وعندما يعلن الإفطار أو العيد نسمع

المدفع، وفي هذه المقبرة دُفن والدي وأجدادي. ويوجد مقبرة ثانية هي مقبرة باب الأسباط في الجهة الشرقية، وفيها قبور بعض الصحابة والفاتحين والمجاهدين. أهم شارع في القدس الشرقية هو شارع صلاح الدين، وهذا الشارع تجاري كبير. شمال القدس القديمة يوجد حي باب الساهرة، نسبة إلى الباب، هذا الحي صارت تبنى فيه مبانٍ حديثة، وبعد ذلك امتد العمران إلى وادي الجوز وإلى الشيخ جراح، وبعد ذلك بيت حنينا وشعفاط، وهذه كلها أحياء جديدة، أما الأثرياء في القدس فكانوا يبنون في القدس الغربية، حيث كان فيها حي القطمون وحي البقعة وحي الطالبية، وللعلم فإن 80% من بيوت القدس الغربية كانت للعرب، ومن الذين كان لهم بيوت في القدس الغربية الدكتور إدوارد سعيد، وقد زار مكتب جبهة العمل الإسلامي في عمّان سنة 1995 والتقيت به.

القدس الغربية كانت أكثر رحابةً، وفيها سكة حديد. أذكر تماماً، بعد انتصار الحلفاء على الألمان، أخذني والدي لحضور الاستعراض العسكري الذي كان في منطقة القدس الغربية في ملعب كبير هناك قريب من سكة الحديد، وقفنا نشاهد الاستعراض العسكري للإنجليز والاستراليين والكنديين وجميع الذين كانوا مع الجيش البريطاني، وكانت هناك فرقة من الجيش العربي يركبون الخيل والجمال؛ فأنا كطفل فرحت عندما رأيت أناساً عرباً مسلمين يحملون السلاح في هذا الاستعراض، وهذا كان سنة 1945 على ما أعتقد.

القدس الغربية جميلة، أخذني والدي إلى حديقة اسمها حديقة الأسماك سنة 1946، وهي مخصصة للأسماك الحية، وهذا يدل على رقي القدس في ذلك الوقت. كنت أذهب أيضاً إلى حديقة الحيوانات، وللوصول إليها كان علينا أن نخترق حي يهودي اسمه حي موشيرم، فكنت أذهب أنا وصديق لي من دار قرش؛ وكان كل واحد منا يأخذ "مغيطة" للحماية، وكنا نخترق حي اليهود وهو حي متدينين، وكان اليهود يخشون الفلسطينيين، فنصل حديقة الحيوانات ونشاهد الحديقة ثم نعود من الطريق نفسها، فلا يجرؤ أحد من اليهود أن يحتك بنا.

من ذكريات حرب فلسطين:

أعلن **قرار التقسيم في 29/11/1947**، هذا القرار مهم جداً، لأن المناوشات بدأت بعده بين العرب واليهود بكثافة، هذه المناوشات سببها أن الأمريكان ضغطوا على عدد من الدول في الأمم المتحدة فكانت الأغلبية بالموافقة على قيام دولة للكيان الصهيوني، مع أنه في هذا التاريخ لم يكن لليهود أكثر من 6% من فلسطين وقرار التقسيم أعطاهم 55% من أراضي فلسطين، واستطاعوا بعد نهاية حرب 1948 أن يأخذوا 78% من أرض فلسطين. فعندما يكون لليهود 6% ويأخذون فوقها 49% فإن أي إنسان سيرفض قرار التقسيم، ولذلك فإن الذين يلومون العرب لرفضهم قرار التقسيم هم جماعة غير منطقيين وغير منصفين، لذلك كل الشعب الفلسطيني رفض قرار التقسيم، وخرجت مظاهرات صاخبة.

في السابق قرأت كتاباً باللغة الإنجليزية اسمه O Jerusalem حُوِّل إلى فيلم سينمائي، وهذا الكتاب ألفه يهوديان فرنسيان، وكان يتحدث عن فترة ما قبل حرب 1948 لغاية 1967، وذكر أنه كان للإخوان المسلمين دور في تحريك الشارع في القاهرة وعمّان ودمشق وبيروت وبغداد لرفض قرار التقسيم، وهذا التحريك للشارع هو الذي ضغط على الدول العربية من أجل إرسال الجيوش، وقد أرسلت الجيوش بعد 15/5/1948.

أما أهم الأحداث التي حدثت ما بعد 29/11/1947، فأذكر جيداً أن المدارس استمرت في عملها، ورأينا يوماً في الجهة الغربية حريقاً كبيراً جداً، لأن العرب قد هجموا على سوق الشماعة وأحرقوه، وكان هذا أول الفعاليات ضدّ اليهود بعد قرار التقسيم في القدس، هذا الأمر حرّك الجو، وصار اليهود يردون بالاغتيالات. وفي إحدى المرات كنت قريباً من باب العمود أنا وبعض الأشخاص، وسمعنا انفجاراً شديداً في باب العمود، فركضنا إلى هناك وكان اليهود قد ألقوا براميل مليئة بالبارود، لتنفجر بين الناس وراح فيها قتلى وجرحى كثيرون، وهرب اليهود في سيارة باتجاه الشمال، ورأيت بأم عيني باص رقم 33 المتجه إلى حي "الشيخ جراح" وهو يطاردهم، لعله يمسك بهم.

ماذا كان ردّ العرب، كان **قد تأسس جيش الجهاد المقدس في فلسطين**، هذا الجهاد المقدس **أنشأه الحاج أمين الحسيني** وترأسه عبد القادر الحسيني، بدأ يردّ، فكل

تفجير يقوم به اليهود كان يردّ عليه عبد القادر الحسيني في منطقة القدس الغربية؛ لأن كل المناطق الأساسية لليهود كانت في القدس الغربية، فتمّ تفجير حيّ يهودي، وتمّ تفجير الوكالة اليهودية، وتمّ تفجير حي المونتفيوري. هذه الأحداث كلها ما بعد قرار التقسيم، وردّ اليهود بتفجيرات أخرى وفي مناطق أخرى في فلسطين، لكن معنويات الناس كانت عالية جداً.

هناك خطأ تاريخي، ربما، بعد قرار التقسيم كان المفروض على الحاج أمين الحسيني أن يدخل فلسطين، بعض المؤرخين المصريين يقولون بأن الملك فاروق منعه من دخول فلسطين، لكن حتى لو منعه كان عليه أن يدخل بأي طريقة إلى فلسطين. كان الشعب الفلسطيني بحاجة إلى قيادة، ولم يكن سوى الحاج أمين الحسيني هو القائد المهيأ ليقود هذه المعركة، وهذا لم يتمّ، ربما لو دخل الحاج أمين الحسيني إلى فلسطين بعد قرار التقسيم، ربما تغير التاريخ. إن الشعب الفلسطيني هو الذي قاتل من قرار التقسيم حتى 15/5/1948.

أذكر من المعارك التي حصلت في مرحلة الطفولة، أن اليهود كانوا يريدون أن يدفنوا موتى لهم في مقبرة رأس العمود وأطلق المجاهدون عليهم الرصاص من أسوار القدس وكانت معركة كبيرة.

اليهود الذين كانوا يأخذون موتاهم من القدس الغربية، أو من حارة اليهود إلى المقبرة في جبل الزيتون، كانوا يمرون من باب الأسباط وتلك منطقة عربية، فماذا كان الأطفال الفلسطينيون يفعلون؟ يتفق طفل أو طفلان أن يمروا من تحت جنازة الميت، فيجن جنون اليهود، فيضعون الجنازة على الأرض، ويلحقون بالأطفال، لأنه في رأيهم إذا دخل مسلم تحت الجنازة معنى ذلك أن الميت سوف يدخل جهنم، فيحضرون الطفل ويرضونه بأي طريقة حتى يرجع من تحت الجنازة بالاتجاه المعاكس، وبعد ذلك يحملون جنازتهم ويسيرون في طريقهم إلى المقبرة. الآن هذه المقبرة في رأس العمود، وبعد احتلال سنة 1967، أعاد اليهود بناءها وما زالوا يستعملونها، وهي داخل القدس الشرقية، ولم يمسها أحد من المسلمين طيلة الفترة من 1948 وحتى 1967 مع أن اليهود يدعون أنه هناك من قام بتخريبها.

المعركة الأخرى التي شاهدتها هي معركة الشيخ جراح، كان اليهود يخرجون قافلة من القدس الغربية إلى مستشفى هداسا والجامعة العبرية، كل أسبوع أو أسبوعين مرة، وقتها كنت أنا في الصف الرابع ابتدائي في مدرسة الشيخ جراح، وأنا تسلسلت في المدارس، أولها روضة حارة السعدية بعد ذلك المدرسة المحمدية في القدس القديمة، والابتدائي في مدرسة الشيخ جراح وهي تطلّ على الطريق الواصل بين القدس الغربية إلى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، صباح ذلك اليوم جمعنا المدير وقال لنا: يا أطفال، انتبهوا لأنفسكم، لأنه من الممكن أن يحدث إطلاق نار في منطقتنا؛ لا تخافوا، واختبئوا. وفعلاً، وجدت المجاهدين محملين بالسلاح، بالبنادق الإنجليزية والألمانية ومعهم أيضاً بعض الرشاشات تسمى "برن". وابتدأت المعركة، نحن اختبأنا، ثم جاء المدير وطلب منا أن نغادر، فغادرنا مدرسة الشيخ جراح وقطعنا الطريق إلى باب الساهرة، ومنه نزلنا إلى بيوتنا، لكن في الطريق بعض المناطق كانت مكشوفة للجامعة العبرية وكانوا يطلقون الرصاص على المدنيين، فكنا نركض بسرعة حتى لا نصاب، وهذه المعركة شارك فيها، كما قرأت فيما بعد، الشيخ ياسين البكري، وشارك فيها فاضل (مقاتل عراقي)، وشارك فيها بهجت أبو غربية؛ فدمرت القافلة كلها، وقتل من اليهود في هذه المعركة حوالي 120 قتيلاً يهودياً، كانت ضربة قاصمة، غير الجرحى، ولم يحسم المعركة إلا تدخل الجيش البريطاني، وأذكر من الناس الذين استشهدوا في هذه المعركة، أحد قيادات الإخوان المسلمين، وهو الشيخ شكري قطينة، وكان هو عريف حفلات الإخوان (حيث تأسست حركة الإخوان المسلمين سنة 1945 في القدس، وكان المركز العام للحركة قريباً من مدرسة الشيخ جراح ومقابل القنصلية السعودية).

الإخوان المسلمون في ذلك الوقت أي قبل 1948 كانوا عبارة عن حركة دينية رياضية اجتماعية، فكان يدخل فيها وجوه البلد كلها، فتجد من الإخوان المسلمين أسماء كثيرة من الوجوه. ولم تكن الناحية السياسية قد تشكّلت إلا بعد عام 1948.

أما بالنسبة للأحياء المهمة خارج السور فهي؛ باب الساهرة، والشيخ جراح، وبيت حنينا، وشعفاط، ووادي الجوز، والطور، وسلوان، وأبو ديس، وكلها قرى حول القدس ملتصقة جداً بها، هذه الأماكن كانت مجال تحرك الناس.

العلاقة مع النصارى:

لم يسجل التاريخ العربي الإسلامي في فلسطين أي صدامات بين المسيحيين والمسلمين منذ فتح عمر بن الخطاب ومنذ تحرير صلاح الدين الأيوبي. المسيحيون يأخذون حريتهم الدينية كاملة، في القدس القديمة يوجد أديرة كثيرة جداً، هناك أديرة للروس، وأديرة للفرنسيين، وأديرة للطليان، وأديرة للأرمن، وأديرة للأقباط، وأديرة للأنجليكان. كل الطوائف المسيحية كانت موجودة في القدس. وكما ذكرت فإنَّ بيتنا كان على يمينه دير وعلى يساره مسجد، ولا يحدث شيء بين المسيحيين والمسلمين، الحياة في منتهى الحرية ومنتهى التعايش السلمي والمحبة. وفي كثير من الأعياد يزورنا المسيحيون ونزورهم، ومن الجميل أيضاً، أنني كنت أزور كنيسة القيامة، وللعلم فإن كنيسة القيامة منذ عمر بن الخطاب مفاتيحها بيد عائلتين مسلمتين، عائلة جودة وعائلة نسيبة، لأنه إذا أخذها المسيحيون سيصطدمون فيما بينهم، لأن كنيسة القيامة مقسمة، لكل ديانة جزء، وإذا واحد اقترب من الجزء الآخر ربما تصير معركة، فالذي يفتح الباب ويغلقه حتى هذه اللحظة هو مسلم، وقد اتفق المسيحيون منذ زمن أن يعطوا الحارس المسلم غرفة على اليسار يجلس فيها، ويستطيع أن يصلي فيها. كان ثمة شخص اسمه علي وهبة لديه مفتاح الكنيسة باعتباره وكيلاً لعائلة نسيبة أو جودة وهو الذي يفتح الباب، وكان قريباً من الإخوان، فكنا نزوره ونحن أطفال، فنجلس عنده ونشاهد الناس الداخلين، ونتفرج على الكنيسة، وعلى قبر المسيح (كما يقولون).

أيضاً داخل القدس حارات مهمة، حارة النصارى، وحارة الأرمن، وحارة اليهود التي سكنها اليهود أيام الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، وهي أرض وقف إسلامي لذلك عندما طرد منها اليهود سنة 1948 بعد الحرب أعيد اسمها إلى اسم حارة الشرف، وسكنها بعض اللاجئين، وعندما عاد اليهود بعد سنة 1967 أعادوا بناءها وحسنوها ودمروا حارة المغاربة، وجهزوا ساحة كبيرة أمام ساحة البراق.

أسواق القدس:

كان أهم الأسواق سوق باب الخليل، وسوق الدباغة وهو أفضل الأسواق، وسوق العطارين، وكان فيه للوالد دكان في الجانب الأيمن رقم (5) وهو صغير، وكان والدي يبيع فيه خردوات (جرابات، خيطان، أزرار...) كنا نسميها خردوات، وكنت وأنا طفل أساعده، عندما يذهب لشراء بضاعة أذهب معه، وعندما وصلت إلى الصف الخامس والسادس ابتدائي، صرت تاجراً ماهراً، وبعض التجار، وكثير منهم خلايله [أي من الخليل]، قالوا لوالدي إن إبراهيم من المفروض أن يكون تاجراً، فرفض الوالد وأصر على أن أكمل دراستي. وفي دكان والدي كنت أجلس وأساعده، وفي الوقت نفسه أجد فرصة للقراءة والمطالعة، بهذا السن كنت أقرأ كثيراً، أحببت التاريخ والسيرة النبوية كثيراً، بعد ذلك صرت أطلع على القراءات الأخرى، قرأت قصصاً بوليسية لأرسين لوبين، وقرأت روايات جورجي زيدان، وكنت نهماً في القراءة، لكن لاحظت في كتب جورجي زيدان أنه كان يذكر قصصاً عن التاريخ الإسلامي لكنه كان يركز على المعارك بين المسلمين. علمني وجودي في دكان والدي في سوق العطارين دروساً كثيرة ما كنت لأتعلمها في المدرسة، أهمها معرفة الناس، يمرّ أمامي جميع أنواع الشعب الفلسطيني في سوق العطارين، هذا السوق كان يبيعون فيه الملابس والأحذية وكل شيء، فيتيح لي المكان أن أطلع على كل ثقافاتهم. أذكر أن والدي كان يبيع طبب حرير [وهي خيوط من الحرير يتمّ لفها على شكل كرات لتطريز الأثواب]، فكانت بعض القرويات يُحببن اللون القرميدي وبعضهن يُحببن اللون الأحمر الغامق، أو اللون الأخضر. لقد كان التطريز فناً جميلاً يتنوع حسب القرى، وتعرفت في الدكان على أناس كثيرين، كنت أرى أحياناً أساتذتي يمرون ويشترون من عندنا، فهذه الحياة لا أنساها، وقد علمتني تجارب كثيرة.

العلاقة مع اليهود:

تحدثت سابقاً عن زيارتهم لحائط البراق، وكيف كانوا يأخذون حريتهم كاملة، وكبار السن من الفلسطينيين كانوا يرفضون ما يقوم به الأطفال من استفزازهم، وتكلمت عن مقبرة رأس العمود.

ونتكلم أيضاً عن موضوع قوافل البوتاس، كان اليهود يستخرجون البوتاس من البحر الميت، ولهم مستعمرة في شمال البحر الميت، وتأتي السيارات، وهي لشركة يهودية للبوتاس، فتمر عن طريق القدس، فعندما توترت الأمور بعد قرار التقسيم أصبحنا نحن الأطفال نتصدى لهذه القوافل، القوافل كانت عبارة عن عدة سيارات تسير أمامها مصفحة بريطانية وخلفها مصفحة بريطانية، كنت أخرج أنا واثنين معي، أحدهما من دار قرش والآخر من عائلة أخرى، إلى خارج السور مقابل مدرسة المطران، كان هناك جدار، وكانت وراءنا المدرسة البكرية، وكنا نكمن لهذه القوافل، مثل الأعمال التي كان يقوم بها أطفال الانتفاضة، وكنا نحضر معنا قطع الرصاص التي ذكرتها، نقطعها، ونضرب السيارة التي في المنتصف والبعيدة عن المصفحة، وتكون فيها فتحة شباك صغير جداً حوالي 30 × 30 سم، ولأننا ماهرون في التصويب، وحيث أن السيارة بطيئة على الطلوع فنضربها فنسمع من داخلها صوتاً عالياً يصرخ من الألم، فإذا أصبناه نركض فارين مثل الغزلان، فتتوقف المصفحة، وتُحوِّل رشاش البرن على المنطقة التي جاء منها الهجوم فنكون نحن قد هربنا، وهكذا، وهذه كنا نعتبرها لعبة وعملاً وطنياً في وقت واحد.

كنا نلاحظ قبل 29/11/1947 أن اليهود كانوا يأتون إلى كل المناطق العربية، مشياً على أقدامهم، وهذا درس لنا، كان يقودهم شخص كبير بالسن والباقي أطفال، أو فتيان، وأحياناً معهم فتيات، يلبسون لونين، القميص أبيض والبنطال أزرق مثل علمهم، ويأتون ليكتشفوا منطقة وادي الجوز، ومنطقة الطور، ومنطقة الشيخ جراح بحيث يعرفونها جيداً، طبعاً نحن كطلاب مدارس إذا رأيناهم كنا نواجههم بالحجارة ونمنعهم من إكمال مشوارهم، لكنهم كانوا يعتمدون على رياضة المشي ومعرفة الأرض، وهذه مهمة جداً، فهؤلاء بعد سنوات هم الذين غزوا المنطقة العربية في كل مكان، فقد كانوا يعرفونها تماماً. وهذا بالضبط الذي أذكره للأستاذ كامل الشريف عندما كان أميناً عاماً مساعداً للمؤتمر الإسلامي سنة 1953؛ حيث كان الأمين العام الأستاذ سعيد رمضان، يطلب دائماً من شباب الإخوان أن يخرجوا في رحلات مشياً على الأقدام، وأن يتعرفوا على المناطق جيداً وهم أطفال؛ تمهيداً لليوم القادم للجهاد.

الدراسة:

بالنسبة للمدارس التي دخلتها ذكرت أن أهم مدرسة دخلتها مدرسة الشيخ جراح وبقيت فيها إلى الصف الرابع الابتدائي وهذه المدرسة كان أساتذتها يمتازون بالوطنية، الأستاذ فتح الله السلوادي علمني فيها الدين، وعلمني فيها أيضاً أستاذ من دار زلوم كان مع الجهاد المقدّس، وكان دائماً يحمل مسدساً وكان وطنياً جداً ويعلمنا الوطنية. وكان أهم شخص فيها مديرها الأستاذ عثمان بدران، وهو رجل كان مدرساً علمنا الوطنية وحبّ فلسطين، فكان يشرح لنا عن فلسطين وأهميتها، وعن خطر اليهود ونحن قبل الرابع الابتدائي وبعد الرابع الابتدائي حدثت حرب 1948. وعثمان بدران انضم للمجاهدين وقاتل في منطقة الطور، وبعد ذلك انضم للجيش الأردني وأسس مدارس الثقافة في الجيش الأردني وكان رئيساً لها، قبل أن يتوفى.

المعالم الرئيسية لهذه المرحلة أن معنويات الشعب الفلسطيني كانت عالية جداً، وكانوا يردون الصاع صاعين أيام عبد القادر الحسيني. وبعد استشهاده في 8/4/1948 تراجع العمل الجهادي في فلسطين، ففي ثاني أيام استشهاده في 9/4/1948 ارتكب الصهاينة مجزرة دير ياسين، وأنا كنت من الذين رأوا عبد القادر الحسيني بعدما استشهد، مسجى في بيته في باب الساهرة.

الحياة الاقتصادية:

أما بالنسبة للجانب الاقتصادي والعلاقات بين الناس، فقد كان الناس مرتاحين.

فقبل قرار التقسيم كانت معظم أراضي فلسطين مع الشعب الفلسطيني، يزرعون الأرض ويفلحونها، والعلاقة مع القرويين ممتازة، التجارة قوية جداً وبعض مدنها مثل حيفا ويافا مشهورة جداً ويأتي إليها العمال من البلاد العربية، وكانت هناك تجارة بين فلسطين والأردن فيحضرون القمح من الأردن ويأخذون الحمضيات والخضروات والمؤن والطعام إلى الأردن، كانت العلاقة بين الناس جيدة جداً، لكن كانت تنقصهم القيادة، وكانت هذه نقطة ضعف منذ ذلك الوقت حتى الآن.

العملة التي كانت تستخدم في ذلك الوقت هي العملة الفلسطينية، الجنيه الفلسطيني

والقروش الفلسطينية، وكانت الكتابة على العملة باللغات العربية والعبرية والإنجليزية، وكانت الحياة رخيصة جداً، أما بالنسبة لأسواق القدس القديمة، فكانت كلها خيرات، أذكر جيداً أني كنت أذهب صباحاً إلى الحسبة لشراء الخضار للبيت في الصيف، الباذنجان البتيري، وهو باذنجان طويل أحمر وحلو ويحبه أهل القدس، وكنا نشتري الخيار الأبيض وله رائحة طيبة عن بعد، كان والدي يأخذنا في رحلات، فكنا نذهب إلى بتير ونجلس تحت شجرة مشمش، ونقول للقروية أننا نريد أن نشتري بعض المشمش فتقوم بهز شجرة المشمش كلها فتنزل الخيرات على الأرض، فتطلب منّا أن نأكل مجاناً، وأن ندفع فقط قيمة ما نحمله. وجو القدس جميل جداً في الصيف، ولا يوجد حرّ شديد ولا برد قارص في الشتاء.

الفصل الثاني

حرب 1948 وما تلاها
حتى 1954

من ذكريات حرب 1948:

تحدثنا سابقاً عن فترة ما قبل 1948، والآن بإذن الله سنستكمل هذه الفترة، وأحب أن أركز في فترة حرب 1948، فيما يتعلق بأهم الأحداث التي حصلت في نيسان/ أبريل 1948 م وهي: استشهاد عبد القادر الحسيني في 8/4/1948، ومجزرة دير ياسين في اليوم الثاني 9/4/1949.

من المعلوم أن **عبد القادر الحسيني** حاول أن يذهب إلى دمشق لأخذ دعم من اللجنة العربية لدعم الجهاد في فلسطين، ولكنه عاد خالي الوفاض.

كان هناك هجوم شديد على منطقة اسمها القسطل، وهي من قرى القدس الغربية، فاستطاع البطل عبد القادر والمجاهدون أن يحرروا القسطل، ولكن في أثناء هذه المعركة استشهد عبد القادر الحسيني. للأسف، فالمجاهدون بدل أن يتمسكوا بالقسطل والأماكن المهمة جداً، انسحبوا ليشاركوا في جنازة عبد القادر الحسيني.

في ذلك اليوم بعد استشهاده، أذكر جيداً، وكنت، كما ذكرت، فتى في الـ 11 إلى الـ 12 من العمر، أمشي في شارع يسمى شارع النزهة، وهذا الشارع يقع في غربه الفندق الوطني وفي شرقه المتحف، فوجدت الناس يدخلون بيتاً، فدخلت مع الناس، وكان هناك جثمان شهيد يلبس الكاكي وكان هو جثمان عبد القادر الحسيني، كان في بيته، وكان الشعب الفلسطيني يلقي عليه النظرة الأخيرة، لا أدري بعد ذلك أين ذهبت، كان هذا خارج سور القدس، أي خارج منطقة باب الساهرة، بعد ذلك استمعت إلى أصوات رصاص كثيف جداً، ويبدو أن هذا الرصاص كان يطلق تكريماً لعبد القادر الحسيني، عدت إلى البيت بعد ذلك، فوجدت والدتي في وضع حرج وسألتها عما يجري، فقالت، لقد حصل هناك تدافع في جنازة عبد القادر الحسيني ووالدك سقط على الأرض في أثناء هذا التدافع، وهو الآن مريض في الفراش. فعلاً ذهبت إلى والدي لأطمئن عليه، فوجدت عليه كدمات كثيرة بسبب هذا التدافع، ومنذ ذلك الوقت تضعضعت صحة والدي من هذه الحالة، وبقي جسمه ضعيفاً حتى سنة 1955 قبل ذهابي إلى مصر، فأصيب بجلطة في الدماغ أدت إلى شلل نصفي، حتى سنة 1962 عندما توفي رحمه الله. وفي هذا المجال أذكر قريبي الدكتور صبحي غوشة الذي كان يشرف على علاجه بمهارة وبتجرد، ودائماً نذكر هذا الفضل لهذا الرجل المناضل.

في اليوم الثاني، بعد استشهاد عبد القادر الحسيني قام الصهاينة بعمل مجزرة دير ياسين، ومجزرة دير ياسين كانت محطة فاصلة في تاريخ الشعب الفلسطيني، حصل في هذه المجزرة الكثير من القتل، قاوم المجاهدون في هذه القرية بكل ما استطاعوا من قوة، ولكن القوات الصهيونية التي هاجمت القرية، وأظن أنهم من عصابة الأرجون وهي عصابة شرسة كان يترأسها مناحيم بيجن. وعندما انتهت المقاومة، دخل الصهاينة إلى البيوت وارتكبوا المجازر والاغتصاب...إلخ، وانتشرت هذه القصة بصورة كبيرة جداً في كل مكان، وخاف الفلسطينيون أن تحصل في قراهم مثل هذه الحادثة، وكانت هذه المجزرة من الدوافع التي دفعت الشعب الفلسطيني لأن يسارعوا إلى الهجرة وترك فلسطين.

بعد ذلك، أريد أن أتحدث عن التطورات داخل القدس، فبعد استشهاد عبد القادر الحسيني وفي أيار/ مايو مرت على القدس أيام صعبة؛ حيث حوصرت وكان بن جوريون يريد أن يحتل القدس قبل 15 أيار/ مايو، ووقعت عدة هجمات على الأسوار في منطقة باب الجديد، وباب الخليل، ومنطقة الشيخ جراح وغيرها، ولكن المجاهدين قاوموا، وعندما أقول المجاهدين أعني، أولاً: قوات الجهاد المقدس، التابعة لعبد القادر الحسيني الذي استشهد، وأيضاً بعض قوات العرب الذين كانوا يقيمون في الروضة في القدس، منهم قائد عراقي اسمه فاضل، وكانت تتواجد أيضاً مجموعة من الإخوان المسلمين، منهم مصطفى السباعي، وسعيد رمضان، وغيرهم. هؤلاء كانوا يدافعون عن مدينة القدس بكل جدارة، وأذكر جيداً أن معركة نوتردام، ونوتردام هي كنيسة كبيرة تطلّ على باب الجديد ومرتفعة، حيث حدث اشتباكات كبيرة قامت بين المجاهدين وبين اليهود، أحياناً كان العرب يقتحمونها وأحياناً كان اليهود يردونهم، وهكذا، وكانت الكنيسة بمركز مرتفع، وكان هناك قناصة يطلقون الرصاص على السكان داخل البلدة القديمة، وقد يصاب من لم يكن على دراية بشوارع البلدة وأزقتها.

الانتقال إلى أريحا:

بعد 15 أيار/ مايو، زاد الضغط على مدينة القدس، وظهرت ظاهرة جديدة استعملها اليهود الصهاينة تسمى راجمات الألغام، كانوا يطلقون بعض المقذوفات، وهي ليست

دقيقة 100%، ولكنها كانت كبيرة الحجم وتنزل على المدنيين، فبدأت تنزل على القدس القديمة، واستشهد بعض أقاربي القريبين من بيتنا. وفي أحد الأيام نزلت راجمة على المسجد القريب من بيتنا، في تلك الليلة التقى أعمامي جميعاً في البيت وتشاوروا، حيث صار الوضع خطيراً جداً في القدس، وقالوا لأبي دعنا نذهب لوقت بسيط إلى أريحا إلى بيت الجد والخال، وهو بيتٌ مشترك بين الجد محمد سعيد العريان والد والدتي مع ابنه عبد الرزاق العريان وهو خالي، فقالوا نذهب جميعنا من القدس إلى أريحا حتى تنتهي هذه الهجمة الشديدة على مدينة القدس، أذكر جيداً أن والدي لم يكن راضياً ولكن إخوته ضغطوا عليه ضغطاً شديداً، فحملنا ما تيسر من أغراضنا، ونزلنا من حارة السعدية مشياً على الأقدام باتجاه باب الأسباط، وهناك كان يوجد "تْرَك" (شاحنة قلاب) ينتظرنا، حيث وضعنا الأغراض والعائلة، وهكذا نزحنا من القدس في ما بعد 15 أيار/ مايو إلى مدينة أريحا.

مدينة أريحا تبعد عن القدس باستخدام الباص حوالي نصف ساعة، ووصلنا إلى أريحا في ذلك النهار. في أريحا تطورت الأمور وازدادت معارك القدس بعد ذلك، ولم يعد بالإمكان الرجوع إلى القدس، الوالد عدّ ذلك أمراً واقعاً فاستأجر دكاناً، وهذه الدكان كان فيها ثلاثة أشخاص، والدي يبيع الخردوات (الخيطان والأزرار ومستلزماتها والجرابات وهكذا)، ومعه شخص آخر اسمه أبو شحادة وهو مسيحي جاء مهاجراً من إحدى مدن فلسطين، وكان يعمل كندرجي (أي إسكافي)، وفي الداخل كان هناك شخص من سلوان من عائلة الغول يعمل خياطاً، هؤلاء الثلاثة أقاموا في دكان واحدة في وسط مدينة أريحا، وكان علي أن أعمل مع والدي في هذه الدكان.

وهكذا أنهيت الصف الرابع الابتدائي وفاتتني سنة دراسية كاملة، في سنة 1948 غادرت المدرسة من القدس، وبقيت أعمل مع والدي في هذه الدكان، حيث كانت في وسط أريحا وكان الأشخاص الثلاثة المشاركون في الدكان دائماً يتحدثون عن القضية الفلسطينية، وكانوا يلقون جام غضبهم على حكام العرب على أساس أنهم هم المسؤولون عما جرى للشعب الفلسطيني. والملاحظ أن البضاعة التي أحضرناها من القدس كنا نبيعها في هذه الدكان، والذين يشترون منا هذه البضاعة هم اللاجئون الذين

جاؤوا إلى عقبة جبر، وعقبة جبر كان مخيماً كبيراً للاجئين، وكان هناك مخيمات أخرى، مثل مخيم عين السلطان والنويعمة.

مكثنا عدة أشهر، أذكر جيداً أن الطعام كان غالياً جداً، والخبز كان غالياً جداً، وبعد أن ننتهي من العمل في الدكان نذهب إلى البيت، وهو بيت جدي وخالي، وهو في منطقة عين السلطان، وفي عين السلطان توجد عين مياه عذبة، وأقنية مياه تسقى منها البساتين، وكان البيت قريباً منها، وهي منطقة جميلة. وبالقرب منها باتجاه الشمال هناك قصر هشام بن عبد الملك، وغرب عين السلطان يوجد جبل قرنطل الذي في وسطه دير للمسيحيين، وهناك توجد عين اسمها عين ديوك فيها مياه عذبة. في هذه البيئة عاش إبراهيم مع والديه وإخوته لعدة أشهر لا تقل عن ثمانية أشهر. الحياة في أريحا كانت صعبة بالنسبة لنا بسبب الجو الحار وكثرة الأفاعي والعقارب، وكثيراً ما رأيت الأفاعي بعيني، وذات مرة رأيت قطاً أسود اللون كان يربيه والدي يتصارع مع أفعى، ويضع يده اليسرى على أنفه ويبدو أن أنف القط هو الحساس، واضعاً ذيله بين رجليه، وكان يضرب هذه الأفعى وعندما قضى عليها أكلها، هذه من المناظر التي لا أنساها. والعقارب كانت كثيرة. وأحياناً ونحن نائمون كنا نجد العقارب تحت المخدة. مقابلنا في البيت كانت توجد آثار أريحا القديمة، وأظن أن أريحا من أقدم المدن في التاريخ، واليهود يلعنونها، فكنت أقضي وقتي بين مساعدة والدي في الدكان، ثم اللعب مع الأولاد، والنزول لصيد العصافير، والسباحة في القنوات الموجودة في رأس العين، كانت هذه الفترة بعيدة عن الدراسة وعن أجواء المدارس نهائياً. أذكر جيداً أنه بقرب دكان والدي، وهذا شيء غريب، كان هناك بقالة إفرنجية حديثة يقيم فيها شخص إنجليزي، وأحياناً يأتي جلوب باشا وكنت أراه بعيني، ولاحظت أن حنكه مضروب بالرصاص، وواضح أنه قد أجريت له عملية جراحية كبيرة، وكان أبيض اللون أزرق العينين، يزور صاحب البقالة الإنجليزي، فهل هذا الشخص الإنجليزي هو من المخابرات البريطانية وموجود في أريحا ليرصد ما يحصل في هذه المنطقة... لا أستبعد ذلك!.

في أحد الأيام في أواخر سنة 1948 سمعت صوتاً وضجة، فنظرت أمامي، وكان أمامي فندق يسمى ونتر بالاس (Winter Palace) أي قصر الشتاء، فرأيت الناس يذهبون،

إليه فقلت لوالدي أريد أن أذهب لأتفرج، فقطعت الشارع وذهبت إلى هذا الفندق، فوجدت مجموعة من الرجال يقفون على الدرج، ومجموعة أخرى يستمعون، وهناك خطابات تلقى، دققت جيداً في الحضور فوجدت الملك عبد الله بن الحسين مؤسس الدولة الأردنية. وكان حوله عدد من الوجهاء، من هؤلاء ممن أذكرهم، شخص يلبس لفة (عمامة) تشبه لفة عمي الشيخ عبد الله غوشة وهو الشيخ محمد علي الجعبري. بعد ذلك قيل إن هذا كان أول لقاء لمؤتمر أريحا الشعبي الذي التقى به الوجهاء مع الملك عبد الله، ليطالبوه بضمّ الضفة الغربية مع الضفة الشرقية، وقد تكرس بعد ذلك سنة 1950، وتمّت الوحدة، وجرت بعد ذلك أول انتخابات نيابية في الضفة الشرقية والغربية.

أذكر أيضاً في سنة 1948 بالذات، في ليلة صيفية، سمعنا أصواتاً كثيرة ومزعجة وبعيدة، تعجبنا من ذلك، وفي الصباح تساءلنا عن هذه الأصوات فكان الجواب المحزن أنه قد وصل اللاجئون من الرملة واللد إلى مناطق مخيمات عين السلطان والنويعمة وغيرها، كان هذا في شهر تموز/ يوليو 1948، بعد أن سقطت اللد والرملة. واللد والرملة كان لهما موقع حصين جداً وقريب من تل أبيب، وبسقوطهما ابتعدت إمكانية توجيه ضربة إلى تل أبيب، من فلسطين.

كما أذكر جيداً في هذه الفترات عندما كنا في رأس العين رأينا باصات تأتي، أيضاً في سنة 1948، ومعهم جيش أردني، حيث توقفت قليلاً، ثم قيل إن هؤلاء هم الأسرى اليهود الذين تمّ أسرهم على يد الجيش الأردني، بعد سقوط حارة اليهود في القدس القديمة، وقد قرأت عن هذه المعركة، معركة القدس، وكيف تمّ تحرير الحي اليهودي من اليهود وأخذ الأسرى، وهذا كان أكبر عدد من الأسرى اليهود الذين سقطوا في يد الجيش الأردني من حارة اليهود في القدس، ومن معسكرة كفار عصيون، وهؤلاء بعد ذلك تمّت مبادلتهم بأسرى من العرب كانوا عند اليهود. وقد كان شعورنا غاضباً، حيث كنا أطفالاً، عندما وجدنا أمامنا اليهود الذين أخرجونا من القدس، فكنا نريد أن نضربهم بالحجارة، فكانوا يبعدوننا عنهم.

أذكر أيضاً أن الجيش العراقي بدأ يدخل إلى أريحا، ولاحظت أن ضباط الجيش العراقي كانوا على درجة عالية من الوطنية، وحتى الشباب الصغار الأكبر مني سناً

كانوا يريدون أن ينضموا لهم ويذهبوا ليقاتلوا معهم. وسمعت أن بعض الشباب الفلسطينيين، عندما انسحب الجيش العراقي إلى العراق بعد انتهاء الحرب، ذهبوا معهم وانضموا بعد ذلك إلى الجيش العراقي.

في إحدى المرات بالليل صحونا على صوت طائرة صهيونية قصفت بعض المواقع في أريحا. وعندما هدأت الأمور في القدس، أرسلنا أخي ليفتح دكان والدي في القدس، في سوق العطارين، فصار يذهب ويرجع إلى أريحا، ثم في شتاء سنة 1949 أخذنا قراراً بالعودة إلى القدس، بالنسبة لعائلتي الأخرى، أعمامي، فقسم منهم أو معظمهم توجهوا إلى دمشق، ومنهم عمي الشيخ عبد الله غوشة، الذي أصبح قاضي القضاة في الأردن فيما بعد، وعمي عبد الرحمن غوشة الذي كان مساعداً لمصطفى السباعي، ومصطفى السباعي انسحب أيضاً إلى دمشق، وعملوا في دمشق. وقسم آخر من أقاربي سكن في عمّان، وفي مرة من المرات قال لي والدي وأنا في أريحا، أريد أن أشتري بضاعة، وطلب مني الذهاب معه، فرافقته من أريحا إلى عمّان، وكنت فتى، وأذكر أنه أخذني إلى سوق البخارية، في عمّان، سنة 1948، فاشترينا بعض الخيطان والجرابات وبعض الأمور الأخرى، أذكر أن أهم سوق في عمّان كان سوق البخارية، وعدنا مرة أخرى إلى أريحا لنبيع هذه البضاعة في دكاننا في أريحا.

العودة إلى القدس:

رجعنا إلى القدس في شتاء 1949، قيل لنا إن المدارس بدأت تفتح، مدارس الذكور لم تكن جاهزة بعد، بسبب الحرب، حيث كانت درجة الخراب والتدمير عالية جداً، فأدخلونا في مدرسة المأمونية للبنات، حيث لم تفتح في تلك السنة المدرسة للبنات، فجعلوها للطلاب الذكور فقط. دخلنا مدرسة المأمونية وهي خارج باب الساهرة في الطريق إلى منطقة الشيخ جراح. أذكر جيداً، أننا بسبب ابتعادنا عن جو الدراسة، وجدت الطلاب يحملون الطين ويرمونه على المدرسة، فأخذت أرمي الطين على المدرسة، كما يفعلون.

عاد الأساتذة، بعضهم كنت أعرفه عندما كنت في مدرسة الشيخ جراح، وبعضهم جاؤوا من مدرسة العمرية أو البكرية الابتدائية، جاؤوا ليدرسونا، وكانت الأجواء مكفهرة. ومن الأساتذة الذين درسونا الاجتماعيات، الأستاذ حيدر الخالدي، وأستاذ

آخر كان معنا في الشيخ جراح، وقع أسيراً عند اليهود، من عائلة الدجاني، لكنه من التعذيب كان وضعه مهزوزاً، وبعد فترة بدأت أهتم بالدراسة. في الفترة الأولى من دراستي كنت عادياً، لكن يبدو أن هذه الحياة وسَّعت مداركي وصرت أقرأ كثيراً، ففي إحدى المرات ناداني أستاذ الاجتماعيات، وقال لي أنت أخذت أعلى علامة في التاريخ والجغرافيا، وأخذت أتنافس على المركز الأول مع طالب آخر اسمه سعد الدين الطيب، وهو مغربي الأصل كان يسكن حارة المغاربة، وهذه الحارة كانت مقابل حارة البراق وبعد 1967 هدمها الصهاينة، ولا أدري ما أخبار سعد الدين الطيب.

أنهينا الصف الخامس الابتدائي وانتقلنا إلى مدرسة الرشيدية في الصف السادس ابتدائي، وهذه المدرسة هي أهم مدرسة في القدس، ودرست فيها السادس والسابع حتى الرابع ثانوي حين قدمت الثانوية العامة (وتعرف بالمترك Matriculation) سنة 1955، في هذه المدرسة بدأ ينافسني على المركز الأول طالب، ذكي، اسمه عدلي عرفات، وعرفات هي عائلة نابلسية تسكن في القدس، وكان أستاذنا اسمه كمال نجم من القدس، أحياناً أكون أنا الأول، وأحياناً عدلي يكون الأول. وذات مرة قرأت للأديب الذي أحب أن أقرأ له وهو رشاد أبو شاور، قال إنه عندما كان في مخيم النويعمة أو عين السلطان، لا أذكر الضبط، كان يأتيهم أستاذ من القدس ليدرسهم كان اسمه عدلي عرفات، وعلمت أن عدلي عرفات حاول أن يدرس الطب في دمشق، ولكن داهمه مرض السكري وتوفي وهو شاب.

الانتماء إلى الإخوان المسلمين:

أعود إلى الرشيدية، هنا في الصف السادس الابتدائي، بدأت تتشكل لي اهتمامات، بدأت أهتم أكثر بمتابعة ما يجري، وهنا بدأنا ندخل عقد الخمسينيات. وكان أمراً مهماً جداً أن كل شاب وكل فتى يريد أن يعرف لماذا حصلت نكبة فلسطين، لماذا هزمنا في فلسطين، وما هي الطريق لاسترجاع ما ضاع من فلسطين، وهنا بدأت فكرة الأحزاب تنشأ شيئاً فشيئاً، أول اهتمام لي في هذا الاتجاه القراءة، كنت أقرأ الكتب التاريخية، وكتب السيرة، والفتوحات الإسلامية وفتنت بالفتوحات الإسلامية، وكان هذا في الصف السادس والسابع، أحببت الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، وممن جذبني أيضاً أن **الشيخ تقي الدين النبهاني**، كان يلقي دروساً في شعبة الإخوان المسلمين، الموجودة في

غرفة في الجهة الغربية لسطح قبة الصخرة المشرفة، حيث كان هناك غرفتين، كنا بعد صلاة الجمعة نذهب ونستمع لدرسه. كان يأخذ من كتاب محمد حسين هيكل (وهو غير محمد حسنين هيكل)، اسمه "حياة محمد"، فيأتي بغزوة أو سرية ويشرحها ثم يربطها بما يجري في ذلك الوقت، هذا كان أسلوب الشيخ تقي الدين النبهاني، والحقيقة أن شخصيته كانت مؤثرة، فأخذت أنا أتتلمذ على هذه الدروس، وكان يعطيها في شعبة الإخوان، ومعنى ذلك أنه كان مقرباً من الإخوان، وقد سمعت أن الشيخ تقي الدين النبهاني هو من بلد اسمها إجزم قضاء حيفا، وأنه سابقاً لم تكن توجهاته إسلامية بل كانت وطنية قومية، وألف كتاباً عن القضية الفلسطينية من منطلق قومي وطني لم أقرأه.

حتى ذلك الوقت لم أنخرط في شيء، لكنني كنت أتلمس الأمور، شقيقي موسى الأكبر مني كان منخرطاً في الإخوان المسلمين وابن خالي محمود العريان كان منخرطاً في الإخوان المسلمين، وأذكر جيداً أنه عندما حدثت انتخابات برلمانية بعد توحيد الضفتين، قرر الشيخ تقي الدين النبهاني وأنور نسيبة أن يرشحا نفسيهما. وأذكر أن الاثنين تعاونا مع بعضهما، أنور نسيبة أصبح بعد ذلك وزير دفاع، وهو والد سري نسيبة رئيس جامعة القدس حالياً، وحضرت بعض الندوات للدعاية الانتخابية. ولم ينجح أنور نسيبة ولا الشيخ تقي الدين النبهاني في هذه الانتخابات، بعد ذلك بدأت أفكر، وقلت في نفسي كيف نستطيع أن نعيد عهد العرب المسلمين الأوائل، كيف؟ وعندما قرأت في فكر الإخوان، وجدت أن هذه الطريق ربما الطريق الوحيد لإعادة هذا المجد الذي كنت أعشقه، وفعلاً **انخرطت في الإخوان المسلمين وأنا في الصف السابع الابتدائي**.

ظهور حزب التحرير:

عندما انخرطت في الإخوان مع آخرين سأذكرهم فيما بعد، بدأ الشيخ تقي الدين النبهاني يظهر، ويبرز نجمه. واستطاع بلسانه وبأدائه وشخصيته أن يستقطب أعداداً من الإخوان المسلمين حوله، هذه الأعداد، وهنا أتكلم عن القدس، معظمها من المجموعات المثقفة من الإخوان، وبعد ذلك أعلن تشكيل حزب التحرير. أذكر من هؤلاء الذين ضمهم حوله، أستاذي في التاريخ واللغة الإنجليزية عباس الكرد، وأيضاً ابن خالي الأستاذ

حمدي العريان، وآخرين، وكان أسلوبه الدعوة للدولة الإسلامية، وكان يطرح أن حركة الإخوان المسلمين حركة أخلاقية ولا تدعو للدولة الإسلامية، مع أن حركة الإخوان المسلمين عندما أسسها حسن البنا كان يعتبر أن الحكومة الإسلامية هدف من أهداف الإخوان المسلمين. وكما أذكر، قيل لي بأن سعيد رمضان، كان في القدس في ذلك الوقت، وحاول أن يقنع الشيخ تقي الدين النبهاني أن يبقى في الإخوان، وأن ينادى به مراقباً عاماً للإخوان المسلمين في الأردن، على أن يتبع مصر، ولكنه رفض. وهذه كانت دلالة على بداية ظهور صراعات داخلية بين حزب التحرير وبين الإخوان المسلمين. واستطاع النبهاني أن يستقطب الشيخ عبد العزيز الخياط، وأسعد بيوض التميمي وآخرين غيرهم على مستوى المملكة، وأصبحت فكرة حزب التحرير فكرة سهلة تنتشر، لا بدّ من دولة إسلامية، والمسلم فقط يجب أن يكون مثقفاً، وهناك بعض التعابير السهلة مثل تعريف ما هو المجتمع، وما هو الإسلام. وهكذا نشأت مجموعة من الشباب حاذقة في علم الكلام، وبعضهم صار يركز على موضوع كيف تثبت وجود الله بالعقل وبالمنطق، ويناقشون الصوفيين، ويناقشون الآخرين بهذا الاتجاه، وطروحاتهم تقريباً واضحة، ومن ناحية سياسية كانوا يعتبرون أن الصراع هو بين أمريكا وبين بريطانيا. وقد تمكن حزب التحرير من الانتشار إلى حدٍّ ما.

ماذا حصل معنا نحن الإخوان! فجأة وجدنا أن معظم المعلمين والمثقفين الذين كانوا معنا في إخوان القدس قد انضموا إلى حزب التحرير، وبقي عندنا عدد محدود في القدس من العاملين، أمثال الأخ زكريا قنيبي، والأخ محمود العريان، وأخي موسى، وإبراهيم أبو عرفة، هؤلاء مجموعة من العاملين، ونحن عندما التحقنا بالدعوة كنا مجموعة من الطلاب، لا يوجد تثقيف لنا، فأخذنا نعتمد على أنفسنا، وصرنا نأتي بكتب الإخوان، مثل رسائل البنا، ندرسها جيداً ونشكل أسر. وكان الطالب نفسه هو الذي يشكل الأسرة وليس الأستاذ. واكتشفنا بعد ذلك أن الشيخ تقي الدين النبهاني يعتمد في طروحاته وفكره على ما كتبه سيد قطب، فعدنا إلى كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب، ودرسناه جيداً. التعبير الذي كان يستعمله حزب التحرير وهو (نحن ندعو لاستئناف الحياة الإسلامية) مأخوذ من سيد قطب. وهنا نشأت، لأول مرة، مجموعة الطلاب، بدأت تتحاور مع حزب التحرير بالمنطق. والعقل والإسلام والمرجعيات، وأذكر جيداً أستاذي

الذي كان يعلمني الدين الشيخ عبد الرحيم مريش من حزب التحرير، وكنت أنا وبعض الإخوة نناقشه بالمنطق. وبدأنا نتصل مع مجموعات الطلاب في نابلس والخليل وغيرها، ونعمل مجموعات نقاش، أذكر من مجموعات النقاش التي كانت تأتي من الخليل، الأخ سعيد تيم وعبد العزيز شحادة وآخرين، ونتبادل الخبرات مع بعضنا البعض، لدرجة أننا أخذنا ننشر دعوة الإخوان ونحن طلاب، أذكر أنني كُلفت أن أنقل دعوة الإخوان إلى مدرسة الهاشمية في رام الله، وفعلاً وأنا ما زلت في الأول الثانوي ذهبت إلى رام الله والتقيت في المسجد مع بعض الطلاب وعرضت عليهم دعوة الإخوان، وأخ آخر لنا ذهب إلى منطقة أخرى، وبدأنا نعمل في كل اتجاه.

في هذه الفترة بدأ الطلاب الذين ذهبوا إلى مصر للدراسة من الإخوان، وكانت تجربة الإخوان في ذلك الوقت في أوجها وعزها، يعودون من مصر ويحدثوننا عن نشاطات الإخوان المسلمين في مصر، في فترة من الفترات كان كل نشاط للإخوان في الأردن انعكاس لنشاط الإخوان الطلاب في مصر. ومن هؤلاء الذي ساعدوا على تأسيسنا في القدس، شحادة الأنصاري وسالم علي سالم، وأذكر أيضاً من الناس الذين ساعدوا في التربية محمد نمر وهبة، وقد أصبح عديلي بعد ذلك، وكان يعمل موظفاً في القدس، وبدأنا نتصل بمجموعات من الطلاب والعاملين، حيث أخذنا ننفتح على العمال، وجدنا أن المجموعات التي من حارة المغاربة فيها صلابة وقوة، وقمنا بإنشاء علاقات معهم، وعملنا نشاطات رياضية، أخذوا يدربوننا في الشُّعَبْ على الملاكمة والمصارعة ورفع الأثقال وطاولة التنس وكرة القدم، هذه من النشاطات الرياضية التي كنا نقوم بها، ونجذب طلاب آخرين من خلالها، هذه الحركة المزدهرة أعادت الروح والقوة للإخوان.

بالنسبة لحزب التحرير فإنه امتد، لكنه بدأ يصطدم بالتطورات الوطنية في الساحة الأردنية والفلسطينية، كان له موقف ضدّ أي مظاهرات، فكان يعتبرها تخديراً، وأنها تصرف عن قيام الدولة الإسلامية، وعندما وقعت أحداث حلف بغداد وقف على الحياد، فبدأ الناس ينصرفون من حوله، مع أنه آنذاك امتد امتداداً كبيراً، وخاصة في شمال الضفة الغربية؛ فمنطقة طولكرم وقلقيلية كانتا محضناً كبيراً لحزب التحرير، أما القدس ونابلس والخليل فكان فيهم توازن في القوة بين الإخوان وحزب التحرير. وأخذ

حزب التحرير يتراجع ويطرح أحياناً طروحات غير منطقية، مثلاً أذكر ذات مرة أن أحد قيادات حزب التحرير وقف بعد صلاة الجمعة في المسجد الأقصى وخطب، وأذكر أن اسمه كان مصطفى الزين، وهو أحد مساعدي الشيخ النبهاني، وقال ما معناه، أن قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ يدل على أن الدولة الإسلامية قبل الصلاة. وعند طرحه هذا الطرح ضجّ الناس ضده. وهذه الحادثة وغيرها أثرت على امتداد موجة حزب التحرير والنبهانيين. وعندما دخلنا **سنة 1954 بدأ الإخوان يشتد ساعدهم في الضفة الغربية والضفة الشرقية**.

اغتيال الملك عبد الله:

أذكر عندما كنت في دكان والدي سنة 1951 في شهر تموز/ يوليو في القدس، وكانت عادتي أن أغلق الدكان قبل أذان ظهر الجمعة، أغلقت الدكان ومشيت من سوق العطارين في باب خان الزيت إلى باب العمود من الداخل، حتى أذهب إلى حارة السعدية. وعادة ما كانت مكبرات الصوت في المسجد الأقصى تُسمع داخل البلدة القديمة، فاستمعت حينها إلى صوت رصاص من مكبرات صوت المسجد، وكنت أحمل معي بطيخة إلى البيت، حيث كنت أنوي وضعها في البيت وأتوضأ وأنزل إلى المسجد الأقصى، لكن بعد سماعي للرصاص حدثت حالة استنفار غريبة وعجيبة في البلد، وبعد ذلك وجدت جنوداً من الجيش الأردني منتشرين في البلدة القديمة، وفي حالة الطوارئ كان الجيش الأردني يقلب حطته (الداخل إلى الخارج والخارج إلى الداخل. والحطة هي قطعة من القماش يضعها الرجل على رأسه لتحميه من حرارة الشمس وبرد الشتاء، وهي ما زالت مستعملة ليومنا هذا)، وهذا يعني وجود حالة طوارئ، سمعت من بعض الناس وهم يتراكضون أن **الملك عبد الله تعرض إلى حادث اغتيال**، فقلت في نفسي أذهب إلى البيت وبعد ذلك أخبر والدتي بما حصل، قلت لها إنني سمعت بأن الملك عبد الله قد تمّ اغتياله، فقالت لي إذهب وابحث عن أبيك وأخيك وعمك، فعلاً نزلت أبحث عنهم، الشوارع كانت مغلقة ولم أستطع أن أنزل إلى المسجد الأقصى، وبقيت حالة الطوارئ هذه حتى المغرب، بعد ذلك عاد الناس إلى بيوتهم ومن بينهم أبي وأخي وغيرهم.

وعرفت منهم ومن آخرين بأنه عندما دخل الملك عبد الله، وكان معه عمي الشيخ

عبد الله غوشة إلى المسجد الأقصى، والملك عبد الله كان يلبس خفاً فيمسح عليه في الوضوء ويدخل المسجد بسرعة، فسبق في دخوله الوفد المرافق له بمن فيهم الشيخ عبد الله غوشة. وكان هناك شخص اسمه مصطفى عشو وهو خياط، وقيل إنه أعور العين، انتظر الملك وراء عمود فأطلق على الملك الرصاص وأصابه، ثم تبادل حرس الملك معه إطلاق الرصاص وقُتِل هذا الشخص، وانقلبت الأوضاع في القدس بعد هذا الحدث الجلل الكبير، فبقيت لمدة أسبوع كامل في حالة طوارئ، وبعد ذلك سمعنا أن هذا القاتل ينتمي إلى مجموعة، وهذه المجموعة اتُهِم فيها شخص اسمه موسى الحسيني وآخر من دار عكه وآخر من دار السدمير هؤلاء كلهم مجموعة، وقيل إن هؤلاء كان وراءهم ربما الحاج أمين الحسيني أو مصر، وحتى بعد ذلك قرأت بأن عبد الله التل القائد الوطني، الذي كان موجوداً في القدس، اتُهِم عندما أصبح لاجئاً سياسياً في مصر، وبعد ذلك عفا عنه الملك حسين، ورجع إلى الأردن. وعادة ما تبقى الاغتيالات السياسية غامضة، فالبعض يقول حول هذا الاغتيال بأن الإنجليز وراءه وآخرون يقولون الحاج أمين الحسني وراءه وآخرون يقولون أسباباً كثيرة.

من أنشطة الإخوان المسلمين:

أعود إلى حديثي عن الإخوان المسلمين، كان هناك قسمان للإخوان المسلمين في الخمسينيات، قسم الطلاب وقسم العمال، وعندما نقول قسم العمال فهو يشمل العمال والتجار، أما الموظفون فقليلون، هاتان هما المجموعتان اللتان كانتا تعملان في القدس. بالنسبة للطلاب أذكر مرحلتين، مرحلة ما قبلي ومرحلتي، كان معي من مجموعتي من الإخوة الأعزاء نبيل أبو زهرة وهو صديقي ورفيقي في الإخوان، ومعه صديقي ورفيقي مفيد الشيخ وآخرون. وكان قبلي مجموعة، وكان معي أيضاً أمين وزياد، وإسماعيل مكية، وآخرين من عائلة الحزينة. كنا مجموعة واحدة، وقبلنا مجموعة أسامة ابن خالي وعلاء الدين وآخرين، وأقل مني بصف كان نبيه عبد ربه وآخرون، كنا 20 طالباً، نمثل النواة الصلبة الطلابية التي قامت بالعمل، ولا شكّ أنه ثمة فضل للأسماء التي ذكرتها سابقاً في رعايتنا وتربيتنا والاهتمام بنا، وأذكر من الطلبة الجامعيين الذين كانوا يأتوننا من مصر، ويساعدون على رعايتنا، بالإضافة إلى

شحادة الأنصاري، كلاً من أبي لافي، وسرحان، والعويوي.

أما بالنسبة إلى شعبة الإخوان فأحب أن أذكر تسلسل أماكنها، بدأت شعبة الإخوان أول مرة سنة 1946 في منطقة الشيخ جراح قرب مدرسة الشيخ جراح، مبنى جيد وله حديقة كبيرة مقابل القنصلية السعودية كما أذكر، وقتها كنت طفلاً ورأيت أول مرة في سنة 1946 أول مباراة ملاكمة فيها بين أديب الدسوقي (وكان بطل فلسطين في الملاكمة) وملاكم إنجليزي، وكم سررنا عندما استطاع الدسوقي أن يطيح بهذا الإنجليزي؛ لأن الإنجليز هم سبب بلائنا في فلسطين، وأذكر أن عريف الحفل كان اسمه شكري قطينة. وهذه هي الشعبة التي أسسها سعيد رمضان وعبد الحكيم عابدين عندما جاؤوا مندوبين عن حسن البنا.

الشعبة الثانية هي التي صارت بعد 1948، وهي على سطح قبة الصخرة، وبعد ذلك انتقلت إلى الجهة الشمالية عند باب الملك فيصل، والذي نسميه باب العتم وبقينا فيها فترة أيضاً، ربما مكثنا إلى عام 1952 وفي هذه الشعبة أذكر جيداً أنه دائماً بعد صلاة الجمعة يأتي إخوة يلقون المحاضرات من داخل الأردن وخارجه. فمن داخل الأردن حسن التل وسليمان عربيات وعزت العزيزي ومنصور الحياري وطبعاً أبو ماجد (محمد عبد الرحمن خليفة) ومحمد نمر وهبة، ومن الخليل الشيخ شكري أبو رجب، ومن نابلس مشهور الضامن وغيرهم، أما الزوار من الخارج فكان أحياناً يأتي علال الفاسي من المغرب، أو يأتي من مصر سعيد رمضان وكامل الشريف وهكذا، ويلقون المحاضرات. بعد ذلك انتقلت الشعبة إلى خارج السور قرب المتحف في منطقة وادي الجوز وبقيت حتى سقوط القدس سنة 1967، هذا هو التسلسل لأماكن شعبة الإخوان في القدس.

في هذه الفترة أصبح لدي ولع بالشعر والحقيقة إني كنت أحب العلوم والأدب بالدرجة نفسها؛ فكنت أحب اللغة العربية والتاريخ وأحب الرياضيات والفيزياء وبقية المواد. فبدأت أقرض الشعر، وأذكر أول قصيدة كتبتها نشرت في مجلة الطالبة للمدرسة المأمونية، حيث كانت شقيقتي مدرِّسة بها. ثم أعلن ركن الطالب، وكان يقدمه جميل بديري في الإذاعة الأردنية، وكانت تبث من رام الله، وعرض على الطلاب وأنا بالأول ثانوي ترجمة قصيدة إنجليزية اسمها تلميذ المدرسة تتكلم عن الإجازة، ومن يستطع

أن يترجمها فليتقدم، فقرأتها وترجمتها من الشعر الإنجليزي إلى الشعر العربي، وأذكر جيداً أني حصلت على الجائزة الثانية، وكان مقدارها نصف دينار، أما النصف دينار في ذلك الوقت فتعادل الـ 30 ديناراً في وقتنا الحاضر، وبدأت أحب الشعر لكن معظم شعري كان شعراً سياسياً، ومن القصائد التي قلتها مثلاً، قصيدة عن العلاقة بين القومية العربية والإسلام، بدايتها:

قولوا لهم من شاد تاريخ العروبة بالبطولة والإباء أهم الأعارب ذوي المخازي والمغازي والبغاء.

عندما **أعدم عبد الناصر ستة من قيادات الإخوان المسلمين في مصر في شهر كانون الأول/ ديسمبر 1954** كنت وقتها طالباً بالسنة قبل الأخيرة في الرشيدية. وفي الرشيدية كان عندنا قدرٌ من الديموقراطية، فكل صفّ كان ينتخب اثنين من الممثلين، وكنا صفين، فانتُخبت أنا وآخر من صفنا، ومن الصف الثاني اثنين آخرين، فأقنعت الثلاثة الباقين أن نذهب إلى مدير مدرسة الرشيدية، وكان اسمه عبد اللطيف الحسيني، وقبله كان المدير توفيق أبو السعود، فشجعت الوفد الطلابي أن نُضرب وأن نتظاهر لأننا غضبنا على إعدام الإخوان الستة في مصر، وهم قادة منهم محمد فرغلي وعبد القادر عودة ويوسف طلعت وآخرين، فذهبنا إلى المدير فابتسم وقال يا أبنائي لا نستطيع أن نُضرب، ولكن سنسمح لكم بأن تلقوا كلمة في الصباح أمام الطلاب، وفعلاً ألقيت أنا الكلمة باسمهم، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على البعد السياسي المتجذر لدى الشباب والطلاب في ذلك الوقت لقضايا الأمة.

وبعد ذلك أقام الإخوان احتفال تكريم لهؤلاء الشهداء، وألقيت قصيدة من 40 بيتاً، أحفظ منها بعض الأبيات وهي:

بنفسي فتية أنف رفاق   سأذكرهم وفي قلبي اشتياق
ألا إن الدماء إذا أريقت   فإن نجيعها القاني زعيق
فلسطين الحبيبة قد فدوها   فكان نصيبهم منها العقوق

ومن شعري أيضاً عن إذاعة صوت العرب:

وصوت للعروبة قيل ظلماً وحق أن يقال له نهيق

يجعجع بالحماسة ليت شعري وغير السيف جعجعة وبوق

وأيضاً كنت أنتقد بعض الشخصيات السياسية، فمثلاً أقول:

أنظر إليهم ففي بغداد رأسهم نور السعيد عديم العهد والدين

وفي هذه الفترة صدرت جريدة الكفاح الإسلامي عن الإخوان المسلمين في الأردن، وكان رئيس تحريرها الأستاذ يوسف العظم فأرسلت له قصيدة، في بدايتها:

شقي طريقك يا كفاح وأقدمي لا يعتريك الخوف بالخذلان

وفعلاً مُنِع هذا العدد في الأردن في ذلك الوقت.

كما ذكرت سابقاً، الحدث الأكبر كان عندنا في القدس وعمّان هو ما يجري في مصر في الدرجة الأولى، في 23/7/1952 حصل الانقلاب المصري، رحبنا به ترحيباً كبيراً، وكان الاسم البارز في الانقلاب هو محمد نجيب، ولا شك أنه كان للإخوان دور كبير في هذا الانقلاب، والدليل على ذلك أن مجلس قيادة الثورة حلّ كل الأحزاب لمدة سنتين، وترك الإخوان المسلمين، ولكن بعد ذلك بدأت الأمور تتعقد ما بين مجلس قيادة الثورة وما بين الإخوان، وحصلت صراعات بين محمد نجيب وعبد الناصر، وحصلت مشاكل داخلية داخل الإخوان، وفي هذه الفترة جاءنا شخص اسمه نجيب جويفل، وكان يسمي نفسه عبد العزيز سالم، وهو من قيادات الإخوان في تلك الفترة، وطلب أن يلتقي مع العناصر النشطة من الإخوان من الطلاب والعمال، ولكن تبين بعد ذلك أن هذا الشخص كان يريد عمل محاولة انقلاب على محمد عبد الرحمن خليفة، وذهب إلى سورية وإلى الكويت وحاول أن يعمل الشيء نفسه وتبين بعد ذلك أنه كان مرتبطاً مع عبد الناصر، كانت شخصيته قوية وكان محدِّثاً لبقاً، فشلت هذه المحاولة ولم تنجح، وقيل بعد ذلك إنه عندما ضربت الجماعة سنة 1954 انكشف وقيل إنه عندما حصلت أحداث أيلول/ سبتمبر 1970 في الأردن كان هو الملحق العسكري في السفارة المصرية في عمّان، وقيل إن ياسر عرفات عندما اختفى في عمّان كان عنده في الملحقية العسكرية في عمّان، هذا بعض ما سمعناه.

المجموعات التي كانت تأتينا من مصر كانت مجموعات قد تربّت تربية ممتازة جداً،

وأهم المعاني التي كنت أذكرها في الإخوان المسلمين، قضية الأُخوَّة، معنى الأُخوَّة كان قوياً جداً، وكان هؤلاء الذين يأتون من مصر يكرسونها تكريساً، بالإضافة إلى التكافل، فقلوب الناس كانت مع بعضها البعض، ثم العمل باتجاه بناء الفرد المجاهد. كان التوجه في ذلك الوقت إلى الجهاد أساسياً، وهذا ليس ببعيد، لأن الإخوان في مصر سنة 1948 أرسلوا قواتهم إلى غزة، ووصلت إلى بيت لحم والقدس، وهناك أبطال في مصر مثل أحمد عبد العزيز ومعروف الحضري ومحمود عبده، هؤلاء من الأبطال الكبار الذين قاتلوا في فلسطين، ولهم مواقع في قضاء القدس في منطقة صور باهر لم يستطع الصهاينة أن يحتلوها، وبقيت بيد العرب حتى آخر لحظة. لقد كان التوجه للجهاد قوياً جداً.

من الأشخاص الذين تعرفت عليهم جيداً شخص اسمه خطاب السيد خطاب، وهذا يقودنا إلى "المؤتمر الإسلامي" في القدس. أرسل المركز العام سعيد رمضان وكامل الشريف لتأسيس المؤتمر الشعبي الإسلامي في القدس سنة 1952، وفعلاً عقد هذا المؤتمر في سنة 1953، وحضرته وفود من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي، ممن أذكرهم، وكنت شاباً واعياً في ذلك الوقت، من مصر جاء سيد قطب وسعيد رمضان وكامل الشريف وعبد الحكيم عابدين، ومن سورية مصطفى السباعي وعمر بهاء الأميري، ومن العراق محمد محمود الصواف وأمجد الزهاوي، ومن الكويت عبد الله العلي المطوع، وشقيقه عبد العزيز العلي المطوع، ومن تونس جاء مؤسس للحزب الحر الدستوري القديم هو محي الدين القليبي وكان رجلاً زاهداً، ومن المغرب علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي، ومن الجزائر البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني، ومن اليمن جاء الزبيري، ومن إندونيسيا جاء محمد ناصر والذي أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد، أما من باكستان فجاء أبو الأعلى المودودي، وأما من إيران فجاء آية الله الكاشاني، وجميعهم جاؤوا لتأسيس هذا المؤتمر الإسلامي في القدس، لتحرير القدس، أي القدس الغربية وباقي فلسطين المحتلة سنة 1948، كان هذا هو الهدف من المؤتمر، وعلمت بأن الوفد المصري موجود في فندق في باب الخليل، فذهبت أنا ونبيل أبو زهرة ومفيد الشيخ وربحي بشتاوي ونبيل بشتاوي من نابلس وإخوة آخرون من الخليل، وركضنا لنرى هؤلاء الرموز، وبينما كنا نصعد درج الفندق كان ينزل رجل طويل أبيض الوجه، قيل إن هذا هو بهاء الأميري، وهو المشهور بشعر الخماسيات (خماسيات الأميري) فقال إلى

أين أيها العصافير، حيث كنا طلاباً صغاراً، بعضنا سأل عن سعيد رمضان وبعضنا سأل عن سيد قطب وأنا من الذين سألوا عن سيد قطب. سيد قطب بدأنا ننجذب إليه من كتاباته وخاصة كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام.

وأذكر أنه نظمت محاضرة في شعبة الإخوان سنة 1953 خارج السور، وألقى سيد قطب كلمة، وهو من الذين إذا تكلم لا يلفظ حرف الراء تماماً، تكلم كلاماً بسيطاً، فقال لا نريد من الجيوش العربية أن تحرر فلسطين، نحن نريد أن يسمح للمجاهدين بأسلحة خفيفة، هؤلاء هم الذين سيحررون فلسطين. أما الشيخ محمد محمود الصواف فأذكره جيداً كان يقول إن اليد التي ستمتد إلى الصلح مع الكيان الصهيوني ستقطع. هذا هو الجو في المؤتمر الإسلامي الذي تأسس لغايات متصلة بفلسطين، بعد ذلك، صار لهذا المؤتمر أمانة عامة أمينها هو سعيد رمضان ومساعده كامل الشريف ومحمد عبد الرحمن خليفة.

وكامل الشريف قاتل مع الإخوان المسلمين في حرب 1948 وفي حرب قناة السويس، وله كتابان مهمان ينبغي لكل شاب إسلامي أن يقرأهما، (الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، والمقاومة السرية في قناة السويس)، وكامل الشريف كان عسكرياً أكثر منه داعية، وأنا أحترمه فهو موسوعة، ومتابع من الدرجة الأولى. إذن الحياة الجديدة في القدس بدأت بوجود المؤتمر الإسلامي. وممن كان يعمل في المؤتمر الإسلامي جمعة حماد، وكان يعمل كما أذكر في المؤتمر الإسلامي في الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وهو فلسطيني من مناطق بئر السبع، وهو مثقف، وبعد ذلك أسس جريدة الرأي الأردنية. وممن تعرفنا عليهم بعد ذلك الأستاذ محمود الشريف شقيق كامل الشريف، وهم عائلة من الأذكياء، محمود الشريف وكامل الشريف ولهم أخ آخر هو سعد الشريف، وهؤلاء أصلهم من العريش، ومحمود الشريف من أبرع الإعلاميين المصريين والأردنيين.

وفي هذه الفترة تعرفنا نحن الشباب أنا ونبيل ومفيد ونبيه على مجاهد اسمه خطاب السيد خطاب، وهو من مصر كان يعمل في المؤتمر الإسلامي، هذا الشخص لم يكن متخرجاً من الجامعة، ولكنه كان يعرف تاريخ فلسطين أكثر من أهل فلسطين أنفسهم،

وهو ممن قاتل في حرب الـ 48، وحرب قناة السويس، وحكم عليه عبد الناصر بالإعدام، وشاء الله أن أراه بعد ذلك وسأذكر قصته فيما بعد، هذا الرجل اهتم بالصغار، اهتم بتثقيفهم وتربيتهم وتعليمهم، وقلنا له كيف انخرطت في الإخوان المسلمين، قال لقد أعجبت بحسن البنا، وكنت أنا من الحرس الحديدي لأحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة، الذي صار بعد ذلك اشتراكياً، فجئت إلى حسن البنا لأبايعه والتحقت بالإخوان، فقال لي حسن البنا تبايعني وتبقى مكانك، وهذا يعطيك فكرة عن العقلية التنظيمية لحسن البنا، حيث كان له شبكة كبيرة في الأحزاب الأخرى، كان خطاب السيد خطاب متشوقاً جداً للجهاد ضدّ الصهاينة، لأنه شارك في حرب الـ 48 والـ 51، وكان يريد أن يكمل في الـ 53.

انتقل بعد ذلك سعيد رمضان إلى دمشق، وكان يصدر مجلة اسمها المسلمون وهي مشهورة، ثقافية عالية، وأخذ مكانه كامل الشريف، وكامل الشريف في المؤتمر الإسلامي بدأ يساعد القرى في الضفة الغربية بمساعدات عينية تأتي من الخارج ويوزعها، ويبدو أنه كان للإخوان خطة لتدعيم مواقعهم في قرى الضفة الغربية، استعداداً للمستقبل إذا أرادوا البدء في عملية جهادية، هذا تحليل شخصي مني، ويبدو أن جلوب باشا الذي كان موجوداً في تلك الفترة كان يرصد هذه الأمور، ففي سنة 1955 على ما أذكر، شاهدت بعيني كامل الشريف يضعونه في سيارة، (وأظن أن من قام بذلك هو مدير المخابرات في القدس في ذلك الوقت حنا جنحو، وبأمر من جلوب باشا) لطرده من القدس، ولإيقاف هذا الإعداد الذي كان يعمل عليه كامل الشريف. وبعد ذلك أُبعد كامل الشريف، ثم بعد ذلك أعاده الملك حسين وعينه كأول سفير للأردن في نيجيريا.

في ذكرى الإسراء والمعراج من كل عام، كان يتجمع الإخوان المسلمون، في العالم الإسلامي كله وفي الأردن للمشاركة في المؤتمر الإسلامي. وكنا نلتقي في مخيم في الشيخ جراح في جبل اسكوبس، طلاب وعمال، مئات يحضرون، ونعمل مسيرات جوالة، كان يأتي الإخوان، أذكر من السلط كان يأتي الأخ عبد اللطيف عربيات وغالب أبو عبود، ومن إربد كمال خضير، ومن عمّان والزرقاء محمد الإمام وسليمان عربيات، ويأتي الإخوان من نابلس ومن الخليل، فنمكث في المخيم ونحضر المؤتمر ونشرف عليه وهكذا، وهذا في

ليلة الإسراء والمعراج، الجو كان مبشراً والمعنويات عالية جداً. بعد ذلك، ضرِبَ الإخوان في مصر الضربة الأولى سنة 1954. وفي الوقت نفسه صار هناك تضييق على المؤتمر الإسلامي، وتحول المؤتمر شيئاً فشيئاً من شعبي إلى رسمي، وهو ما يزال موجوداً بصورة محدودة جداً، وله مركز بيت المقدس حتى هذه اللحظة في عمّان.

الفصل الثالث

عقد الخمسينيات

ذكريات في مدينة القدس:

أذكر في سنة 1954 زار القدس شخصيتان مهمتان، الأولى **زيارة المرشد الثاني للإخوان المسلمين الشيخ حسن الهضيبي**، وتمّت قبل أحداث المنشية وضرب الإخوان؛ إذ زار الأردن وسورية ولبنان وغيرها قبل أن يعود مرة ثانية إلى مصر. استُقْبِل المرشد الهضيبي استقبالاً كبيراً من قِبَلِ الإخوان المسلمين في الأردن، حيث نزلت الطائرة التي كان يستقلها في مطار قلنديا في القدس، وكان في استقباله عدد كبير من الإخوان على رأسهم الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة، وكان في مقدمة سيارته عدد من الدراجات النارية يقودها عدد من شباب الإخوان. وصل إلى القدس وزار المسجد الأقصى، ورأيت أعداداً كبيرة من الناس والشخصيات يسلمون عليه في ساحة المسجد الأقصى؛ فهو شخصية متزنة جداً حيث كان مستشاراً في القضاء العالي. وذكر لنا الحاج راضي السلايمة، وهو نائب شعبة القدس في ذلك الوقت سنة 1954، كيف كان له دكان في القاهرة في منطقة الروضة، وكيف كان هو الواسطة بين الإمام حسن البنا وبين المستشار حسن الهضيبي فينقل التعليمات من حسن البنا والجواب من حسن الهضيبي؛ حيث كان حسن الهضيبي منخرطاً في صفوف الإخوان المسلمين بصورة غير معلنة، وقد تحدث الحاج راضي السلايمة كثيراً حول هذا الموضوع. حسن الهضيبي ألقى خطباً في القدس وعمّان ودمشق وغيرها، وفي دمشق حاول البعثيون أن يستفزوه في بعض المحاضرات، وأكمل جولته في لبنان، وعاد إلى مصر، حيث تطورت الأمور بعد عودته، وكان عبد الناصر يراه العدو الأكبر من الإخوان المسلمين.

أما الزيارة الثانية فكانت للقيادي الإيراني نواب صفوي، وكان قائداً لجماعة "فدائيان إسلام"، وهي جمعية متشددة نوعاً ما، ويقال إنه كان وراء قتل علي رازمارا رئيس حكومة الشاه في بداية الخمسينيات، جاء نواب صفوي إلى القدس والتقى به الإخوان المسلمون، وزار الخطوط الأمامية، وعندما كان المرافقون معه قطع خطّ الهدنة، واتجه نحو المناطق الواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية، وعندها لحق به مرافقوه وأمسكوا به ومنعوه أن يذهب، فقال لهم أريد أن أذهب إلى هناك عند اليهود حتى إذا قُتِلْت يثور الشعب الإيراني في سبيل القضية الفلسطينية. هذا هو نواب صفوي كان متحمساً

جداً للقضية الفلسطينية، وكان متفهماً للإخوان المسلمين. وهذه القصة تعطي فكرة بأن العلاقة بين السنة والشيعة لم تكن بهذه الحدّة الموجودة عليها في الوقت الراهن. وقد ذكرت سابقاً بأن من الذين حضروا إلى المؤتمر الإسلامي سنة 1953 آية الله الكاشاني أكبر علماء إيران.

ذهب نواب صفوي إلى مصر وشارك في مهرجان عقده الإخوان في أوائل سنة 1954 في جامعة القاهرة، وهناك حصل اشتباك بين الإخوان وبين هيئة التحرير التي كانت تحركها قيادة الثورة كتنظيم ضدّ الإخوان المسلمين، وسمعت خطاباً له، في إذاعة صوت العرب، قبل أن ينحاز صوت العرب إلى الانقلابين في مصر، تحدَّث فيه عن الإخوان وأشاد بهم. وبعد ذلك لم يستطع أن يحتمله النظام المصري، فأخرجوه من القاهرة وعاد إلى إيران، وبعد سنتين تمّ إعدامه على يد رئيس الحكومة، واسمه حسين فاطمي من جماعة شاه إيران.

عندما صدر قرار حلّ جماعة الإخوان المسلمين في مصر في نهاية 1954، وإعدام الشهداء الستة والاعتقالات الكبيرة، قامت شعبة القدس بإعداد مسرحية في الشعبة في منطقة وادي الجوز، وقد شاركت في تأليفها قبل أن أذهب إلى مصر للدراسة، وكانت تتحدث عن الحجاج بن يوسف الثقفي والتابعي سعيد بن جبير، أردنا بذلك أن نعطي انطباعاً عن وضع الدعاة المسلمين أمام بعض المتجبرين، وقد نجحت هذه المسرحية في عرضها في شعبة الإخوان في القدس. أذكر في هذه الفترة في سنة 1955 كان ثمة حفل تخرج لطلبة مدرسة الرشيدية، فجاء إلى الصف المدير عبد اللطيف الحسيني ومعه الأستاذ عباس الكرد؛ حيث كان الكرد أحد قيادات حزب التحرير كما ذكرت سابقاً وكان أستاذاً في اللغة الإنجليزية والتاريخ، وكان أستاذاً مبدعاً، وانشق عن الشيخ النبهاني لأن النبهاني كان متسلطاً في آرائه، وبعد ذلك ترك آخرون الحزب لهذا السبب أيضاً. سأل المدير هل تستطيعون أن تقيموا حفلة وأن تقيموا فيها أي نشاط؟ رفعت يدي وقلت نعم، وقدمت له مسرحية اسمها "سنة أبينا إبراهيم" تأليف علي أحمد باكثير نشرت في مجلة المسلمون التي كان يصدرها سعيد رمضان، وهي مسرحية تتحدث عن مصر قبل عهد صلاح الدين الأيوبي أيام الفاطميين، عن وزيرين كانا يتعاملان ويتصلان مع الصليبيين

والفرنجة أحدهما اسمه ضرغام والآخر اسمه شاور، في مرحلة سيئة من تاريخ الأمة في ذلك الوقت، والمسرحية كانت تتحدث عنهم وعن صلاح الدين الأيوبي. بعد ذلك قلت له هذه المسرحية جاهزة، فسرّ عباس الكرد وهكذا وافق المدير على عمل الحفلة، بينما كان حزب التحرير ضدّ هذه الحفلة ولا يريد إقامتها، فكما ذكرت سابقاً كان حزب التحرير لا يريد أن ينصرف الناس إلا إلى موضوع العودة إلى الدولة الإسلامية، والعودة إلى الخلافة الإسلامية، ولكن أُخِذَ القرار. كان لنا صفان في الرشيدية كل صفّ فيه 35 طالباً، أي المجموع 70 طالباً، بين هؤلاء كان حزب التحرير هو الأكبر فكان معه حوالي 20 طالباً، وكان الإخوان عددهم عشرة من أصل 70 طالباً وكان البعثيون عددهم اثنان والشيوعيون عددهم اثنان أيضاً. وهذا يعطيك خريطة سياسية عن القوى الحزبية في ذلك الوقت. تمّ تجهيز العمل لهذه الحفلة، وأجريت عدة تمارين على المسرحية، وشارك فيها جميع الكوادر من الإخوان الطلاب في الصفّ الأخير الثانوي وما قبله، نجحنا نجاحاً كبيراً، وفي يوم الاحتفال طُلِبَ مني أن ألقي كلمة الخريجين، وقد ألقيتها نيابة عن الخريجين سنة 1955 من مدرسة الرشيدية. وفي أثناء عرض المسرحية قطع التيار الكهربائي بعض أفراد حزب التحرير الغاضبين. وكان هناك عدد من الإخوان العاملين أذكر منهم زكريا قنيبي وإبراهيم أبو عرفة وغيرهما قاموا فوراً بإصلاح الكهرباء، وهكذا استمرت هذه الحفلة الناجحة، وقد عقدت في مدرسة العمرية في مكان الروضة القريبة من المسجد الأقصى.

حادثة المنشية:

حادثة المنشية حصلت في أواخر سنة 1954، كنت حينها في الصف الرابع الثانوي، سنة تقديم المترك الأردني وهو نفس المترك الفلسطيني السابق، دخل علينا الأستاذ جورج خميس وهو معلم اللغة الإنجليزية، وهو أقدر مدرسي الرشيدية، وكان يدرِّس في الكلية العربية أهم كلية في فلسطين، وكانت في القدس. ابتسم الأستاذ جورج ونظر إلي وهز يديه وقال طخ طخ خمس مرات، لم أعلِّق، فأنا كنت أعلم أنه يشير إلى حادثة وقعت أمس، وهي محاولة إطلاق الرصاص على عبد الناصر، وقد كنت خلال دراستي ألازم المذياع حيث لم يكن هناك شيء يصلك بالعالم مثل المذياع أولاً ثم الجرائد ثانياً. كنت أدرس وفي الوقت

نفسه أستمع إلى المهرجان الذي أقيم في ميدان المنشية في الإسكندرية، وكما ذكرت سابقاً أننا في الأردن وفلسطين بصورة عامة والإخوان بصورة خاصة كانت أنظارنا موجهة إلى مصر حيث كان هناك أزمة ما بين الثورة المصرية والإخوان المسلمين، فجأة سمعت صوت رصاص وكان هناك نقل مباشر، كان عبد الناصر يخطب، وسمعنا حوالي خمس رصاصات، ثم استلم الميكروفون كما أذكر الشيخ الباقوري، كان من قيادات الإخوان المسلمين، وقد استطاع عبد الناصر أن يأخذه ليعمل معه كوزير، وقد أخذ يقول بيت شعر (أريد حياته... يريد موتي – عذيرك من خليلك من مرادي) بعد الرصاص فوراً، وأرسل انتقاده المخفي للإخوان المسلمين بدون أن يجري أي تحقيق، ولم تكن تنكشف الصورة بعد، أما عبد الناصر فقد استمر في خطابه وقال إذا قتل عبد الناصر فكلكم جمال عبد الناصر، إلى هنا هذا ما سمعته في إذاعة القاهرة عن حادث المنشية.

ثم تتبعت الحادث بعد ذلك، ووجدت هناك بعض الأدلة التى تثير التساؤلات، مثلاً قيل في الجرائد المصرية أن عبد الناصر كان يلبس القميص الأبيض وكان يحمل قلم حبر أحمر، وعندما جذبه مرافقوه انسكب الحبر الأحمر على قميصه الأبيض وظهر وكأنه دماء، وهذا مما زاد في استنفار الجماهير الحاشدة. وقرأت في هذه الجرائد أن المسدس الذي أطلق منه الرصاص قد اختفى، وأن هناك شخص ما بعد يوم أو يومين حضر إلى القاهرة مشياً على الأقدام، كما ذكرت الجرائد، وحمل معه المسدس الذي أطلق منه الرصاص.

نأتي إلى تفاصيل هذه القصة، الذي اتُهم بهذه القصة شخص كان ينتمي إلى الإخوان المسلمين، وهو محمود عبد اللطيف، وقيل إنه كان ممن قاتل في فلسطين، وهو شخص عامل عادي، وقيل إنه كان ماهراً في إطلاق الرصاص، وألقي القبض بعد ذلك على عدد كبير من الإخوان، أي إن عملية المنشية كانت وصفة ممتازة للنظام المصري ليبدأ بضرب الإخوان المسلمين على أساس أن هذه الحركة هي "حركة إرهابية" تريد أن تغتال الرئيس عبد الناصر، واعتقل الآلاف في تلك الليلة، وبعد فترة، كما ذكرت سابقاً، أعدم ستة من الإخوان، وهم كلهم من القيادات ومنهم عبد القادر عودة وهو شخصية مهمة جداً. كان عبد القادر عودة قبل عام واحد، عندما حصل الخلاف بين عبد الناصر ومحمد نجيب

وقامت مظاهرات ضخمة في القاهرة، هو الشخص الذي تحكم في هذه المظاهرات فكان عليه أن يدفع الثمن، ومحمد فرغلي، وكان ممن أُعدم أيضاً محمود عبد اللطيف، وشخص آخر اسمه هنداوي دوير، ولنتوقف قليلاً عند هنداوي دوير، قيل بأنه كان من الإخوان ثم جرى تجميده، ويبدو أن المخابرات الخاصة لعبد الناصر كانت قد استطاعت أن تخترق هنداوي دوير، هذا تحليل مني ومن آخرين، هذا الشخص قيل له أن يرتب هذه العملية المسرحية، وأعطى محمود عبد اللطيف، وهو شخص بسيط جداً، المسدس والرصاص، فهل كان هذا الرصاص حقيقياً أم كان إطلاق رصاص مجرد صوت! هذا لم يتأكد في كل التحقيقات اللاحقة، وهذا قطعاً بعيد عن كل توجهات الإخوان فهم لم يوافقوا على استهداف عبد الناصر. وما يؤكد ذلك أيضاً أنني قرأت كتاب "لعبة الأمم" Game of Nations لمؤلفه الأمريكي مايلز كوبلند، هذا الكتاب ظهر في أواخر الخمسينيات، وفيه يشير هذا الأمريكي كيف أن المخابرات الأمريكية هي التي ساعدت في إخراج هذه المسرحية، وذلك لتبرير ضرب حركة الإخوان، أكبر حركة شعبية مصرية كانت في ذلك الوقت، وأذكر جيداً عندما أُعدم الإخوان الستة أنهم كلهم تقدموا بشجاعة، وعندما تقدم هنداوي دوير للمشنقة قال في آخر لحظة "كنت أعتقد أنه سيجري عني عفو" وهكذا أعدم هنداوي دوير، وهذا شيء منطقي في التاريخ أنه أحياناً من يخطط ويدبر المكيدة يتمّ التخلص منه لتختفي ملامح القضية نهائياً، هذه بعض الملاحظات المختصرة حول حادثة المنشية.

كان لهذه الحادثة تأثير كبير على الساحة الأردنية وعلى الإخوان، وبدأت حملة منظمة جداً قادتها مصر، وأذكر جيداً كيف أن القنصلية المصرية في القدس كانت توزع بدون مقابل وبدون ثمن كتباً مختلفة، منها مثلاً "كتاب الإخوان والإرهاب"، وكتاب "الإخوان شياطين الإرهاب"، والغريب أن كثيراً من الكتاب المعروفين كتبوا ضدّ الإخوان المسلمين في هذه الكتب، أذكر منهم محمد التابعي، كما أذكر منهم ناصر الدين النشاشيبي وحتى طه حسين قد كتب في هذا الموضوع، وآخرين كانوا يكتبون في اتجاه أن الإخوان "حركة إرهابية"، وبعضهم قارنها بالحشاشين، وقال إن قائد الحشاشين كان اسمه حسن، وإن زعماء الإخوان المسلمين إما اسمه حسن البنا أو حسن الهضيبي وهؤلاء كانوا يخدعون الشباب بالحشيش، وهؤلاء يخدعونهم بالدين وهذه الحملة الشرسة كانت متواصلة في الفترة 1954–1955.

امتحان الثانوية العامة والانتقال للدراسة في مصر:

أنتقل إلى قصة أخرى وهي تقديمي لامتحان المترك (الثانوية العامة) سنة 1955، فقد استعددت للمترك جيداً، ولكن قبل امتحان المترك بشهرين دخلت المستشفى بسبب التهاب في القولون، ومكثت حوالي ثلاثة أسابيع للعلاج، وقد قرأت في تلك المدة كل كتاب الأدب العربي لمحمد حسن الزيات، وقد كنت أحب اللغة العربية والتاريخ والعلوم الأخرى؛ حيث لم أكن أفرق بينهم، وكنت معجباً بالشاعر المتنبي وحفظت له كثيراً. جاءت الامتحانات وقدمتها، وكانت النتيجة جيدة ولله الحمد، حيث حصلت على رتبة 19 على المملكة، والأول على لواء القدس. بعد ذلك طُلِبْتُ إلى عمّان لأُقابَل، وقابلت في وزارة التربية في عمّان شخصاً قصير القامة كان يقابل كل الطلاب، اسمه خليل السالم (أصبح بعد ذلك وزيراً) وكان معه شخص آخر، فقال لي من الممكن أن نرسلك بعثة على حساب الحكومة الأردنية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت أو العراق بغداد لتدرس إما الرياضيات التي أخذت فيها امتياز أو الفيزياء التي أخذت فيها علامة عالية أو التاريخ، اختر واحدة منهم لتدرسها وتعود أستاذاً، قلت لهم لا أريد ذلك، أريد أن أدرس الهندسة، فكنت أحب الهندسة، فقال لا نستطيع أن نرسلك، وقال لي هل معك بطاقة كرت الأونروا؟ قلت لهم نعم (كما ذكرت سابقاً إننا هاجرنا من القدس إلى أريحا فاعتبرنا لاجئين وأعطينا بطاقة الأونروا) فتمّ تحويلي إلى وكالة الغوث، وكان المركز الرئيسي موجوداً في الشيخ جراح بالقدس، ورئيسها كان اسمه سلامة خليل وقابلته، وعمل لنا امتحاناً وقال قررنا اختيارك لتدرس الهندسة في مصر، وفعلاً ذهبت إلى مصر في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1955 لتقديم التوجيهي وهو امتحان الثانوية العامة لأنه من يذهب إلى مصر فعليه أن يقدم التوجيهي بالإضافة إلى المترك الأردني، فقدمت التوجيهي سنة، وبعد ذلك درست خمس سنوات في كلية الهندسة. المجموع ست سنوات لمن يذهب إلى مصر، أما من يذهب إلى العراق فكان يدرس أربع سنوات، وهذا كان يعد مهندساً وهذا كان يعدّ مهندساً أيضاً.

سأتحدث عن هذه الرحلة باختصار: قبل أن أسافر قابلني خطاب السيد خطاب رحمه الله، الأخ المصري المسلم المجاهد الذي كان له دور في تربيتنا، وقال لي إنني أقترح

عليك أن تكون دقيقاً وأن لا تأخذ معك شيئاً إلى مصر، التزمت بكلامه ولم آخذ معي شيئاً إلى مصر، أخذت معي دفتراً كنت أضع فيه أبياتاً جميلة من الشعر، وخاصة للمتنبي، وسافرت مع بعثة الوكالة وكان أول سفر لي خارج القدس، لم أسافر قبله في الطائرة، سافرنا بالطائرة من مطار قلنديا (حيث كان في الأردن مطاران أحدهما في عمّان والآخر في قلنديا في القدس) وصلنا إلى القاهرة مع وفد طلاب وكالة الغوث وكانوا من المتقدمين الأوائل. وبالمناسبة كنت من الصف السابع الابتدائي وحتى الثانوي الأول على صفي ولله الحمد. نزلت مطار القاهرة وكان **معي جوازي الأردني 1955 الذي أخذته من دائرة الجوازات في القدس**، بعد أن ركبت الباص نادى الميكرفون على اسمي فلان الفلاني ينزل للمراجعة فنزلت، وكان ذلك بعد ختم الجواز، وقفت عند ضباط الأمن في مطار القاهرة؛ فقالوا أحضر أغراضك نريد أن نفتشها بدقة، فتشوها بدقة متناهية، وكان مندوب وكالة الغوث قريباً مني فقالوا له إن هؤلاء لا يأتون للدراسة، هؤلاء يأتون للعمل السياسي ونظر إلي، وهذه كانت أول مواجهة لي مع مجموعة من رجال الأمن العربي في إحدى البلاد العربية، بكل اهتمام وجدوا الدفتر كانوا يتوقعون أن فيه أسماء ومعلومات، وعندما وجدوا فيه شعراً رموه في وجهي وقالوا انصرف، وهذه الحادثة علمتني طيلة دراستي أن أكون منضبطاً وقليل الكلام، حتى أستطيع أن أتخرج من القاهرة.

مع الإخوان الفلسطينيين والأردنيين في مصر:

في القاهرة في مصر أرض الكنانة، كنت أقوم بثلاثة نشاطات أساسية؛ النشاط الأول: الدراسة في مصر؛ التوجيهي ثم كلية الهندسة. ثانياً: النشاط في الرابطة الفلسطينية وقد أسهمت فيها منذ وصولي، وكانت مؤسسة للطلبة الفلسطينيين، حيث كان هناك عدة روابط، وكانت تشمل كافة الطلبة الفلسطينيين من الضفة وغزة وأي فلسطيني مقيم في أي مكان، وكان هناك الرابطة الأردنية وكنا على علاقة جيدة معهم، والرابطة السورية، والرابطة الليبية وروابط كثيرة جداً؛ حيث سأتحدث في كل واحدة بالتفصيل. أما النشاط الاخير: فهو النشاط في جماعة الإخوان المسلمين.

عندما وصلت القاهرة في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1955 كان قد مرّ عام على الضربة الكبيرة التي وُجِّهت للإخوان المسلمين، وكان الجو بوليسياً قمعياً من الطراز

الأول، واستقبالي في المطار هو بداية ذلك، وكان النظام قد قمع حركة الإخوان وهي حركة كبيرة، وجفف ينابيعها الاجتماعية والسياسية والثقافية، لم يعد أحد يتكلم عن الإخوان. كنت أتمتع وأنا أسير في شوارع القاهرة، وأنا أركب الأوتوبيس (الباص) وأقرأ الشعارات على الجدران (انضموا إلى كتائب الإخوان المسلمين)، فهذه الشعارات تذكر بالمقاومة في قناة السويس سنة 1951.

أبدأ بالجانب الدراسي، درست التوجيهي في مدرسة النهارية، وهي في باب الحديد، ومعي النخبة الخاصة من وكالة الغوث الذين درسوا فيها. هذا العام 1955-1956، أذكر فيه حادثة مهمة وهي كما يلي: اتصل بي المسؤول في ذلك الوقت عن الإخوان المسلمين الأردنيين الجامعيين، حيث كان هناك تنظيم للإخوان المسلمين الأردنيين الذين هم من الأردن بضفتيه الشرقية والغربية، وتنظيم من الإخوان الفلسطينيين من قطاع غزة، قال لي هناك أخ سوري قد طُلِبَ للأمن المصري، وعلينا أن نخفيه في بيوت الطلاب الإخوان، حتى نستطيع أن نخرجه خارج مصر، وكان معي في الشقة ثلاثة من الإخوان الآخرين قلت لهم ذلك، فقالوا لا بأس، وتمّ ترتيب إدخال هذا الأخ السوري إلى الشقة بطريقة أمنية، أولاً افتعل أحد الإخوة مشكلة مع الخادم، وهكذا خرج من الشقة لخلاف حتى يكون الأمر طبيعياً، وبقي حارس العمارة، وهؤلاء الحراس أو بوابي العمارات كلهم تقريباً كانوا تحت هيمنة المباحث، فهذا البواب كان يحضر لنا بعض الأكل، فقلنا له أن يذهب إلى ميدان الجيزة، حيث كنا نسكن في الجيزة، في هذه الفترة كان أحد الإخوة قد أحضر الأخ السوري وأدخله إلى الشقة بهدوء دون أن يلاحظه أحد. هذا الأخ السوري لا أعرف إذا كان على قيد الحياة أم توفي، كان اسمه عدنان إسطواني، هذا الأخ دخل مطار القاهرة وكان معه أموال؛ فالإخوان في الخارج يرسلون الأموال إلى عائلات الإخوان المعتقلين، فكشف أمن المطار الأموال معه، وكان حكم هذا الأمر السجن عدة سنوات فما كان منه إلا أن ترك الأموال ودخل القاهرة وهرب منهم، فأدخلناه عندنا وتكتمنا عليه، ومكث حوالي عشرة أيام عندنا، وفي يوم من الأيام كنت أنا وإياه لوحدنا فسمعت ضرباً شديداً على باب الخدم؛ حيث إن كل شقة لها بابان باب رئيسي وباب للخدم وله سلم حديد، فقلت في نفسي لقد حضروا وذهبت لأستطلع، فقلت من؟ فقال مصلح المواسير هل هناك شيء قلت لا شيء، وكان وجه هذا الأخ عدنان قد اصفر واحمر.

وبعد مرور عشرة أيام نقلنا هذا الأخ بالطريقة نفسها إلى بيت آخر، وهو شقة طلابية للإخوان في مكان آخر، وأخذ يتنقل حتى جاءه شخص من الأردن اسمه محمود وهذا الأخ من العاملين في القدس ومكث فترة، ثم تمّ تدبير هذا الأخ؛ حيث استطاع محمود أن يتخلى عن جواز سفره ويعطيه إلى هذا الأخ السوري وينقل الصورة محل الصورة ويسافر عدنان إلى الخارج باسم آخر، راجع محمود السفارة الأردنية، وقال إن جواز سفره قد فُقِد، وأرسل لنا نحن الأربعة كل واحد قلم حبر باركر، وفي ذلك الوقت كان هدية ثمينة، المهم أن اثنين منا تمّ نشل هذه الأقلام منهم، هذه القصة أذكرها عن تلك الأجواء.

الشيء الغريب عندما كان الأخ السوري عندنا في البيت، وكنت حينها قد غادرت مدرسة النهارية متوجهاً إلى الجيزة، وكان يقال لنا إذا لاحظت أنك مراقب فلا تعد إلى البيت. عندما ركبت الباص وكان رقم (9) من باب الحديد إلى الجيزة لاحظت أن أحد المصريين، كان يلبس دشداشة وكان ينظر إلي، علمت أنني تحت المراقبة فبدل من أن أنزل في محطتي نزلت في المحطة التي بعدها وتوجهت من هناك باتجاه المنيل، ولاحظته بشكل خفي بأنه ظلّ يمشي ورائي ثم دخلنا في منطقة شعبية وهناك استطعت أن أختفي بأسرع وقت، وبعدها عدت إلى البيت بعد صلاة العشاء، بعد أن استطعت أن أُتوِّه هذا الرجل. وهذا يعطي انطباعاً أن عملنا ونحن في مصر يوجب علينا أن نكون على درجة عالية من الوعي والحسِّ الأمني والضبط والتكتم...إلخ، فبعض الناس إخوة لنا لم يستطيعوا أن يكملوا فترتهم؛ حيث إن بعضهم اعتُقِلُوا وبعضهم سُفِّرُوا فكان الانتباه لهذا الأمر ضرورياً.

أعود إلى الدراسة ثم أتكلم إن شاء الله عن تنظيم الإخوان ثم الرابطة، في دراستي استطعت في التوجيهي أن أحصل على علامة عالية، وكان باستطاعتي أن أدرس الطب في جامعة القاهرة فعلامتي كانت 86، وكانت في ذلك الوقت عالية جداً، وكنت رقم (7) على الطلبة الأردنيين الأوائل الذين دخلوا في كلية الهندسة. في كلية الهندسة بدأنا الدراسة في عام 1956 لم نكد نبدأ الدراسة حتى صار العدوان الثلاثي، وكانت هناك مادة صعبة على الطلاب اسمها الهندسة الوصفية، كثير من الطلاب يستصعبونها، وكان الأستاذ

وهو خريج بريطانيا يقول: ببساطة إذا لم تستطع أن تكمل، فهذه كلية الزراعة وكلية الآداب قريبة، تستطيع أن تلتحق بها، ويضحك الجميع. وكان معي في دفعة الإعدادي الأخ ربحي بشتاوي وآخرون. الحمد لله أنهيت كلية الهندسة ولم أُعِدْ مادة واحدة، نجحت فيها كلها، وكان النجاح شرطاً حتى لا تضيع عليك البعثة، وكان وضعي المادي متوسطاً، وربما لم يستطع والدي أن ينفق علي، فكان الاعتماد على الله ثم على نفسي.

أذكر جيداً في سنتي الأولى في كلية الهندسة أن أحداث الأردن قد تصاعدت، وكان هناك هجمة شرسة من مصر ومن القوى القومية واليسارية ضدّ الإخوان المسلمين في الأردن، وكان هناك نسبة كبيرة من الأكاذيب فتنظيم الإخوان الأردنيين والفلسطينيين في مصر أصدر بياناً داخلياً سرياً، وكان هناك مهرجان في جامعة القاهرة وكان ينبغي أن يتكلم فيه الكثيرون، وفي هذا المهرجان تكلم الكثير وهاجموا الإخوان في الأردن، وعندما كان الجميع منخرطاً في هذا المهرجان في جامعة القاهرة كان معي مجموعتان من البيانات، رميت أول مجموعة وبقيت ثابتاً في مكاني، المصريون أخذوا يقرأون ما في البيان ويقولون: حاجة مختلفة ده عن ده، ورميت المجموعة الثانية وبقيت مكاني. وعندما انتهى المهرجان كنت قد عدت إلى كلية الهندسة، وكنت قد تخليت عن محاضرة واحدة، هذه بعض الأمثلة عن العمل المتكتم في القاهرة.

نشاطنا الأساسي في الإخوان المسلمين الالتزام الحديدي الداخلي، لنا أسر متكتمة جداً كنا نلتقي في أماكن مختلفة في شقق الطلاب، وكل مجموعة كانت لوحدها، يعني مناطق القدس لوحدها ومناطق عمّان لوحدها ومناطق نابلس لوحدها حتى نكون على أكثر درجة من السرية لأننا كنا مستهدفين. وكان أي أخ مسلم من قطاع غزة يُلقى القبض عليه، يعامل كما يعامل الإخوان المصريون لأن قطاع غزة كان تابعاً لمصر، أما إذا كان من الأردن إذا اعتقل يُرْسَل إلى السجن يجلد لمدة ثلاثة أيام ثم يرحّل نهائياً، وأذكر جيداً ممن تمّ ترحيلهم الأخ شحادة والأخ فايز الحزينة، وأذكر أيضاً الأخ حسن خريس حيث كان من الإخوان المسلمين في ذلك الوقت، ورئيس الرابطة الأردنية كان اعتقل وكان سيرحل لولا أن توسط له القائد عبد الله التل وكان لاجئاً سياسياً في القاهرة، وسمح له أن يبقى في القاهرة. هذه فكرة عن بعض الأجواء التي كنا نعمل فيها في مصر، وكل سنة

نتقدم فيها في الكلية كنا نشكر الله أن استطعنا أن نأخذ سنة وننجح فيها.

كان لنا نشاط آخر إضافة إلى العمل الداخلي وهو نشاط الرحلات، وكنا نرتب رحلات بطريقة دقيقة جداً، وكنا نعمل والإخوان من قطاع غزة، مع العلم أنه لم يكن هناك تنظيم موحد، ولكننا كنا ننسق مع بعضنا البعض. وممن أذكرهم من بين من كنا نعمل معهم في مصر الأخ محمد صيام وعبد الرحمن بارود وعمر أبو جبارة وآخرون كثيرون. وعندما كنا نذهب رحلة كنا نتبادل المعلومات؛ وكنا نذهب مثلاً إلى القناطر الخيرية ونقسم أنفسنا، بعضنا يذهب بالدراجات الهوائية، وبعضنا بالقطار، وبعضنا بالباص، وعندما نلتقي في الساحات نلعب مع بعضنا كرة قدم، وهو أمر غير لافت فنحن مجرد شباب يلعبون مع بعضهم، وعندما نجلس لنأكل كنا نتعرف على بعضنا البعض ونتبادل المعلومات مع بعضنا، وأذكر ذات مرة أنه كان ينبغي أن نلتقي، اللقاءات الواسعة كانت قليلة جداً، ولكن هذه المرة كان من الضروري أن نلتقي على نطاق واسع؛ يعني 20–25 أخاً، وتحدد هذا الموقع في الدقي في شقة، وجاء الإخوان الطلبة جميعهم ولاحظت أن أحد الإخوة قد أحضر معه صديقاً، ليس ملتزماً (ليس عضواً في الجماعة)، وكانت الفرصة على وشك أن تذهب ومن الصعوبة أن نرتب فرصة أخرى؛ فتوجهت إليه مباشرة وقلت له يا أخ جبر هناك أخ في الرابطة جاء من بلدك ويريد أن يراك الآن، ومن الضروري أن يراك الآن فلتذهب إلى هناك وتسأل عنه، فذهب جبر وأخذ الصديق الذي أحضره. وهكذا استطعنا أن نكمل هذا العمل بسرعة وأكملنا هذا اللقاء المهم.

من القيادات التي كانت تعمل معنا عدنان نحوي، وقد صار دكتوراً في الهندسة، وهو شاعر أيضاً، وهو من صفد؛ والأخ رياض الزعنون شقيق سليم الزعنون وكان من قيادات الإخوان من قطاع غزة، والأخ محمد صيام والأخ عبد الرحمن بارود وكنا نلتقي معاً وننسق معاً في منتهى التكتم. وكان ممن يعمل معنا أيضاً داود عباس وقد اعتقل، وقد اعتقل حسن عبد الحميد أيضاً، واعتقل عمر أبو جبارة، وهؤلاء أفرج عنهم والتقيت بهم في الكويت بعد سنة 1962، وهذا سأعود إليه لاحقاً.

ومن الأشياء المهمة في هذه الفترة في العمل ما يتعلق بالعمل في الرابطة الفلسطينية. الروابط في القاهرة كما ذكرت سابقاً عدة روابط معظمها كانت تحت قبضة الإخوان

المسلمين، وقبل ضرب الإخوان في سنة 1954 كان مركز البعوث في المركز العام للإخوان المسلمين هو الذي يشرف على هذه الروابط بما فيها الرابطة الأردنية، والرابطة الفلسطينية، والرابطة الليبية وغيرها.

من هنا عندما ذهبت إلى القاهرة سنة 1955، ومباشرة بعد وصولي هناك بدأت العمل لانتخابات الرابطة الفلسطينية، وكانت انتخابات سنوية، ونزلت قائمة يدعمها الإخوان وقائمة شيوعية وقائمة بعثية، هذه القوى كانت أساسية في ذلك الوقت، وأظن أنه حصل تفاهم في ذلك العام ما بين الإخوان والشيوعيين، ولم يحصل بعد ذلك أي تفاهم والسبب يرجع إلى أن الإخوان كانوا ضدّ النظام العسكري في مصر، والشيوعيون كانوا كذلك فالتقوا من هذه الناحية. والذي ترأس الرابطة من قائمة الإخوان كان الطالب ياسر عرفات وكان معه أسماء أخرى مثل خميس شاهين، وعبد الفتاح الحمود، ونجيب أبو لبن بعضهم قريب من الإخوان وبعضهم مستقلون، نجحت هذه القائمة وقد عملت أنا بجد لإنجاح قائمة ياسر عرفات، ففي سنة 1955 كان إبراهيم غوشة طالباً نشيطاً لإنجاح القائمة التى يترأسها ياسر عرفات. بعد سنة 1956 أنهى ياسر عرفات دراسته الجامعية؛ فكان الذي نزل من بعده صلاح خلف أبو إياد، ونحن دعمنا صلاح خلف، وكان التنافس شديداً حيث نزلت ثلاث قوائم، قائمة الإخوان برئاسة صلاح خلف وقائمة البعثيين برئاسة فاروق القدومي وقائمة للشيوعيين. الذين نجحوا أكثر هم قائمة الإخوان وقائمة البعثيين، أذكر جيداً أننا التقينا في غرفة الإدارة في الرابطة الفلسطينية، وظهرت النتائج فتوجه صلاح خلف إلينا، وطلب منا أن نصلي ركعتي شكر لله لأنه نصرنا في هذه المعركة للانتخابات. وكان صلاح خلف يدرس في الأزهر اللغة العربية، وقد قرأت فيما بعد كتابه "فلسطيني بلا هوية". بعد ذلك جاء مرشحون آخرون كنا ندعمهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر علي ناصر ياسين، وقد أصبح ممثل منظمة التحرير في الكويت، وقد اغتيل هناك وهو من منطقة شمال الضفة الغربية، وقد كنت على علاقة جيدة معه وقد كنا ندعمه.

من النشاطات التي شاركت بها في القاهرة في **الرابطة الفلسطينية**: المشاركة في اللجنة الصحافية، وكانت مشكّلة من الأحزاب ومن المستقلين، من الأحزاب كان هناك

شيوعيون وبعثيون ومستقلون وإخوان مسلمون، وكنت أمثّل الإخوان المسلمين، وكان معي أخ قريب منا اسمه خليل الخالدي محسوب على الإخوان المسلمين، وكان من البعثيين لطفي عبد المجيد، ومن الشيوعيين مروان دودين. وأذكر في إحدى الجلسات طلب مروان دودين ولطفي عبد المجيد أن تضاف أعداد إلى هذه اللجنة حتى تصبح لهم الأغلبية، فرفضنا ذلك، فشنوا حملة شديدة على الإخوان وعلى محمد عبد الرحمن خليفة، وخرجوا غاضبين من اللجنة إلى القاعة الخارجية، وبالصدفة كان أحد الإخوة من قطاع غزة يسمع القرآن، فأغلقوا صوت القرآن، وتلفظّوا بشتائم غير لائقة، فاشتبكوا مع هذا الأخ وبدأت معركة بين الإخوان من جهة وبين البعثيين والشيوعيين من جهة أخرى، وتكسرت الكراسي، وتوسعت المعركة، وجاء الإخوان من شققهم وبيوتهم، وأذكر أن أحد الإخوة من منطقة رفح، واسمه خليل زعرب، جمع الإخوان وقال لهم على الرغم من أننا مطاردون في هذا البلد من النظام، لكننا لن نسمح لهؤلاء أن يذلونا.

فعلاً وقف الإخوان موقفاً قوياً من هؤلاء الذين مسّوا بالقرآن الكريم. وبعد ذلك جاء المسؤول في المخابرات المصرية عن الطلاب الشرقيين، ربما اسمه عبد الحميد الصغير، وعندما جلس مع البعثيين والشيوعيين قال لهم إنني أعرف أنكم أنتم الذين استفززتم الإخوان المسلمين. ثم تمّ تهدئة الأمور.

وفي اليوم التالي كانت هناك رحلة للطلاب إلى الإسماعيلية، ذهبنا في ثلاثة باصات؛ حيث ركب الإخوان في أحد الباصات وكانوا يهتفون "الله أكبر فوق كيد المعتدي"، أما الباص الآخر فكان فيه البعثيون والشيوعيون وكانوا يهتفون أغنية "عاد السلام يا نيل"، أما الثالث فكان للمستقلين. في هذه الرحلة كان هناك استفزاز من الطرفين، ولكن لم تحصل معركة أخرى. هذه فكرة عن أعضاء الرابطة الفلسطينية ومناكفاتهم، وقد ذكرت أن الإخوان قد تركوا الرابطة بعد أن كثرت الاعتقالات بينهم، وبعد ذلك حصلت خلافات بين البعثيين والشيوعيين انعكاساً لأحداث العراق، وبعد ذلك انسحبوا من الرابطة لخلافهم مع النظام المصري، وهي فترة ظهور القوميين فيها.

عندما زاد الضغط الأمني علينا أخذنا قراراً بتجميد النشاط الطلابي، ولكننا لم نتخلَّ عن الرابطة حتى لا يأخذها الشيوعيون، وأذكر جيداً أن انتخابات السنة التي بعدها،

وكانت في إحدى قاعات السينما الصيفية في شارع عماد الدين في القاهرة، وقررنا أن نرسل 100 أخ لنضمن ألا يسيطر الشيوعيون عليها، عندما ظهر ممثلو الحزب الشيوعي إلى المسرح كان ثمة تصفيق شديد لهم، ولكن عندما ظهر البعثيون والقوميون كان التصفيق أقل ففهمنا أنه إذا حدثت انتخابات سيكتسحها الشيوعيون. وقد اتصل بنا القوميون والبعثيون، وأذكر من البعثيين طلاباً من دار غنطوس، ومن القوميين عيسى أبو شيخة وآخرون قالوا لنا نريد منكم أيها الإخوان أن تساعدونا، وفي وقتها حصلت أحداث في العراق وانقسم العراقيون إلى بعثيين قوميين ضدّ الشيوعيين. اجتمعنا وقررنا أن ندعم الأسماء الضعيفة من البعثيين والقوميين ضدّ الشيوعيين وفعلاً هذا ما تمّ. كلفني الإخوان أنا والأخ نادر أن نأتيهم بالنتائج حيث كانت النتائج تخرج الساعة الواحدة فجراً؛ فذهبنا وشاهدنا فيلماً بوليسياً في القاهرة ثم ذهبنا إلى الرابطة الساعة الواحدة فجراً حتى نرى النتائج، وعندما وصلنا رأينا بعض الشيوعيين وهم يشتمون الإخوان المسلمين فعلمنا بأن النتيجة لم تكن لصالحهم، وفعلاً نجح البعثيون والقوميون وهكذا لم نسلم الرابطة للشيوعيين، وقد قدم لنا البعثيون والقوميون مقاعد في عدد من اللجان.

الإخوان وبدايات حركة فتح:

أعود إلى الخلف قليلاً، في هذه الفترة أريد أن أؤكد في ظلّ هذا الوضع الصعب عام 1956-1957 كنا نلتقي مندوبين مع بعض ونتبادل المعلومات كنت أنا عن الأردن، وهناك شخص يمثل غزة كان خليل الوزير من الإخوان، وكان هناك شخص عن ليبيا، وشخص عن سورية، وكنا نلتقي أحياناً في حدائق الأورمان ونحن نمشي ونتبادل المعلومات كل عن بلده، وهكذا تعرفت على خليل الوزير، كان شاباً مؤدباً وخجولاً وقليل الكلام ومنضبطاً، وبعد ذلك لم أره، وفي يوم من الأيام سافر إلى الكويت، وهناك أعلن أنه انضم إلى حركة فتح.

أعود الآن إلى **العلاقة مع ياسر عرفات**، فهو طالب نشيط يخدم الطلاب، لم يكن يهمه أن يتخرج خلال خمس سنوات، كان يتصل بالمصريين لإسقاط الرسوم عن الطلاب. عندما كان يتكلم في الرابطة وعندما كان رئيساً لها، كان له بعض التكتيكات التي لاحظتها، يقدمه العريف فيكون عندها في آخر صفّ فيمر بين الصفوف ويحيي الطلاب

عن اليمين واليسار حتى يصل إلى المنصة وهناك يلقي كلمته، هذا هو ياسر عرفات. كما ذكرت سنة 1956 عندما صار العدوان الثلاثي، تطوع الطلاب للدفاع عن مصر، ياسر عرفات تطوع مع الطلاب المصريين، أما نحن فقد تطوعنا مع الطلاب العرب، أريد أن أكمل مع ياسر عرفات ثم أعود لدوري في هذا التطوع، بعد ذلك أنشأ ياسر عرفات في سنة 1957 اتحاد الطلاب الخريجين الفلسطينيين؛ لأن من تخرج لا يجوز له أن يستمر في الرابطة الفلسطينية، أنشأها لسنة وبعد ذلك سافر إلى الكويت.

لاحظنا في هذه الفترة أن المخابرات المصرية في الوقت الذي كانت تتشدد فيه ضدّ طلاب الإخوان كانت تعطي الحرية لياسر عرفات، وقد سُمِحَ له أن يذهب إلى مؤتمر اتحاد الطلاب الاشتراكيين العالمي، ربما في تشيكوسلوفاكيا، في هذه الفترة كان لنا من الإخوان الطلاب في الرابطة الفلسطينية أعضاء في الهيئة الإدارية هما فايز الحزينة وكامل الشوربجي، وكانا منضبطين انضباطاً كاملاً. كل سياسة الإخوان يحاولان أن يطبقاها، فقال لنا فايز بأن مسؤول المخابرات المصرية استدعى ياسر عرفات وصلاح خلف وطلب منهما أن يوقعا على إفادة بأنهما ليس لهما علاقة بجماعة الإخوان المسلمين، وقد حصل ذلك، وخاصة بعد أحداث الأردن. وفي تلك الفترة سنة 1957 بدأنا نسمع بتشكيل حركة تحرير فلسطين (ح.ت.ف)، وقد قلبت بعد ذلك إلى (ف.ت.ح) فتح، وياسر عرفات هو الذي بدأ بها، والشخص الثاني الذي بدأ معه هو خليل الوزير، الذين بعد ذلك انطلقا إلى الكويت. بالنسبة إلى عرفات عندما كنا ندعمه في الرابطة لم يكن من الإخوان، ولكنه كان قريباً منهم، ولكن قيل إنه قبل أن آتي إلى مصر كان له علاقة بالإخوان، وهذه تحتاج إلى تحقيق وتوثيق، أما خليل الوزير فقد كان من الإخوان، وذكرت أنه كان مندوب قطاع غزة، وهو كان متطلعاً وهو في قطاع غزة للعمل الفلسطيني، وقد علمت بأن عبد المنعم عبد الرؤوف عندما كان في قطاع غزة كان يرعى عدداً من الشباب الصغار ومنهم خليل الوزير للعمل الجهادي والعمل ضدّ الاحتلال.

عندما ذهب الإخوة إلى الكويت كانت تصدر نشرة أو مجلة اسمها "فلسطيننا"، تصدر من بيروت، ورئيس تحريرها أخ لبناني إسلامي اسمه توفيق حوري، وكان من ينفق على هذه النشرة الإخوان المسلمون الموجودون في الكويت، وهي النشرة الأولى

التي عرضت فكر فتح. في هذه البدايات لم يكن هناك احتكاكات بيننا وبين حركة فتح التي علمنا بها سنة 1957، وقد وُضِعَ الإخوان في الأردن في صورة هذه المعلومة منذ ذلك الوقت، وكان اقتراحنا نحن الطلاب الجامعيين على إخواننا في الأردن، حتى لا يُستنزف الإخوان بسبب انضمام شبابهم لحركة فتح، أن نؤسس قسماً لفلسطين في المركز العام للعمل للقضية الفلسطينية، وللأسف لم تتمّ هذه الخطوة، وهذه أثرت على زيادة استنزاف الشباب المتحمس من الإخوان.

ومما جعل الأمور تزداد تراجعاً بالنسبة للإخوان، الضربة التي وجهت للإخوان في مصر، ثم الإنجازات التي قام بها عبد الناصر وسأتعرض لها فيما بعد، والشعبية الكبيرة التي صارت له، وبالإضافة إلى حركة فتح، حيث تريد بمجموعة من الشباب أن تعمل لفلسطين وتركز على فلسطين بعيداً عن التيارات الحزبية. بقينا فترة على علاقة معقولة إلى حدٍّ ما مع هذه النواة من فتح، لكن بعد فترة أصبح هناك نوع من الاحتكاك الشديد بيننا وبين فتح، سواء ونحن طلاب أم بعد ذلك في أكثر من موقع في الكويت أو قطر؛ لأنهم بدأوا يستنزفوننا، نستطيع أن نقول كثير من قيادات فتح كانت خلفيتهم من الإخوان المسلمين، وللتاريخ أقول عندما ذهبنا كوفد من حماس، في نهاية سنة 1992، إلى تونس وزرنا عرفات كان هناك صورة لشهداء حركة فتح في مكتبه وعندما حاول البعض أن يمسّ بالإخوان، قلت له يا أخ عرفات أنت تعرف دور الإخوان في تأسيس حركة فتح؛ فقال عرفات أمام الجميع هل ترون صورة هؤلاء الشهداء غالبيتهم الساحقة من الإخوان المسلمين. والحقيقة أن هذا الكلام صحيح لأن من الناس الذين انضموا إلى فتح مبكراً عبد الفتاح الحمود، وقد توفي في حادث سيارة سنة 1968 في طريق إربد المفرق، وهو أصلاً من شعبة عقبة جبر، وقد درس في كلية البترول والتعدين في القاهرة، وقد تخرج قبلي وذهب إلى السعودية، وهو من مؤسسي حركة فتح. وكان من الإخوان أيضاً خليل الوزير، ورفيق النتشة، ومحمد يوسف النجار.

وأهم حدث داخلي في **سنة 1960 أنه تمّ تشكيل أول تنظيم فلسطيني غير معلن عنه للإخوان المسلمين في قطاع غزة** ولمن يعملون من قطاع غزة في الخليج، وقد طُلِبَ مني حضور هذا اللقاء، كان الموجود في هذا اللقاء، في شقة في المنيل، حوالي 15 أخاً منهم

من جاء من الخليج، وبعضهم من الطلاب في القاهرة. وفي هذا اللقاء اتفق على تشكيل تنظيم للإخوان المسلمين الفلسطينيين وكان هذا سنة 1960، وهذا التنظيم منفصل عن تنظيم الإخوان المسلمين في الأردن؛ حيث إن تنظيم الإخوان في الأردن من الضفة الشرقية والضفة الغربية، وهكذا أُعلِن، وطُلِبَ مني أن أنقل هذا القرار إلى الإخوان المسلمين في عمّان، وفعلاً نقلته إلى الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة، وبعد ذلك دخل تنظيم الإخوان المسلمين الفلسطيني في تنظيم المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية، الذي صار خارج مصر بعد ضربة مصر. وكان تنظيم الإخوان الفلسطيني جزءاً من هذا التنظيم، والذي في فترة من الفترات ترأسه عصام العطار. وهذا التنظيم الفلسطيني هو الأساس الذي بني عليه تنظيم حركة حماس بعد عدة عقود.

وأذكر جيداً أنه عندما ذهبنا إلى الكويت، وبدأت مرحلة المفاصلة للأخ الذي يعمل مع فتح والإخوان، إما أن تعمل مع فتح أو تعمل مع الإخوان، والجلسة التي صار لقاء فيها مع محمد يوسف النجار أذكرها، كانت في بيت الأخ أبو عودة ثوابتة بوجود محمد يوسف النجار، وقال محمد يوسف النجار ما عليكم إذا أنا بقيت في الإخوان وفي الوقت نفسه في فتح، قلنا له عليك أن تحدد فاختار أن يبقى في فتح، وكان هذا سنة 1962 أو سنة 1963 لست أذكر. إذن أول احتكاك كان بيننا وبين فتح على خلفية نزع الكوادر النشطة من الإخوان، وكما ذكرت عندما تأسس تنظيم الإخوان المسلمين الفلسطينيين سنة 1960 توقفت عملية الجذب، وأذكر سنة 1963 أن سليم الزعنون التقى مع حسن عبد الحميد أحد قياديي الإخوان الفلسطينيين في الكويت، وقد عملت معه، فقال لي بأن سليم الزعنون قال له يبدو بأن الإخوان المسلمين الفلسطينيين قد أصبح لهم تنظيم، لأننا لم نعد نستطيع أن ننتزع أحداً منهم.

الموقف من العدوان الثلاثي سنة 1956:

في هذه الفترة أيضاً حصل تأميم قناة السويس، وذلك في تموز/ يوليو 1956، وقناة السويس حفرت في القرن التاسع عشر وسيطر عليها الإنجليز والفرنسيون وغيرهم وقاموا بإنشاء شركة خاصة بالقناة، وعندما بدأ الأمريكيون والإنجليز بالضغط على عبد الناصر ردّ عليهم بهذه الخطوة، أي بتأميم قناة السويس. نحن في الحقيقة،

في الإخوان المسلمين في كل البلاد العربية، وخاصة الأردن وقفنا مع قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس سنة 1956، أي بعد ضربة الإخوان بسنتين، وعلى الرغم من ذلك وقفنا مع هذا القرار الوطني بكل قوة. وأذكر جيداً بأنه خلال إجازتي في القدس حصل مهرجان ضخم في مدرسة الرشيدية، وحضر هذا المهرجان الأحزاب الرئيسية التي لها نفوذ في الشارع؛ الإخوان والبعثيون والشيوعيون والقوميون. وكان المسيطر في هذا المهرجان هم شباب الإخوان؛ فكانوا يعتلون البنايات العالية ويهتفون؛ بحيث هيمنوا على المهرجان. ومما أذكره جيداً أن أول من تكلم كانت مندوبة من الحزب الشيوعي الأردني، وهذه المندوبة أمسكت بالمايكروفون ولم تتركه أبداً، وانتهى المهرجان ولم تتخلَّ عن الميكرفون. وأذكر أن صوت العرب كان ينقل هذه الاحتفالات، مندوب صوت العرب لم تعجبه هتافات الإخوان فنادى على عدد من الحزبيين من البعثيين والشيوعيين والقوميين، والتقوا في مدرسة قريبة، وقال لهم اهتفوا حتى أستطيع أن أرسل هتافكم إلى صوت العرب؛ لأنني لا أستطيع أن أرسل هتافات الإخوان المسلمين. أيضاً لأول مرة بعد المهرجان قام الإخوان بمظاهرة في القدس شارك فيها الطلاب، ونحن الطلاب الجامعيون شاركنا أيضاً مع عدد من الرجال العاديين، وكنا نهتف مع التأميم والتصدي للإنجليز والاستعمار، وكانت هذه خطوة جيدة كانت تعطي للإخوان قوة.

الواقع أننا في حركة الإخوان كنا نفرق بين عدم رضانا عن النظام السياسي في مصر، وبين الدفاع عن أرض الكنانة، ومن هنا انخرطنا مع الطلاب العرب؛ حيث كانوا حوالي 600-700 طالب بما فيهم الطلاب الفلسطينيين، وكنا نطالب بأن يدربنا ويقودنا عبد الله التل اللاجئ السياسي في القاهرة، وفي النهاية كان هناك مجموعة من الضباط المصريين، وأذكر جيداً بعد أن تدربنا وكان معنا عدد من الإخوان جاء الضابط وقال لنا: من يريد أن يموت يقف على هذا الصفّ، لأننا سنرسلكم إلى غزة. وكنت من الناس الذين قرروا أن يموتوا ووقفت مع هذا الصفّ، فنادى علي أحد أقربائي وقال لي تعال، فقلت اتركني. كان لدي دافع قوي للوقوف مع الشعب المصري.

كانت الأجواء مشجعة جداً، تسمع "الله أكبر فوق كيد المعتدي" هذا النشيد كان أهم نشيد في مصر، مكثنا حوالي ثلاثة أسابيع، دربونا على البارودة الإنجليزية "لي إنفلد"

وأخذونا خارج القاهرة، وأذكر أنه جاءت شحنة بنادق روسية جديدة (سيمانوف) نصف آلية، وأذكر أن المدرب المصري كان أمامه حائط وهدف، وقال: إذا رأيتم الإسرائيلي فأطلقوا النار هكذا، وكان يطلق النار فلا يصيب الهدف ولا يصيب الحائط! وبينما نحن واقفون تقدم أحد الشباب الفلسطينين، ويبدو أنه كان متدرباً بشكل جيد فقال: أعطني إياها؛ فأصاب الهدف بدقة، فضحك كل الموجودين من ذلك الموقف. لكنهم لم يهتموا بنا، أذكر أن البرد كان شديداً، لأننا دخلنا في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر فالعدوان كان في 29 تشرين الأول/ أكتوبر، وصار الجو بارداً ولم يقدموا لنا بطانيات، وكنا بالقرب من مصنع وهناك أوراق مقطعة فكنا ندسّ أنفسنا بين الأوراق، ثم نقلونا إلى منطقة أخرى وقالوا لنا سينزل المظليون الإسرائيليون. وكنت أحب الصيد فكنت مسروراً أن نصطاد هؤلاء المظليين، كان معي من الإخوة الذين أذكر الدكتور سعيد الهليس، وهو موجود الآن في الكويت وكان متطوعاً، وكان معي الدكتور حكم أبو زهرة، وهو شقيق صديقي نبيل أبو زهرة وآخرون. وأذكر أنه كان هناك مجموعات من الطلاب العرب من الشيوعيين وكانوا يهزجون في ذلك الوقت ويقولون "شيبلوف شيبلوف ايدن منك ميت خوف"، مكثنا ثلاثة أسابيع ثم عدنا إلى بيوتنا، هذه تجربة شاركت فيها وكنت صادقاً، وحتى الآن أرى أن على الإسلاميين أن يفرقوا بين أي تناقضات سياسية مع نظام الحكم وبين التناقض الرئيسي مع العدو الخارجي ومع الاستعمار. وأرسل الإخوان المصريون من السجون إلى عبد الناصر أن أخرجنا من السجن حتى نقف معكم. لا شكّ بأن سنة 1956 كانت مصر فيها مستهدفة من ثلاث دول وصمد المصريون، وبعد ذلك فإن الضغط الأمريكي والسوفييتي كان له الدور في انسحاب الإسرائيليين من سيناء، والإنجليز والفرنسيين من قناة السويس وبور سعيد التي قاموا بقصفها وتدميرها.

الأوضاع في الأردن:

نعود الآن إلى الأردن، أهم الأحداث التي حدثت في الأردن هي محاولة إدخال الأردن في حلف بغداد، أرسل الإنجليز جيرالد تمبلر Gerald Templer إلى الأردن؛ فقامت مظاهرات ضخمة في الضفة الشرقية وفي الضفة الغربية في القدس ونابلس والخليل وعمّان وإربد ترفض هذه الزيارة، وترفض الدخول في حلف بغداد، وسقط بعض الشهداء، واضطرت

الحكومة إلى أن تستقيل. وحلف بغداد هو عبارة عن حلف أنشأه الإنجليز، مركزه في بغداد يشمل بغداد وتركيا وباكستان، والغاية منه التصدي للاتحاد السوفييتي، وكانوا يريدون أن يجروا الدول العربية إضافة إلى العراق فتعرض الأردن إلى ضغوط، وبالنسبة إلى مصر فشلوا في جرها، وفشلوا أيضاً في الأردن. كانت هناك هبة شعبية، وهنا أريد أن أركز على الحيوية الشديدة التي كان يتمتع بها الطلاب والشباب والعمال في الأردن في تلك الفترة، فهم الذين أسقطوا هذه المحاولة. وأذكر أن الأحزاب نزلت إلى الشارع، على الرغم من التناقضات فيما بينها، الإخوان المسلمون والبعثيون والشيوعيون والقوميون والناصريون كلهم نزلوا إلى الشارع. أما النهضة التي ذكرتها في حديثي لحزب التحرير تراجعت، لأنهم أصدروا فتوى بأنه لا يجوز المشاركة في المظاهرات؛ لأنها تخدِّر عن قيام الدولة الإسلامية. ولذلك فقدوا كثيراً من شعبيتهم. ومنذ ذلك الوقت بدأوا بالتراجع لأنهم لم يسيروا مع الحسّ الشعبي.

وأذكر أنه في أوائل سنة 1956 جرت هناك انتخابات على مستوى الأردن، وكان عدد مقاعد البرلمان 40 مقعداً، حصل الإخوان على أربعة مقاعد أي 10% من المقاعد، وكان للبعثيين مقعدان، وكان للشيوعيين مقعدان آخران أيضاً، والتحريريون لهم مقعد واحد، وهي المرة الوحيدة التي دخل فيها حزب التحرير الانتخابات، لأنهم أصبحوا فيما بعد ضدّ الانتخابات، وكان ممثلهم اسمه الشيخ أحمد داعور.

من جهة أخرى، وقعت في سنة 1957، **محاولة الانقلاب في الأردن.** في تلك السنة زاد التوتر بين التيار الإخواني وبين تيار البعثيين والقوميين والشيوعيين في الأردن. وكان هناك نواة للبعثيين في الجيش الأردني بصورة أساسية، وكان لهم نفوذ على وزارة سليمان النابلسي. وهذه نقطة حساسة نستطيع أن نقول أن البعثيين والناصريين والشيوعيين والحزب الوطني الاشتراكي، كانوا يريدون أن يتخلصوا من النظام، ومن الإخوان المسلمين.

علينا أن لا ننسى بأن الإخوان قد وجهت لهم ضربة قاصمة سنة 1954 في مصر؛ حيث دخلوا السجون وأعدموا في مصر. وفعلاً تعرضت مواقع للإخوان في الأردن لهجمات فتمّ إطلاق الرصاص على شُعبتهم في عقبة جبر. وفي القدس كان هناك ترتيب

للخروج في مظاهرة تحمل المشاعل، بهدف إحراق شعبة الإخوان المسلمين في وادي الجوز، وفي مناطق أخرى. الإخوان المسلمون قرروا أن يدافعوا عن أنفسهم، فتقاطعت مصلحة النظام الأردني مع مصلحة الإخوان المسلمين؛ فهناك محاولة للإطاحة بالنظام الأردني، وهناك محاولة للقضاء على الإخوان المسلمين، فصمود الإخوان المسلمين في الأردن ساعد النظام الأردني على أن يصمد، هذا هو الواقع. وبعد ذلك فسرت الأمور بأن هناك تآمر وحلف وهذا الكلام غير صحيح.

وأخطر محاولة كانت من الزرقاء، من معسكرات الجيش في الزرقاء، وكان هناك خطة للتحرك من الزرقاء إلى قصر الملك، ويتكلم التاريخ أن الجنود والضباط في الجيش الأردني كانوا ضدّ هذه المحاولة، وكان تنظيم الإخوان في ذلك الوقت يشمل العسكريين بالإضافة إلى المدنيين؛ حيث تجد جنوداً وضباطاً من الإخوان المسلمين، كما تجد جنوداً وضباطاً من البعثيين. هذه المحاولة فشلت، وهذا مختصر ما حدث في سنة 1957. والأمر الذي دفع الإخوان المسلمين أن يقفوا أمام هذه المحاولة هو استهداف الدولة الأردنية وحركة الإخوان المسلمين، وطبعاً كُتِبَ أشياء كثيرة، واتُهِموا بتهم كثيرة، والواقع الحقيقي أن من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم. أما الدليل على أنها كانت نقطة تقاطع بين النظام الأردني وبين الإخوان أنه في سنة 1958 عندما حصل انقلاب بغداد في 14 تموز/ يوليو ضدّ الحكم الهاشمي في العراق، وارتكبت مجازر وسحل شديدة لا يمكن أن يقبلها مسلم، عندها نزلت القوات البريطانية في الأردن، وكان موقف الإخوان رافضاً لنزول هذه القوات في الأردن، وأصدروا بيانات وألقوا خطباً، وبعد ذلك اعتقل الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة. وهذا جواب على الذين يحاولون أن يتهموا الإخوان المسلمين بأنهم كانوا متواطئين مع النظام؛ فالإخوان هم مبدئيون ومن حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم. ولذلك فقد قاموا بعد عام بالتصدي للقوات البريطانية، التي نزلت في العقبة وفي منطقة عمّان وفي غيرها، بعد انقلاب بغداد سنة 1958.

من أهم الأمور التي حصلت في عقد الخمسينيات الوحدة بين مصر وسورية في شباط/ فبراير سنة 1958، هذه الوحدة التي كانت في عهد عبد الناصر وشكري القوتلي رحّب بها الشعب العربي، وممن رحب بها الإخوان المسلمون؛ لأن الوحدة قوة، وحركة

الإخوان المسلمين لا تدعو فقط إلى بناء مجتمع مسلم وحكم إسلامي، وإنما تدعو أيضاً إلى وحدة عربية ووحدة إسلامية. هذه منطلقات أساسية للإمام الشهيد حسن البنا. والحقيقة لقد رحب بهذه الخطوة الجميع، الإخوان في الأردن رحبوا، والإخوان في سورية رحبوا، والإخوان في مصر رحبوا، والإخوان في كل البلاد العربية رحبوا. وكان تقييمنا العام أننا مع الوحدة وحبذا لو كانت الوحدة على أساس إسلامي، هكذا كنا. هذه الوحدة لم تصمد للأسف، لأنها لم تكن مبنية على أسس قوية ومتينة، فحدث تنافر إقليمي قطري بين المصريين وبين السوريين، ويبدو أن النظام المصري عندما أرسل عبد الحكيم عامر وعدداً من المسؤولين المصريين إلى سورية لم يراعوا البعد السوري والشامي الداخلي، وهكذا تكاثرت العوامل المتناقضة حتى 1961/9/28؛ حيث حصل الانفصال. كما أن الإخوان المسلمين في الأردن وفي البلاد العربية كانوا مع الوحدة، كانوا أيضاً ضدّ الانفصال، بعيداً عن أية اضطهادات تعرضوا لها في مصر أو في سورية، وكان الغريب أن حزب البعث العربي الاشتراكي أيد الانفصال، وأن الإخوان المسلمين كانوا ضدّ الانفصال.

تقييم تجربة عبد الناصر:

أخيراً، نريد أن نتحدث عن تقييم تجربة عبد الناصر باختصار، فعندما قامت ثورة الضباط الأحرار في 1952/7/23، وقف الإخوان المسلمون بقوة مع هذه الثورة، وكان من المعروف أن شباب الإخوان المسلمين هم الذين حافظوا على السفارات والمؤسسات وانتشروا في القاهرة، وأن تنظيم الضباط الأحرار كان للإخوان دور في إنشائه أيام حسن البنا، وكان في عضويته عدد من ضباطهم الكبار، منهم عبد المنعم عبد الرؤوف الذي حاصر قصر فاروق وغيره من الضباط الأحرار. واستمرت العلاقة حتى سنة 1954 عندما توترت، ثم حصلت الضربة للإخوان المسلمين، لا شكّ أن عبد الناصر استطاع أن يضعف الإخوان المسلمين، خاصة في الصراع الذي حصل ضدّ حسن الهضيبي، واستطاع أن يخترق الجهاز الخاص الذي كان يترأسه السندي، وهذا كله أضعف الإخوان، مع أن النظام المصري عندما حلّ الأحزاب المصرية أبقى على الإخوان. وقد وُجِّهت ضربة أخرى إلى الإخوان سنة 1965–1966، وكان عنوانها إعدام الكاتب

الإسلامي الكبير سيد قطب، وبهذا تعرض الإخوان إلى ضربتين كبيرتين ودخلوا السجون، وبعضهم مكث في السجن حوالي 25 عاماً.

على الرغم من كل ذلك إذا أردنا أن نقيم عبد الناصر من منطلقات موضوعية وعلمية نجد أن هذا الرجل لو أنه تفاهم مع التيار الإسلامي، لربما تغيرت أشياء كثيرة، لذلك نلاحظ الآن في الوقت الحاضر أن التيار الإسلامي والتيار القومي عادوا إلى التعاون فيما بينهم وفَهِمَ أحدهم الآخر، لو أن هذه الحالة قد تمت في بداية الثورة وتفاهم التيار القومي الذي قاده عبد الناصر مع الإخوان المسلمين، لربما سجلت انتصارات كبيرة في التاريخ العربي الحديث، ولكن هذه هي عادة التاريخ.

عبد الناصر كان حكمه فردياً وقمعياً ومطارداً للحريات جميعها بما فيها حرية التعبير، أذكر مثلاً أن الرسائل التي كانت تأتينا من الأردن والطلاب العرب كانت تُفْتَحُ وتراقب، لذلك قلت في ذلك شعراً:

منعوا الكتابة والرسائل روقبت   ولو استطاعوا راقبوا الأحلاما

هذا يعطي فكرة عن الأجواء التي كانت، وتحدثت سابقاً كيف كنا نعمل بمنتهى التكتم. إذن كان ثمة كبت للحريات واعتقالات وقمع، أذكر مثالاً على القمع أن شخصاً مصرياً كان يعمل عندي خادماً في البيت، ينظف البيت ويطبخ وفي أحد الأيام كنت أرسم على الطاولة ومعي المسطرة الطويلة، وإذا به يقول لي أنت يا سي إبراهيم مين بيصرف عليك ويعلمك! قلت له يصرف علي 75 دولة؛ حيث كنت أحصل على منحتي الدراسية عن طريق وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة، التي كان عدد أعضائها 75 دولة في ذلك الوقت، قال الله 75 دولة تصرف عليك؟! قلت نعم. وبعد عدة أيام اختفى محمد ولم يحضر إلى البيت، وفي آخر النهار جاء وكان مضروباً ووجهه متورماً ووضعه صعب جداً، فقلنا له ما لك، ماذا حلّ بك يا محمد؟ ماذا حصل لك؟ قال "آه يا سي إبراهيم أنت قلت لي 75 دولة دي التي جابتْ لي الدَّوَر!" (أي هذه التي جلبت لي المشاكل). الضرب حصل لأن سرقة حصلت فجمع الأمن كل هؤلاء المساكين الخدم، وأخذوهم وعرضوهم للضرب حتى يعترفوا، وعندما جاء دور محمد قالوا له عند من تعمل؟ قال عند سي إبراهيم و75 دولة في ظهره، فقالوا "يا ابن الـ إيه" فزاد عليه

الضرب، فضحكنا كثيراً. وهذا يعطي فكرة عن القمع الذي يحصل في مصر في كل شيء.

وعلى الرغم من الشدة التي وصفتها في هذا النظام فإن له إيجابية، فأي شخص يريد أن يقيِّم حاكماً يتعامل مع إيجابياته وسلبياته، إذ لا نستطيع أن ننسى بأن عبد الناصر قام بتسليح الجيش المصري، هذا التسليح حصل في سنة 1955، وكان من أهداف العدوان الثلاثي تدمير هذا السلاح، وقام عبد الناصر بتأميم قناة السويس، ووقف موقفاً مشرفاً بالتصدي للعدوان الثلاثي، وذهب إلى الأزهر وأعلن "سنحارب ونحن لسنا خائفين"، هو والشعب المصري. ثم قام بعملية الوحدة وهي أول وحدة في العصر الحديث، صحيح أنها فشلت لكن أعطت إشارة بأن المستقبل للأمة العربية هو بالتوحد. من إنجازاته أيضاً الإصلاح الزراعي، مع أنه حصل تباين في وجهات النظر مع الإخوان في هذا الموضوع بحسب عدد الهكتارات أيهما أفضل لكن هذا شيء إجرائي ليس إلا، حيث أعطى دوراً للفلاح المصري وللعامل المصري، ولا يستطيع أن ينكر ذلك أحد. أما الإنجاز المهم فهو بناء السدّ العالي، وقد زرت السدّ العالي مرتين إحداهما سنة 1955 وأخرى سنة 1960، وهو المشروع الذي دعمه الروس بعد أن تخلى الأمريكيون عن هذا الدعم، وهو مشروع كبير جداً، حيث يجمع 130 مليار متر مكعب من المياه، ويزيد الرقعة الزراعية في مصر، ويمنع الفيضانات، لا شكّ أن هناك بعض السلبيات في هذا المشروع، التي أشار إليها بعض الناس؛ بحيث أنه من الممكن أن يؤثر على الطمي، لكن لا شكّ بأنه مشروع جبار، وقد أسهم الإخوان بدور كبير في بناء السدّ العالي. كيف؟ من يقرأ مذكرات عثمان أحمد عثمان (المقاولون العرب) وأحد الوزراء في عصر السادات يجد أن عدداً كبيراً من العاملين في بناء السدّ العالي، ضمن شركة المقاولين العرب (عثمان أحمد عثمان)، كانوا من شباب الإخوان المسلمين المهندسين، حتى اتُّهِم بأنه كان يستوعب الإخوان لأنه كان على علاقة مع حسن البنا، عندما أسس الإخوان في الإسماعيلية، وهو أصلاً من الإسماعيلية؛ فكان للإخوان دور في بناء السدّ كمهندسين. وهذا يرد على هؤلاء السخفاء الذين كانوا يقولون في الإعلام المصري بأن الإخوان يريدون أن يقتلوا عبد الوهاب وأم كلثوم، ويريدون أن يهدموا السدّ العالي وغيره من هذه الأكاذيب، حيث إنهم من المؤسسين لهذا العمل. أذكر من الذين عملوا في السدّ العالي مجموعة منهم، وقد عملت معهم سنة 1966 في سدّ خالد

بن الوليد في الأردن في تحويل نهر اليرموك، أذكر منهم المهندس عبد الرؤوف شبايك من كبار المهندسين في المقاولين العرب وكان من الإخوان المسلمين.

باختصار نستطيع أن نقيّم مرحلة عبد الناصر بأنها مرحلة نهوض عربي، ولكنها لم تقم على أساس التفاهم الداخلي بين القوى المختلفة القومية والإسلامية، وهذا هو شأن التاريخ، ولكن الوضع الآن أفضل لأنه يوجد تفاهم على قواعد مشتركة بين القوميين، وبين الإسلاميين، وبين الإخوان، وحتى بين الناصريين في القضايا المهمة الأساسية التي تتصل بالأمة؛ من حيث التهديد الصهيوني والأمريكي، والوقوف مع فلسطين، كل فلسطين، والوقوف مع الوحدة العربية، وحدة الأمة. عبد الناصر في الفترة التي عرض على الإخوان المشاركة في الحكومة، لم يعرض المشاركة على أسس موضوعية، وإنما عرض سنة 1953 على سيد قطب وآخرين أن ينضموا له، وكان الأصل أن يتوجه إلى الإخوان المسلمين، فقد بدأت التوترات في ذلك الوقت، ولم يرد أن يتوجه إلى حركة الإخوان، وأن يعطيها اعتباراً، فتوجه فردياً إلى بعض الأشخاص. وهناك أنظمة كثيرة تحاول أحياناً أن تصطاد بعض العناصر. يومها استأذن سيد قطب الهضيبي وشاوره، واعتذر سيد أن يكون وزيراً للتربية والتعليم سنة 1953، قبل أن تبدأ الأزمة بين الإخوان وبين عبد الناصر.

أذكر في سنة 1960 أنني زرت الإسكندرية وسألت عن عنوان خطاب السيد خطاب (الذي ذكرته سابقاً) وكان محكوماً عليه بالإعدام، ثم اختفى في مصر فترة الخمسينيات، وصدر عفو عن الإخوان، وظهر خطاب وفتح محلاً في الإسكندرية لبيع الأثاث المستعمل، وصلت إليه أنا وأخ اسمه صلاح، ونزلنا عنده ضيوفاً فترة ثلاثة أيام، وكان يصلي بنا الفجر في مسجد في منطقة اسمها الإبراهيمية في الإسكندرية، وهذا الرجل، كما ذكرت عنه، من النماذج الحية من الإخوان المسلمين، وعندما ودعناه سنة 1960 وتخرجت في تموز/ يوليو سنة 1961 وغادرت مصر إلى الأردن، لم أره مرة أخرى.

في تقييم الوضع المصري الذي تحدثت عنه سابقاً كتب كثير من المؤلفين عن الثورة المصرية، ومن الكتب التي قرأتها كتاب "مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون" لأحد زعماء الحزب الشيوعي اسمه أنور عبد الملك، هذا الكتاب كُتِبَ في الخمسينيات، وتعرض

لقضايا مختلفة من منطلق ماركسي وليس إسلامي. وأذكر أنه ذكر في هذا الكتاب أن البعد الإسلامي (حتى بعد ضرب الإخوان) ظهر في بعض الكتابات مثال ذلك كتاب مصطفى السباعي، مراقب عام الإخوان المسلمين في سورية، (اشتراكية الإسلام) حيث تمّ طبعه طبعة شعبية في حكومة مصر، ويقول عبد الملك بأن هذا الكتاب من أكثر الكتب انتشاراً في مصر، وطبعاً كانت حكومة الثورة تريد أن تتقرب إلى الإسلام بمعنى أن الإسلام فيه بعد اشتراكي. والحقيقة إن الإسلام فيه بعد اشتراكي، وأنا قرأت كتاب السباعي، وهو كتاب جيد وثمين، والنظام الاقتصادي في الإسلام فيه بعد مهم جداً للمحافظة على الأموال العامة، وأذكر الحديث النبوي الشريف "إن الناس شركاء في ثلاثة الكلأ والماء والنار". وهذا يقودنا إلى موضوع التأميم، وأنا ممن أرى أن النظام الاقتصادي الإسلامي نظام متكامل، وأهم الأمور التي ركز عليها الإخوان في انطلاقتهم الأولى؛ تأمين العدالة الاجتماعية، وهو الكتاب الذي كتبه سيد قطب؛ لأنه إذا لم يكن المجتمع مستقراً من ناحية اقتصادية واجتماعية لا يمكن أن يتقدم إلى الأمام، ولا يجوز أن فئة واحدة، كما يحصل في المجتمع الحاضر، من الأثرياء والمتنفذين والمافيا يهيمنون على المجتمع كله، بينما توجد قطاعات كبيرة من الشعب لا تكاد تحصِّل لقمة العيش. إن هذا يؤدي إلى خلل في المجتمع؛ والمجتمع الإسلامي في التاريخ كله كان مجتمعاً متوازناً وقوياً، ووجدنا كيف أن هذا المجتمع المتوازن فتح العالم في فترة قصيرة جداً، ووصل إلى الهند والصين والأندلس. نعود إلى الموضوع، حتى الاشتراكية التي اقتبستها الثورة المصرية لم تحسن تطبيقها، ولم تفهم، ولم تراعِ الأمور الأخرى في الإنسان التي كان يجب أن تُؤخذ بالاعتبار، ليس فقط البعد الاقتصادي أو البعد الأمني أو البعد السياسي؛ حيث يجب أن تؤخذ كلها معاً حتى يكون المجتمع متوازناً.

أنشطة أخرى:

أريد أن أتحدث عن بعض **النشاط الأدبي** الذي كنت أحبه، عندما ذهبت إلى مصر سنة 1955 أذكر جيداً أنني شاركت في تأبين الشاعر إبراهيم ناجي، وهو طبيب وشاعر مصري متقدم جداً، وكنا نقرأ نصوصاً أدبية له في اللغة العربية في التوجيهي، توفي في ذلك الوقت، وحضرت حفل تأبينه. وأذكر أنني حضرت عدة محاضرات، سواء في قاعة

يورث في الجامعة الأمريكية أم في قاعة الشبان المسلمين في القاهرة. وفي قاعة الشبان المسلمين حضرت محاضرات لطه حسين وبنت الشاطئ والأدباء المصريين العروبيين منهم والإسلاميين (وجمعية الشبان المسلمين على أبوابها تمّ اغتيال الشهيد حسن البنا رحمه الله في شباط/ فبراير 1949)، هذا الجو تمتعت به في فترة التوجيهي، ولكن عندما بدأت دراسة الهندسة تبخر الشعر، وحلّت محله الرياضيات والهندسة...إلخ.

أما بالنسبة للأحداث الأخرى في الجامعة، فقد رافقني طالب مصري نسيت اسمه، وكان دائماً يتصل بي، شككت به ولكني غلّبت حسن النية، وفي يوم من الأيام، عندما وثق بي ربما، قال لي بأنه من هيئة التحرير المصرية، وإننا نسهم باعتقال كل من يذهب إلى صلاة الفجر في تلك الفترة لأنهم من الإخوان المسلمين، لم أعقّب عليه بكلمة واحدة، وكنت حريصاً في حواراتي معه بأن لا أتحدث خارج ما تكتبه جريدة الأهرام حيث كنت أقرؤها يومياً، وهكذا مرت فترة طويلة حتى اطمأن لي، وحتى التعابير الإسلامية مثل السلام عليكم والأخ فلان لم نكن نستعملها بتاتاً، ولم يكن هناك لحىً، كنا حليقي الذقون. وبغير ذلك لم نكن نضمن أن نستمر في الدراسة، إذا عرف أننا نميل إلى جماعة الإخوان المسلمين؛ لأنها كانت مطاردة بمنتهى الشدة في ذلك الوقت.

في سنة 1957 كنت أسكن أنا وأخي الأصغر ومعنا أسامة وعيسى في بيت واحد، وفي الساعة الواحدة والنصف فجراً وجدنا رجالاً يقفون فوق رؤوسنا ونحن نيام ويقولون لنا قوموا، أيقظونا من النوم وأوقفونا على الحائط في الشقة وقالوا لنا ارفعوا أيديكم، وفتشوا الشقة كلها تماماً، وكان معهم ضابط مسؤول ولكن كانوا يلبسون الملابس المدنية، وجاء من فتش الشقة وقال للضابط لا يوجد أحد، فربّت الضابط على كتفي وقال "أنتم طلبة طيبون خلاص ارجعوا ناموا وادرسوا وذاكروا"، ثم غادروا الشقة. علمنا بعد ذلك أن بعض شباب الإخوان قد فروا من سجن ليمان طرة، فالمعادي قريبة على ليمان طرة، وعلموا بأننا في هذه الشقة نتعاطف مع الإخوان، فكانوا يبحثون عن الإخوة الذين فروا من هذا السجن. وبعد فترة حصلت مجزرة في ليمان طرة عندما هاجمت الشرطة المصرية المساجين، ومعظمهم من طلبة وأساتذة الجامعات، ومنهم شخصيات معتبرة في المجتمع المصري فاستشهد منهم حوالي 25 شخصاً بإطلاق الرصاص عليهم،

وقصتهم معروفة، وقد علمنا بها وتأثرنا بها. وفي يوم من الأيام طلب مني شخص أعرفه جيداً أن أنقل هذه الأسماء إلى الأردن، وفعلاً بطريقة معينة أخذت هذه الأسماء، وفي إجازة الصيف لما عدت إلى الأردن سلمتها إلى الأخ يوسف العظم؛ حيث نشرها في مجلة الكفاح الإسلامي، وكان ذلك سبقاً صحفياً عندما نشر أسماء الـ 25 شهيداً، الذين استشهدوا في هذه المجزرة في ليمان طرة.

أحب أن أذكر أن الإخوة الذين كانوا معي في كلية الهندسة في المراحل الأخيرة هم الإخوة أسامة وأحمد الآغا من قطاع غزة، وأحمد منقارة لبناني، وأمين شاهين مصري. بعد ذلك علمت بأن أمين شاهين اعتقل وتوفي في السجن، ومجموعتنا هذه تخرجت معاً سنة 1961 من كلية الهندسة جامعة القاهرة.

الفصل الرابع

عقد الستينيات

العمل في قناة الغور الشمالية:

نتحدث عن عقد الستينيات حيث **عودتي من مصر إلى الأردن**، عدت إلى القدس، وبدأت البحث لإيجاد عمل مناسب فقد تخرجت مهندساً تخصص مدني وإنشاءات، حاولت أن أعمل في القدس ولكن لم أستطع، حاولت أن أعمل في عمّان وأيضاً لم أستطع. قيل لي هناك **عمل في مشروع قناة الغور الشرقية**، وهو مشروع جديد يأخذ مياهه من نهر اليرموك ويتجه جنوباً ويسقي الأغوار حتى مناطق دير علا في ذلك الوقت. قدمت طلباً إلى سلطة قناة الغور الشرقية في عمّان، وقابلت مدير عام السلطة المهندس سويلم حداد، قال لي يا بني إذا أردت أن تعمل فلا يوجد عمل في عمّان، ولكن يوجد عمل في الغور قريباً من الشونة الشمالية، وكنا وقتها في شهر آب/ أغسطس، وأضاف إذا قررت العمل فاليوم هو الخميس، فلتحضر يوم السبت، وتحضر معك فراشك، وأنا سأرسلك في سيارة إلى هناك. رجعت إلى القدس وقابلت عائلتي وتشاورت معهم، وصليت الجمعة، ثم استخرت، ووجدت أن هذا العمل هو المتوفر لي، فوافقت. صحيح أنه شاقّ ومن الصعوبة أن يأتي إنسان من القاهرة عاصمة العروبة كلها، ثم يذهب إلى منطقة الأغوار في الشونة الشمالية. ذهبت إلى سويلم حداد يوم السبت، وكان هناك خطوط سيارات مباشرة بين عمّان والقدس وبعضها، مثل شركة البتراء وشركة الرشيد، خلال ساعة تكون في عمّان من القدس أو في القدس من عمّان، هذه فكرة عن العلاقة الحميمة ما بين القدس وعمّان في ذلك الوقت. أمر سويلم حداد بنقلي في سيارة لاند روفر، وتوجهت بها نزولاً عبر العارضة حتى وصلت إلى منطقة قريبة من الشونة الشمالية تسمى المنشية، قابلت المدير المسؤول هناك، الذي حدد لي الإقامة في غرفة طينية، في شهر آب/ أغسطس، حيث لا يوجد في ذلك الوقت ثلاجات ولا مراوح، وقال لي هذه غرفتك أنت مهندس ميدان، وهكذا مكثت في العمل في هذا المشروع عاماً كاملاً تقريباً. في هذا العام كانت بداية خبرتي العملية، كنا نقوم بإنشاء العبّارات والجسور والمناهل من الباطون المسلح، أي أني كنت في قسم الإنشاءات، ومن المعروف أن كلية الهندسة في جامعة القاهرة متقدمة جداً في علم الإنشاءات وفي الخرسانة المسلحة. والحمد لله برزت في عملي هذا، وأثبت جدارة كبيرة في العمل.

الشركة المشرفة على هذا المشروع شركة أمريكية اسمها "بيكر وهرزا"، أما عن طبيعة العمل، فكان هناك مهندسون متخرجون من دول أوروبية وعربية وأمريكية، ولكن كانوا من العناصر المتحررة، وكان ثمة كادر من الفنيين من النجارين والحدادين والمسّاحين فارتحت إلى العلاقة معهم أكثر، مع أن قليلاً منهم من كان يصلي، كانوا يرونني وأنا أصلي وأقوم بعملي بجد. وعلمت أنهم أحياناً يخرجون في أمور غير صحيحة، فقلت أفضل طريقة لكي أصرفهم عن هذا التوجه بأن أنشئ لهم نادياً رياضياً، وأخذت منهم تبرعات، وألفنا فرقة لكرة القدم، وكنا نتبارى مع المدارس الموجودة في الغور. ولكن في الليل كانوا يفلتون، فقلت أريد أن أعلمهم شيئاً آخر، فأحضرت لهم الشطرنج وعلمتهم كيف يلعبونها، وأحضرت لهم الدومينو وقلت لهم من يلعب يدفع قرشاً للنادي، وشكلت فريقاً لكرة الطائرة وازداد هؤلاء العمال التصاقاً بي، وكنت أؤثر فيهم بالقدوة وليس بالكلام الكثير.

وفي يوم من الأيام كان هناك رئيس المهندسين الإنشائيين، وهو شخص أمريكي من أصل ياباني اسمه شمزاكي، كان فيه "عجرفة" الأمريكان و"خبث" اليابانيين، وكنت أرى هذا الشخص وهو يتحكم بكل المهندسين العرب ويحتقرهم، فكيف ستكون علاقته مع شخص قد تربى على دعوة الله واعتز بدينه ووطنه وأمته! في يوم من الأيام كنت على وشك أن أصب جسراً على القناة، فجاء هذا المهندس شمزاكي ونظر إلى الجسر وخرج بملاحظة لا قيمة لها، وقال "هذا غلط فكوا الطوبار"، فقلت له هذا ليس خطأ؛ بل هو حسب المخطط وليس به أي شيء، فقال فكوا الطوبار، فلم أستجب لطلبه، فتوجه إلى النجارين وقال فكوا الطوبار، فقالوا له لن ننفذ أوامرك أنت، هذا هو معلمنا، وكان هو رئيس المهندسين جميعاً فغضب غضباً شديداً وقال لي أنت، عليك أن تذهب إلى البيت، فقلت له اذهب أنت إلى الجحيم، لن أذهب إلى البيت. هذا كان حال أبو عمر سنة 1961 في أول سنة بعد تخرجه، فذهب غاضباً، وعندما تركت الجسر وعدت إلى المعسكر كان قد أصدر أمراً بتوقيفي عن العمل، ومَنْع أي شخص أن يوصلني بالسيارة إلى إربد لأن المنطقة كانت مقطوعة وقتها ولا يوجد مواصلات عامة. أحد السائقين وكان مسيحياً قال لي يا معلمي أنا أوصلك إلى إربد، وفعلاً أوصلني إلى إربد، وهذا السائق للأسف بعد عودته أوقفه عن العمل أيضاً، وكان يُرهب الجميع. العمال صبوا الجسر بعد ذلك،

فذهبت إلى المدير سويلم حداد، وكانت الأخبار قد وصلته، فقال لي أنا أنصحك أن تقدم استقالتك، وأنا سأدلك على مكان آخر للعمل، فقلت له أنا لن أترك العمل، وهكذا صارت هناك أزمة، قال راجعني بعد فترة، فذهبت إلى القدس وعدت مرة أخرى إلى عمّان، فقال لي القضية ليست عندي اذهب إلى المسؤول الأكبر، وهو سيمنسكي، فذهبت إليه لأقابله وهو رئيس سلطة قناة الغور كلها، وهو يحمل الجنسية البريطانية، وأصله من الروس البيض الذين كانوا مع القيصر ضدّ الثورة الشيوعية، وكان خبيراً في الري. قابلته، فقال لي عندما جاء شمزاكي وقال هذا خطأ لماذا قام الفريق الذي يعمل معك بصبّ الجسر؟ فقلت له في الحقيقة لعل اللوم يقع عليّ لأنني لم أقل للعمال لا تصبوا الجسر، لأنه عندما حصلت المناوشات بيني وبين شمزاكي نسيت أن أقول لهم لا تصبوا الجسر. فقال لي لأنك صادق أنا سأعين لجنة تحقيق في القضية، وتمّ تشكيل لجنة تحقيق، وكان التوجه في هذه اللجنة بوضع اللوم على شمزاكي الأمريكي، فسمع بذلك المهندسون والفنيون الأمريكان الذين يعملون في مكاتب الشركة في عمّان، فهددوا بأنه إذا أخذ قرار من المحكمة لإدانة شمزاكي، وإنصاف إبراهيم، فإنهم سيتركون العمل، فأخذت القضية بعداً سياسياً. مهندس أردني يتحدى مهندساً أمريكياً مسؤولاً عنه. وبهذه المناسبة أصدر الحزب الشيوعي بياناً ووزعه في الأردن، وكان محظوراً، وقال البيان إن هناك مهندساً أردنياً وذكر الاسم قد تحدى رئيس المهندسين الأمريكي في قناة الغور الشرقية، ولم يسمح له بإهانة أي أردني، وأصبحت قصة طويلة. فجاءت اللجنة، وكان رئيسها عبد الله عرعر، فقال لي يا أخ إبراهيم هل لديك أي مانع بأن أنقلك إلى قسم آخر عندي في قسم إصلاح الأراضي بدل قسم الإنشاءات، فكرت قليلاً، ووافقت وكانت القصة قد مرّ عليها أكثر من شهرين. وللإنصاف فإن سيمنسكي قال لهم ادفعوا لإبراهيم راتبه كاملاً خلال هذه الفترة حتى يصدر قرار، وصدر القرار بنقلي إلى قسم استصلاح الأراضي.

في أواخر 1962 كان هناك حفل لتكريمي لأنني قررت الذهاب إلى الكويت، في تلك الحفلة كان هناك عدد من المهندسين وجاء منهم شمزاكي وقد طلبت صحن السلطة وكان قريباً منه فقام هو وقدمه لي، فاعتبرت ذلك نوعاً من الاعتذار منه، ونوعاً من معرفة الإنسان أنه إذا كان واثقاً من نفسه، وكان على الحقّ فلا يخشى شيئاً أبداً، وبعد ذلك سافرت إلى الكويت، بعد استقالتي استقالة عادية، حيث استفدت في مجال الخبرة الإنشائية.

وفي هذه السنة **فقدت والدي المرحوم داود شحادة غوشة**، وقد اتصل بي صديقي العزيز الدكتور صبحي غوشة وقال لي تعال إلى القدس، والدك تعبان، وكنت وقتها في الشونة الشمالية، فذهبت إلى القدس وكان والدي قد أسلم الروح وتوفي، فتأثرت كثيراً ودفناه في مقبرة باب الساهرة في القدس، وبالمناسبة والدي مدفون في القدس، ووالدتي مدفونة في سحاب في عمّان.

انفصال سورية عن مصر:

في أواخر سنة 1961 حدث هناك حادث مهم جداً، ونريد أن نتناوله باختصار وهو **انفصال سورية عن مصر في 28/9/1961**، ما هي خلفيات هذا الحادث؟ وكيف تعاملت معه القوى السياسية المختلفة؟ أما خلفية هذا الحادث فهي أن الوحدة التي تمت بين مصر وسورية في شباط/ فبراير 1958، والتي رحبت بها الأمة العربية في ذلك الوقت جميعها، للأسف لم تُبنَ على أسس سليمة، وقد ذكرت سابقاً بأننا كإخوان مسلمين كنا مع الوحدة، وكنا نقول بأننا نفضل بأن تكون الوحدة على أسس إسلامية. حدثت بعض الاستفزازات الإقليمية بين بعض المصريين "المتفرعنين" وبين بعض السوريين الذين ثاروا بسبب الهيمنة المصرية على سورية على مستويات مختلفة وعلى مستوى الجيش، حصلت هناك احتكاكات، وحصل هناك نقل لعدد من الضباط من سورية إلى مصر حتى لا يصبح لهم تأثير. وأيضاً بعد ذلك تمّ توجيه ضربة إلى حزب البعث السوري، مع العلم أن حزب البعث كان من القوى الأساسية في إنجاح الوحدة. وأُرْسِلَ عبد الحكيم عامر ليكون مسؤولاً عن سورية، ساسها بأسلوب سيء، ووضع عبد الحميد السراج مسؤولاً عن الأمن الداخلي، وكان شديداً أيضاً، وهكذا تفاعلت عوامل الغضب الداخلي، واستغل هذه الحالة مجموعة انفصالية داخل الجيش السوري، وداخل السياسيين السوريين سواء كان مأمون الكزبري أم حيدر الكزبري، فهذان كان لهما دور في هذا الانفصال. تمّ تحريك الجيش السوري وتمّت الهيمنة على كل مراكز القوة في سورية وفي 28 أيلول/ سبتمبر تمّ إعلان انفصال سورية عن مصر.

ومن تباين المواقف، أن قادة حزب البعث الوحدويون، الذين كان شعارهم "وحدة حرية اشتراكية"، كان بعض قادتهم ممن يؤيد الانفصال ومنهم ميشيل عفلق وصلاح

البيطار، بينما الإخوان المسلمون الذين وقع عليهم الضغط في زمن الوحدة، فقد رفضوا الانفصال وكانوا متمسكين بالوحدة. وهذه كانت أول انتكاسة كبيرة لعبد الناصر قبل عام الانتكاسة الكبيرة سنة 1967. حاولت بعد ذلك بعض القوى أن تقوم بانقلابات في سورية لإعادة الوحدة فلم تنجح وفي 8/3/1963 قام انقلاب حزب البعث، وسيطر على الحكم، وعندما تمّ الانقلاب كان هناك تحالف بعثي ناصري قومي، ولكن استطاع البعثيون بعد ذلك الهيمنة على الجيش، واستطاعوا أن يخرجوا الناصريين والقوميين من المعادلة، وهكذا أصبحت سورية تحت سيطرة البعثيين منذ 8/3/1963.

وفي فترة الانفصال أذكر جيداً بروز الإخوان المسلمين في سورية، وأنه كان لهم نواب في البرلمان السوري، وكان لهم وزراء مثل نبيل الطويل الذي كان وزيراً للتموين؛ وكان زعيمهم في ذلك الوقت عصام العطار، ولكن لوحظ أنه بينما كانت الجرائد تتحدث عن خطب عصام العطار بعد صلاة الجمعة في الجامعة السورية، ويحضرها عشرات الآلاف من السوريين، (وكنت أتابع هذه النشاطات قبل الانفصال من خلال جريدة الحياة اللبنانية) كان البعثيون يعملون بصمت وهدوء فيُدْخِلُون شبابهم في الكليات الحربية، ويُعدّون أنفسهم. وهكذا بعد سنتين تقريباً استطاع البعثيون أن يصلوا إلى الحكم والجيش، بينما كان الإخوان يتعاملون مع الشعارات والعواطف دون أن يبنوا بناء قوياً داخل الجيش السوري. طبعاً بعد انقلاب البعثيين تعرض الإخوان في سورية إلى الاضطهاد مما اضطر عصام العطار إلى أن يغادر دمشق. وفي سنة 1963 جاء إلى الكويت، وكنت قد انتقلت إليها وزرناه في الفندق وجلسنا معه، كان متأثراً؛ حيث خرج إلى لبنان فلم يسمحوا له بالبقاء فيها، فجاء إلى الكويت. علمنا منه أنه لا يرغب بقبول أي لجوء سياسي من السعودية، لأن كل من لجأ إلى السعودية تجمد نشاطه في جماعة الإخوان المسلمين من البلاد العربية وخاصة من مصر. فانتقل بعد ذلك إلى أوروبا وما زال في أوروبا، وقد وجه له البعثيون ضربة قوية؛ حيث اغتالوا زوجته ابنة الشيخ علي الطنطاوي. وأذكر عندما زرت عصام العطار أنا وبعض الإخوة، بعد أن أنشئ تنظيم الإخوان المسلمين للبلاد العربية، بعد ضربة مصر، حيث أصبحت القيادة للمكتب التنفيذي للبلاد العربية وليس للقيادة المصرية؛ أنه أشاد بتنظيم الإخوان المسلمين الفلسطينيين الذي تحدثت عنه سابقاً، وكيف تمّ تأسيسه سنة 1960، وأشاد بانضباطه وبوعيه.

العمل في بلدية الكويت:

أعود إلى انتقالي من الأردن إلى الكويت، **عملت في بلدية الكويت في شهر آب / أغسطس 1962 إلى شهر آب/ أغسطس 1966**، أربع سنوات كاملة، هناك عندما سافرت إلى الكويت لم يكن الجو غريباً، الإخوة الذين تعاملت معهم في القاهرة قابلتهم في الكويت، ومنهم الإخوة حسن عبد الحميد وعمر أبو جبارة ومحمد صيام وآخرون، هؤلاء الإخوة هم من تنظيم الإخوان الفلسطينيين، وأنا من تنظيم الإخوان الأردنيين الذين يعملون في الخارج، وتعاونا معاً في الكويت كما كنا نتعاون معاً في مصر دون تنظيم رسمي، وكانت هذه الفترة هي فترة بناء الذات، كانت الهجمة شرسة على الإخوان المسلمين في مصر وخارج مصر، كنا نركز على بناء الأسر والتوعية والتثقيف، وكنا نخرج رحلات معاً، ونقوم بعمل ندوات داخلية، وكنا في مرحلة غير معلنة، حتى في الكويت كان لنا اتصال مع بعض الإخوة الكويتيين، وعلى رأسهم عبد الله المطوع الذي فتح بيته لكل إسلامي في الكويت سواء كان عربياً أم غير عربي، وأنفق على الجميع.

ومن النشاطات التي قمنا بها بالتعاون مع قوى أخرى **إصدار نشرة داخلية** في الكويت، شاركت فيها مع الإخوة العراقيين والإخوة السوريين، وكان من الإخوان العراقيين الأخ عبد الله العقيل وهو من الزبير، ومن الإخوان السوريين الأخ مصطفى الطحان، وكانت هذه النشرة توزع على الإخوان وكانت تغطي النشاطات الإعلامية. وكنا نخرج مع الإخوان الأردنيين والفلسطينيين كل جمعة إلى مكان توجد فيه عبّارة قديمة على البحر، نأخذ عائلاتنا معنا، نسبح ونتناول الطعام ونلعب كرة القدم ونصطاد السمك، وكانت الجلسة أخوية جميلة جداً ونتناول فيها القضايا الأساسية والسياسية. وأذكر عندما وقع الانقلاب في آذار/ مارس في سورية قال الأخ أبو عبد الرحمن بصورة فكاهية أيها الإخوة لا تنزعجوا كثيراً، فإن القادة الذين قاموا بالانقلاب لن يستمروا، وهؤلاء القادة كان أحدهم اسمه الحريري والآخر الصوفي وآخر القطيني، فقال أما الحريري فسيذهب في الصيف، وأما القطيني فسيذهب في الربيع، وأما الصوفي فسيذهب في الشتاء. فضحكنا كثيراً وفعلاً هؤلاء أطاح بهم الآخرون من قادة حزب البعث. وعندما حصلت الحوارات بين حزب البعث في سورية وحزب البعث في العراق والناصريين في مصر

(المحادثات الثلاثية) شعرنا بأن الضربة ستكون قاصمة للإخوان المسلمين لو أن هؤلاء الثلاثة اتفقوا فعلاً، ولكن لم يستطيعوا أن يتفقوا. وبعد ذلك شنّ النظام المصري هجوماً كاسحاً على البعثيين في سورية والعراق، ثم تقارب البعثيون في سورية والبعثيون في العراق، ثم بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم. هذا اختصار للتطورات التاريخية بعد الانفصال.

حول إنشاء منظمة التحرير والعلاقة مع فتح:

أعود إلى العمل في داخل الكويت، من الأشياء المهمة التي حدثت في الكويت في هذه المرحلة أن تنظيمنا كان قوياً ومتيناً، وأذكر محطتين مهمتين، المحطة الأولى **تأسيس منظمة التحرير سنة 1964**، جاء الشقيري إلى الكويت وألقى خطاباً في ملعب مدرسة الشويخ، واستمعنا له، وتحدث عن فلسطين وكانت منطلقاته سليمة، كان يتحدث عن فلسطين كل فلسطين، فلم تكن قد سقطت الضفة الغربية وقطاع غزة في ذلك الوقت، وكان الجميع يتحدث عن فلسطين التي احتلت سنة 1948، وألقى خطاباً قوياً، وذكر خيري أبو الجبين ممثل المنظمة في الكويت، وقال له أتذكر عندما ألقيت خطاباً في يافا قبل حرب 1948. وكانت الأجواء في الكويت متحمسة لما يسمى الكيان الفلسطيني الذي برز سنة 1964، ولا شكّ بأن عبد الناصر هو الذي أطلق هذه المبادرة خلال مؤتمر القمة العربي الأول، وخلفية ذلك أنه في سنة 1963 قبل أن يحصل الانقلاب على عبد الكريم قاسم وقف عبد الكريم قاسم وقال إن لدي خطة لتحرير فلسطين، وهي موجودة في وزارة الدفاع، فبعض الناس قالوا لعبد الناصر إن للعراق خطة فما هي خطتك يا جمال عبد الناصر، فقال ليس لي خطة. ويبدو أنه كان في باله أن ينشئ منظمة التحرير، وأن يجعل الفلسطينيين هم من يتحملون القضية، ويخلي طرف الدول العربية من هذه القضية، وهذا ما كان بتشكيل منظمة التحرير.

ومنظمة التحرير عندما نشأت نشأت على أسس قومية، وليس على أسس إسلامية، والميثاق الوطني الفلسطيني ميثاق قومي وليس إسلامياً، نحن نحترم المنطلقات الأساسية فيه، وهي التمسك بكل فلسطين، والاعتماد على الكفاح المسلح. ولكن من الناحية الفكرية كان الإسلام مستبعداً، وهذا ليس غريباً، كان هناك هجمة شرسة على الإسلاميين، وكانوا يهاجمون الحلف المركزي ويتهمونه بأنه إسلامي، لأن تركيا

وباكستان كانتا فيه، فكان هناك حملة على الإسلاميين في ذلك الوقت. بعد ذلك حصلت في الكويت دعاية نشطة للمشاركة في انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني ومقابلة الشقيري، وتمّ الاتفاق على أن كل وزارة أو كل دائرة كبيرة تنتخب من يمثلها، واجتمعنا نحن الإخوان، وهذا يدلّ على أننا لم نكن ضدّ منظمة التحرير، والمجموعة الأساسية من الإخوان المسلمين الأردنيين والفلسطينيين لم يكونوا ضدّ منظمة التحرير. والدليل على ذلك أننا أفرزنا مرشحين للمشاركة في الانتخابات؛ فقد أفرزنا اثنين في بلدية الكويت وثلاثة في وزارة الاتصالات وفي الأشغال وغيرها، وممن تمّ ترشيحهم في البلدية حسين الثوابتة (أبو عودة) وأنا، وفي الاتصالات كان الأخ موسى نصار (أبو يوسف) وحسن المدهون ويوسف ناجي. وأذكر أنه في البلدية حصل تحالف بيننا وبين حركة فتح، وقد كانت فتح حركة سرية سنة 1964 مثل حركة الإخوان المسلمين، وكان يوجد في البلدية خالد الحسن فأقمنا معه تحالفاً، الأخ إبراهيم غوشة وحسين الثوابتة وخالد الحسن، وقد كان التيار في ذلك الوقت قومياً؛ فأذكر أنني وخالد الحسن حصل كل منا على 40 صوتاً، بينما نجح أخ زميل لي اسمه خليل عيسى عوض وحصل على 180 صوتاً من القوميين العرب، وكان هو الممثل، ومن الدوائر الثانية لم ينجح أحد، لكن نزلنا هذه المعركة على أساس أننا قبلنا بأن تكون منظمة التحرير هي البيت للكيان الفلسطيني.

هاني بسيسو:

أذكر عندما طلب مني الأخ حسن عبد الحميد، وهو مسؤول التنظيم الفلسطيني في ذلك الوقت بأن أحمل رسالة إلى الأخ هاني بسيسو في الزبير في العراق. ذهبنا في رحلة إلى هناك، وكان معي الأخ أحمد الآغا وحسن المدهون والأخ عرفات العشي وآخرون سنة 1963، ذهبنا إلى العراق وزرنا الأخ هاني بسيسو ومعه الأخ إبراهيم عاشور، وكان يعمل مدرِّساً في مدرسة اسمها مدرسة النجاة كان هو مديرها وكانت مدرسة خاصة، وكان هاني بسيسو معروفاً في العراق، وقد اعتقله عبد الكريم قاسم فترة، وكان يحمل في ذلك الوقت شهادة الماجستير في الحقوق، هذا الرجل تأثرت به كثيراً حيث كان ملتزماً بالإخوان، وكان متقشفاً زاهداً وكان رجلاً منتظماً من الطراز الأول، وقد أرسله الإخوان في مصر إلى العراق لمساعدة الإخوان العراقيين قبل ضربة 1954؛ فذهب إلى

العراق وأسس المدرسة. نقلت له رسالة خاصة بيني وبينه، وقلت له بأن الإخوان في الكويت والأخ حسن عبد الحميد أبو المنذر يقترحون عليك أن تنتقل إلى القاهرة؛ بحيث تكون مراقباً عاماً للإخوان المسلمين الفلسطينيين، والعمل في سرية كما هو معلوم، وتقيم في مصر وتشرف على الطلبة الإخوان الموجودين في مصر، فأبدى اهتماماً بهذا الموضوع. وبعد ذلك علمت بأنه توجه إلى القاهرة ولم يكد يستقر فيها حتى حدثت أحداث 1965، التي استهدف بها ما يعرف بتنظيم سيد قطب وتوفي الأخ بسيسو رحمة الله عليه في السجن، وهو أول مراقب عام للإخوان الفلسطينيين. في هذه الزيارة تعرفت على أخ عزيز كريم اسمه إبراهيم عاشور، أخ منضبط، وهو أخ فلسطيني من قطاع غزة، أخذنا في رحلة إلى البصرة، وزرنا بعض الإخوان في البصرة، وكان هناك مركز للإخوان في البصرة، كانت الحركة سرية وكان لهم نفوذ في بعض المناطق، وزرناهم وعملوا لنا سمك مسقوف، وتعرفنا هناك على شيخ متخصص في الإرث، وعندما تناقشنا معه في موضوع الإرث، أذكر أنني ناقشته شخصياً في هذا الموضوع فقال لي بأن لك مزية ممتازة ليتك تخصصت في هذا الموضوع، وكان شيخاً كبيراً. عدنا إلى الكويت بعد زيارة دامت أربعة أيام إلى الزبير.

الحدث التالي في الكويت أيضاً، في سنة 1964 تقريباً، كما ذكرت، أن حركة فتح كانت حركة سرية لم تطلق رصاصتها الأولى بعد، وكانت هناك حملة شرسة على حركة فتح، حصلت هناك بعض الاعتقالات بعد ذلك في قطاع غزة وفي الأردن للفتحاويين، كان هؤلاء لهم بعض المراكز والمواقع في سورية، وكان الناصريون يشنون حملة مركزة على حركة فتح، ويتهمونها بأنها امتداد للنظام الخاص الذي أنشأه الإخوان المسلمون في مصر، وأنها امتداد للحلف الإسلامي، في ظلّ هذه الأجواء جاءت إلى الكويت شخصية سياسية دبلوماسية إسلامية كان لها علاقة وطيدة بالإخوان هي الأستاذ كامل الشريف ومعه مرافقه وهو رمضان البنا، حيث حمل الشريف لنا رسالة، وكان يقيم في المقر الأميري في ذلك الوقت، ذهبنا أنا وحسن عبد الحميد ومحمد صيام وعمر أبو جبارة وقابلنا الأستاذ الشريف. وقال لنا إن **حركة فتح تعرض عليكم أن ينضمّ تنظيم الإخوان الفلسطينيين إلى حركة فتح** لتقوى هذه الحركة، وتستطيع أن تقف أمام الضغوطات (التي أشرت إليها من القوى المختلفة) وهم مستعدون أن يعرضوا عليكم مواقع متقدمة

في حركة فتح. وكانت هذه الرسالة التي حملها كامل الشريف مرسلة من ياسر عرفات. قلنا له دعنا ندرس هذا الموضوع ونجيبك ثاني يوم. جلسنا مع بعضنا البعض وتناقشنا في الموضوع واتفقنا على بعض الأمور التي نشترطها للانخراط في هذه الحركة، وأهم هذه الشروط أن تلتزم حركة فتح بالإسلام، إذا التزمت حركة فتح بالإسلام فنحن مستعدون أن ننخرط فيها، واشترطنا بعض الأمور الأخرى، أقل أهمية، فقيل لنا انتظروا جواباً، بعد يومين أو ثلاثة كان الجواب برفض هذا الشرط. وهكذا تمّ إجهاض أهم محاولة لدمج التيار الإسلامي في داخل تيار فتح سنة 1964.

التطورات الأخرى في العلاقة بيننا وبين فتح لم تتصاعد إلا في المراحل الأخيرة، وعندما أطلقت فتح الرصاصة الأولى شجعنا هذا التوجه، بينما كان محمد حسنين هيكل يصبّ جام غضبه على حركة فتح، على اعتبار أن هذه الحركة تريد أن تورط عبد الناصر في معركة ليس الزمان والمكان مناسبين لعبد الناصر لخوضها. في هذه الفترة احتضن النظام السوري البعثي حركة فتح، وتمّ إنشاء قواعد لفتح في سورية، قواعد تنظيمية وعسكرية وسياسية، وبدأت الحركة تقوى شيئاً فشيئاً، وكان في ذلك الوقت، كما ذكرت في تحليلي السياسي، فشل مفاوضات نظام البعث والناصريين. فاحتضن النظام الناصري الشقيري، أما النظام البعثي احتضن فتح، وبقيت هذه العلاقة متوترة بين النظام الناصري وبين حزب البعث إلى فترة طويلة حتى اتفقا في حرب 1973.

تعرض الإخوان إلى حملة شديدة في مصر عندما كشف بعض الشيوعيون وعلى رأسهم لطفي الخولي، وكان كاتباً شيوعياً مقرباً من عبد الناصر، بأنه يوجد كتاب في مصر اسمه "معالم في الطريق" لسيد قطب، وأن هذا الكتاب يدعو إلى ثورة شعبية أخطر مما دعا إليه لينين، وفعلاً عندما كان عبد الناصر في روسيا أصدر تعليماته باعتقال جميع الإخوان المسلمين في مصر، وكانت تلك أوسع اعتقالات تمّت سنة 1965، كانت هذه الحملة واسعة وكبيرة وانتهت بإعدام سيد قطب سنة 1966. في الكويت نحن تصدينا إلى هذه الحملة بالحوارات المختلفة مع كافة القوى لتوضيح الصورة، وفي هذه الآونة تمّ إنشاء جمعية الإصلاح التي ترأسها عبد الله المطوع وآخرون، وقد عملنا في نشاطاتها المختلفة: الاجتماعية والثقافية والرياضية وكان في ذلك الوقت التيار القومي هو التيار

المسيطر، وكان الإخوان أقلية، وكان القوميون يصدرون جريدة اسمها الطليعة، وكان من أبرز قياداتهم أحمد الخطيب وآخرون. وبعد ذلك تغيرت الصورة والتيار الإسلامي توسع وامتد.

الفصل الخامس

عقد الستينيات وأوائل السبعينيات

العمل في الأردن في سدّ خالد بن الوليد:

العودة من الكويت: كانت عودتي من الكويت إلى الأردن في شهر آب/ أغسطس 1966، ذكرت سابقاً أنني عملت في الكويت لمدة أربع سنوات في بلدية الكويت في قسم الترخيص، وقد كان العمل سهلاً ومريحاً، ولكنني كنت أشعر أني لا أمارس عملي كمهندس متخصص في الإنشاءات قسم مدني، وخاصة أني جربت العمل الميداني لمدة عام في قناة الغور الشرقية.

قرأت في إحدى الجرائد الأردنية، وكنت أطّلع عليها في الكويت، أنه يوجد مشروع لتحويل نهر اليرموك من قبل مؤسسة الروافد الأردنية، وذلك تطبيقاً لقرار القمة، التي عقدت سنة 1964، بتحويل منابع نهر الأردن في كل دولة عربية، فالأردن يقوم بعمل سدّ لحجز مياه نهر اليرموك، وكذلك يفعل السوريون واللبنانيون. وفعلاً بدأ السوريون واللبنانيون بعمل هذه التحويلات، ولكن الطائرات الصهيونية قصفتهم فتوقف العمل، وبقي مشروع نهر اليرموك الذي بدأ العمل به، وقد طُلِبَ عدد من المهندسين للعمل به، قرأت الإعلان في الجريدة الأردنية وأرسلت رسالة إلى المهندس محمد خلف مدير ورئيس مؤسسة الروافد الأردنية، وجاءني جواب على رسالتي بالترحيب بي للعمل في مشروع سدّ خالد بن الوليد في مؤسسة الروافد، وبناء عليه أبلغت الإخوة والأصدقاء بأنني سأترك العمل في الكويت، قالوا لي أنك درجة رابعة ومن الممكن أن يعطوك سكناً وتتزوج، فقلت بأنني أريد أن أعمل عملاً وطنياً لنصرة القضية الفلسطينية، وعملاً ميدانياً يعيد لي تفعيل معلوماتي الهندسية في الميدان وليس في المكاتب، وهكذا توجهنا إلى الأردن براً في قافلة من السيارة في شهر آب/ أغسطس، وكان في هذه الرحلة إخوة منهم محمد صيام وحسين الثوابتة وحسن المدهون وآخرون. وصلنا الأردن، بعد ذلك قابلت محمد خلف مدير مؤسسة الروافد وقال لي إنني موافق على تعيينك، ولكن يجب أن يراك ممثل المهندس وهو يوغسلافي، لأن مشروع سدّ خالد بن الوليد على نهر اليرموك يقوم بإنشائه المقاولون العرب (عثمان أحمد عثمان)، ويشرف عليهم شركة يوغسلافية اسمها "إنيرجو بروجكت"، قابلت ممثل المهندس واسمه زامروفتش، سألني عدة أسئلة قال لي ما هي خبرتك قلت سنة عمل ميداني في قناة الغور الشرقية، وأربع سنوات في

بلدية الكويت، وبعد أن دقق في الأوراق قال لي لا أعترف إلا في سنة الخبرة في قناة الغور الشرقية، وأما الأربع سنوات في بلدية الكويت فهي لا تفيدني، ثم سألني عدة أسئلة، قال هل لديك أية فكرة عن بناء السدود قلت له لا، لم أعمل في السدود، ولكنني درستها، فقال هل سبق أن أشرفت على حفر نفق، قلت له لا، فقال هل أشرفت على أية أعمال كاملة ترابية لعمل السدود، قلت له لا، فابتسم وقال كيف لي أن آخذك، فقلت لولا أنني أرغب في هذه الأعمال الفنية لما تركت عملي المريح في الكويت، فابتسم وقال أني سوف أوافق على تعيينك على أساس أن لك توجه صادق للعمل. وفعلاً هذا الشخص عملت معه بعد أن سكنت في إربد. تزوجت في خريف سنة 1966، وسكنت في إربد ثلاث سنوات حيث كانت إربد تعج بجنسيتين الأولى هي المصرية لوجود المصريين من المقاولين العرب والجنسية الأخرى هي اليوغسلافية لوجود اليوغوسلاف من شركة إنيرجو بروجكت، وهم المستشارون والمقاولون وهم من شركة بلانوم (يوغسلافية). وعندما حصلت حرب 1967 وتوقف العمل في سدّ خالد بن الوليد، وكنا قد قمنا بإنجاز جزء من الجانب الأيمن في الجانب السوري وحفرنا في الجانب الأردني فقامت الحرب وتوقف العمل، قال محمد خلف لزامروفتش يجب أن تخفض عدد المهندسين، فاختار عدداً محدوداً من المهندسين كنت على رأسهم لدراسة مطالب المقاولين العرب فيما يتعلق بتجميد العمل وما بعد إنهاء العمل. أعود إلى طبيعة العمل في هذا المشروع، كانت الغاية من المشروع حجز مياه نهر اليرموك، وهي في ذلك الوقت كانت مياه عذبة لدرجة أننا عندما كنا نعمل في الميدان كنا نشرب منها، لكن الآن مع الأسف كل شيء تلوث، نهر اليرموك تلوث، ونهر الأردن تلوث، وهذا النهر، نهر اليرموك حصلت قربه معركة اليرموك الخالدة ونذكر قول الشاعر:

على اليرموك قف واقرأ السلاما   وكلِّمه إذا فهم الكلاما

ولاحظت أنه أيام الدولة العثمانية كان هناك خط سكة حديد من درعا إلى سمخ في فلسطين، وقد أقيمت له جسور على وادي نهر اليرموك موجودة حتى الآن، وعلى سكة الحديد قرأت (سنة 1904) وقد بني بالتعاون مع الألمان حيث كانت الدولة العثمانية متحالفة مع الدولة الألمانية.

بدأنا العمل بجد واجتهاد وتعرفنا على المقاولين العرب وكانوا نوعيات ممتازة

وبعضهم كانوا إسلاميين، منهم عبد الرؤوف شبايك رحمه الله وآخرون، وكان عثمان أحمد عثمان متديناً، وكانت كل أوراقه المطبوعة تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، في ذلك الوقت كان وضع البسملة إشارة رجعية في ظلّ ضرب التوجه الإسلامي والديني في أكثر من بلد عربي، وزارنا عدة مرات في الموقع، وكان يزورنا المدير العام محمد خلف، وحدثت لقاءات معهم لدراسة إنجازات العمل وكيف يتطور. وقد تعرض هذا المشروع إلى القصف الإسرائيلي في شهر شباط/ فبراير 1967 ووصلت القذائف إلى موقع العمل، وقد توقف العمل لمدة يوم، وبعد ذلك استؤنف، وهذا يدل على أن حكومة الصهاينة لم تكن مرتاحة من هذا العمل وتوجهاته، من حيث منع الصهاينة من الاستفادة من نهر اليرموك. وقد علمت أن هناك اتفاقية موقعة بإعطاء الصهاينة أقل قليلاً من نصف مياه اليرموك، وحتى هذه اللحظة هذه الاتفاقية سارية المفعول، مع أن نهر اليرموك ينبع من مناطق عربية ولا علاقة للصهاينة بمنابع نهر اليرموك، ويصبّ جنوب بحيرة طبريا التي تعدّ الخزان الأكبر في فلسطين، الذي يجمع المياه العذبة التي تسيل من جبل الشيخ. لذلك في حرب 1967 كان الصهاينة حريصين على السيطرة على جبل الشيخ ليؤمنوا منابع نهر الأردن سواء من الجانب السوري أو الجانب اللبناني أو الجانب الأردني.

في هذه الأيام كنا نتناقش مع المهندسين المصريين وكان البعض متحمساً لعبد الناصر وكان يقول، عندما بدأت **إرهاصات حرب 1967**، بأن عبد الناصر سوف يحرر تل أبيب ويوحد فلسطين كلها، وكان مهندس اسمه الشافعي يتحدث بصورة متحمسة، ولكن عندما حصلت الحرب، وخلال ستة أيام احتل الصهاينة ما تبقى من فلسطين وسيناء والجولان قلنا له أين كلامك من أن عبد الناصر سيوحد فلسطين، فقال إن كل فلسطين الآن موحدة في ظلّ الاحتلال!.

سكنت إربد في شارع إيدون، وكنت أعمل وأنا منشرح الصدر في مشروع سدّ خالد بن الوليد في شفتات (ورديات)، أحياناً أعمل من الساعة السادسة صباحاً إلى الثالثة بعد الظهر، وأحياناً من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى الساعة الـ 11 ليلاً، وأحياناً من الـ 11 حتى الصباح، ورغم هذا العمل الشاقّ إلا أنني كنت أعمل وأخدم وطني، وأمارس عملي، وأستخدم المعلومات التي درستها في الجامعة.

حرب 1967:

كنت في كل يوم خميس أغادر أنا وعائلتي إلى القدس؛ حيث أقيم في بيتنا في وادي الجوز بعد أن انتقلنا من القدس القديمة، وأصلي الجمعة في المسجد الأقصى، ثم أعود في صبيحة السبت إلى عملي في إربد في منطقة المخيبة. **وآخر زيارة لي إلى القدس كانت يوم الجمعة في 2/6/1967.**

وأعود قليلاً، الأزمة بدأت عندما طلب عبد الناصر من القوات الدولية أن تغادر سيناء ومناطق شرم الشيخ، وقام بنشر الجيش المصري بصورة استفزت الصهاينة، مع أن نصف جيشه كان في اليمن. استغل الصهاينة هذه العملية الاستعراضية بتشكيل حكومة تسمى "حكومة ائتلاف وطني" من كل الأحزاب الصهيونية برئاسة أشكول رئيس الحكومة في ذلك الوقت، وعين ديان وزيراً للدفاع ورابين رئيس أركان الجيش، وتمثل في الحكومة جناح حيروت برئاسة مناحيم بيجن، والواضح أن هذه الحكومة كانت تعد للحرب، ومن عادة الصهاينة أنهم عندما يمرون في مفصل تاريخي مهم يقومون بتشكيل حكومة ائتلافية، هذا هو تاريخهم. في 23 أيار/ مايو أعلن عبد الناصر في قاعدة جوية متقدمة في سيناء أنه سيغلق مضائق تيران، أذكر أني كنت مدمناً على سماع الأخبار، وكانت والدتي وأخي عرفات الأصغر مني أعدّا العدة لهما ليعودا إلى القدس، على أساس أن يقدم عرفات التوجيهي في القدس، وكنت قد اتفقت مع شاحنة لنقل الأغراض، وعندما استمعت لقرار عبد الناصر بإغلاق خليج العقبة ومضائق تيران قررت أن لا أسمح للوالدة ولا لعرفات بالعودة إلى القدس. تأكدت حينها بأن حرباً ستحصل؛ لأن هذا القرار يشكل ضربة استراتيجية للعدو الصهيوني، لأنه سيغلق كل اتصال تجاري مع إفريقيا وآسيا، وتوقعت بأن الصهاينة لن يقبلوا بذلك، وهذا ما حصل. ويوم 25 أيار/ مايو وهو يوم عيد الاستقلال للأردن جاء التْرَكْ (الشاحنة)، وكنت قد دفعت له أربعة دنانير دفعة أولى؛ حيث كانت أجرة الشاحنة من إربد إلى القدس ثمانية دنانير. قلت له توكل على الله، الله يبارك لك في الدفعة الأولى فقد ألغينا مشوار القدس، قالت لي أمي لماذا لا تسمح لي بالعودة إلى القدس فأنا أريد العودة، فقلت لها بأن الحرب قادمة، وفعلاً تطورت الأمور. في 30 أيار/ مايو سافر الملك حسين إلى القاهرة وتمّ التصالح مع عبد الناصر؛ حيث كانت

علاقاتهما متوترة وعاد إلى عمّان وكان معه الشقيري، وكانت علاقته بالشقيري متوترة أيضاً.

غادرت إربد للقدس فوصلت الخميس في 1967/6/1، وقبل أن أذهب إلى الأقصى يوم الجمعة شعرت في داخلي أنها ستكون آخر زيارة لي إلى القدس مع أن الناس كانوا متفائلين، وكانوا يرون أننا سنحتل تل أبيب وعكا، وأن صواريخ الظافر والقاهر ستقصف هذه المناطق كلها، لكنني في داخلي كنت منقبضاً. مررت بباب العمود، ومررت بمعارفي والتجار وسلمت عليهم، ومررت بسوق العطارين، ومسجد عمر وصليت فيه، وكأنني أودع القدس حجراً حجراً، ونزلت إلى المسجد الأقصى. صليت السنة وسمعت صوتاً شديداً؛ حيث دخل الشقيري المسجد والناس يهتفون يا شقيري بدنا سلاح (أي نريد سلاحاً)، شعرت حينها ومع شعوري بالانقباض بأن هذا العمل غير منظم، وهو أقرب إلى التهريج منه إلى المقاومة والجهاد الصحيح، وبعد صلاة الجمعة وقفنا تحت شجرة السرو وهي قرب الكأس، وعادة نلتقي نحن الإخوان المسلمون هناك، وكان هناك إسحق الفرحان وإخوة من القدس كثيرون، ولاحظت أن شعورهم يشبه شعوري، إذ كانوا منقبضين، لكن الآخرين كانوا مندفعين جداً ومتفائلين جداً بشكل كبير. عصر ذلك اليوم ذهبت أنا وعائلتي إلى زيارة عمي الشيخ عبد الله غوشة، وقد كان قاضياً للقضاة في الأردن وكان له بيت في بيت حنينا، جلسنا هناك وقال لي أحد أعمامي يا أبا عمر هذه المرة لا تتشاءم، هذه المرة سنسترجع تل أبيب وعكا وحيفا وكل شيء، فقلت له إن شاء الله بصير خير. بعد ذلك رجعت إلى إربد مساء يوم الجمعة ولم أجد جيوشاً عربية كافية، كان عددهم قليلاً، لم أجد أي حشد كما ينبغي في طريق العودة، وصلت إربد ومارست عملي وفي يوم الإثنين 1967/6/5 كانت ورديتي من الساعة الـ 11 ليلاً وحتى الصباح، في السادسة صباحاً جاءني اتصال هاتفي، وأنا في سدّ المخيبة في المدينة السكنية من زامروفتش، قال لي هل أنت ذاهب إلى إربد؟ قلت له نعم، قال سنذهب معاً، ركبت معه من سدّ المخيبة إلى إربد، وصلت إربد الساعة السابعة، دخلت لأنام وبعد ساعتين سمعت قرعاً على الباب، كان أخي عرفات يقول استيقظ يا أبا عمر لقد بدأت الحرب!.

قبل هذا التاريخ بشهرين أي في شهر نيسان/ أبريل استطاع الصهاينة أن يسقطوا

سبع طائرات من "الميج" السورية سقطت في مناطق الأردن وخاصة المناطق الشمالية، وكان صوت العرب يقول بأن الأردنيين هم الذين استولوا على الطائرات، إحدى الطائرات سقطت في الطريق إلى سدّ خالد وأحضرت قطعة منها إلى البيت، وعندما كان يحضر بعض أقاربي من المتحمسين لصوت العرب ويقولون هكذا فعلوا بالطائرات أقول لهم هذه قطعة من الطائرات. أما الطيارون الذين نزلوا من الطائرات بالمظلات كانوا من المعلمين ولم يكونوا من ضباط الطيران المحترفين؛ وكان هناك إهمال وعدم قيام بالإعداد اللازم.

المعركة باختصار: دمر الصهاينة خلال ثلاث ساعات سلاح الطيران المصري، وقد كان موزعاً دون ملاجئ (حيث استيقظ العرب بعدها وعملوا ملاجئ من الباطون المسلح للطيران، وقد شاهدت بعيني بعض هذه الملاجئ التي أقيمت في مطار الأزرق، وفي مطار إتش فور H4. بعد الحرب بدأ المقاولون العرب يبنون هذه المطارات لمصلحة الجيش الأردني؛ لتخبئة الطائرات تحتها بمعدات المقاولون العرب التي استؤجرت منا من مؤسسة الروافد). قيل أيضاً بأن حفلة أقيمت للطيارين المصريين في ليلة الخامس من حزيران/ يونيو وسهروا حتى الفجر، وفي الصباح تمّ تدمير كامل سلاح الطيران. وكان هناك كتاب صدر لكاتب اسمه كرانجيا يتحدث عن خطة لضرب البلاد العربية على يد الصهاينة، هذه الخطة التي في الكتاب نُفِّذت تقريباً كما هي في الكتاب، وقد قيل لديان لقد نشرت خطة هجومكم في الخامس من حزيران/ يونيو في كتاب كرانجيا؛ فقال إن العرب لا يقرأون. وفي الساعات الأولى بقيت الإذاعات العربية، وخاصة المصرية، تقول أسقطنا 30 طائرة إسرائيلية، و50 طائرة إسرائيلية، و100 طائرة إسرائيلية، وأعطوا انطباعات بأنهم متقدمون مع أن المعركة حسمت بعد ثلاث ساعات. الصهاينة في البداية وجهوا ضربتهم للجبهة الجنوبية في مصر وقضوا على الطيران، وكان من المفروض من الأسلحة الموجودة ومضادات الطيران في سيناء أن تتصدى للطائرات، ولكن صدر الأمر بالانسحاب في اليوم الثاني، وكان الانسحاب كيفياً أي انسحب كيف تشاء، وتركت الدبابات، وهي جديدة، وأسلحة كثيرة، وانسحب الجنود المصريون، وتقدم الجيش الصهيوني بسهولة حتى وصل إلى قناة السويس. بعد أن أنهوا الجبهة الجنوبية توجهوا إلى الجبهة الوسطى ووجهت ضربة إلى الجيش الأردني، وأيضاً

صدر أمر مشابه بالانسحاب، وكان يمكن أن يبقى الجيش يقاوم حتى بدون طائرات، والدليل أن من يحسم المعركة هي إرادة القتال لأن الجيش الأردني ومعه الفدائيين قاتلوا قتالاً مشرفاً في معركة الكرامة في 1968/3/21 بدون غطاء جوي وبالأسلحة نفسها، وانسحب الجيش من الضفة الغربية والقدس ونابلس والخليل تحت شعار "دبِّر نفسك" (أي تولَّ أمرك)، هكذا جرت المعركة في الجبهة الوسطى وبعد ضرب الجبهة الجنوبية والوسطى توجه الصهاينة إلى الجبهة الشمالية، وحيث أني كنت أعمل في سدّ خالد، وكنت أحتك مع السوريين في جبهة الجولان؛ حيث كانوا ينزلون من قرية العيون إلى نهر اليرموك كنا نراهم في المخيبة. موقع الجولان هو موقع استراتيجي، فهو يشرف على كل المستوطنات، وكان السوريون يقصفون المستوطنات ثم يُدْخِلون المدافع على عربات داخل الجبل، ثم تخرج الطائرات الإسرائيلية فتضرب الجبل فلا يتأثر أي شيء. مع الأسف السوريون أيضاً انهاروا، ومندوب سورية في هيئة الأمم أعلن أن القنيطرة سقطت، مع أن الصهاينة قالوا إن المعلومات التي لدينا تقول إن القنيطرة لم تسقط، أسقطوا القنيطرة قبل أن تسقط، لم يقاتلوا، وانسحبوا انسحاباً كيفياً مثل الانسحابات الأخرى، وسقطت الجولان بعد ذلك وقد كانت موقعاً حصيناً جداً. طلب مني محمد خلف أن أنزل إلى زيارة الموقع، ومعرفة الخسائر التي تعرضت لها المدينة السكنية التي كنا نقيم فيها في المخيبة بعد الحرب، وكان ذلك في شهر تموز/ يوليو 1967، وهي أول زيارة وكان معي عدد من الموظفين، وبعضهم ضباط أحرار سابقون، نزلنا لنكشف وكنا كل مرة نتوقع أن يأتينا الرصاص من الجولان المحتلة من قبل الصهاينة؛ حيث بدأوا بتجريفها وزراعتها بعد أن هدموا الحمة السورية، وبقيت مئذنة الجامع حتى الآن. زرنا المنطقة وعملنا كشفاً بالأضرار التي حصلت، ونحن هناك مررنا بمخفر أردني فأصر علينا ضابط المخفر أن نشرب الشاي معه فشربنا الشاي معه وتحدثنا عما حصل قبل شهر، قال لقد نزل السوريون من المناطق الجبلية العالية وقسم منهم نزل عندنا، وأحد الضباط الكبار كان يبكي حزناً على ضياع الجولان، كان متأثراً بسبب قرار الانسحاب المبكر. وهؤلاء كان من الممكن أن يقاوموا.

قال لي بعض المهندسين في اليوم التالي لبدء الحرب وقد اجتمعنا مع بعضنا البعض وكان معنا المهندس سعيد عرفة والمهندس خليل ماضي والمهندس صالح عبد القادر

والمهندس هاشم فرسخ وآخرون، قالوا يا أبا عمر يقولون في نشرة الأخبار إن الجيوش العربية انسحبت إلى خط الدفاع الثاني، ماذا يعنون بذلك؟ وكنا نستبعد هذه الهزيمة الكبيرة، قلت لهم ربما في مصر خط الدفاع الثاني هو ممرات "متلا" في وسط سيناء. قالوا وفي الأردن؟ قلت ممكن جبل الطور المشرف على القدس بعد سقوط القدس، وفي سورية بعد قرية العيون، وبعد يومين علمنا أن خطّ الدفاع الثاني في مصر كان قناة السويس وفي الأردن نهر الأردن، وفي سورية على مسافة قريبة من دمشق.

بعد هذه الأحداث كأن صاعقة وقعت على رؤوس الناس، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، وكنت عندما أنزل إلى السوق في إربد أرى أن الجميع مذهولون، وعندما نزلنا إلى عمّان لم أجد كثافة من الناس كما رأيتها بعد حزيران/ يونيو، كانت الكثافة هائلة جداً في عمّان وإربد، ونقمت الشعوب العربية على جيوشها التي خذلتهم، ولم يُعِد الاعتبار إلى هذه الجيوش إلا معركة الكرامة التي أعادت الاعتبار إلى الجيش الأردني، وحرب الاستنزاف في الجبهة المصرية، وبعد ذلك حرب رمضان للجيش المصري والجيش السوري.

هذه بعض الانطباعات عما حصل في حزيران/ يونيو: في اليوم الثالث للحرب، وهو يوم الأربعاء، كنت أستمع إلى الراديو، استمعت فجأة أن الجيش الإسرائيلي دخل الأقصى، واستلم مفاتيح باب المغاربة، ووضع العلم الصهيوني ذو النجمة السداسية وذو اللون الأبيض والأزرق على قبة الصخرة، وكان رابين وديان هناك. كنت وأنا أسمع هذه الأخبار أحس بغصة في حلقي، ولم أستطع أن أتنفس، عندها تأكدت أن الأقصى قد سقط بيد الصهاينة.

وتذكرت والدي المدفون في القدس؛ فعندما كنت أقرأ وأنا طالب برتوكولات حكماء صهيون قرأت مما قرأت أن الأفعى الصهيونية ستلف العالم وتعود إلى أورشليم القدس. وكان ذلك في الخمسينيات عندما كنت أدرس في بيتنا في حارة السعدية، قلت لوالدي هل صحيح أن اليهود سوف يحتلون القدس؟ قال لي بلى إن اليهود يخططون لاحتلال القدس كلها. وتذكرت تلك الحادثة عندما احتل الصهاينة القدس، وشعرت بمرارة ما بعدها مرارة وغضب ما بعده غضب، وهكذا عشنا هذه المأساة الشديدة التي زادت عن

نكبة 1948، وحاول حكام العرب أن يسموها نكسة للتخفيف من وقعها، وبعد ذلك بدأوا يطرحون شعار إزالة آثار النكسة، وإزالة آثار حرب حزيران/ يونيو بينما في السابق كانوا يركزون على تحرير ما احتل سنة 1948.

العمل داخل الإخوان والحركة التصحيحية:

تغيرت الدنيا وبدأنا نلتقي مع شباب الإخوان في إربد وعمّان ونتساءل ما هو الحل؟ وما هي النتيجة؟ وعقد **مؤتمر إسلامي في عمّان دعا إليه الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة**، وجاء المسلمون من جميع أنحاء العالم، واطلعنا على نتائج المؤتمر فلم تعجبنا، كنا في ذلك الوقت شباباً في الثلاثينات، وغضبنا لأن ذلك كان تفسيراً لما حدث في 1967 فقط، وشعارات للوحدة العربية والإسلامية. لم يصدر من المؤتمر ما يشفي غليلنا، بمعنى الدعوة إلى بناء إسلامي جهادي للبدء في هذا العمل. في هذه الفترة كانت حركة فتح قد استوعبت بالضبط ما يجري، فقد كان هناك فراغ يدل على فشل الأنظمة التقدمية والأنظمة الرجعية (هذه التعبيرات المستعملة في ذلك الوقت). قررت حركة فتح أن تبدأ المعركة، وتملأ هذا الفراغ، وكان هذا القرار حكيماً وبعيد النظر. طبعاً سأعود إلى حركة فتح حيث بدأت تعد العدة للتدريب، ونحن مجموعة المهندسين اتصل بنا أحد كوادر فتح في إربد وقال لنا ما رأيكم أن ندربكم على أن تنضموا إلى حركة فتح، تشاورنا وقلنا لهم نحن لا مانع لدينا في أن نتدرب ومستعدون لذلك، ولكن لا نلتزم في حركة فتح، ولكن كنت أقدر اختيارها للجهاد والمقاومة، واحترم كل من يقاوم الاحتلال.

وكنا نحن الإسلاميين وقبل حركة فتح يمكن أن نملأ الفراغ بالجهاد، وهكذا اتفقنا نحن شباب الإخوان فيما بيننا على الحركة التصحيحية؛ بحيث نقوم بتصحيح الصف الداخلي، ونركز على مفهوم الجهاد العملي ونبدأ بالتسلح، كنا نريد أن نصحح بعض السلبيات في صفّ الإخوان، وأن نبدأ مشروعنا الجهادي. هذه الحركة توسعت من شمال الأردن إلى جنوبه، وأذكر جيداً من قيادتها كان الحاج تحسين خريس وأنا وآخرون، كنا نُعِدّ نشرة سرية داخلية، يكون التركيز فيها على هذه المواضيع، الإعداد والاستعداد للجهاد، ومكثت هذه الحركة من سنة 1967 حتى قبل أيلول/ سبتمبر 1970، وهي حركة غير معلنة، حيث أصبح تعداد المنضمين إليها من الشباب أكثر من

100 شاب، وكان لدينا النشرة الداخلية للتوعية ومناقشة آليات التحرك والتركيز على الرؤية، واستمرت فترة طويلة، وفي آخر أيامها حصل أمران، أولاً إرهاصات حرب أيلول/ سبتمبر، وثانياً أن قيادة الإخوان اكتشفت هذه الحركة التصحيحية، وأصبح هناك شدّ وجذب بين الإخوان وهذه الحركة التصحيحية. في بداية السبعينيات أذكر جيداً عندما شاركنا في توديع الشهيد صلاح حسن، وهو قائد في قواعد الشيوخ في الأردن، وهو أخي وصديقي وأعرفه عندما كنا في الكويت، نصلي معاً قيام الليل في مسجد الفيحاء، هذا القائد كان مؤمناً قوياً قال لنا في بعض الجلسات إننا نريد أن نؤسس قوة مجاهدة من الإخوان لا تقل عن الفيت كونج The Viet Cong، وهي قوة من الشيوعيين في فيتنام، وذهبنا نتدرب عدة أيام في معسكر للإخوان في الزرقاء، وأذكر عندما كان معي الأخ فايز الحزينة وآخرون طلب منا صلاح حسن (أبو عمرو) أن نقوم بمناورة بالأسلحة مشياً استمرت مسافة 60 كيلومتراً على الأقدام، فما بالك بشباب غير متعودين على المشي، وقد مكثنا بعدها يومين وأرجلنا قد تورمت، وكان أخونا صادق العزيمة والنية. وقواعد الشيوخ كانت تشمل الإخوان الأردنيين والفلسطينيين والسوريين والمصريين واليمنيين وغيرهم، وقدمت حوالي 15 شهيداً على رأسهم صلاح حسن، وقد تدربنا على أشياء كثيرة، أسلحة ودوريات، وزرنا قواعد الشيوخ في شمال الأردن، وكان أبرز من فيها الأخ أحمد نوفل والأخ عبد الله عزام والشيخ ذيب أنيس وآخرون. أذكر أنني استطعت أن أحصل على خرائط جوية لمنطقة شمال الأردن وفلسطين وسلمتها للشيخ أحمد نوفل للاستفادة منها في دراسة منطقة الاحتكاك مع العدو الصهيوني في منطقة الجولان.

كنا (في الحركة التصحيحية) ننظر بودٍّ إلى هؤلاء، ولكن كنا لا نريد أن نقاتل تحت راية فتح. قواعد الشيوخ تأسست بالتفاهم بين ياسر عرفات وقيادة الإخوان في الأردن ومنهم إسحق الفرحان وعلي الحوامدة، ومن المصريين كان الأخ المجاهد عبد العزيز علي. شباب الإخوان كانوا تحت قيادة فتحاوية ومن يستشهد منهم كان يصدر بيان بأنه شهيد من فتح. كنا نرفض ذلك، وكما ذكرت سابقاً كنا متأثرين بفكر المرحوم حسن البنا وسيد قطب، أردنا التميز وليس أن نكون تحت جناح آخرين، وأيضاً الإخوان الفلسطينيين الذين ذكرتهم كانوا يرفضون المشاركة تحت جناح فتح، وهذا ما أكد عليه عبد الله أبو عزة في كتابه الذي تناول هذه القضايا، وهو أحد قيادات التنظيم الفلسطيني

الذي تحدثت عنه سابقاً، وهو الذي أكد أن تنظيم فلسطين رفض المشاركة في معسكرات الشيوخ، وكان بعض الإخوة منهم عبد الله علي المطوع في الكويت متحمساً لدعم قرار المشاركة، وكان يحاول أن يقنع الإخوة الفلسطينيين، وخاصة المتواجدين في الكويت.

نعود إلى الحركة التصحيحية، إذ صار لدينا توجه بأننا مقدمون على حرب أيلول/ سبتمبر، وجدنا أنه لا فائدة من إبقاء هذا التنظيم. بعض الإخوان هاجمونا بقوة، ولكن بعض قيادات الإخوان كانوا بعيدي نظر، ورأوا أننا شباب أقوياء من الإخوان وأنه لا بدّ أن يجري حوار معنا. وتمّ فرز أخوين للحوار الأخ (ع. ع.) والأخ (خ. ق.) وجرى حوار بيننا وبينهم، واتفقنا على إنهاء هذه التجربة، على أن يترك للزمن، وللعمل من داخل الصف تحقيق التصحيح المطلوب، حيث في المرحلة الأخيرة خشينا من أن نكون سبباً في شقّ الإخوان المسلمين، لأن هذه ستكون أصعب بكثير من النتائج التي كنا نريد أن نحققها. أخذنا قراراً وكنت متحمساً لهذا القرار أنا والأخ تحسين خريس وآخرون، وفعلاً تمّ إنهاء هذه التجربة، وعدنا كما كنا في صفوف الإخوان المسلمين. ولا بدّ أن نسجل هنا أن الأخ (ع. ع.) والأخ (خ. ق.) كان لهما بعد نظر وأخوية صحيحة، وهكذا عدنا إلى الصف مرة أخرى، وأصبحنا على مشارف حرب أيلول/ سبتمبر أو ما نسميها نحن في الحركة الإسلامية فتنة أيلول/ سبتمبر.

معركة الكرامة:

المعركة جرت في يوم الخميس 1968/3/21، بدأت من الصباح حتى الليل، وصمد المجاهدون من الجيش الأردني، والفدائيون وهم في معظمهم من حركة فتح، أما القوى الأخرى فلم يشاركوا في هذه المعركة باعتبار أنها معركة مواجهة، والعمل الفدائي يجب أن يتضمن الكر والفر ولا يجب أن يواجه الجيوش، وفعلاً انسحبت عدة فصائل مثل الجبهة الشعبية والقيادة العامة، وبقيت جماعة فتح وهذا القرار الذي اتخذته حركة فتح بالصمود في معركة الكرامة هو الذي أطلق حركة فتح إطلاقة واسعة وعميقة وليس إطلاقة الرصاصة الأولى التي كان تأثيرها محدوداً جداً؛ فانطلاقة فتح الحقيقية هي في 1968/3/21. يوم المعركة، على الرغم من الطيران والدبابات الصهيونية، وعلى الرغم من آلاف الجنود، إلا أن هذا الصمود الأسطوري بشباب الجيش الأردني وشباب

الفدائيين لقّن ديان درساً لن ينساه، وسقط من الصهاينة أعداد كبيرة، واستشهد وجرح المئات من الجيش الأردني والفدائيين، ويوم الجمعة تمّ سحب عدد من الدبابات من ساحة المعركة، وعرض أمام أمانة العاصمة وسط عمّان. ولا أستطيع أن أصف شعور الناس بالفرح وإعادة الأمل بالله وبهذه الأمة، وهذا بعد أقل من عام من ضربة حزيران/ يونيو 1967، وتقاطر الناس بالمئات إن لم أقل بالآلاف يلمسون حديد الدبابات بأيديهم، وفي هذه الدبابات كان بعض الجنود الصهاينة مربوطين بالجنازير (السلاسل الحديدية) ومحترقين، كانت فرحة ما بعدها فرحة قلت لأصدقائي المهندسين يوم السبت ما رأيكم بأن ننزل ونرى ساحة المعركة؟ وفعلاً في الصباح الباكر كنا في الكرامة أي بعد 24 ساعة من المعركة، كانت بعض الدبابات والعربات يتصاعد منها الدخان، والتقينا مع عدد من شباب حركة فتح، وفي ذلك الوقت كانت حركة فتح تنتقي شبابها انتقاء، جلسنا مع هؤلاء وكانوا يحملون أسلحة خفيفة وبسيطة، وقنابل يدوية ورشاشات، إما "استين" إنجليزي، أو "كارلو" بورسعيد، أو بنادق "سيمانوف" نصف آلية، هذه هي كل أسلحتهم، ولكن عزيمتهم عالية. عندما جلسنا مع بعضهم، ونحن حوالي خمسة مهندسين استمعنا لهم، قالوا لنا إنما نريد أن نقاتل هذا العدو الصهيوني، وأن نثبت للأمة بأن الشعب الفلسطيني لم يدمر على الرغم من أحداث حزيران/ يونيو الكارثية فإما أن ننجح أو نستشهد. هذه الكلمات البسيطة دخلت قلوبنا بصورة كبيرة وبقيت تتفاعل في نفسي، ولم يبدأ في ذلك الوقت مشروع جهادي إسلامي، لأن مشروع الشيوخ كما ذكرت انتهى في فتنة أيلول/ سبتمبر، وبقيت في نفسي حتى جاء في يوم من الأيام من سنة 1989 وقال لي الأخ أبو ماجد إن إخوانك في قسم فلسطين يريدون منك أن تعمل معهم وأن تتفرغ معهم، فقلت له سمعاً وطاعة مع أنني كنت قد دخلت في الخمسينات، ومنذ ذلك الوقت انخرطت في حركة حماس. وبعد معركة الكرامة دخل وتقاطر الشباب على حركة فتح من كل حدب وصوب، ولم يكن عندهم إمكانية لاستيعاب هؤلاء الشباب، والنوعية الأولى كانت متقنة الإعداد والتدريب والتوعية، لذلك عندما دخلت فيها قوى مختلفة، حصل بعد ذلك بعض الأخطاء في هذه الحركة في أكثر من موقع.

أذكر في هذه الأيام بعد معركة الكرامة سمعنا أن ياسر عرفات يقيم في منطقة السلط، واتفقنا نحن المهندسين الخمسة الذين كنا نعمل في سدّ خالد بن الوليد على زيارة ياسر

عرفات، ونقدم خدمتنا الفنية على أساس أن لنا خبرة في أعمال الخنادق أو الملاجئ أو الاستحكامات، فنحن المهندسون قادرون على أن نقوم بهذا، هذا هو سبب زيارتنا لعرفات في خريف سنة 1968 بعد معركة الكرامة. ذهبنا لزيارته، وكان يقيم في بناية قريبة من السلط وهذه المرة الثانية التي أراه فيها منذ عملنا معاً في انتخابات 1955 عندما كان مرشحاً رئيسياً للرابطة الفلسطينية، فأنا أعرفه شخصياً وهو يعرفني شخصياً، فعرضنا عليه استعدادنا للقيام بهذا العمل، وقد كان موجوداً في مكان متواضع جداً، وكانوا يتحدثون عن طراشة المغر (دهان الكهوف) الموجود فيها الفدائيون في منطقة السلط وكيفية إعدادها، كنت تجد في ذلك تجرداً واضحاً، وهنا أريد أن أؤكد أن الخلافات بيننا وبين ياسر عرفات لم تكن شخصية، عندما كان يجاهد ويقاوم كنا أقرب إليه، وكنا نتمنى أن يجاهد تحت راية إسلامية.

أحداث أيلول/ سبتمبر 1970:

بعد ذلك حصلت الأخطاء، بالنسبة للحركة الفدائية كان الفدائيون يقاتلون في الأغوار وعلى الحدود، والجيش الأردني كان يساعدهم مساعدة كبيرة وكان يغطي عليهم عندما كانوا يقطعون النهر ويدخلون في الداخل، ولكن بعد ذلك بدأوا يقيمون مكاتب وقواعد داخل المدن في عمّان وإربد وغيرها. وهذا درس للمقاومين وغيرهم، عندما يتركون القواعد والجبهات، ويعودون إلى المدن، وينخرطون في الحياة المدنية يتراجعون. إذ إن أيَّ حركة تتخلى عن المقاومة والجهاد وحياة الجبال تتراجع تدريجياً. وبدأت الاستفزازات بين الجيش الأردني وبين الفصائل الفلسطينية، وكانت هناك قوى وفصائل فلسطينية أكثر استفزازاً، وكانوا يكتبون على حوائط شوارع عمّان "كل السلطة للمقاومة"، "تحرير القدس يبدأ من عمّان" وقد برزت في ذلك الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية، وانجرَّت فتح معهما، وجرت عدة اشتباكات في عمّان، وكان كلا الطرفين: الجيش والفصائل، يُعِدُّون للمعركة القادمة. ومما زاد استفزاز الجيش والملك حسين، أن بعض المراهقين في بعض فصائل المقاومة كانوا يستفزون الضباط ويجردونهم من أسلحتهم ويوجهون إليهم إهانات، ويعود هؤلاء إلى معسكراتهم، وهكذا يعبأ الجيش ضدّ العمل الفدائي، مع أن الجيش كان سابقاً يغطي عمليات المقاومة

في فلسطين. وقبيل أحداث أيلول/ سبتمبر قامت الجبهة الشعبية بخطف ثلاث طائرات وأنزلوها في منطقة الأزرق في أرض رملية، وقاموا بتفجيرها وتغطيتها إعلامياً، كان استفزازاً كبيراً للنظام الأردني. وكنت حينها أقيم في جبل الحسين بعد أن تركت إربد في شهر آب/ أغسطس 1968 وجئت إلى عمّان ومكثت في بيتي هذا عامَيّ 1969 و1970. في هذا البيت الكائن بالقرب من دوار فراس، ويسمى دوار مكسيم في ذلك الوقت (ومكسيم اسم مطعم موجود على هذا الدوار، ومكسيم كما قرأت مطعم مشهور في باريس)، وهذا الدوار في نهايته يصل إلى مخيم الحسين وكان بيتي على الشارع الرئيسي الذي يؤدي إلى مخيم الحسين، لاحظنا قبل 17 أيلول/ سبتمبر حشداً فدائياً كبيراً، مجموعات مسلحة وأسلحة ورشاشات، ولاحظت أن بعض أهالي عمّان كانوا يغادرون، فقالت لي أم عمر دعنا نغادر مع المغادرين، كنت موظفاً في ذلك الوقت، قلت لها أين نغادر؟ قالت إلى دمشق أو بيروت، لن نستطيع المعيشة هنالك طبعاً الموظف العادي لا يستطيع أن ينفق، هناك أناس من الأثرياء وبعض الناس ذهبوا إلى السلط، فهي المدينة الوحيدة التي لم تحصل فيها فتنة، وعقلاء السلط منعوا الجيش الأردني والفدائيين أن يشتبكوا هناك. طبعاً حتى الآن لم يكتب أحد عن أيلول/ سبتمبر إلا قليل، وأنا سأكتب انطباعاتي التي مررت بها.

نحن الإخوان المسلمون كنا ابتداء ضدّ هذا القتال، لأننا نعتقد من منطلق شرعي بأنه لا يجوز للمسلم بأن يقتل المسلم، الفدائي مسلم والجندي مسلم، فحتى القواعد في الشمال جاءتهم الأوامر بأن لا يشاركوا لا مع الفدائيين ولا مع الجيش، فغضب منهم الفدائيون وعرفات وغضب منهم الجيش أيضاً، ولكنهم سجلوا موقفاً تاريخياً برفض هذه الفتنة. وقبل أيلول/ سبتمبر زارني أخي الكبير وهو يعمل مع فتح، وأحضر معه ضيفاً (خالد الحسن) وتناول طعام الغداء عندنا، وقال نريد أن نذهب إلى فندق كرفان، فأخذتهم من جبل الحسين ومررنا قرب دائرة المخابرات، وكانوا يسمونها فندق أبو رسول (محمد رسول الكيلاني)، فسأل خالد الحسن أخي الكبير وقال له إلى أين يريد أن يأخذنا أبو عمر؟ فضحكت وأوصلتهم إلى فندق كرفان حيث كانوا يلتقون مع بعض جماعة فتح، وكانوا يجهزون أنفسهم لهذه المواجهة بين الجيش وبين الفدائيين، وهي مواجهة ضخمة وكبيرة وقد أدت هذه إلى سقوط آلاف الضحايا.

وفي يوم 17 أيلول/ سبتمبر في الساعة الخامسة صباحاً بدأت المعركة، كنت في الطابق الأول فنزلت عند الجيران في الطابق الأرضي، مرت حوالي عشر مجنزرات للجيش باتجاه مخيم جبل الحسين، بعد ساعة أو ساعتين لم يعد من المجنزرات العشرة إلا خمس مجنزرات، مجنزرة أمام البيت تحاشت المرور في الشارع فخرجت على الرصيف، ويبدو أن الفدائيين قد كمنوا لها، فثار لغم بهذه المجنزرة فنسفت وخلعت كل أبواب الشقة التي كنا نسكن فيها والشبابيك فأصبحنا في الشارع، وعندما خرجت، كان هناك جندي جريح وهذه المجنزرة مدمرة والفدائيون نزعوا أسلحتها، وبعد قليل بدأت القنابل تنهال على هذه المنطقة من الجيش الأردني. في اليوم الثاني من أحداث أيلول/ سبتمبر وصل الجيش إلى دوار فراس، وحصلت معركة كبيرة جداً ثم تقدم واحتل المنطقة ودخل البيت الذي كنا نسكن فيه. وأذكر الجندي الأردني وكان يحمل كلاشنكوف، ويبدو أنه صادره من أحد الفدائيين، كان بدوياً وقدمنا له الطعام، والناس في ذلك الوقت كانوا يقدمون للفدائيين الطعام والشاي، وعندما جاء الجيش كان الناس يقدمون لهم الطعام والشاي أيضاً، قال لي هذا الجندي البدوي أين سيارتك قلت له هناك نوع بيجو زرقاء، فخرج ونظر وقال إنها سليمة، لم يستطع إنسان أن يفتح شباكاً في ذلك الوقت، فتحت أحد الشبابيك مرة ووجدت شاحنة فيها جثث ملقاة فوق بعضها البعض. مكثنا حوالي 12 يوماً من 17 أيلول/ سبتمبر حتى 28 منه، عندما توقف القتال وهو اليوم الذي توفي فيه عبد الناصر، بعد أن سعى في وقف إطلاق النار. في هذا الوقت كنا ننام على بطوننا، لأن القنابل والرشاشات في كل جهة ورب العالمين أخرجنا منها أحياء، وكان من الممكن أن نموت فيها كما مات كثير من الناس.

وكانت هناك في منطقة قريبة من البيت، مقابل شارع فرعي، مجنزرة للجيش تطلق من رشاش الخمسمائة، وكان في المقابل من الجهة الأخرى فدائيون، معهم رشاش دوشكا، وهذه أسلحة ثقيلة، ومن خلال الصوت ميّزنا أن رشاش الخمسمائة كان أسرع من الدوشكا. وسمعنا صوت حركة حول البيت، إذ يبدو أن بعض الفدائيين زحفوا، وقرروا أن يقصفوا هذه المجنزرة، سمعنا أصواتهم، ولكن لم يستطع أحد منا أن يرى بنفسه، ويبدو أنهم قصفوها، نحن كنا في وسط المعركة.

عملياً في 28 أيلول/ سبتمبر هدأت المعركة. استمعت إلى جلبة بالخارج وكانت أم عمر قد طبخت عدساً فتناولنا طعام الغداء وحمدنا الله، قلت لها مازحاً أين الإجاص لنتحلى به؟ قالت اسكت حتى لا يفطن الصغير عمر، وكان عمره ثلاث سنوات، أخذ يصرخ أريد إجاصاً، فخرجت للشارع لأرى سرّ الحركة في الخارج، كانت مساعدات قد وصلت، ووقفت قرب شاحنة تلقي صناديق الفاكهة على الناس، تفاح وبرقوق وإجاص، تلقفت صندوقاً وذهبت به للبيت وفتحته فكان إجاصاً!.

أخذت زوجتي معي وتركت ابني ووالدتي وابنتي الصغيرة مكانهم، وذهبت إلى عائلة زوجتي في جبل اللويبدة قرب جبل الحسين، وعند آخر خطّ للجيش الأردني قال لي أمامك اللويبدة تستطيع الذهاب لكن إذا لقيت أسلاك أو قنابل إرفع رجلك عنها، قلت بسيطة، كانت المنطقة مزروعة بقنابل وألغام من كل شكل ولون، وصلنا إلى البيت في هذه المغامرة، وهناك علمت أن شقيق زوجتي قد أصيب بجراح، وزرته في مستشفى لوزميلا وعدت بعد ذلك. هذه الفترة من الهدوء وفي هذا الوقت انعقد مؤتمر في القاهرة للزعماء العرب، وتمّ أخذ عرفات لحضور هذا المؤتمر، وعلمت أنه كان يقيم في منزل المستشار العسكري للسفارة المصرية وكان اسمه نجيب جويفل، وقد ذكرته سابقاً لقد كان أحد الشخصيات المهمة التي استطاع عبد الناصر أن يخترقها من الإخوان المسلمين منذ ذلك الوقت، وبعد أن ودّع عبد الناصر آخر زعيم عربي عاد إلى البيت، وبعد ذلك الوقت بدأ مرضه الشديد وتوفي في 28 أيلول/ سبتمبر، وقد خرجت له جنازة بالقاهرة تقدر بالملايين.

بعد ذلك هدأت الأمور وأصبحت تحصل معارك من موقع إلى موقع في جميع أنحاء عمّان، والجيش برئاسة رئيس الحكومة وصفي التل كان يقوم بمعركة تقضم شيئاً فشيئاً من مواقع الفدائيين، وهذا يذكرني في المعركة القائمة الآن (صيف 2007) في لبنان بين الجيش اللبناني وفتح الإسلام، يأخذون عمارة عمارة ومنزلاً منزلاً، ومن الواضح أنه كان هناك اختراقات في فصائل المقاومة من قِبَل النظام الأردني، وبدأ الجيش الأردني يتقدم شيئاً فشيئاً، وبعد ذلك خرجوا من عمّان، وذهبوا إلى منطقة الأحراش، في منطقة دبين وأحراش عجلون، ومكثوا حتى أواخر سنة 1971، ثم سُمِحَ

للفصائل الفدائية الموجودة في الأحراش أن تنسحب إلى سورية. وهكذا انتهت حركة أحداث أيلول/ سبتمبر وما تبعها من قضايا.

أحداث أيلول/ سبتمبر جعلتني أقرر أن أغادر عمّان، وفعلاً اتصلت مع قريب لي، وقدم لي طلباً وذهبت إلى الكويت مرة ثانية لأعمل في وزارة الكهرباء والماء، وأخذت عيالي معي ومكثت عاماً ونصف في الكويت، وعملت في مشروعين كبيرين في الكويت؛ المشروع الأول أبراج الكويت الثلاثة وكنت أعمل مهندس موقع من وزارة الكهرباء، ومنتدباً مع شركة في بي بي VBB السويدية، والتي تشرف على شركة يوغسلافية اسمها يونيون انجنيرينغ، وعملت طيلة عام كامل، حيث بُنِيَ ثلاثة أبراج، برج (أ) وبرج (ب) وبرج (ج)؛ برج (أ) عبارة عن خزان ماء وفوقه مطعم على شكل كرة متحركة، وبرج (ب) عبارة عن خزان ماء على هيئة كرة، وبرج (ج) في الوسط عبارة عن برج للإضاءة، عملت بالإشراف على معظم المشروع ابتداء من أساساته وحتى تقريباً عمل الكرة، بعد ذلك عملت في مشروع ثانٍ وهو عمارة في منطقة السالمية مواجهة للدفاع المدني، وقد أشرفت عليها حوالي سبعة أشهر. ثم جاءنا وفد من ليبيا، وقيل إن هناك نهوضاً في ليبيا ويريدون مهندسين، فأخطأت وذهبت هناك وأخذت العائلة معي، مع أنهم قالوا لي إبقَ في الكويت، وإن هناك مشاريع كثيرة. بعد ذلك ذهبنا إلى ليبيا ومنذ وطئت قدماي ليبيا بنغازي شعرت بأني أخطأت بذهابي هناك، مكثت شهراً ونصف فقط وعدت إلى الأردن، وكان ذلك في شهر أيلول/ سبتمبر سنة 1972 وبدأت مرحلة أخرى.

الفصل السادس

عقد السبعينيات

العودة إلى الأردن والعمل في مشروع سدّ الملك طلال:

عدت إلى الأردن في نهاية 1972 بعد أن غادرتها في بداية 1971، في هذه الفترة كان الجيش الأردني قد فرض سيطرته على جميع بقاع الأردن داخل المدن وفي الأحراش وفي كل مكان، وتمّ تحجيم الفصائل الفلسطينية، وبقيت أعداد منهم كانوا يعملون بصورة غير معلنة. وتمت الموافقة على إعادة تعييني في مؤسسة الروافد وقد تغير اسمها إلى سلطة وادي الأردن. أهم **مشروع في ذلك الوقت كان سدّ الملك طلال**، وبعد فترة وجيزة من تعييني قرر رئيس سلطة وادي الأردن عمر عبد الله أن يعينني مديراً تنفيذياً لهذا المشروع، وكان المدير العام في هذه الفترة ظافر البديري، وقد سافر في بعثة إلى الولايات المتحدة، وكان عمر عبد الله يقوم بدور رئيس ومدير عام السلطة. إن الخبرة التي اكتسبتها في العمل الميداني في سدّ خالد بن الوليد، بما فيها تصفية المقاولين العرب ومناقشة المطالبات التي قدموها، وقبلها تجربتي في قناة الغور الشرقية، وتجربتي في أبراج الكويت الثلاثة، واحتكاكي مع الشركات الأجنبية أعطتني خبرة جيدة جداً لأن أقوم بالإشراف على هذا المشروع المهم، وهو أكبر مشروع في الأردن، مشروع سدّ الملك طلال. المتعهد هو شركة بلانوم اليوغسلافية، والمشرف إنيرجو بروجكت أيضاً يوغسلافية، وقد تعاقدت سلطة وادي الأردن وهي صاحب العمل مع شركة فرنسية تدعى كوين أند بلبير، وهذه الشركة مهمتها الإشراف ومراجعة تصميمات مشروعات سدّ الملك طلال، وأشهر الفنيين كانا اثنين أحدهما اسمه جورج بوست والثاني جيولوجي. هؤلاء الفرنسيان كانا يتقاضيان رسوماً على الإشراف وعلى التصميم ومتابعة العمل، ويوميتهم في ذلك الوقت عندما كانوا يزورون العمل، 120 ديناراً أردنياً هذا بالإضافة لسكنهم ومأكلهم بما يعادل تقريباً ألفي دينار يومياً في الوقت الحالي، وكانوا مخلصين جداً وتعلمنا منهم الكثير.

بدأت المشروع وكان المشروع في بدايته، وكان ثمة مشاكل فنية كثيرة تعرقل العمل، أهمها أن المتعهد شركة بلانوم عندما بدأ العمل وقد أخذه بأسعار مضغوطة، ويبدو أن هذه الشركة كالعادة قد دفعت رشوات إلى متنفذين في الأردن، بحيث لم يعد لديها سيولة لتبدأ العمل، في ظلّ هذه الأجواء الصعبة كان علي أن أتقدم بهذا المشروع بقوة

لمصلحة الأردن بإنجاز عمل جيد، وقد عملت مع عدد من المهندسين الأكفاء ونظيفي اليد، أذكر منهم فايز عريقات وأحمد لطوف ونمر عرسان، كانوا يعملون مساعدين لي في قسم التنفيذ، وكان هناك قسم آخر اسمه قسم الدراسات يترأسه خبير باكستاني اسمه ترمازي، ثم جاء خبير آخر اسمه أصغري، وقبله كان هناك خبير فرنسي في قسم الدراسات. وأيضاً من الشخصيات التي عملت في قسم الدراسات ظافر العالم، وهو الآن (2007) وزير المياه والري في الأردن، وهو من الشخصيات الكفؤة.

عندما بدأت العمل كانت أمامنا مشكلة كيف نستطيع أن نجعل المتعهد يعمل بسرعة وإنجاز في ظلّ أسعار متدنية جداً، لم يكن بالإمكان رفع سعره إلا بالمداخل القانونية، كان هناك بند في الاتفاقية يسمى بند الأوامر التغيرية، فأعطينا هذا المتعهد حقه في كل عمل فيه تغيير، فمثلاً إذا كان هناك نفق حسب المخططات والمواصفات الأولية طوله 100 متر، ثم طرأ تمديده إلى 200 متر بقرار من الشركة الاستشارية ومن الشركة المراجعة الفرنسية فلا بدّ أن نعطيه سعر آخر للمئة متر الثانية؛ لأن المسافة أطول والنقل يكلف أكثر والتهوية أكثر، وهكذا كنا نعطيه، فكان المتعهد يجد متسعاً لتحسين دخله من خلال الأوامر التغيرية. وساعدنا أيضاً بند آخر، وهو أنه في العقد أتفق على أسعار المواد والبضائع ساعة توقيع العقد وأتفق على أن هذه الأسعار إذا ارتفعت بنسبة معينة 2% أو 5% يأخذ المتعهد فرق السعر للمواد سواء كانت إسمنت أم حديد أم حصمة، وهكذا بهذين البندين؛ الأوامر التغيرية وفرق الأسعار استمر المتعهد بعمله بهامش بسيط من الربح، وكان المهم لدينا أن نجعله ينجز، ولم تكن البطولة أن نضغط عليه، ونجعله يقف عن عمله، وبالتالي يتعطل هذا المشروع الكبير.

وللحقيقة فإننا نحن المجموعة التي كانت تشرف على المشروع، ومعنا المهندس ظافر البديري الذي جاء من بعثته بقينا في العمل المضني ستة أعوام كاملة. كنت أنزل إلى المشروع ثلاثة أيام كاملة في الأسبوع في الميدان وثلاثة أيام للعمل المكتبي، وهكذا ذللنا كثيراً من الأمور. أذكر جيداً أن مدير الدراسات ترمازي، وكنا على وشك الدخول في الموسم المطري وكان بناء السدّ قد بدأ ببناء سدّ تحويلي، الغاية منه منع مرور الماء وتحويله إلى نفق التحويل، فكان يضحك ويقول ماذا تفعل يا أبا عمر إذا جاء الشتاء

غزيراً وفاض النهر وعلا هذا السدّ؟ فكانت هذه الإشارة المازحة تجعلني أعمل بجد أكثر، وأحلّ معظم القضايا التي تعوق سير العمل، وفعلاً استطعنا أن ننهي سدّ التحويل وجاء الفيضان وتحول إلى نفق التحويل، وكنا وقتها نعمل أساسات السدّ. وباختصار بدأنا بتنظيف الأساسات للوصول إلى الصخر، وبعد ذلك قمنا بعمل نفق أسفل السدّ وهذا النفق يسمى نفق الحقن، بعد إنهائه بدأت فرق خاصة تقوم بحقن أساسات السدّ، لمسافة تصل إلى 50 متراً، بالإسمنت الخاص ومعه مادة طينية ناعمة اسمها بنتونايت Bentonite، عندما يتم حقن هذه المادة تتوزع بين الشقوق وتعمل تحته ستارة تمنع أي تسرب للماء من تحت السدّ. هذا أولاً، ثم تمنعه من أن يتسرب من الجانب الأيمن والجانب الأيسر، وفعلاً في الجانب الأيمن قمنا بعمل النفق وحقناه وفي الجانب الأيسر كانت المشكلة أعوص، فهناك التربة رملية ومنفذةٌ للمياه، فقمنا ببناء حائط، بارتفاع 30 متراً تقريباً وعمق يقارب 60 متراً، من الباطون وبطرق فنية معقدة لمنع تسرب المياه من التربة الرملية. والحقيقة أنني كنت حريصاً على تصوير كل مراحل السدّ، وكان هناك موظف قدير اسمه عوض الراجح كنت آخذه معي دائماً لأصور مراحل بناء السدّ، وتمّ تجهيز فيلم كامل لمراحل السدّ، ولا أدري ماذا حصل لهذا الفيلم هل تمّت الاستفادة منه أم وضع في الأدراج؟ أيضاً النقطة المهمة الأخيرة، يجب أن لا تتسرب المياه من تحت السدّ ولا من جوانب السدّ، وأيضاً يجب أن لا تتسرب من جسم السدّ، وبذلك فجسم السدّ يتشكل من نواة طينية تحيط بها من الأمام ومن الخلف مصافي أو فلاتر من الحصمة المتدرجة؛ ومن الجهة الأمامية ومن الجهة الخلفية يوجد تراب عادي، ويوضع أمامه صخور يتمّ إحضارها من تفجيرات في المنطقة، وكذلك صخور في الجانب الخلفي. هذه فكرة عن هذا السدّ والذي يسمى السدّ الركامي. ميزة النواة الطينية أنها تمنع تسرب المياه من جسم السدّ، وكانت هذه الطبقة تدحل (تُدَك) على طبقات لا تزيد عن 20 سنتيمتراً بمداحل خاصة ونسبة رطوبة خاصة وتفحص العينات، أما التراب العادي فكان يدحل على طبقات أكبر، أي نحو 40 سنتيمتراً وتفحص عينات منها في المختبرات، وفعلاً أنهينا السدّ بجميع مكوناته، وكان التسرب معقولاً جداً وناجحاً وبقي عندنا بناء المهرب، فربما تأتي فيضانات كبيرة وهذا أمر يجب أن يؤخذ في الحسبان، أنشئ المهرب، وربما كلف المهرب لوحده حوالي 20% من مجمل التكلفة، وكانت الغاية منه إنقاذ السدّ إذا تعرض

لأحد الفيضانات الضخمة. وهذا المهرب تمّ تنفيذه من الباطون المسلح وله بوابات، من الممكن أن تفتح بطريقة هيدروليكية، ويمكن فتحها بطريقة يدوية وتمت تجربته، وفعلاً عندما جاءت الفيضانات فتح هذا السدّ واندفعت المياه تجري في نهر الزرقاء، وهو يسيل حتى يصبّ في نهر الأردن.

وسدّ الملك طلال هو السدّ الوحيد الذي ينبع من أراضي أردنية ولا يوجد له مشاكل مع دول مجاورة، أما سدّ الوحدة فهناك طرفان، الطرف السوري، والطرف الصهيوني الذي استطاع أن يفرض اتفاقية في الخمسينيات من القرن الماضي، واستطاع أن يأخذ فيها 40% من نهر اليرموك. أما سدّ الزرقاء فهو في مناطق أردنية، فكل الأمطار التي تنزل في محيط عمّان وجرش والضليل تسير في مجاري المياه، وتتجمع في بحيرة سدّ الملك طلال.

بعد أن أنهيت العمل سنة 1978، أعددت كتباً رسمية، بالاشتراك مع المدير العام، ووجهناها إلى وزارة الزراعة ووزارة الأشغال ووزارة السياحة. أما بالنسبة إلى وزارة الأشغال، فاقترحنا بناء جسر أسفل البحيرة، بحيث أن من ينزل إلى البحيرة من منطقة الرميمين، يستطيع أن يستعمل الجسر، ويصل إلى الجانب الآخر من السدّ، وبالنسبة لوزارة الزراعة اقترحنا عليها زراعة أنواع خاصة من السمك في هذه البحيرة؛ لأن هذه المياه نقية فهي مياه أمطار وزراعة الأسماك يمكننا الاستفادة منها غذائياً، أما وزارة السياحة فمن المعروف أن على جانبي سدّ الملك طلال ثمة أراضٍ ربما بارتفاع 100 متر وهي مشتراة للحكومة الأردنية، فهذه الأراضي من الممكن تأجيرها لعمل حدائق ومطاعم تكون متنفساً لسكان عمّان وإربد ليأتوا مع أطفالهم، ويتمّ تسيير بعض القوارب على جانبي السدّ. لم يتمّ تنفيذ شيء مما طلبنا، والأكثر من ذلك أنني علمت بعد أكثر من أربع سنوات، بعد انتقالي للعمل في القطاع الخاص، أنه تمّ هناك إنشاء محطة الخربة السمراء لمعالجة المجاري (المياه العادمة) في منطقة عمّان وغيرها، ولا أدري من اقترح عليهم تحويل المياه إلى سيل الزرقاء. وكان التبرير، كما علمت، أنهم يقولون بأن هذه المياه معالجة تماماً، وبهذا تغذي سدّ الملك طلال. وتبين بعد ذلك أن المياه التي قدرت بـ 80 ألف متر مكعب في الساعة أصبحت حوالي 250 ألف متر مكعب في الساعة! فهم فقط يعالجون 80 ألف متر والباقي يظل دون معالجة كما هو وينزل إلى سيل الزرقاء وجوانب الزرقاء. الآن للأسف من يَزُرْ السدّ يجده مكرهة

صحية، وطبعاً سدّ الملك طلال الغاية منه تزويد الأغوار بالمياه لري حوالي 50-60 ألف دونم في فصل الصيف، لكن هذه المياه أصبحت ملوثة بكل شيء.

ومن ذكرياتي مع مجموعة العمل، أنني دخلت مرة على المهندس ظافر البديري المدير العام، وكان منفعلاً، وكان ذلك في أواخر المشروع، فقلت له مالي أراك منفعلاً؟ فقال لقد اتصل بي أحد أصحاب النفوذ في البلد، وقال لي إن المطالبات التي تدرسونها إذا ساعدتمونا وساعدتم المقاول بها، فسنجعلكم أنت وفريقك من الأغنياء، فقلت له ماذا فعلت؟ قال أغلقت الهاتف في وجهه. وظافر كان مهندساً كفؤاً ويده نظيفة، وجميعنا كنا على شاكلته، وجميع الضغوط التي مورست عليه لم تأتِ بنتيجة، لقد درسنا استحقاقات المقاول وأعطيناه حقه دون نقص أو زيادة. وذات مرة جاءني اتصال هاتفي من شخص متنفذ قال لي أنت مدعو على العشاء أنت وفريقك، هذا المتنفذ هو وكيل الشركة المتعهدة، وطبعاً معروف أنني لو لبيت الدعوة سينطبق المثل "أطعم الفم تستحي العين" فاعتذرت وقلت له إنني مشغول، بعد خمس دقائق اتصل بي مسؤول في سلطة وادي الأردن وقال لي لماذا لم تلبِّ دعوة هذا الشخص؟ فقلت له إنني مشغول، فقال إذن ليأتي فريقك فأجبته بأني سأقول لفريقي، وقلت لهم، فقالوا يا أبا عمر نحن لا نختلف في أي موقف تأخذه، نحن لن نوافق على ذلك، وهذا ما حصل. وهذا مثال على ما يتعرض له الموظفون المخلصون، في أي بلد، من الضغوطات المختلفة لحرفهم عن مصلحة البلد. في سنة 1978 أنهينا سدّ الملك طلال، ولم يكلفنا سوى 13 مليون دينار في ذلك الوقت. وفعلاً نظريتنا التي سرنا عليها كانت إعطاء المتعهد حقوقه، وبهامش ربح بسيط جداً، ولكنه استمر بهذا العمل وأنجزنا مشروعاً كبيراً.

حرب تشرين/ أكتوبر 1973:

وفي هذه الأثناء وبعد استلامي العمل بنحو عام حصلت **حرب تشرين**، التسمية الشعبية لها حرب رمضان، إذ تمت في العاشر من رمضان سنة 1973، والتسمية الرسمية العربية حرب السادس من تشرين الأول/ أكتوبر، والمصريون يسمونها حرب أكتوبر، والصهاينة يسمونها حرب يوم الغفران، وسميت بذلك لأن الجيش المصري والسوري استطاعا أن يهاجما العدو الصهيوني في يوم عيد لهم يسمى يوم الغفران،

حيث لا يعمل اليهود في هذا اليوم، وكانت ضربة قاصمة لهم.

وقد قرأت عن هذه الحرب من أكثر من مصدر لكن أهم شيء كان يعجبني أن المصريين قاموا بخداع الصهاينة؛ حيث صدرت الموافقة على إجازات كثيرة للضباط، وطلب من الضباط أن يستلقوا على ضفة القناة كأنهم في إجازات، وكان إعداد الحرب متكتماً وجيداً. وأحب أن أشير أيضاً إلى دور المهندسين ومن ضمنهم "المقاولون العرب"، الذين تعرفت عليهم كما قلت سابقاً في مشروع سدّ خالد بن الوليد، والحقيقة إنهم مجموعة ذات كفاءة عالية جداً ومخلصة ونظيفة، هؤلاء هم الذين بنوا قواعد الصواريخ المعدة للهجوم، وكان لهم دور للوصول مع الجيش المصري للتعامل مع خط بارليف Barlev line المبني من الرمال على قناة السويس، الذي لو قصف بالطائرات والمدفعية فلن يتأثر؛ لأن الرمل يمتص طاقة القذيفة ولا تؤثر في التحصينات، واستطاع هؤلاء أن يستوردوا مضخات مائية ضخمة ويضعون على مقدمتها "Nozzels" أي فتحات صغيرة جداً، فعندما تضخ المياه تخرج قوية جداً، وهذه هي التي تجعل الرمال تتآكل. وفعلاً اقتحموا خط بارليف واقتحموا قناة السويس، وكان الجيش المصري المؤمن هتافه الله أكبر، وكان هناك تفاعل من الأمة العربية كلها بهذا التوفيق في هذا الاكتساح، والجيش السوري استطاع أن يكتسح مواقع كثيرة، حيث كاد يصل إلى حدود 1948، ثم ما لبث أن اضطر للتراجع، ما حصل بعد ذلك أن أنور السادات أوقف القتال بعد أسبوعين.

خلال الحرب استطاع الضابط الصهيوني الماكر شارون وبمساعدة الأمريكيين، الذين صوروا المنطقة أن يجدوا ثغرة بين الجيش الأول والجيش الثاني المصري، وأعطوا هذه المعلومات إلى الصهاينة، وكان الأمريكيون يرسلون دباباتهم إلى العريش، وكانت محتلة، وتنزل محملة بالذخيرة وتذهب مباشرة إلى الجبهة بناء على دعوة جولدا مائير لأمريكا أنقذوا "إسرائيل". هذا المجرم شارون الذي كان له تاريخ حافل من الإجرام مع الشعب الفلسطيني استطاع أن يقتحم هذه الثغرة بدباباته، وينتقل إلى الجانب الغربي من قناة السويس ويتقدم، حصلت معارك كبيرة، ويقول سعد الدين الشاذلي، الذي كان رئيس الأركان وهو شخص كفؤ ومخلص: قال كان من الممكن لهذه المجموعة أن تحاصر وتباد لكن السادات لم يعطِ الأمر بذلك، فتمركزت في موقع يبعد 101 كيلومتر

عن القاهرة. ونريد أن نذكر أن شارون يحب رقم 101، لأن أول فرقة قادها في فلسطين، كانت تحمل هذا الرقم. وهكذا بالحوار السري بين السادات وبين كيسنجر (وهو سياسي داهية، ويهودي الديانة) اتفقا على أن تكون حرب رمضان حرب تحريكية وليس حرب تحريرية، وبذلك، عندما توقف الجيش المصري، زاد الضغط على الجيش السوري، ولم يستطع أن يحافظ على كل المواقع التي حررها.

في هذه الأثناء نزلت إلى السدّ، واجتمعت مع المقاولين اليوغسلاف والمستشارين، قالوا إننا لا نستطيع أن نعمل، قلت لماذا؟ قالوا الطائرات الصهيونية تأتي من فلسطين المحتلة فوق وادي الزرقاء بعيدة عن الرادار وتلتف وتقصف المواقع السورية، لقد خافوا، وبعض المهندسين الأردنيين قالوا لي كنا نرى الطيار وهو يقود الطائرة، بقدر ما كان قريباً من الأرض، وقالوا نريد أن نوقف العمل. أخبرت رئيس السلطة عمر عبد الله وقلت له هذه القصة وسألته ماذا يرى، قال اتركني اليوم سأخرج إلى الديوان وسآتيك بالخبر اليقين، اتصل بي بعد ساعات وقال لي: قل لهم أن لا يغادروا الموقع وأن يستمروا في العمل.

العمل في نقابة المهندسين:

أنتقل الآن إلى مرحلة جديدة من العمل، عندما عدت من الكويت عدت للعمل مع الإخوان، انتظمت مع المؤسسات التنظيمية وأسند إلي الإخوان مسؤولية رئاسة تيار الإخوان في نقابة المهندسين، كنا في ذلك الوقت نعلم أن العمل في نقابة المهندسين مهم جداً، وكان هذا في سنة 1973، أولاً العمل النقابي هو مجال لتدريب الكوادر الحزبية في النقابات قبل الانطلاق للعمل في أحزابهم، فمن خلال العمل في اللجان والمشاركة في الهيئات العامة والنقاش وقراءة القوانين والأنظمة، هذه كلها توجد نوعيات متمرسة من النشاط، وقد لاحظنا أن اليساريين يتقنون هذا العمل بالذات. أيضاً كان العمل النقابي له وجه فصائلي يساري، أي من يقوده الفصائل الفلسطينية واليساريون ولم يكن للإسلاميين أي دور، لدرجة أن الهيئات العامة كانت تعقد يوم الجمعة ولا ترفع الجلسات حتى لصلاة الجمعة، هكذا كانت المجتمعات في ذلك الوقت. أكثر من ذلك أن في نقابة المهندسين كان يوجد باران (البار مكان لشرب الخمر) أحدهما في الطابق الأرضي والثاني في الطابق العلوي، وكان

شيئاً طبيعياً لأعضاء مجالس النقابة وغيرها أن يحتسوا هذه المشروبات، وأحياناً أمام الأعين دون اكتراث لأي أحد.

ونحن كشباب إسلامي درسنا جيداً مبادئ حسن البنا، رحمه الله، وعرفنا إرادته الكبيرة لبناء الأجيال، ولم يكن يتجاوز الـ20 عاماً، وقرأنا أيضاً فلسفة سيد قطب، رحمه الله، أكبر الكتّاب المنظّرين في حركة الإخوان المسلمين، وأهمية أن يكون للإسلاميين مراكز قوة في المجتمع والنقابات فهي أحد مراكز القوة في المجتمع، فَطَرْحُ مقولة العمل على إقامة الحكومة الإسلامية أو الدولة الإسلامية أو تطبيق الشريعة الإسلامية لا قيمة له إذا لم يكن للإسلاميين مواقع ثابتة في كل مراكز التأثير في المجتمع.

وبهذه العقيدة اتفقنا نحن خمسة مهندسين أن نبدأ ونخطّ طريق التيار الإسلامي في نقابة المهندسين، كان ذلك في مجلس النقابة التاسع الممتد في الفترة 1974–1976، تحدثنا مع المهندس عبد الله البخاري، وكان ضابطاً في الجيش الأردني، وكان تخصصه كيمياء وله توجهات إسلامية؛ حيث كان تحريرياً سابقاً، فقلنا له ما رأيك أن تنزل الانتخابات كنقيب، فضحك وقال ماذا تستطيعون أن تقدموا لي إذا نزلت نقيباً؟ قلنا له نستطيع أن نقدم لك 20% من أصوات الهيئة العامة؛ حيث كانت تضمّ 500 عضو في ذلك الوقت، ففكر وقال 20% ممكن أن تعطي اعتباراً للشخص مهما يكن، قلنا له نتعاهد معك أن تنزل ولا تتأثر بأية ضغوط للانسحاب، قال توكلوا على الله. بعد فترة نزل مرشحان اثنان للنقابة أحدهما محمد جردانة مدعوماً من التيار الحزبي والفصائل الفلسطينية، ونزل معه أحمد فوزي وكان أمين العاصمة عمّان قبل ذلك، وهو شخصية اعتبارية نخبوية، ونزل عبد الله البخاري عن التيار الإسلامي، كنا نريد أن نخطّ خطاً إسلامياً في ساحة العمل النقابي، ولو كان خطاً بسيطاً.

بعد فترة اتصل أحمد فوزي بعبد الله البخاري وقال له لم لا تنسحب لي فأنا أقوى منك لنستطيع أن نقف أمام محمد جردانة، قال له لقد أعطيت كلمة للإسلاميين ولا أستطيع أن أسحبها، قال من يمثلهم؟ قال اذهب إلى إبراهيم غوشة في سلطة وادي الأردن فهو مدير مشروع سدّ الملك طلال، جاءني أحمد فوزي واستقبلته استقبالاً جيداً وقال لي نريد أن تعطونا الفرصة الآن، وبعد سنتين نعطيكم الفرصة التالية. شرحت له أن ذلك صعب

لأننا أخذنا قراراً، ولا نستطيع أن نتراجع عنه، واعتذرت له بأسلوب لبق.

حدثت الانتخابات، كنا خمسة مهندسين، والمهندس كان عليه أن ينشط ويُكتّل المؤيدين، وفعلاً استطعنا أن نحصد 100 صوت أي 20% من الأصوات، وهو ما وعدناه به، أي 100 من 500، سرّ عبد الله البخاري، وبدأ أول خطٍّ للتيار الإسلامي في نقابة المهندسين، وحصل جردانة على 250 صوتاً وحصل فوزي على 150 صوتاً، وبالتالي أصبح النقيب هو محمد جردانة. كانت التجربة تمثل المدماك الأول في بناء العمل، استمررنا في بناء العمل وأنزلنا عدداً من كوادرنا الملتزمة، منهم سعيد بدير تخصص كهرباء، ومنهم نور الدين خصاونة في الميكانيك، ومنهم عبد الحميد الخطيب في الكيمياء، وأنا نزلت في شعبة المدني. استطعنا أن ننجح في انتخابات الشعب مرتين، ولكن لم نستطع أن ننجح في المجلس، لأن من ينجح في الشعبة يحقّ له أن ينزل في المجلس، عندما كنا ننزل في المجلس كان الجميع يتكتل ضدّنا، وأعني بالجميع القوى اليسارية والفصائل الفلسطينية وجماعة الدولة.

وأذكر في إحدى المرات حصلت على ألف صوت، وكان ينقصني 100 صوت لأنجح وأكون عضواً في المجلس عن شعبة الهندسة المدنية، فكان لزاماً علينا أن نعيد النظر في عملنا، وخاصة بعد التجربة المهمة التي حصلت في المجلس الـ 12 في الفترة 1980-1982، في هذا المجلس نزلت ثلاثة تيارات للانتخابات؛ تيار يساري حزبي وعلى رأسه عوني المصري، والتيار الإسلامي وعلى رأسه تحسين خريس، والتيار الفتحاوي وعلى رأسه عدنان فياض، وكانت معركة شديدة جداً وكانت معركة واضحة المعالم. وأذكر أن أحد المهندسين المعماريين، وكان رسام كاريكاتير، يرسم في جريدة صوت الشعب، واسمه ماهر النمري، وقد رسم ما يلي: الكتلة التي يمثلها عوني المصري كان يعطيها صورة الدب لليسار، وكان يعطي الفتحاويين السيارة على أساس أنهم متقدمون أكثر، أما الإسلاميون فكان يعبر عنهم بالجمل كناية عن الرجعية. هذه المعركة كانت تجري للنقيب أولاً فإذا أخذ أغلبية مطلقة ينجح وإذا لم يأخذ أغلبية مطلقة تجري جولة ثانية بين أعلى الأصوات. فاتفقنا نحن وفتح، وهذه إحدى التجارب مع فتح، قلنا إذا أخذ الحج تحسين خريس، ممثل التيار الإسلامي، أكثر من عدنان فياض

ممثل فتح في الجولة الأولى فعلى كوادر فتح أن يدعموا الحج تحسين في الجولة الثانية، وإذا عدنان فياض أخذ أكثر من الحج تحسين فعلى كوادر الإخوان أن يدعموا عدنان فياض. فقلنا هل اتفقنا على ذلك؟ قيل نعم اتفقنا على ذلك. في الجولة الأولى أخذ أعلى الأصوات عوني المصري 45% ولكن ليس بالأغلبية المطلقة يليه تحسين خريس 35% (وهذه تعطيك فكرة أن التيار الإسلامي تقدم من 20% إلى 35%) ثم فتح 20% وكان من المفروض أن ينفذ الاتفاق، وهذه تجربة رأينا فيها أن فتح لا تلتزم بأي اتفاق، فماذا فعلت؟ عندما صارت الجولة الثانية انقسمت فتح إلى ثلاثة أقسام قسم غادر القاعة ولم يشارك، وقسم أعطى عوني المصري، وقسم بسيط جداً أعطى تحسين خريس، فطبعاً اكتسح عوني المصري. وعندما انتهت الانتخابات و"غدروا" بنا قلت للإسلاميين لا تنتخبوا رايق كامل؛ حيث كان من فتح، وذلك على أساس أنه لو نجح تحسين خريس فقد يفوز رايق كامل بمنصب نائب النقيب. وبالفعل، فقد نزل في الانتخابات وأسقطناه، وأعطينا أصواتنا لشخص مستقل وهو روحي الشريف. وهكذا يجب أن تكون المعاملة العين بالعين والبادئ أظلم.

هذه المحطة كانت مهمة لنا استخلصنا نتيجة أننا لا نستطيع أن نقترب من نقابة المهندسين إذا أنزلنا فقط عناصر ملتزمة، فاتفقنا على عمل تيار مستقل على أساس أن تصبح القاعدة أعرض وأن ينجح شخص مستقل بدعمنا، وأن يساعدنا في النقابة، أفضل من أن نبقى بطريقتنا السابقة، التي قد تؤدي لسقوط التيار الملتزم. وسرنا على هذه الطريقة، وأصبحنا ندعم قوى مختلفة، وصار يخرج مستقلون مثل ربحي الحامد وعزام العناني وجمال الشخشير في هذه الانتخابات، ولكن أريد أن أقول إن هذا التيار المستقل رغم أننا أسسناه واخترناه، فالفتحاويون أرسلوا من يخترقه، وأنصار الدولة أيضاً أرسلوا من اخترقه، واليسار أرسل من اخترقه. واستطعنا أن نفرز عناصر من شبابنا وقلنا لهم إياكم أن تعطوا أي إيحاءات إسلامية، وامتزجوا مع القوى الأخرى، ونريد معلومات عن التخطيط في كل القوى، وهكذا استطعنا في فترة معينة أن نعرف كيف كان يتكتك هؤلاء، وهذه مهمة جداً في أي معركة، لدرجة أننا كنا نلتقي مع هؤلاء الذين كنا أفرزناهم في العمل المنظم، ولم نكن نسلم عليهم وكأنهم لا يعرفوننا ولا نعرفهم.

في هذه الفترة زرنا المهندس ليث شبيلات في البيت في منطقة الشميساني ومعي المهندس تحسين خريس وزياد أبو غنيمة، كان في ذلك الوقت صوفياً مع الشيخ حازم أبو غزالة، وبعيداً عن النشاط النقابي والسياسي؛ حيث كنا نريد شخصية مستقلة ليست معادية للإسلام لنقدمها كنقيب، عرضنا عليه الفكرة فوافق ونزل أول دورة فلم ينجح وحصل على أصوات جيدة، ولكن في الدورة الـ 13 وهي مجلس 1982–1984 دعمنا ليث شبيلات بقوة أمام ميشيل مسنات وهو يمثل اليسار والفصائل الفلسطينية، وليث يمثل التيار الإسلامي ويدعمه المستقلون. حصلت معركة عنيفة وفي نهاية الليل كان ليث قد تقدم على ميشيل مسنات، وبكى يومها ميشيل مسنات حزناً على أول هزيمة لقوى اليسار المدعومين من الفصائل الفلسطينية، وبكى الإسلاميون فرحاً لأول نصر سجلوه في هذه المعركة، ونجح مع ليث روحي الشريف نائب النقيب، وعزام العناني وجمال الشخشير وربحي الحامد أعضاء في المجلس، وهذه كانت أول اختراق للنقابة.

بعد هذا النصر أصبح اليسار يحسب حساب الإسلاميين، وفي دورة 1986–1988 عملنا عملاً تكتيكياً خاصاً لنا، حيث أوحينا بأننا لا نريد أن ننزل الانتخابات، وكان قد نزل الانتخابات أسامة العناني كنقيب مرشح وعمر بدير كنائب للنقيب باعتبارهما مستقلين، وقد زارونا، فقلنا لهما نحن لم نقرر بعد، وفعلاً قبل الانتخابات بفترة بسيطة جداً أرسلنا لهم وقلنا نحن في التيار الإسلامي قررنا أن ندعمكما، ولكن لا نريد أن تعلنا ذلك بتاتاً، اعملوا كمستقلين، في هذه الفترة كان مرشح اليسار والفصائل إبراهيم أبو عياش في إجازة في العقبة وجاءته أخبار بأن هناك مهندسين يعملون في العقبة لدعم أسامة العناني وعمر بدير وبهدوء، فقطع إجازته وعاد إلى عمّان وأحس بأن هناك شيئاً ما، وفعلاً عندما حصلت الانتخابات لم يتقدم إبراهيم أبو عياش إلا بـ 13 صوتاً على أسامة العناني، كان التيار الإسلامي قاب قوسين أو أدنى من هزيمة إبراهيم أبو عياش النقيب المخضرم من اليسار والفصائل الفلسطينية، ولكن نجح عدد من اليساريين والإسلاميين في الانتخابات.

أما الدورة الأخيرة التي شاركت بها فهي المجلس الـ 16، في هذه الدورة كان ليث شبيلات قد برز نجمه وانتُخِبَ عضواً في البرلمان الأردني، ولا شك بأنه كان لنا دور في

دعم ليث شبيلات، كمهندسين إسلاميين، ولكن مع الأسف التفت حوله قوى اليسار وبعض الفصائل الفلسطينية، وأذكر أنه أصبح في الآونة الأخيرة لا يعتمد إلا على مرجعية يعقوب زيادين زعيم الحزب الشيوعي، وإبراهيم بكر المحامي المتمرس واليساري والداعم للفصائل الفلسطينية. أذكر جيداً عندما شكلنا مجلس النقابة للنزول في دورة 1988-1990 التقينا في مكتب المهندس حسني أبو غيدا، وهو الآن (2007) وزير أشغال وهو مهندس معماري، واتفقنا أن يكون ليث مرشح التيار الإسلامي والمستقلين للنقيب وحسني أبو غيدا نائب النقيب وأعضاء آخرون وقرأنا الفاتحة وأحضرنا الحلو، ولكن بعد ثلاثة أيام، وبسبب شعور ليث بأنه يملك كاريزما كبيرة جداً، صار يقول بأني أريد أن أكون مرشح الجميع وليس فقط التيار الإسلامي والمستقلين فإما أن توافقوا وإلا فلا، فقلنا له إننا اتفقنا ولا يجوز نقض هذا الاتفاق، وكان ليث قد بلغ ذروته في الشعبية ولكننا كتيار إسلامي رفضنا أن نُسْتَغَلَّ من أي شخص كان. وكما ذكرت فإننا بدأنا بداية بسيطة، ولكن منظمة وحاسمة فكان لا بدّ أن نُنْزِلَ شخصاً مع التيار الإسلامي، ويكون لنا استقلالية في القرار، وفعلاً أنزلنا محمد خير الكيلاني وقد رشحناه احتياطاً فيما لو حصل شيء، وجرت الانتخابات، وحصل ليث في هذه الدورة على ثلاثة آلاف صوت، وكانت له كاريزما هائلة، وحصل محمد خير على أكثر من ألف صوت، ولكننا أثبتنا نحن أن التيار الإسلامي سيبقى ملتزماً بالتقاليد النقابية. هذه آخر معركة نقابة أشرفت عليها وبعدها بقليل انتقلت للعمل في قسم فلسطين، ثم مع نواة حركة المقاومة الإسلامية حماس.

مجموعة الحوار التي كنت أقودها في ذلك الوقت كانت تتكون مني ومن عزام الهنيدي ووائل السقا، وبعد أن تركت العمل في نقابة المهندسين كمسؤول عن التيار الإسلامي استلم الأخ عزام الهنيدي؛ حيث رشح الأخ عزام الهنيدي ونجح كنائب للنقيب وبعد ذلك كنقيب ودخل العصر الإسلامي الإخواني في أهم نقابة، نقابة المهندسين التي يناهز عدد منتسبيها 70 ألف مهندس، وبعد أن أصبح عزام الهنيدي نائباً في البرلمان، الآن يقود النقابة الأخ وائل السقا. والتيار الإسلامي متجذر جداً في هذه النقابة، ويقدم خدمات هائلة لكل المهندسين، وأصبح المهندسون وحتى العاديين منهم بما في ذلك المسيحيون ينتخبون هذه المجموعة ذات الأيدي المتوضئة النظيفة البعيدة كل البعد عن الفساد،

وأصبحت الدولة في الأردن تنظر بخطورة إلى نقابة المهندسين، وحاولت عدة مرات أن تسيطر عليها أو أن تحجمها، ولكن هذه القاعدة الواسعة من المهندسين التي تدعمها، تجعل أي قرارات للدولة مستحيلة التنفيذ أو الإلزام لهذا التيار.

التطورات في لبنان:

في هذه الفترة حصلت بعض التطورات في **لبنان** وكانت هذه الإرهاصات مقدمة **للحرب الأهلية** التي وقعت هناك، أول هذه التطورات اغتيال القادة الثلاثة في نيسان/ أبريل 1973 وهم: محمد يوسف النجار وهو أخ مسلم سابق، وكمال عدوان الذي كان عضواً في الإخوان المسلمين قبل أن يغادر القطاع إلى القاهرة لمتابعة الدراسة، والشاعر كمال ناصر. تمّ اغتيالهم وحصلت مظاهرات ضخمة، وكان هناك اختراق في جهاز الأمن اللبناني، وطبعاً كشف فيما بعد بأن ممن شارك في هذه الجريمة باراك وزير الدفاع الحالي (صيف 2007) وشاحاك، وتطورت الأمور حتى حصلت الحرب الأهلية في سنة 1976-1990. من الأمور التي حدثت في هذه الفترة انعقاد مؤتمر الرباط في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1974، وفي هذا اللقاء حصل ضغط شديد على الأردن لاعتبار أن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وقيل إن الملك حسين قد تأثر كثيراً في هذا الاجتماع، وكانت أهم شخصية دفعت في هذا الاتجاه من الحكام العرب هو الحسن الثاني، وكان هناك توجه من كل الدول العربية أن يغسلوا أيديهم من القضية الفلسطينية ويحملوها لمنظمة التحرير. وبخصوص هذا القرار قال لي عبد الحليم خدام، عندما كان نائباً لرئيس الجمهورية السورية، وقد زرته في التسعينيات على رأس وفد حماس، إننا أخطأنا في إعطاء هذه القضية إلى ياسر عرفات. وفي سنة 1974 أعلن ما يسمى بـ"النقاط العشر الفلسطينية" وهي تتضمن أن أي جزء يحرر من فلسطين يمكن أن تقام عليه الدولة الفلسطينية، وقيل إن وراء هذه النقاط العشر الجبهة الديموقراطية برئاسة نايف حواتمة. وهذا التحول بدأ ينحرف شيئاً فشيئاً عن التمسك بأراضي فلسطين عام 1948؛ حيث نعلم جيداً أن انطلاقة حركة فتح وإطلاق الرصاصة الأولى كانت في 1965/1/1، وكانت غايتها تحرير فلسطين التي سقطت سنة 1948. وبدأ الفلسطينيون يفكرون في إقامة سلطة فلسطينية. وفي هذه

الفترة حصل **العدوان الصهيوني على جنوب لبنان سنة 1978** وكان عدواناً خطيراً مهد فيما بعد إلى عدوان 1982 . وفي هذه الفترة لا ننسى أن نتحدث عن الانحراف الخطير بالنسبة للقضية الفلسطينية، الذي قام به السادات في زيارته للقدس في تشرين الثاني/ نوفمبر 1977 ، وكنت وقتها أنا وزوجتي نؤدي فريضة الحج . وعندما كنا في منى قيل لنا إن السادات موجود الآن في القدس وزيارته هي امتداد لحرب 1973 والموقف التحريكي وليس التحريري، ومفاوضات السادات مع كيسنجر أدت بعد ذلك لهذه الزيارة . ألقى السادات خطاباً في الكنيست، وكان رئيس الحكومة مناحيم بيجن وهو مؤسس حركة الأرغون الإرهابية قبل حرب 1948. وتحت رعاية كارتر، وفي كامب ديفيد، اتفقوا على الانسحاب من سيناء مقابل اتفاقية سلام كاملة، ولكن الانسحاب من سيناء كان مشروطاً بشروط عسكرية؛ بحيث إن الجيش المصري لا يستطيع أن ينتشر بصورة كاملة في سيناء ولا أن يقف بجنوده على حدود 1948 ، وسمح له بوجود أعداد محدودة من الشرطة والجيش . وبعد ذلك صارت مفاوضات على منطقة طابا وهي أرض بمساحة كيلومتر مربع واحد تابعة لسيناء، وأصر المصريون على التمسك بها، والسادات رفض أن يتخلى عنها، ولا أن يقبل بعض المستوطنات في العريش، ولا أن يقبل بأي مطارات عسكرية في سيناء. ومصر نفسها التي تمسكت بكل ذرة من ترابها هي للأسف تدفع الفلسطينيين ليتنازلوا عن 78% من أرضهم. وليس مصر وحدها وهناك بعض الدول العربية أيضاً التي لها الموقف نفسه وقد ظهر ذلك فيما يُعرف بالمبادرة العربية . أيضاً في هذه الفترة حصل مؤتمر بغداد في 2-5/11/1978 إثر عقد اتفاقية كامب ديفيد وقرر حكام العرب نقل جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس، وقاطعوا مصر، وأصبحت مصر معزولة عن معظم البلاد العربية .

الثورة الإسلامية في إيران:

في هذه الفترة أريد أن أتحدث بالتفصيل عن الثورة الإسلامية في إيران؛ حيث كان يحكمها شاه إيران محمد رضا بهلوي، وقد كان مرتبطاً ارتباطاً حميماً بالولايات المتحدة، ودعمته بالأسلحة، حتى كان يسمى بشرطي الخليج في ذلك الوقت، وفي الوقت نفسه كانت له علاقات قوية مع الكيان الصهيوني، وللعلم فإنه يوجد يهود إيرانيون

يقيمون داخل الكيان الصهيوني، منهم رئيس الدولة الذي سقط أخلاقياً (موشيه كتساف Moshe Katsav)، ومنهم شاؤول موفاز Shaul Mofaz، وكان لهم نفوذ قوي في إيران وكان لهم سفارة، وعندما نجحت الثورة أعطيت لمنظمة التحرير.

كان حكم شاه إيران حكماً دكتاتورياً متجبراً منفتحاً على الغرب، يكره العرب والمسلمين ويعظّم تاريخ الفرس، وذات مرة أقام احتفالاً في ذكرى داريوس أحد قادة الفرس القدامى، ودعا قادة الدول من العالم وأنفق مبالغ طائلة لهذا الاحتفال فقط، بينما كان شعبه يتضور جوعاً. في هذه الفترة ظهر آية الله الخميني وقد غادر إيران إلى العراق، مكث فترة، وغادر العراق إلى فرنسا، وأقام هناك وبدأ يحرك الشعب الإيراني من خلال الملالي، ويرسل الأشرطة إلى إيران فتنتشر بين الشعب انتشار النار في الهشيم، وكانت تدعو إلى الثورة ورفض حكم الشاه وبالعودة إلى الإسلام والحكم به وتطبيق العدالة الإسلامية، وعندما تهيأت له الأجواء غادر الخميني باريس بطائرة إلى طهران وقبل وصوله نصح الأمريكيون شاه إيران بالمغادرة، وقيل في إحدى المرات كان الشاه في الطائرة ورأى سواداً فقال ما هذا السواد؟ قالوا له كانت مظاهرات من النساء الإيرانيات يلبسن الشادور فجنّ جنونه. حاول الشاه أن يستغل الحرس الإمبراطوري والسافاك وهو نظام المخابرات، فعذب رجال الدين وقيل إن بعضهم كانوا يلقون في المقالي، يقلونهم قلياً، أما بالنسبة للحرس الإمبراطوري فقد كان يطلق النار على المظاهرات وقرأت عن بعض المظاهرات التي خرج بها الرجال، وأطلقت عليهم النار بكثافة شديدة جداً، فقتل من قتل، ولكن هذا الجيش وجد أمامه مظاهرة ضخمة من النساء، فأخذت تهتز ثقته بنفسه. شعب يرتمي على الموت يريد أن يتخلص من الشاه، ويريد أن يعود الخميني، وفعلاً هذه الإرادة الشعبية هي التي حطمت شاه إيران، فغادر للخارج. أما أمريكا حليفته لم تسمح له أن يقيم في الولايات المتحدة ولا أن يدفن فيها، وبعد ذلك استقبله صديقه السادات ودفن في مصر. أما الخميني، فعندما وصل إلى إيران تمّ تشكيل حكم إسلامي وطني شاركت فيه كثير من القوى؛ قوى وطنية وقوى يسارية كالحزب الشيوعي القومي وجماعة مجاهدي خلق، ولكن بعد فترة بدأ صراع شديد بين مجموعة الخميني الإسلامية التي أرادت أن تبسط يديها على الحكم تماماً وبين الشيوعيين، وبعد ذلك مجاهدي خلق، وبدأ مجاهدو خلق بعمليات اغتيالات

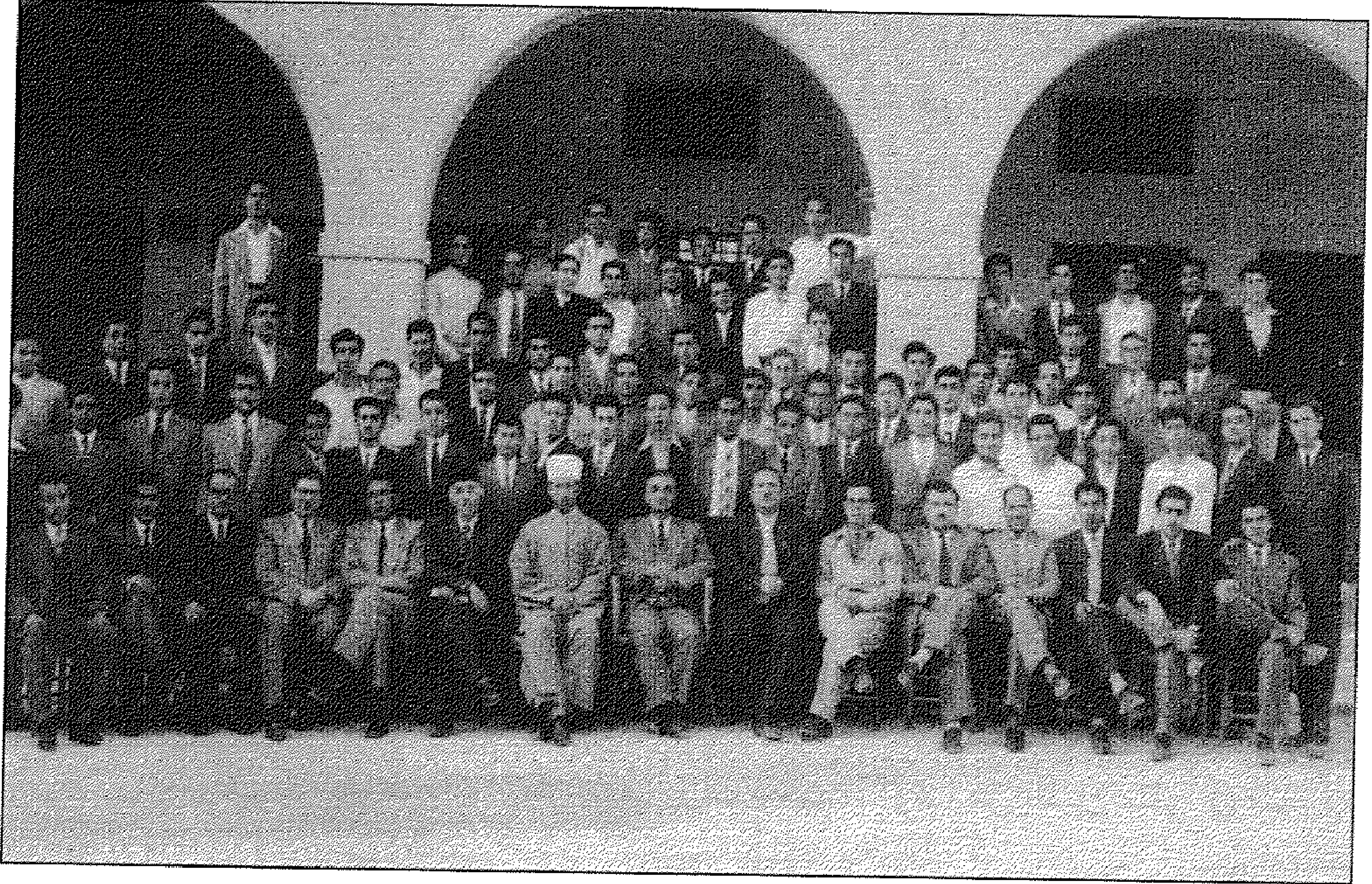
وتفجيرات كثيرة، ونسف مجلس الشورى هناك وقتل 100 شخص، ومعظم القادة التاريخيين للثورة الإسلامية قتل في عمليات تصفية، حتى خامنئي وهو الآن الإمام والمرجعية الأولى، عندما تصافحه يصافحك بيده اليسرى، لأن يده اليمنى مصابة بأحد الإنفجارات التي حصلت. واستطاع مؤيدو الخميني بعد ذلك أن يقضوا على جماعة مجاهدي خلق وتمّ طردهم إلى الخارج، وأيضاً ممن تآمر على الثورة البهائيون ولذلك صبت الثورة الإسلامية في إيران جام غضبها على البهائيين وقضت عليهم، وكان رئيس وزراء إيران في زمن الشاه بهائياً، وللبهائيين مجموعة غنية وثرية في الولايات المتحدة وهناك بعض البهائيين في بعض الدول العربية.

الخميني لم أقابله أنا، وعلمت أن وفداً من الإخوان المسلمين ذهب لمقابلته، وكان ذلك في الثمانينيات على أساس أن يتدخل لتخفيف المعاناة عن الإخوان في سورية. الخميني لم يضغط كثيراً على سورية ولكنه وعد بأنه سيتحدث مع حافظ الأسد إذا لاقاه.

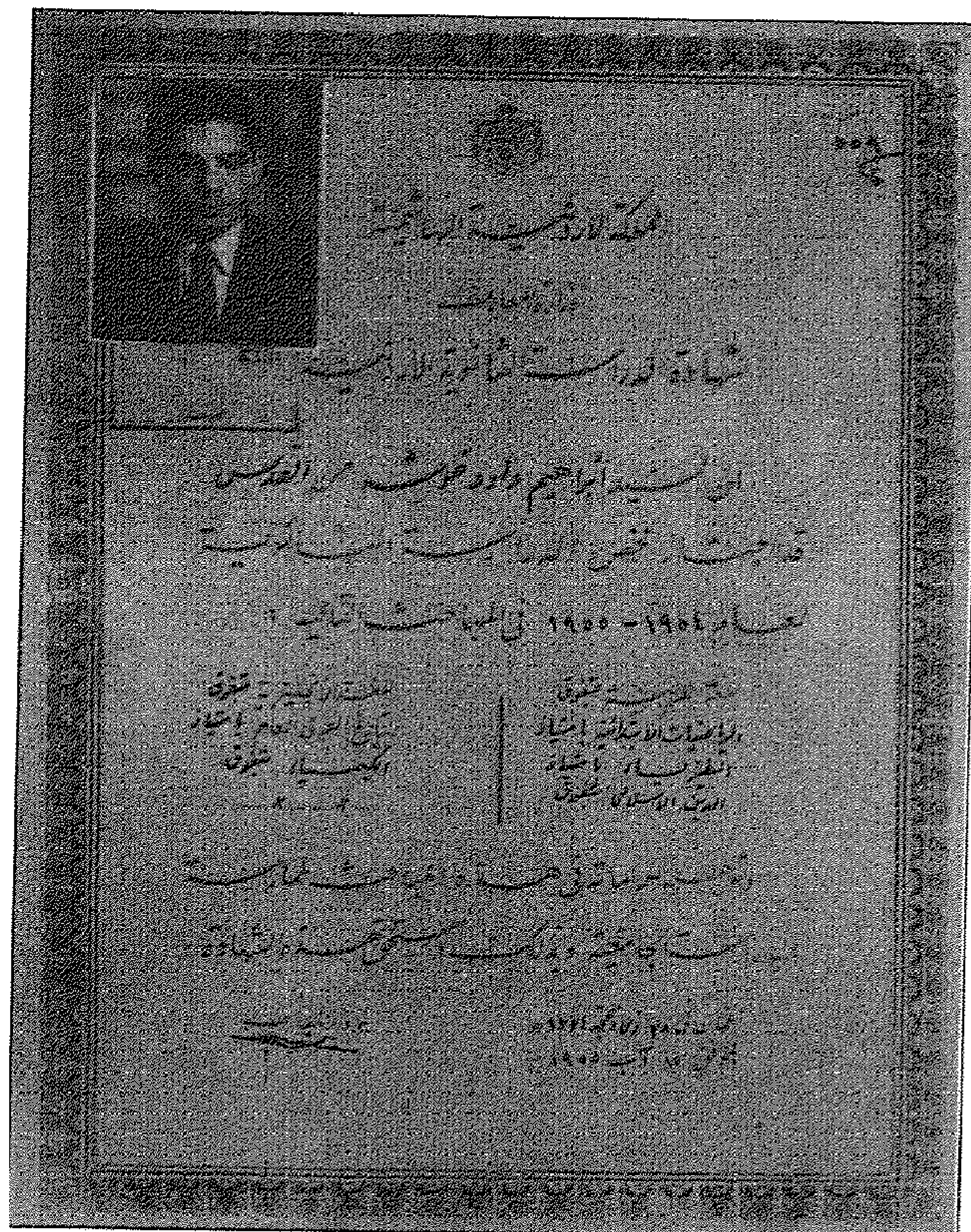
في الأردن فرح الإخوان المسلمون في بداية الثورة الإيرانية، بعد أن هزت هذه الثورة جميع المشاعر العربية والإسلامية الشعبية، لأنه تمّ التخلص من نظام دكتاتوري، وتتمنى هذه الشعوب أن تتخلص من الأنظمة الدكتاتورية الموجودة في البلاد العربية والإسلامية، وأضف إلى ذلك أن الإسلاميين ومنهم الإخوان المسلمين، وجدوا لأول مرة أن الإسلام في القرن العشرين يصل إلى الحكم، وأنه من الممكن للإسلاميين أن يصلوا للحكم. وفعلاً دعا الإخوان إلى مهرجان ومظاهرة ضخمة في عمّان، وعلى الرغم من العلاقة القوية التي كانت بين الملك حسين وبين الشاه، إلا أن الإرادة القوية لشباب الإخوان، ودراسة أصحاب القرار هذا الموضوع، رأوا أنه من الأفضل تمرير هذه المظاهرة، وخطب في هذا المهرجان عدد من قادة الإخوان في الجامع الحسيني الكبير، وقد حضرت هذا المهرجان بنفسي وسرت في المسيرة، وأذكر أن أكثر رموز الإخوان اندفاعاً مع الثورة الإسلامية في إيران، هو المجاهد عبد الله عزام، وبعد ذلك سمعت أن عبد الله عزام عندما غادر إلى أفغانستان لدعم المجاهدين هناك غيّر من وجهة نظره بالنسبة للثورة التي حصلت في إيران، لأنه كان يرى أن البعد الشيعي يطغى على الثورة الإسلامية، حيث تمّ وضع المرجعية للمذهب الجعفري الاثني عشري. وقد زرت بيت الخميني في طهران، وهو بيت

بسيط جداً، رجل متقشف، عندما تلتقي مع الإسلاميين الشباب جماعة الخميني تجد أن التزامهم بالإسلام قوي جداً.

وفي هذه الفترة، وحتى يمنعوا التيار الإسلامي من أن ينتقل إلى بقية الدول العربية والإسلامية ثارت **حرب الخليج الأولى** وافتعالها كان لسبب غير منطقي، وهو قضية حدود شط العرب، ودعم العرب والغرب الرئيس صدام حسين وأخذ البعض يتحدث عن البوابة الشرقية وأهمية ما يسمونه "هزيمة الفرس"!! ونحن الإسلاميين في الأردن وفلسطين كنا ضدّ هذه الحرب، وكنا نراها حرباً ضدّ المسلمين، وأذكر أنني في إحدى زياراتي لطهران ذهبنا تجاه الجنوب لزيارة مرقد الخميني، وكان هناك وفد من الإخوان معنا، وفي الطريق مررنا على مقبرة ضخمة جداً، سألت أحد موظفي وزارة الخارجية عن هذه المقبرة وعن ضخامتها، فقال هنا يرقد مئات الألوف من الذين قتلوا في الحرب الإيرانية العراقية. والإيرانيون يسمونها الحرب المفروضة، فرضت عليهم، ولذلك يجب أن نفهم جيداً أن الإيرانيين لا يطيقون صدام حسين ولا يريدون بناء عراق قوي؛ لأنهم يخشون منه في المستقبل كما حصل في السابق. كما أن العراقيين لا يطيقون الإيرانيين وهم خصم قريب، وهذا يجب أن يؤخذ في الاعتبار ما بين الإيرانيين والعراقيين، ونحن كإسلاميين نحب أن يجمع الإسلام بين الشعب العراقي والشعب الإيراني، كما جمعهم أيام الفتح الإسلامي في ذلك الوقت.



دفعة خريجي الرشيدية، الخامس ثانوي، القدس، سنة 1955.



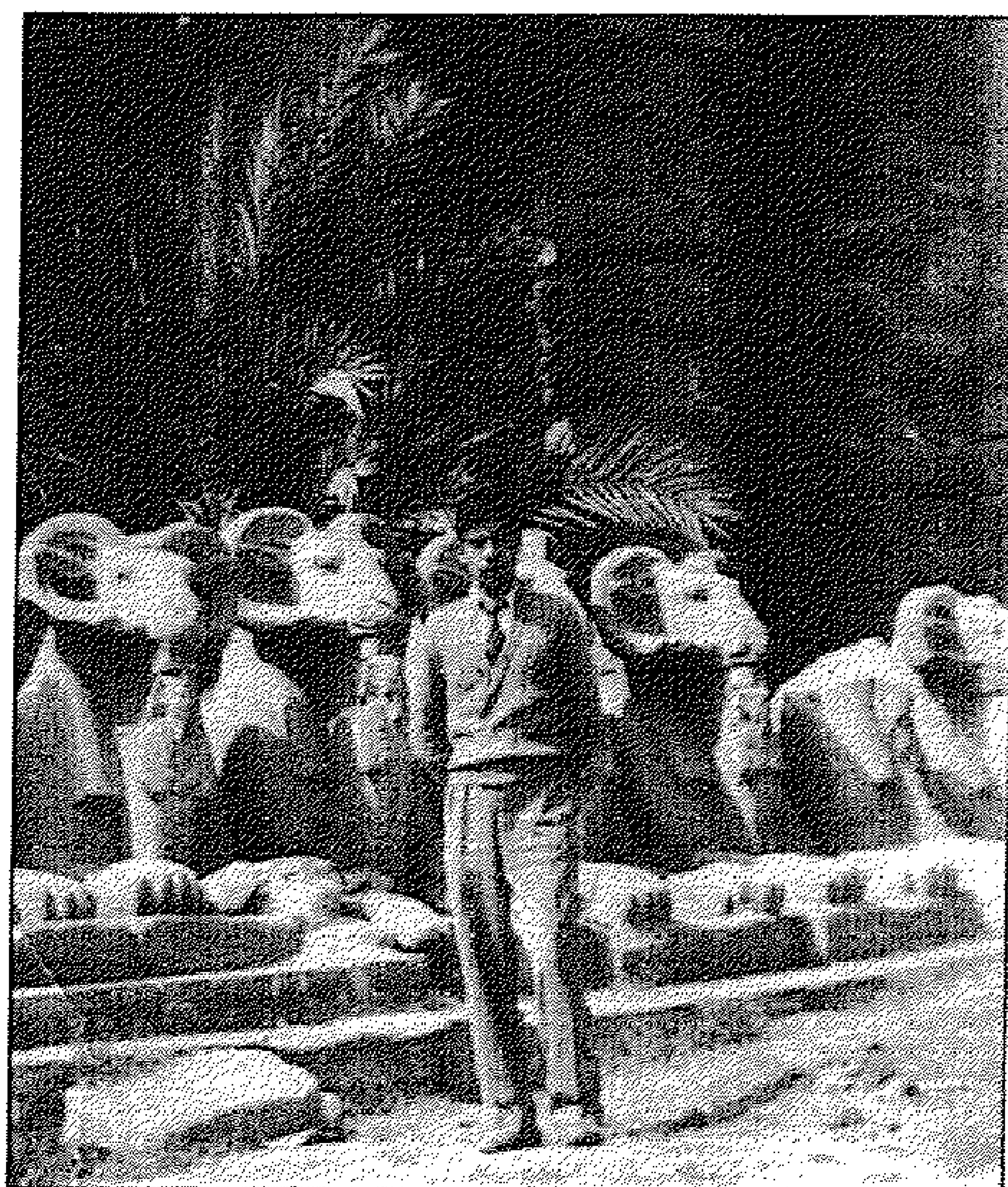
المملكة الأردنية الهاشمية

وزارة المعارف

شهادة الدراسة الثانوية الأردنية

لعام ١٩٥٤ - ١٩٥٥

شهادة الثانوية العامة، سنة 1955.



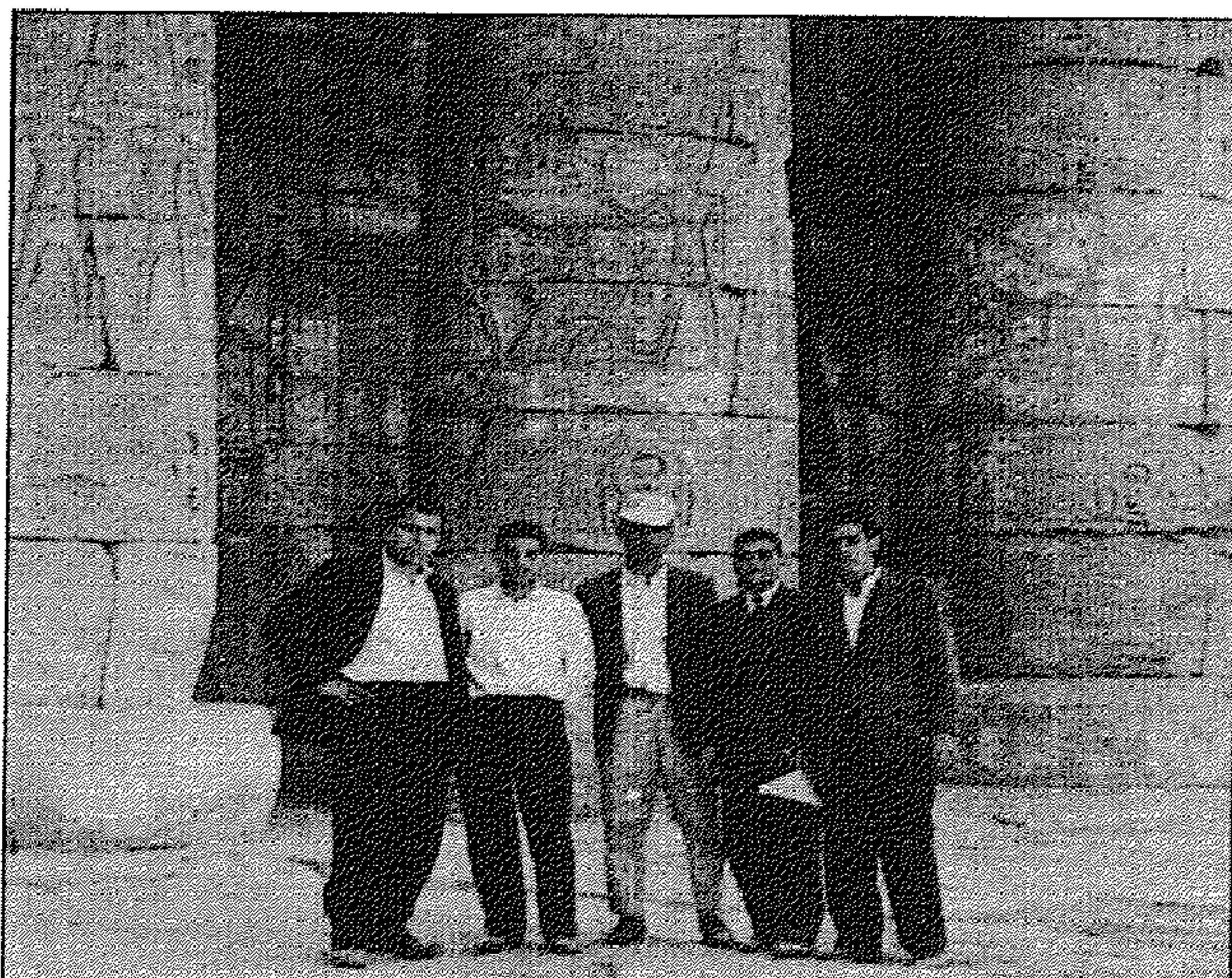
إبراهيم غوشة أمام آثار الكرنك،
مصر، سنة 1955.



مع أصدقاء في
رحلة طلابية،
القاهرة، سنة
1956.



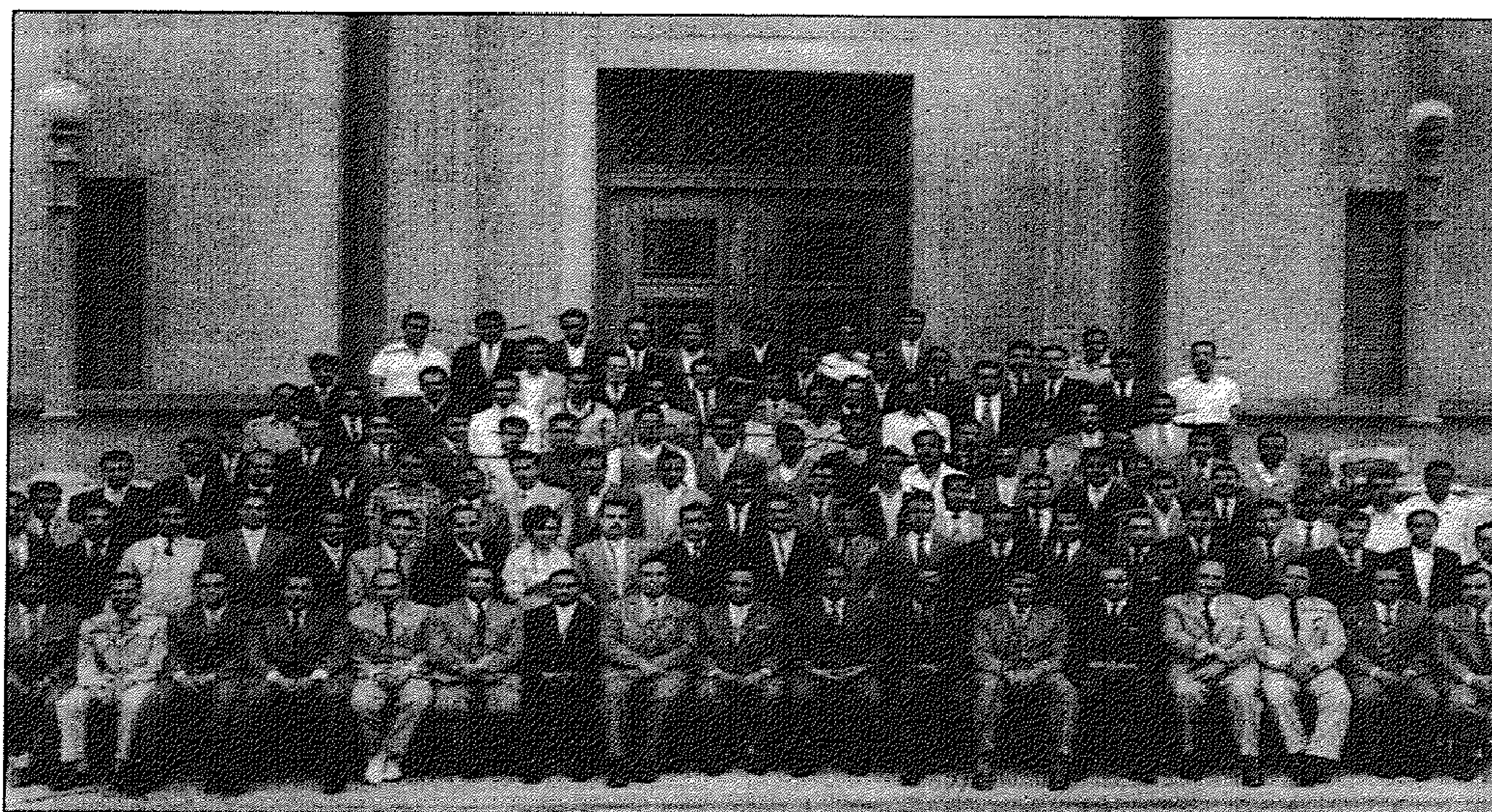
مع دفعة خريجي معهد
الهندسة أمام السدّ العالي،
سنة 1960.



أمام آثار الكرنك، مصر، سنة 1960.



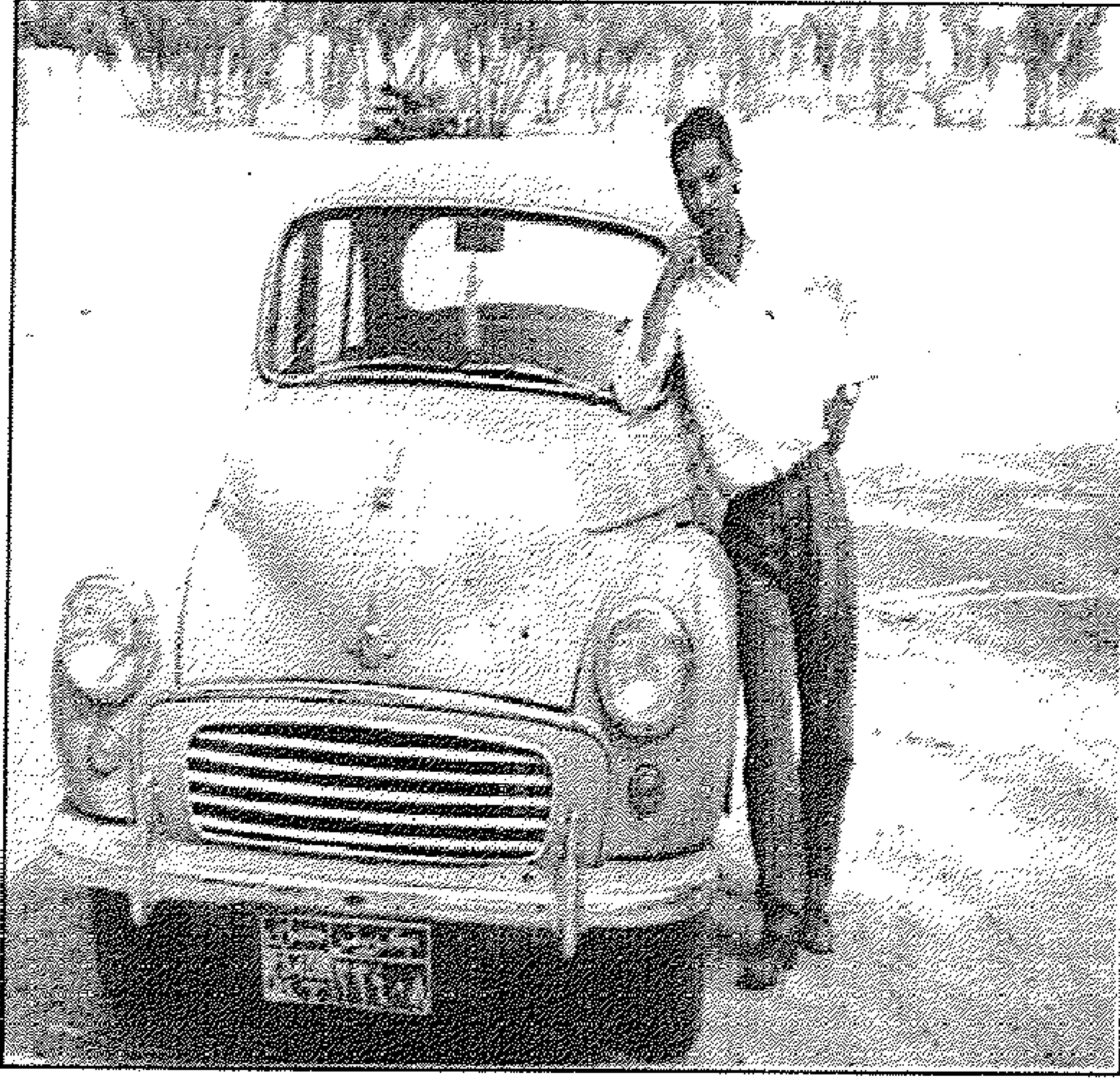
صورة في أسوان في الجزيرة النباتية مع مجموعة من دفعة 1961، كلية الهندسة، جامعة القاهرة.



دفعة خريجي كلية الهندسة، جامعة القاهرة، قسم مدني، بكالوريوس، سنة 1961.



على ضفاف نهر اليرموك، مشروع قناة الغور الشرقية، الأردن، مع بعض الموظفين، سنة 1961.



أول سيارة لإبراهيم غوشة، الكويت، سنة 1962.



شط العرب، جنوب العراق. من اليمين: إبراهيم غوشة، خضر الخالدي، حسن المدهون، إبراهيم عاشور، أحمد الآغا، عرفات العشي، سنة 1963.



حفل مع موظفي بلدية الكويت سنة 1963 (الخامس من الشمال).



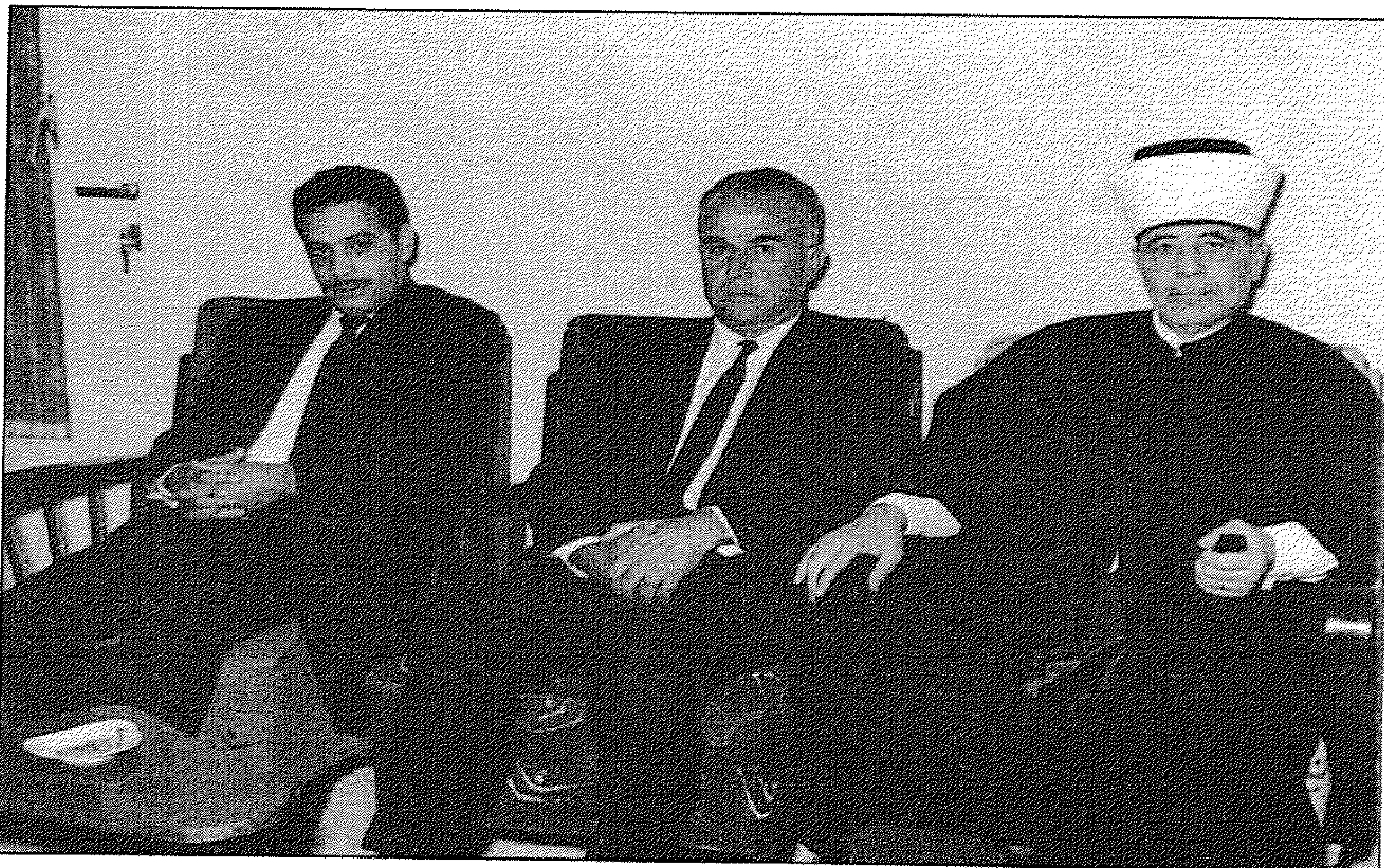
مع موظفي بلدية الكويت سنة 1963 (الرابع من الشمال)



مع موظفي بلدية الكويت سنة 1965



من حفل عقد قران إبراهيم غوشة في تموز/ يوليو 1966



صورة بمناسبة حفل عقد قران إبراهيم غوشة في تموز/ يوليو 1966



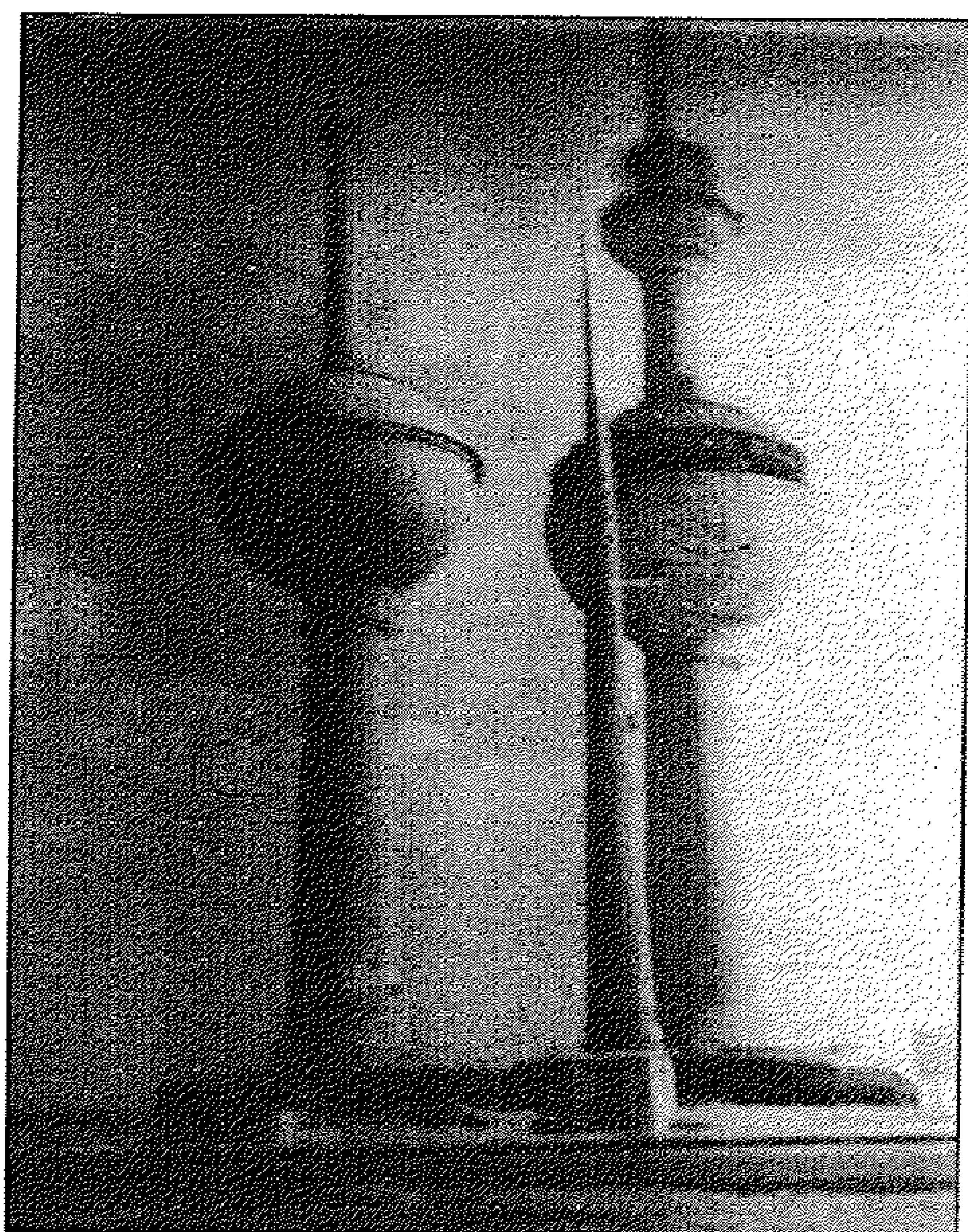
زيارة مدرسة البر بأبناء الشهداء، عقبة جبر، أريحا، سنة 1966.
من اليمين: محمد صيام، يوسف ناجي، إبراهيم غوشة، محمود سعيد، سعيد المؤقت، هاشم عزام.



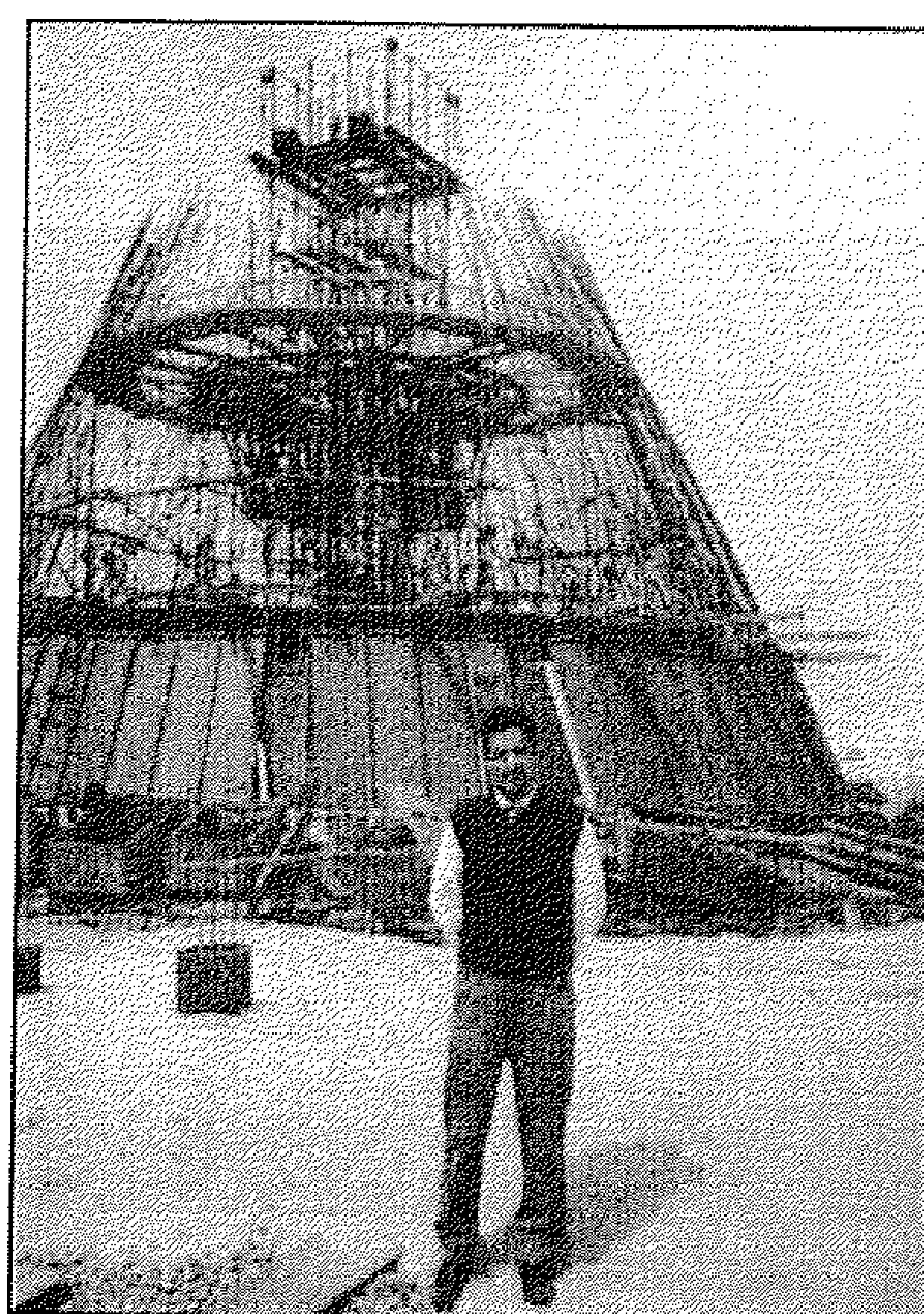
صورة لمهندسي مؤسسة الروافد الأردنية في سدّ خالد بن الوليد على نهر اليرموك، سنة 1966.
من اليمين: محمد خلف، ظافر البديري، رجائي النمري، صالح عبد القادر، ظافر العالم، إبراهيم غوشة.



فوق البرج B من أبراج الكويت، وعلى ارتفاع 82 متراً مع المهندس منصور الطباع، وإبراهيم غوشة الثالث من الشمال، في 1971/7/18.



أبراج الكويت، سنة 1972.



أمام أحد أبراج الكويت، قيد الإنشاء.



مع مهندسي شركة المقاولات "بلانوم"، ومع المهندس المشرف من "إنيرجو بروجكت" داخل نفق التحويل سنة 1973.



مع مهندسي شركة "بلانوم" اليوغوسلافية، سدّ الملك طلال، سنة 1974.



لقاء صحفي بمناسبة تحويل مياه نهر الزرقاء

الفصل السابع

عقد الثمانينيات

العمل في القطاع الخاص:

عندما أنهيت مشروع سدّ الملك طلال في أواخر سنة 1978 التحقت بعد **ذلك بالعمل في القطاع الخاص؛ حيث أسست لي مكتباً هندسياً في جبل الحسين**، وكان هذا المكتب للتصميم والإشراف الهندسي، وأي مهندس يريد أن يعمل في القطاع الخاص ليس من السهولة عليه أن ينتقل من القطاع العام إلى القطاع الخاص هكذا فجأة، وإنما يجب أن يكون ذلك بالتدريج، وهذا ما حصل معي فقد كنت أقوم بالإشراف والتصميم في عملي السابق، وعندما دخلت في القطاع الخاص كان الانتقال تدريجياً وسهلاً. في الحقيقة إن العمل الخاص آفاقه تختلف عن العمل العام الذي بقيت فيه حوالي 17 عاماً، أي مع الدولة، والقطاع الخاص له آفاق جديدة، وعلاقات مهمة جداً مع الناس، كما أن الدخل يكون أفضل من القطاع العام، ولذلك في الفترة ما بين 1978-1989 في القطاع الخاص كان دخلي ربما ضعفي أو ثلاثة أضعاف دخلي في القطاع العام.

واستطعت في هذه الفترة، ولله الحمد، أن أشتري شقة لي في منطقة تلاع العلي في الإسكان الذي أشرفت عليه، وهو أول مشروع أشرفت عليه لمدة ثلاث سنوات تقريباً، حيث اتفقت مع جمعية تعاونية أرادت أن تبني هذا المشروع. وأيضاً في هذه الفترة أشرفت على عدد آخر من الفلل والعمارات وبعض المصانع والمدارس، منها مصنع الأدوية في ناعور، ومدارس الأرقم الإسلامية، بالإضافة إلى عدد من المساجد أشرفت عليها لوجه الله تعالى مع الأخ (أ. ب.). وكان معظم زبائني من الأصدقاء، أو ممن كان يدل بعضهم بعضاً على مكتبي، ومعظمهم من السعودية وباقي دول الخليج.

العمل في القطاع الخاص كان يستغرقني تماماً حيث كنت أعمل يومياً حوالي 18 ساعة، أفتح المكتب للعلاقات العامة والاتصال مع الناس، وكان مكتبي أيضاً مفتوحاً للنشاطات في النقابات، وفي فترة الصباح كنت أقوم بالإشراف وشراء المواد، وفي الليل أقوم بالتصميم الإنشائي.

جولات سياحية:

أحببت أيضاً أن أرى العالم، وفعلاً قمت بعدة زيارات مع عائلتي؛ ومن أهمها زيارة إلى جزيرة رودس، وزيارة إلى إسبانيا وقبرص وتركيا، وسأتكلم عن هذه الزيارات:

زيارة رودس تمت في صيف سنة 1979، وهي جزيرة قريبة من البر التركي؛ حيث يمكن أن ترى منها تركيا، ولكنها تتبع اليونان. وكان الاستعمار قد انتزعها من الدولة العثمانية. هذه الجزيرة بها جانب قديم وبها جانب حديث، زرت الجانب القديم وتعرفت عليه جيداً، وفتشت عن مسجد فيه، وفعلاً وجدته، وصليت فيه الجمعة مع عائلتي، وكان عدد الناس لا يزيد عن ستة أشخاص. ورودس منطقة كما يذكر التاريخ افتتحها السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر، وكانت مقراً لفرسان القديس يوحنا وهم فرقة صليبية، انتقلت بعد هزيمة الصليبيين في فلسطين إلى رودس، وبعد فتحها من قبل العثمانيين انتقل فرسان القديس يوحنا إلى مالطا، وقد تحدث بعض المفكرين ومنهم محمد حسنين هيكل بأن فرسان مالطا لهم تنظيمات عسكرية الآن، وبعضهم يحارب في العراق تحت هيئات خاصة تابعة للجيش الأمريكي. نعود إلى رودس، لاحظت أن فيها مدرسة قديمة بالإضافة إلى المسجد، والآثار العثمانية ما زالت موجودة؛ حيث ترى نوافير كثيرة للمياه، وهناك مقبرة للعثمانيين. ورودس جميلة جداً وهي محاطة بالبحر من جميع الجهات، وتشتهر رودس من الناحية السياسية؛ حيث ورد ذكرها مرتين مرة عندما احتلها الألمان في الحرب العالمية الثانية بإنزال المظليين فيها بأعداد كبيرة واستطاعوا دحر البريطانيين والسيطرة عليها. كما أن رودس مشهورة باتفاقية رودس التي حصلت بعد حرب 1948؛ حيث اجتمعت الوفود العربية منفردة مع الجانب الصهيوني، حيث وقعت كل منها على اتفاق الهدنة. ويُروى أن بعض الدول العربية عندما ذهبت إلى التفاوض مع الجانب الصهيوني، طالب المندوب الصهيوني بتحريك خط الهدنة الموجود على الخريطة، لإجراء تعديل يظهر على الخريطة وكأنه بسيط جداً، بحسب مقياس الرسم على الخرائط؛ وأن المندوب العربي لم يمانع في ذلك، مما أدى إلى سقوط العديد من القرى الفلسطينية بكل سهولة بأيدي الصهاينة.

الزيارة الثانية التي زرتها هي لإسبانيا؛ حيث كنت أحلم دائماً بهذه الزيارة؛ لأنني

كنت حريصاً على معرفة آثار العرب المسلمين في إسبانيا. قرأت قبل أن أزورها بأنه عُقد مؤتمر صهيوني في فلسطين المحتلة، وأن مفكري الصهاينة كانوا يركزون على أمرين؛ الأول: هو كيفية ظهور صلاح الدين، والثاني: كيف تمّ إخراج المسلمين من إسبانيا، حيث كانوا حريصين على تجفيف الينابيع التي يمكن أن تُخرِج قادة مثل صلاح الدين، وعلى أن يستفيدوا من الخبرة التي تمّ بها إخراج العرب المسلمين من إسبانيا. هذه الزيارة كانت إلى مدينة مدريد (وأصلها مجريط، وهي مجرى المياه، وسميت بذلك لكثرة المياه والأنهار وبعدها سميت مدريد)، وقريباً من مدريد زرنا ضاحية تسمى الإسكوريال، يوجد فيها مكتبة ضخمة للمراجع والكتب العربية الإسلامية. وفي أحد المتاحف في هذه الضاحية أشار لي ابني عمر وقال لي أنظر، هذه صورة معركة ما بين الإسبان والعرب المسلمين، وكان في صفوف الإسبان فرقة تلبس اللباس العربي، فقال لي يا أبت أنظر، معهم عرب، فقلت له لا تتعجب من ذلك؛ فنحن الآن نعيش في عصر نجد فيه بعض العرب يقفون مع العدو الصهيوني ويعقدون الاتفاقيات معه. هذا هو التاريخ الذي يصدم الإنسان في بعض الأحيان.

ومن المدن المهمة التي زرناها مدينة إشبيلية؛ حيث اشتهرت بأنها إحدى المدن الكبيرة مثل غرناطة وقرطبة، إذ كانت تمثل محطة إشعاع للفكر والعلوم العربية والإسلامية إلى أوروبا، وفي هذه المدينة قمنا بجولة، وهي تقع على نهر الوادي الكبير، وآثار العرب والمسلمين واضحة في المباني والجسور. ومن الحكام الذين اشتهروا في هذه المدينة المعتمد بن عباد، وهذا الحاكم كان ثرياً جداً وباذخاً في حياته وكان شاعراً وهو قائل القصيدة التي مطلعها (قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع...إلخ). وقد اضطر للاستعانة بيوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في مواجهة الإسبان. وعندما حذره البعض من احتمالات سيطرة المرابطين على ملكه قال "لأن أرعى الإبل خير من أن أرعى الخنازير"، إلى أن دخل يوسف بن تاشفين، وكان رجلاً صالحاً أراد أن يقف أمام الإسبان ويوحد هذه الممالك، والتي سميت بممالك الطوائف، ودخل بجيش والتقى مع الإسبان في معركة حاسمة وهي المعركة التي انتصر فيها، واسمها الزلاقة (479هـ-1086م)، والتي كان قد سبقها سقوط مدينة طليطلة سنة 1085م.

وزرت مدينة طليطلة وهي شمال إشبيلية، وتقع على نهر التاجو وهي على جبل في موقع استراتيجي، وكثير من الاستراتيجيين قالوا عندما سقطت بدأ عهد العرب المسلمين في الأندلس بالأفول. وعندما دخلتها وشاهدت آثارها، أحسست بأن المشي فيها يوحي إليك بأنك تمشي في مدينة القدس القديمة. والشيء الغريب أنني دخلت عدداً من الكنائس في طليطلة وفي إشبيلية، وغرناطة كانت في الأصل مساجد وحُوِّلت إلى كنائس، ولم يتركوا مسجداً واحداً ليصلي فيه المسلمون. أما المدينة الأجمل وتبدو آثار العرب فيها وكأنها بالأمس فهي غرناطة، وقد قرأت في تاريخ العرب في الأندلس، الذي قيل بأن كل بلد في إسبانيا سكنها أناس جاؤوا من المشرق؛ فبعض العرب سكنوا في فلنسيا، وبعضهم سكن في طليطلة، وبعضهم سكن في قرطبة ولكني لم أزر قرطبة في هذه الزيارة، وبعضهم سكن في غرناطة، وقيل إن غرناطة سكنها أهل دمشق، ولهذا عندما تسير فيها ترى البيوت البيضاء والحدائق داخل المنازل والشوارع الضيقة والستائر البيضاء موضوعة على نوافذهم، كأنك تسير في دمشق القديمة. وغرناطة هي آخر معقل سقط للعرب المسلمين وكان ذلك في سنة 1492، وهناك لوحات توضح كيفية تسليم مفتاح غرناطة على يد أبو عبد الله الصغير إلى ملكي الإسبانيين إزابيلا وفرديناند؛ حيث حاصروها لمدة عام إلى أن سقطت. ويقال إن والدة أبو عبد الله الصغير عندما وجدته يبكي قالت له القول المعروف "ابك كالنساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال". ويقال إنهم أعطوه مدة سنة يقيم فيها، ثم طرد منها، وسار وهو يتلفت إلى غرناطة، حتى وصل إلى موقع لا يرى فيه غرناطة سُمي "تنهيدة العربي"، حيث تنهد هناك أبو عبد الله الصغير في طريقه إلى شمال إفريقيا. وأشهر معلم في غرناطة هو قصر الحمراء، عندما بدأت في تفحص هذا القصر كمهندس شعرت بأن من بناه كأنه غادره بالأمس من حيث دقته وجودته، والشعار المكتوب هناك "لا غالب إلا الله" وشعار "الحمد لله على نعمة الإسلام"، ولعل العبارة التي أسمعها في تونس في النقاش "الله غالب" ربما تكون جاءت من هذا الشعار! ومما تشتهر به غرناطة هذه القصور الجميلة الدقيقة التي جذبت أكثر من 15 مليون سائح سنوياً من العالم، كلهم يأتون إلى إسبانيا وخاصة غرناطة ليشاهدوها، وبجانبها هناك حدائق تسمى "جنة العريف"، وهي منسقة تنسيقاً جميلاً وتأتي مياهها من جبال بعيدة مغطاة بالثلوج، وعندما تذوب هذه الثلوج يتمّ تحويلها للحديقة، فقد استطاع

العرب تحويل هذه المياه بقنوات خاصة وجرها إلى هذه الحديقة، وهذا يدلّ على أن آباءنا كانوا عباقرة ليس بالقتال فقط وإنما بالعلم أيضاً. وكما ذكرت سابقاً، فإن أهالي أوروبا كانوا يأتون إلى الأندلس، ويتعلمون العربية، وينقلون هذه العلوم إلى بلدانهم، ولقد تمّت ترجمة الكثير من علوم الأندلس. وأهم فقيه فيها هو ابن حزم الأندلسي، وله تمثال في إحدى المدن الإسبانية.

الرحلة الأخرى التي قمت بها هي زيارة قبرص، وهذه الزيارة تمّت سنة 1982، وقبرص مقسمة إلى قسمين، قسم مع الجانب اليوناني وهم الأغلبية والآخر مع الجانب التركي (الجانب الشمالي)، ويقال إنه في سنة 1974 دخلت القوات التركية قبرص، وكان نائب رئيس الوزراء في ذلك الوقت نجم الدين أربكان مؤسس الحزب الإسلامي في تركيا، وقيل بأنه بعد السيطرة على الجانب الشمالي من قبرص من قبل تركيا كان حزيناً لأنه لم يستطع أن يسيطر على لارنكا، لأنه كان يوجد فيها مسجد ومقام (للصحابية أم حرام)، التي استشهدت في قبرص ودفنت فيها. لم أزر الجانب التركي، أما الجانب اليوناني فيعتمد على السياحة، وقد فتحت زمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، مكثنا فيها عدة أيام وزرنا مدينة ليماسول، وفي الغرب مدينة تسمى بافوس وهناك شرح لنا المترجم بأنه يوجد عدد لا بأس به من القصور للعرب وللأردنيين.

وزرت تركيا مع العائلة، وإسطنبول هي عاصمة الدولة العثمانية، وهي مدينة مهمة جداً، تقع على جانبي مضيق البوسفور، وجانب منها أوروبي والآخر شرقي آسيوي، ويصل بينهما جسر معلّق، وهي مشهورة بأنها مدينة المساجد وهناك مسجد كبير يسمى المسجد الأزرق، ومنشأ على نظرية القباب (جمع قُبَّة)؛ حيث لا يوجد فيه أعمدة، فقط قباب محملة على مثيلاتها، وهونظام إنشائي ومعماري خاص. وهناك أيضاً في إسطنبول مسجد أيا صوفيا وقد حوَّله أتاتورك إلى متحف، ومن الآثار المهمة قصر الخلافة العثمانية الذي صار متحفاً واسمه توب كابي، وفيه آثار السلاطين العثمانيين بدءاً من محمد الفاتح وحتى سقوط الدولة العثمانية، ومن يزر هذا المتحف ويطلع على آثار السلاطين وملابسهم وسيوفهم يجد مفارقة غريبة وعجيبة، فمحمد الفاتح كانت ملابسه بسيطة جداً وسيفه بسيط جداً، أما آخر السلاطين فملابسه مزينة بالياقوت

والذهب وسيفه غمده من الياقوت والذهب، في الأول كان عز للإسلام بالبساطة والتقشف والأخير بالبذخ والضعف للمسلمين، وهذا لاحظته في إسبانيا فعندما التفتوا إلى حياة البذخ ورغد العيش استطاع الإسبان أن يهزموهم ويقضوا عليهم بسرعة. ويوجد في قصر توب كابي هذا سيف عمر بن الخطاب وعلي وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وآثار بعض أقارب الرسول ﷺ، وهو قصر يزوره الكثيرون. زرنا القصر الذي نزل به أتاتورك واسمه "دولما بهجة" Dolmabahce، والذي بناه السلطان عبد المجيد في القرن التاسع عشر، وفيه عناصر معمارية غربية، ومظاهر ترف كبيرة. وهو يختلف اختلافاً كاملاً عن الأول: وقد تبنى أتاتورك التغريب وألغى استعمال الأحرف العربية، ومنع العمامة، وأجبر الناس على لبس القبعة، وأوقف النداء بالآذان. وتركيا الآن، يقودها أردوغان وهو يحاول أن يكون أكثر مرونة في التعامل مع الجيش والفكر العلماني، وهو يحاول إرضاء أوروبا بشتى السبل دون جدوى لدخول الاتحاد الأوروبي. والأتراك موحدون لمجابهة أي عدو خارجي، ولديهم صناعة متقدمة جداً ويعتمدون على أنفسهم.

نشاط الإخوان المسلمين في الأردن:

نعود إلى نشاط الإخوان المسلمين في هذه الفترة، فقد أخذ يتزايد نشاطهم في الأردن بعد سنة 1967، وكان علماء الإخوان ينشطون بصورة مكثفة لعرض الإسلام وبدأوا بدعوة الشباب والفتيات ورجال الأعمال إلى الإسلام، وتعمقت جذور الحركة الإسلامية في الأردن. أضف إلى ذلك أن الصفّ الداخلي كان قوياً، وقد كان لنجاح الثورة الإسلامية في إيران، وبداية الثورة الإسلامية في أفغانستان أثر في هذا الامتداد. والحقيقة أن دعوة الإمام حسن البنا انطلقت سنة 1928 بعد سقوط الخلافة الإسلامية بأربع سنوات من أجل تجديد الإسلام. وكما أكد لي آية الله محمد فضل الله في إحدى لقاءاتي معه في بيروت بأن حسن البنا والإخوان المسلمين هم أول من طرح مفهوم الإسلام الحركي في العصر الحديث. وبلور هذا التوجه بعد ذلك سيد قطب بضرورة بناء المجتمع المسلم ليكون قاعدة للحكم الإسلامي والدولة الإسلامية.

وأنا أؤمن بأن الأغلبية الساحقة للعالم العربي والإسلامي هي مع الإسلام ومع تطبيق

الشريعة الإسلامية، والتغيير في رأيي يكون أولاً ببناء الإنسان المسلم، ثم المجتمع المسلم والعمل لإشغال المواقع المؤثرة في جميع الحقول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية وغيرها، ومن ثم التحرك الشعبي المتواصل للضغط على الأنظمة الفردية القمعية للتحول للحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية، وخلع جذور الفساد، وهو ما حصل مؤخراً في عدد من البلاد الأوروبية.

وفي الثمانينيات بالإضافة إلى عملي في الإخوان في الأسر والكتائب، حيث كان العمل دقيقاً ومنظماً، شاركت في القسم السياسي بالإضافة إلى رئاستي للجنة الإعلامية في قسم فلسطين. والقسم السياسي كان يشمل أسماء أخوة بارزين منهم الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني والدكتور محمد أبو فارس والدكتور همام سعيد والدكتور عبد الله العكايلة ومحمد ذنيبات وزياد أبو غنيمة وارْحيّل غرايبة وأحمد قطيش وغيرهم. والقسم السياسي كان يمثل نخبة من الإخوان المسلمين، وكنا نلتقي أسبوعياً ونقدم التوصيات والاقتراحات إلى قيادة الإخوان المسلمين، واستمر هذا إلى فترة طويلة. ومن هذا القسم عندما قرر الإخوان المسلمون النزول إلى **الانتخابات البرلمانية سنة 1989** تشكلت لجنة عليا للانتخابات برئاسة الدكتور محمد أبو فارس، وكنت عضواً فيها، أخذت تعمل للإعداد لهذه الانتخابات واختيار المرشحين، واستطاع الإخوان المسلمون أن ينزلوا حوالي 26 مرشحاً وأصدروا كتيباً لبرنامج الإخوان المسلمين، ولأن الإخوان عملوا عدة عقود وكان الصفّ قوياً جداً ونشيطاً، نجح منهم 22 نائباً ونجح أربعة من الإخوان نزلوا بشكل فردي، كما نجح ستة من المقربين من الإخوان. وكان نظام الانتخابات يمكنهم من إنجاح حتى المسيحيين؛ فالبرلمان الأردني الذي كان تعداده 80 نائباً كان أكثر من 30 نائباً فيه من الكتلة الإسلامية وهو ما يشكل حوالي 40% من البرلمان. وهذه النتائج أدت إلى هزة داخلية وزلزال خارجي. وفعلاً فإن الكتابات الغربية في الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها ركزت على هذا "البعبع" المتمثل في الحركة الإسلامية، وقرأت الكثير من التحليلات حول هذا الموضوع. وفي دورة 1989–1993 كان الدكتور عبد اللطيف عربيات رئيساً للمجلس النيابي لمدة ثلاث سنوات، وبعد الانتخابات بسنتين أصبح هناك ضغط مزدوج على الإخوان؛ الأول: إصدار قانون الأحزاب وإجبار الإخوان على تكوين حزب، وكان حزب جبهة العمل الإسلامي وقد كنت في اللجنة التحضيرية

لتأسيس هذا الحزب. والثاني: تعديل قانون الانتخابات حيث كان القانون القديم حسب القائمة وعدد المرشحين في المنطقة، وكان المقترع ينتخب العدد الكامل لممثلي دائرته، فأصبح هناك قانون يسمى قانون الصوت الواحد، وهذا القانون كان موجهاً لتحجيم الحركة الإسلامية. ويقال إن من اقترحه على الأردن السفير الأمريكي جرجيان، ولا يوجد مثيل له في العالم؛ حيث لا يستطيع المقترع إلا أن ينتخب مرشحاً واحداً فقط من بين النواب الذين سيمثلون دائرته، وهو ما أدى بعد تطبيقه إلى تراجع عدد نواب الإخوان إلى النصف.

أما بالنسبة للعمل في **قسم فلسطين**، فهذا القسم من أهم إنجازاته أنه دعا سنة 1983 إلى مؤتمر داخلي لقضية فلسطين، وقسم فلسطين كان يترأسه دائماً أمين السر العام للإخوان المسلمين، أي أن جزءاً من المكتب التنفيذي يحضر هذا اللقاء.

وقبل ذلك أريد أن أعود إلى كيفية تعامل الإخوان المسلمين مع القضية الفلسطينية. بالنسبة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة كان الإخوان المسلمون وخاصة المكتب التنفيذي في عمّان يدعم الإخوان المسلمين الفلسطينيين مادياً، كما كان يدعم إعداد البنية التحتية والاجتماعية والخيرية والنسائية والطلابية، قبل أن يتحرك الإخوان المسلمون نحو العمل السياسي أو العسكري ومثال على ذلك تشكيل المجمع الإسلامي في غزة، الذي ترأسه الشيخ أحمد ياسين، وكذلك تشكيل الجامعة الإسلامية.

أصبحت هناك نواة للشباب المسلم، وعندما انطلقت انتفاضة 1987 انطلقت من الجامعة الإسلامية، ومما أسس له المجمع الإسلامي، وهناك مقولة بأن المجمع الإسلامي وافق على تأسيسه الحاكم العسكري الصهيوني، والحقيقة إن هذا الكلام غير دقيق، حيث كان الحاكم العسكري يعطي رخصاً لجميع الجهات والقيادات؛ فأعطى رخصة للهلال الأحمر الفلسطيني الذي ترأسه حيدر عبد الشافي الذي كان من التيار الشيوعي، وأعطى رخصة لتأسيس الشبيبة التي أسسها الفتحاويون، وأعطى رخصة للمجمع الإسلامي. فبعض المفكرين وقادة الجيش الصهيوني كانوا يعتقدون بأن المجمع الإسلامي ربما يوازن بين التيار العلماني في منظمة التحرير وبين التيار الديني للإخوان المسلمين. هكذا كان تحليلهم، فلا ذنب للإخوان المسلمين ولا للشيخ أحمد ياسين في هذا الموضوع، فإذا

كان الصهاينة قد أخطأوا في التقديرات فعلى رؤوسهم جاءت النتائج فيما بعد لأن المجمع أخذ رخصته كما أخذ غيره رخصهم، وأما تضخيم هذا الموضوع، والقول بأن حماس أسسها الحاكم الصهيوني، فهذا كلام غير صحيح ولا أساس له.

كيف كان يتناول الإخوان المسلمون القضية الفلسطينية؟ لقد تناولوها في ثلاث مراحل؛ الأولى: مرحلة 1948 وما قبلها؛ حيث شارك الإخوان وبصورة مهمة في حرب 1948، وتحدثنا في حينه بأن الإخوان المسلمين كانوا أكبر جهة شعبية أرسلت مجاهدين إلى فلسطين ولكن النتيجة كانت كما يلي: اعتقلوا بأوامر من الملك فاروق وزجّ بهم في السجون، أي جاؤوا بهم من الخنادق إلى معسكرات الاعتقال. المرحلة الثانية بعد ذلك كانت تقييم ما حصل في حرب 1948، وهنا ظهرت أفكار التركيز على الدولة الإسلامية أولاً، وأكثر من بلور هذا الاتجاه المفكر الإسلامي سيد قطب، الذي ركز على بناء المجتمع المسلم، لكي يتطور إلى دولة إسلامية، وهذه الدولة هي التي تقوم بواجب الجهاد. وهذا الرأي لم يكن وجهة نظر الإخوان المسلمين لوحدهم، فحزب التحرير كانوا يركزون على بناء الدولة الإسلامية وآخرون كذلك، أخذ هذا الفكر عقدين من الزمن أو أكثر. كان الإخوان المسلمون يركزون على إقامة الدولة الإسلامية في مصر أو سورية أو أي بلد عربي آخر، وربما كان هذا يشبه الأسلوب الذي كان جارياً في ذلك الوقت؛ حيث كانت تحدث انقلابات عسكرية في مصر وسورية والعراق واليمن؛ فيأتي الناصريون في مصر، والبعثيون في سورية والعراق، والقوميون واليساريون والاشتراكيون في اليمن. هكذا كان التوجه فكان الإخوان يركزون أولاً على بناء المجتمع ثم قيام الدولة، لكن هذه القضية طالت.

في سنة 1983 عقد مؤتمر داخلي لقضية فلسطين، وترأسه المراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة، وحضره من الداخل كما أذكر عبد الفتاح دخان، ومن الضفة الغربية حسن القيق وآخرون، ومن الخليج حضره عدد من الإخوة، ومن الكويت مثلاً شارك الأخ خالد مشعل، وأنا حضرت هذا المؤتمر حيث قدمت ورقة أسميتها "منطلقات العمل الإيجابي" أي الجهاد، تحدثت فيها عن أهمية أن تتبنى قيادة الإخوان هذا المفهوم وتبدأ بتطبيقه على الأرض. وهذا يذكر بالحركة التصحيحية التي حاولنا أن نملأ من خلالها الفراغ الذي حصل بعد حرب 1967 بتوجّه جهادي إسلامي، ولم ننجح في ذلك الوقت،

وفي هذا اللقاء تمّ الاتفاق على دعم كوادر الإخوان في القطاع والضفة مالياً، وأن يستعدوا بالسلاح ومع مجيء أي ظرف مناسب أن يبدأوا هذه الانطلاقة. أي أن الإخوان في هذا المؤتمر عام 1983 أجروا تعديلاً على النظرة السابقة وهي الدولة أولاً والجهاد ثانياً إلى التوازي بالعمل للدولة في الدول العربية والإسلامية، وأيضاً النزول للشارع الفلسطيني وممارسة الجهاد، وكسر احتكار القوى الوطنية والقومية واليسارية لهذا الشارع وكانت هذه هي المرحلة الثالثة.

وقبل أن أتحدث عن انتفاضة سنة 1987 قبلها بسنة قرر التنظيم العالمي للإخوان المسلمين امتداداً لمؤتمر سنة 1983 **أن يؤسس جهاز فلسطين**، وفعلاً تأسس هذا الجهاز، وبدأ يعمل، وتمّ اختيار رئيس له، وبدأ الشباب يستعدون، إلى أن أصبحت الظروف مواتية قبل انتفاضة 1987. وفي تلك الأثناء كان الإخوان في قطاع غزة وتحديداً الشيخ أحمد ياسين وإخوانه يعدون العدة للعمل العسكري، فاشتروا بعض الأسلحة، وتمّ القبض عليهم واعتقلوا، ولم يفرج عن الشيخ أحمد ياسين إلا سنة 1985 عندما تمّ تبادل ثلاثة جنود صهاينة أسرهم تنظيم أحمد جبريل بـ 1,115 أسيراً، من ضمنهم الشيخ أحمد ياسين، وقد كان هناك قرار من تنظيم الإخوان المسلمين (تنظيم بلاد الشام)، (وقد ذكرت سابقاً أن تنظيم الإخوان المسلمين في الأردن قد توحد مع تنظيم فلسطين سنة 1978)، بالنزول إلى الشارع عندما يكون هناك فرصة، وقد تمّ إعداد البنية التحتية من ناحية اجتماعية وخيرية وفي العمل النسائي والجامعات. وأصبح للإخوان المسلمين نفوذ مهم في الجامعات الثلاث؛ الجامعة الإسلامية في غزة، وجامعة بيرزيت، وجامعة النجاح، وبعد ذلك جامعة الخليل. وقد حصلت بعض الصراعات بين تيار فتح العلماني وتيار الإخوان الإسلامي، وكان صراعاً طلابياً وكان ذلك إرهاصاً لما سيأتي بعد ذلك.

وانطلقت الانتفاضة سنة 1987 وكان السبب المباشر لانطلاقتها أن مقطورة فيها عمال تعرضت للدهس المتعمد من قبل الصهاينة مما أدى لاستشهاد أربعة عمال، وقد مضى على الاحتلال في ذلك الوقت 20 عاماً، وكانت هناك عوامل كثيرة كامنة لدى الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع والقدس، فكان هذا الحادث سبباً مباشراً لتفجير

الأوضاع. بدأ التحرك من جباليا، وهو أكبر مخيم في القطاع، ثم صدرت تعليمات من قيادة الإخوان في قطاع غزة إلى شباب الجامعة الإسلامية بالنزول ودعم هذه الانتفاضة الشعبية وخلال أسبوعين تقريباً كان الإسلاميون هم الذين يسيطرون على هذه الانتفاضة، وكانت تسمى في الإعلام المحلي والخارجي "انتفاضة المساجد" مما يدل على لونها الإسلامي. وأول بيان صدر من حركة الإخوان في 1987/12/14 باسم حركة حماس، واشتعل القطاع بكامله وبدأ الشهداء يتساقطون ومع كل شهيد يسقط تزداد هذه الانتفاضة اشتعالاً، وسميت بعد ذلك بانتفاضة الحجارة. وهناك نقطتان: الأولى أن منظمة التحرير التي تترأسها حركة فتح وياسر عرفات انتبهوا متأخرين إلى هذه الانتفاضة، ولكن بعد شهر قفزوا إلى هذه الانتفاضة وحاولوا أن يحتووها، وأسسوا جبهة تشمل فتح والجبهة الشعبية والديموقراطية وآخرون وسموها (قاوم) وبدأوا يصدرون بياناتهم اعتباراً من 1988/1/8. وكانت حركة حماس قد بدأت مع أول بيان في 1987/12/14 تصدر بيانات شهرية، تتحدث عن فلسفة التصدي للاحتلال، وتتكلم عن برنامج شهري يغطي شهراً كاملاً، ويتضمن أيام إضراب، وأيام انتفاضات، وأيام مواجهات، والكتابة على الجدران، حيث كانت جزءاً من أساليب هذه الانتفاضة. الضفة الغربية التحقت بالانتفاضة، وأول منطقة التحقت بالقطاع هي مخيم بلاطة في نابلس. بعض شُعَب الإخوان، ومراكز رئيسية تلكأت لأنها أرادت أن تعرف من وراء هذه الانتفاضة، وبالتالي قيادة الإخوان في الأردن أصدرت قراراً إلى جميع شعب الضفة الغربية بالالتحاق بالانتفاضة الشعبية ودعمها، وهذا يسجل لقيادة الإخوان وأيضاً للتاريخ. وأول مرة نشر فيها ميثاق حركة حماس كانت في آب/ أغسطس 1988، وقد طبع في عمّان وصودرت بعض أعداد منه، وكانت طباعته بأمر من قيادة الإخوان في الأردن؛ كما طُبع في الكويت، بالإضافة إلى الداخل الفلسطيني.

انتفاضة 1987، هي انتفاضة شعبية واسعة كان لها تأثير كبير، وجلبت تعاطفاً هائلاً من العالم، وحصل فيها تنافس من اليوم الأول بين حركة المقاومة الإسلامية حماس، وبين ما يعرف بالقيادة الموحدة للانتفاضة "قاوم" المشكَّلة من القوى التي تقودها حركة فتح، كان الإعلام في ذلك الوقت يمارس التعتيم على البعد الإسلامي؛ وكان الإعلام في الخارج يتحدث عن نشاطات منظمة التحرير فقط. وأذكر أننا كنا

نتصفح الجرائد العربية في الخارج، ونقرأ عن صحافي تحت الاحتلال، لا يتكلم إلا عن فصائل منظمة التحرير، تحت توقيع "صحافي تحت الاحتلال"، وبعد ذلك تبين أن هذا الصحافي هو حافظ البرغوثي وهو الآن يرأس تحرير جريدة الحياة الجديدة، وهو فتحاوي. وعندما سُئِل أحد قيادات فتح ما هو وزن حركة حماس، قال إنها ضعيفة ولا يزيدون عن 4% ! لكن هذه الانتفاضة توسعت وامتدت وأنجزت إنجازات كبيرة، لكن من أجهضها هو اتفاقية أوسلو.

قام قسم فلسطين بعد ذلك بتشكيل لجنة إعلامية في عمّان وأسند إليَّ رئاسة هذه اللجنة، وكانت مهمتها هي متابعة الإعلام بصورة عامة، ورفع التوصيات والآراء إلى قسم فلسطين للاستفادة منها، وكان معي في هذه اللجنة الدكتور عبد الله العكايلة والأستاذ زياد أبو غنيمة والأستاذ (ع)، ومكثنا عاماً ونصف نقوم بهذا الدور حتى سافرت بعد ذلك إلى الكويت.

وفي شتاء سنة 1988 دعيت لحضور لقاء **لروابط الطلاب**، وهي لجنة كانت قد تشكلت في الخليج وخاصة في الكويت، حيث استطاع التيار الإسلامي أن يقود حركة طلابية إسلامية، وامتدت هذه الروابط إلى عدد من الدول، وهذه ربما يكتب من عمل فيها أبحاثاً متخصصة، عقد اللقاء في إسطنبول، وقد ترأسه رئيس جهاز فلسطين. وهناك قابلت شباباً صغاراً في العشرينات ممتلئين طاقة وحماسة، وبدأوا في هذا اللقاء يستعرضون نشاطات هذه الروابط، وسمعت أحدهم يتحدث عن رحلة له إلى أمريكا الجنوبية ومع من اتصل، وكيف دعاهم إلى الروابط وإلى دعم الانتفاضة، وآخر تحدث عن أمريكا، وآخر تحدث عن أوروبا، وآخر تحدث عن الخليج. وقد ذُهلت من هذه النوعية المنطلقة من الشباب. ولأول مرة في هذا الوقت كانوا يستعملون الفاكس، حيث تصل البيانات من بلد إلى آخر بمنتهى السهولة، من خلال استعمال الأدوات التكنولوجية الحديثة في الاتصال. هذا اللقاء مع هذه النوعية من الشباب، وكان منهم الأخ خالد مشعل، جعلتني أزداد ميلاً للانخراط معهم.

بعد ذلك في عمّان، وقبل أن أنتقل إلى الكويت، حصل في نيسان/ أبريل 1989 ما يسمى **بهبّة نيسان** في أثناء حكومة زيد الرفاعي، حيث تمّ رفع أسعار البترول وحصل

إضراب للسائقين، وامتد هذا الإضراب إلى مدن الجنوب وخاصة معان، وانضمت إليها الكرك والطفيلة ووصلت إلى عمّان. هذه الهبّة في بدايتها قيل بأن من قام بها أناس ملتحون واتُّهِم الإخوان، والواقع بأن الإخوان المسلمين لم يدعموا هذه الهبّة، لأنهم لا يعرفون من وراءها، وما هي الأسباب التي أدت إلى انطلاقتها؟ وقد كان الملك حسين خارج الأردن وعندما عاد تأكد بالضبط مما حصل، وأن الإخوان لم يكونوا وراء هذه الهبّة. وهذه تصب في أن الإخوان كانوا يحافظون على أن لا يمسّ أي شيء يتعلق بأسس الدولة الأردنية. وقد لا حظنا ذلك سنة 1957 و سنة 1970 وفي سنة 1989 مع أن زيد الرفاعي كان قد بطش بالإخوان سنة 1986، وخاصة في أحداث جامعة اليرموك، حيث سقط شهيدان من الطلاب وعدد كبير من الجرحى، واقتحمت الجامعة، واعتقل عدد من الإخوان، واتُّهِم الإخوان بأنهم وراء هذه الحركة التي حصلت في الجامعة. وعلى الرغم من ذلك كان الإخوان المسلمون يوازنون الأمور قبل أن يندفعوا وراء أي اتجاه، فأي أمر يضرب مفصل الوضع في الأردن كانوا لا يدعمونه. ومن هنا روي عن عدنان أبو عودة، الذي كان وزيراً للبلاط الأردني، في إحدى مقابلاته بأن الإخوان المسلمون يمثلون العمود الفقري لهذا النظام، وهذا يذكرنا بكتاب أصدره في هذه الفترة بالضبط، بأواخر الثمانينيات، كاتب أمريكي يهودي اسمه ساتلوف، ويتحدث الكتاب عن أحداث وقعت في الضفة الشرقية، وقد رأى أن في الأردن أربع ركائز أساسية: الجيش الأردني، والعشائر الأردنية، والمخيمات، والإخوان المسلمون، ويحرِّض المؤلف في هذا الكتاب على ضرب الإخوان المسلمين، وهو الوضع الذي تكرس في التسعينيات وما بعد 2001، القائم على استهداف الإسلاميين في أي مكان.

التفرغ للعمل في جهاز فلسطين:

أعود إلى الاتجاه الرئيسي في سنة 1989 طلبني الأخ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام وقال لي بأن إخوانك في جهاز فلسطين يريدونك أن تعمل معهم، وذكرت سابقاً بأنني احتككت معهم في تركيا سنة 1988، وكان في داخلي حافز بأن أشترك في عمل إسلامي جهادي، وهذا ما كنت أدفع باتجاهه في شبابي أما وقد دخلت في بداية الخمسينات فقلت في نفسي لأضع ما تبقى في عمري وديعة عند الله، وأعمل في هذا الاتجاه، وقلت للأخ

محمد عبد الرحمن خليفة سأجيبك غداً، وفكرت في الموضوع جيداً، وجئت إليه، وقلت لقد توكلت على الله. كان جهاز فلسطين الذي أسسه التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، يعمل على دعم الانتفاضة والجهاد في فلسطين، بكل الوسائل الممكنة، وخاصة الدعم المالي والسياسي والإعلامي، وبعد موافقتي غادرت عمّان، وسلّمت بعض المشاريع الهندسية التي كانت معي إلى بعض الإخوة لإنهائها، وأغلقت مكتبي، وتوكلت على الله، وغادرت إلى الكويت.

نبدأ الحديث عن العمل في الكويت وطبيعة العمل، كما ذكرت سابقاً فإن جهاز فلسطين قد أُسس له عدّة مواقع في دول الخليج والسعودية، وأنا ذهبت إلى موقع مهم للنشاط السياسي في الكويت، وأسند لي **تشكيل أول لجنة سياسية لحركة المقاومة الإسلامية حماس** في الخارج، كان عليها التركيز والجد، وفعلاً تشكلت مني ومن الأخ سامي خاطر والأخ عزت والأخ (س). هذه اللجنة السياسية قامت بوضع أسس لعملها ومخطط الواجبات والمواضيع الملقاة عليها، وتابعت التطورات السياسية الإعلامية، وقدمت للإخوة في قسم فلسطين عدة دراسات واقتراحات منها دراسة موثقة حول العلاقة بين حركة حماس وحركة فتح، وبين حماس والجهاد. وربما كانت هذه أقدم دراسة جرى إعدادها حول كيفية التعامل بين حركة فتح وحركة حماس، وجميعنا لنا خبرات مع حركة فتح.

في الكويت كان لهم خبرة في العمل الطلابي، وأنا كان لي خبرة في العمل الطلابي في مصر وفي نقابة المهندسين وفي الساحة الأردنية، وطرحنا دراسة عن دعم الانتفاضة والمواضيع التي ينبغي التركيز عليها في هذه الانتفاضة، وكيفية التواصل مع الداخل، وتوحيد رؤية الخارج للتعامل مع الانتفاضة، وبدأنا في تشكيل الوفود لبناء علاقات ستتطور فيما بعد، وتمت أول محاولة لإرسال وفد للقاء بعض الدول من خلال هذه اللجنة السياسية؛ حيث تمّ إرسال الأخوين سامي خاطر والأخ محمد صيام، لترتيب لقاء مع القيادة العراقية، وكان ذلك أول محاولة لحركة حماس لعقد لقاءات مع قيادات خارجية، كان ذلك سنة 1989، غير أن اللقاء لم يتم. وفي هذا العام وفي شهر أيار/ مايو تمّ توجيه ضربة كبيرة لحركة حماس، حيث **اعتقل الشيخ أحمد ياسين وكل القيادة**

الموجودة في قطاع غزة وأيضاً في الضفة الغربية، فأصبح الإخوة غير قادرين على أن يصدروا بيانات في الداخل، فتمت مساعدة الأخوة في الداخل من خلال إعداد وصياغة البيانات الشهرية في الخارج وإرسالها إليهم ليتم توزيعها بيانات شهرية وطباعتها وإرسالها إليهم، واستمر هذا الأسلوب في العمل في الفترة 1990-1992. هذا بالإضافة إلى الدعم المالي، كما كان يتمّ أحياناً إرسال أناس من الخارج إلى الداخل لمساعدة الإخوة وهذه كانت تقوم بها أقسام أخرى في حركة حماس.

الفصل الثامن

الفترة 1990 – 1991

حماس والعلاقة مع فتح والمنظمة:

في أوائل سنة 1990 وصلت دعوة إلى حركة حماس بواسطة الأخ (أ.أ.)، **هذه الدعوة موجهة من الشيخ عبد الحميد السائح** لتسمية أعضاء من حركة حماس، لحضور لجنة شكلت وحدد اجتماعها في فندق القدس بعمّان، لدراسة معايير اختيار أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني. التقى أعضاء المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين لدراسة هذه الدعوة وحضر الأخ (أ.أ.) وحضرت أنا أيضاً، وكان الأخ (أ.أ.) متشجعاً لمشاركة حماس في هذه اللجنة أما أنا فقد كنت متخوفاً، وقدمت ورقة بعنوان "الفخّ المنصوب"، ففي الوقت الذي أوضح فيه الأخ (أ.أ.) أن هذه الخطوة جيدة وتعطي الاعتبار لحركة حماس في المجلس الوطني الفلسطيني، وتعطي حماس فرصة لتعبر عن برنامجها وأهدافها، كنت أنا من خلال الورقة التي قدمتها قد ركزت على الأخطار التي تتمثل في هذه الدعوة، وأهمها أن دخولنا في هذه اللجنة يمثل اعترافاً ضمنياً بمنظمة التحرير الفلسطينية، التي رفضنا الاعتراف بها حتى قبل تأسيس حماس. حيث كان الإخوان المسلمون يرفضون الاعتراف بمنظمة التحرير، وبعد تشكيل حركة حماس رفضت الاعتراف بمنظمة التحرير على أساس أن هذه المنظمة لم تتشكل بانتخابات حرة ونزيهة، وأن هذه المنظمة قد اعترفت بالقرار 242 الذي يتنازل عن 78% من فلسطين، وهو ما حدث في اجتماع المجلس الوطني الـ 19 الذي عقد في الجزائر في 15/11/1988 وتم تغطية هذا التنازل بإعلان دولة فلسطينية وهي في الواقع دولة كرتونية ليست على الأرض. فركزت في ورقتي على أن مشاركتنا في هذه اللجنة تعني اعترافاً ضمنياً بكل هذه الخطوات التنازلية من حركة فتح بقيادة عرفات. أنصت المكتب التنفيذي لوجهتي النظر ووجه بعض الأسئلة وحصل تصويت، فكانت الأغلبية مع الورقة التي قدمتها برفض المشاركة في هذه اللجنة، وأقلية أيدت المشاركة، وهكذا تمّ رفض المشاركة في هذه اللجنة.

أريد أن أسجل أن الأخ (أ.أ.) على الرغم من أنه كان متحمساً للمشاركة في هذه اللجنة، إلا أنه عندما أخذ قرار من المكتب التنفيذي التزم به، وعندما عدنا للالتقاء فيما بعد، وكنت أنا والأخ (أ.أ.) وإخوة آخرون أذكر منهم الأخ عزت الرشق، تداولنا في الموضوع

وطرأت فكرة، لماذا لا نقدم مذكرة إلى المجلس الوطني الفلسطيني وإلى رئيسه عبد الحميد السائح نوضح فيها وجهة نظرنا. وفعلاً تشاركنا جميعاً في إعداد هذه المذكرة، حيث كانت تتحدث عن أننا لسنا ضدّ الدخول في المجلس الوطني الفلسطيني أو الدخول في منظمة التحرير، ولكن يجب أن يكون هذا المجلس الوطني الفلسطيني مجلساً منتخباً من الشعب الفلسطيني حيثما وجد. وذكرنا أيضاً أن من صلاحيات هذا المجلس الوطني الفلسطيني أن ينظر في جميع القرارات والاتفاقيات التي عقدت أو تبناها المجلس الوطني أو منظمة التحرير ويكون رأي الأغلبية هو المقرر، وفيما إذا تقرر أن يرفض المجلس بعض القرارات بما فيها قرار 242 الذي اعترف بالكيان الصهيوني فهذا من حقه. وقلنا في المذكرة أيضاً إذا قرر المجلس الوطني الفلسطيني ورئيس اللجنة التنفيذية بأنه من المستحيل عمل انتخابات حرة ونزيهة، فإننا نطالب بأن نمثل في هذا المجلس بنسبة لا تقل عن 40% من هذا المجلس وفقاً لشعبيتنا في الشارع الفلسطيني في الداخل والخارج، وهذه النسبة لم نأتِ بها من فراغ بدون دراسة، لأن جميع الانتخابات التي تمت في النقابات وفي الجامعات الفلسطينية في الداخل والجمعيات الطلابية، كانت تؤشر أن حركة حماس تحصد ما لا يقل عن 40% في ذلك الوقت، ومن هنا قلنا إننا مستعدون أن ندخل المجلس الوطني الفلسطيني إذا أعطي لنا 40% من أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني الذين كان عددهم تقريباً 500 عضو.

أخذت المذكرة وكلفت بتسليمها إلى الشيخ عبد الحميد السائح، قابلته في مبنى المجلس الوطني الفلسطيني في وادي صقرة بعمَّان، ولأول مرة يرى الشيخ عبد الحميد السائح شخصاً من حركة حماس. أعرف الشيخ عبد الحميد السائح مبكراً، عندما كان بيته في القدس، وكان يزور عمي الشيخ عبد الله غوشة، وكنت أزور بيته عندما كان ابنه أسامة منتظماً في جماعة الإخوان المسلمين، عندما كنا ندرس في مصر، فهو ليس غريباً علي، رحب بي وقال لي يا أخ إبراهيم أنا لا أستطيع أن أعطيك كلمة، فأنا سأعرضها على الختيار (أبو عمار) ونرى رأيه. وبعد يومين بعث ورائي وقال لي يا أخ إبراهيم الختيار لا يمكن أن يعطيكم 40%، ممكن أن يعطيكم 18 مقعداً، فحسبت النسبة بعقلي بسرعة وقلت يعني أنكم تعطوننا 4% من أعضاء المجلس الوطني، هل هذه قوة التيار الإسلامي؟ هل هذا معقول يا شيخ عبد الحميد؟ قال لي أنا أنقل لك، قلت له سأعرض على إخوتي في القيادة

وسأرد عليك، وفعلاً الإخوة رفضوا هذا العرض، وبلغته رفضنا لذلك. بعدها حصلت ضجة إعلامية كبيرة، وبعضهم كان يستهزئ برأي حماس الذي يطالب بـ 40% وهي لا تملك هذا بحسب طرحهم في الإعلام، وكان لحركة فتح هيمنة على منظمة التحرير في الداخل والخارج. وبعض الفصائل الفلسطينية استهجنت هذه النسبة فإذا أخذت حماس 40% وفتح 45% ماذا يبقى للفصائل الأخرى، فتعرضت هذه المذكرة إلى مهاجمة غير موضوعية من أكثر من جهة مع أن المذكرة كانت متوازنة جداً، كانت تركز على أننا نريد الانتخابات أساساً، وحتى نبين حسن النية قلنا حتى تصبح الظروف مهيأة لحصول انتخابات فإننا نطالب بهذه النسبة للدخول في المجلس الوطني الفلسطيني.

اللقاء الأول بين حركة المقاومة الإسلامية حماس وبين حركة فتح، تمّ ولمدة ثلاثة أيام ما بين 10-12/8/1990 أي بعد احتلال الكويت بأسبوع، وقد تمّ في اليمن وقد رتب لهذا اللقاء الأخ (أ. أ.) والسيد ياسر عرفات، حيث كانت هناك معرفة بينهما، والأخ (أ. أ.) هو الذي كان يردد (نختلف مع عرفات ولا نختلف عليه) نختلف مع عرفات في عدة قضايا ولا نختلف عليه بصفته رئيساً لمنظمة التحرير، هذه من طروحات الأخ (أ. أ.) الدبلوماسية، مع أننا لم نكن نتجاوب معها في صفّ حركة حماس. تمّ هذا اللقاء في صنعاء ونزلنا في فندق حدهَ. وفد حماس كان برئاستي ومعي الأخ عبد الرحمن بارود (أبو حذيفة)، ومعي الأخ موسى أبو مرزوق وقد جاء من أمريكا، ومعي الأخ (س)، أما وفد حركة فتح فكان يتشكل من أكرم هنية، مستشار عرفات السابق، وهو الآن رئيس تحرير جريدة الأيام، وعبد الله أبو سمهدانة، وهو الآن محافظ في قطاع غزة، والدكتور زهدي سعيد، وهو رئيس مكتب الوطن المحتل في عمّان. افتتح هذا اللقاء بحضور السيد ياسر عرفات والأخ (أ. أ.) وبدأنا بعد ذلك لقاءاتنا حيث استمرت ثلاثة أيام بلياليها، كان لدينا سبب رئيسي لهذا اللقاء وهو أن معتقلي حركة حماس في سجون الاحتلال، وقد كانوا أقلية في ذلك الوقت، كانوا يتعرضون إلى اضطهادات وتنكيل من حركة فتح داخل السجون، وكانت هذه القضية تقضّ مضاجعنا، فأردنا من هذا اللقاء أن نصل إلى صيغة لإيقاف هذا العدوان على شبابنا داخل السجون. أما حركة فتح فقد كانت تريد أن تنتزع منا اعترافاً بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، فبدأت الحوارات ثم دخلنا لمحاولة إصدار بيان مشترك، أوضحنا نحن رفضنا للاعتراف بمنظمة التحرير

للأسباب التي ذكرت آنفاً في المذكرة، وهم حاولوا جهدهم بصورة شديدة لإقناعنا بالاعتراف بمنظمة التحرير، وطرحنا عليهم قضية المساجين، فقالوا نحن مستعدون لعمل صفقة مقابل وقف العدوان على شبابكم في السجون، على أن تعترفوا بمنظمة التحرير، فرفضنا ذلك وانتهى الاجتماع. وهذا أول اجتماع للحوار بين حماس وحركة فتح، كان الحوار صعباً جداً؛ لأن كل منا ينطلق من بعد فكري مختلف، فنحن ننطلق من فكر الإسلام وأهمية أن يلعب الإسلام دوراً في مسيرة الجهاد وتوحيد الأمة، وهم يرون أن حركة فتح استطاعت أن تجمع جميع القوى والأفكار، وتصهرها في حركة فتح، ولا تلتزم بفكر إسلامي أو قومي أو ماركسي، فكان هذا سبب الصراع لدرجة أننا مكثنا ساعات، قبل أن يوافقوا على وضع البسملة على رأس البيان المشترك، وعندما دخلنا قليلاً وتحدثنا وكانت الانتفاضة قد بدأت تحدثنا عن الانتفاضة وعن الأمة وذكرنا تراث الأمة، لم يوافقوا على كلمة تراث، وقالوا إنما بذلك تشيرون إلى الإسلام وفي حركة فتح فينا مسيحيون وفينا مسلمون فلا نقبل بالالتزام بالإسلام. وهذا يعيدنا إلى الحوار الذي تمّ في الكويت عام 1964 عندما عُرِضَ علينا الانخراط في فتح، قلنا لهم بشرط الالتزام بالإسلام، قالوا لا، وبعد عقود من ذلك الوقت تمترست حركة فتح خلف هذه الرؤية. إن صعوبة أن يجري حوار ناجح بيننا وبينهم حصل مبكراً منذ عام 1990. غادرنا صنعاء كل في طريقه، وأذكر أن عضو اللجنة المركزية لفتح أبو كرش كان حريصاً على أن نتفق، ولكن التعليمات التي جاءت من عرفات جعلته ينسحب من صنعاء مبكراً، وعلمت أن هذا الشخص قد توفي بعد ذلك، وحتى هذه الأيام فإن العناصر التي تحب أن تلتقي مع التيار الإسلامي من حركة فتح قليلة جداً.

الاحتلال العراقي للكويت وتداعياته:

في النصف الثاني من سنة 1990 حصل الاحتلال العراقي للكويت بتاريخ 1990/8/2، وكما هو معروف فإن الأمريكيين، عبر السفيرة الأمريكية في بغداد استدرجوا الرئيس صدام حسين، من خلال إشارات اعتبرها صدام حسين على ما يبدو ضوءاً أخضر له، فاحتل الكويت. وكانت هناك بعض الأسباب التي قيل إنها وراء ذلك، وهي أن للكويت ديون بالمليارات على العراق، والعراق يتهم الكويت باستغلال البترول،

وبأخذ البترول من الحقول الأرضية من الجانب العراقي، هذه كانت المبررات. نحن في حركة المقاومة الإسلامية حماس التقينا، وكان رأينا أن هذه خطوة خطيرة جداً ربما تؤدي إلى عواقب وخيمة فيما بعد، وابتداءً نحن لم نكن مع احتلال دولة عربية لدولة عربية، وأي وحدة يجب أن تكون من خلال اتفاق الشعبين على صيغة وحدوية يتمّ اختيارها، ولذلك ذكرت أننا ممن أيد الوحدة سنة 1958 بين مصر وسورية، وقلت إن موقف الإسلاميين مع الوحدة، وكنا نتمنى أن تكون الوحدة على أسس إسلامية، أما في هذه الحالة كانت عن طريق غزو عسكري، فكنا نقول إننا مع الوحدة، ولكن الوحدة التي لا تكون بالقوة العسكرية.

التقت الحركات الإسلامية في أيلول/ سبتمبر 1990، وتقرر أن يرسلوا **وفداً من الحركات الإسلامية** إلى صدام حسين وإلى الملك فهد وزعماء وقادة البلاد العربية لحلّ هذه الأزمة بين العراق والكويت، وكانت فكرة هذا الحلّ أن يتمّ في إطار البيت العربي الإسلامي. تشكل الوفد وبقي من يمثل الفلسطينيين وطُرِح السيد منير شفيق، وكان قد شارك مع الجهاد الإسلامي وجماعة الشيخ أسعد بيوض وشكلوا ما يسمى سرايا الجهاد، فتوجه منير شفيق إلى قيادة حركة حماس وقال لا يكفي أن أكون لوحدي يجب أن يكون واحد منكم أيضاً، وهذا الموقف للحقيقة يجب أن يسجل للأخ منير شفيق. درست الحركة موضوع فرز الشخص المناسب ليشارك في الوفد، مع العلم بأننا جميعاً كنا من العناصر التي تعمل من وراء ستار وبتكتم، وأخيراً اتفقت قيادة الحركة على تسميتي للمشاركة في هذا الوفد؛ فراجعني الأخ خالد مشعل وقال لي أنت من ستكون مندوبنا في هذا الوفد، فقلت له يا أخ خالد مضت 40 سنة وأنا أعمل في الجوانب التنظيمية غير المعلنة، فاتركني كما أنا، فأصر هو وإخوانه، وقال هذا قرار، وهذه فرصة لكي تظهر الحركة على السطح، وأنت قد قابلت الشيخ عبد الحميد وبدأت تظهر، فنزلت عند قرار إخواني.

التقينا وفد الحركات الإسلامية في فندق القدس بعمّان، وأول مرة أُعلِنَ عن اسم ممثل حماس في الخارج، وكان رئيس هذا الوفد الأخ محمد عبد الرحمن خليفة والناطق باسم هذا الوفد الدكتور حسن الترابي وقد كان الوفد قوياً، وكان فيه من الأردن الأستاذ كامل

الشريف، والأخ إبراهيم مسعود نائب في البرلمان ونائب المراقب العام للإخوان المسلمين، وكان أيضاً من مصر إبراهيم شكري وعادل حسين، وكان فيه من تركيا نجم الدين أربكان، ومن باكستان قاضي حسين ومعه خورشيد أحمد، وكان فيه من الجزائر محفوظ النحناح، وكان فيه من اليمن عبد العزيز ياسين المراقب العام للإخوان المسلمين في اليمن، ومن تونس الأخ راشد الغنوشي بالإضافة إلى الأخ منير شفيق وهؤلاء تقريباً يشكلون الوفد كما أذكر. انطلق الوفد من عمّان بعد مقابلة الملك حسين، ثم انطلق هذا الوفد إلى السعودية وفيها تمّ لقاءان؛ لقاء رسمي مع الملك فهد، ولقاء شعبي في رابطة العالم الإسلامي. أما اللقاء الرسمي فقد كان لقاءً ناجحاً استغرق حوالي ثلاث ساعات مع الملك فهد، طرح الوفد رؤيته في هذه المهمة التوفيقية، فباركها الملك فهد وقال إن الرئيس صدام حسين صديقي، وأنا اتفقت معه بسرعة على حلّ مشكلة الحدود بين السعودية والعراق. وكان الوفدان العراقي والكويتي قد فشلا في اللقاء الذي عقد في جدة، والذي كان يمثل العراق فيه عزت إبراهيم، والكويت صباح الأحمد. وقال الملك فهد لو كنت أعلم أنهم سيفشلون لدفعت ثلاثة أو أربعة مليارات دولار مني وأنهيت الأزمة بين العراق والكويت، هذا كان موقف الملك فهد بعد منتصف أيلول/ سبتمبر 1990، وقبل أن يزداد الضغط الأمريكي على السعودية. أما اللقاء الثاني فكان مع رابطة العالم الإسلامي في مكة، وكان لقاءً فكرياً حول مفهوم الاستعانة بالقوات الأمريكية للدفاع عن بلد مسلم مثل الكويت والسعودية، وكانت الكفة راجحة لفقهاء الوفد ومفكريه الذين جاؤوا من عمّان، وتحدث الغنوشي والترابي وغيرهم عن عدم الجواز وكان هناك علماء من رابطة العالم الإسلامي أيضاً. والتقينا أيضاً في رابطة العالم الإسلامي وفداً كويتياً مكوناً من الأخ عبد الله المطوع ووزيرين كويتيين سابقين، واستمع الوفد لهم، كانوا مجروحين من الاجتياح العراقي للكويت، وأنا ممن تعاطف معهم، وشرحنا لهم مهمتنا التوفيقية، ودعوا الله لنا بالتوفيق والنجاح.

حصل لقاء مع تركي الفيصل مسؤول المخابرات في السعودية وشرح لنا تطورات الوضع، وكان متخوفاً من المطامع العراقية على السعودية. وغادرنا بعد أن أدينا العمرة إلى العراق وفيها التقينا الرئيس صدام حسين، ونزلنا في فندق الرشيد، وقالوا لنا انتظروا حتى يحدد لكم موعد اللقاء، وخلال أقل من نصف ساعة قيل لنا توجهوا

إلى اللقاء فركبنا في باصات صغيرة، ليس إلى قصور صدام لأنها كانت مستهدفة، وإنما لفيلا بعيدة نوعاً ما وكان في استقبالنا صدام حسين ومعه مساعدين، حيث رحب بنا وجلس، وكعادته خلع حزام مسدسه ووضعه على جنب وتوجه للوفد بالحديث، لاحظت بأن صدام حسين لا يعطي أي إشارة بالاتفاق مع المتحدث أو عدم الاتفاق، وكنت أرى كأن وجهة من شمع لا تعابير عليه، وهذه تهز الشخص المقابل له. تحدث الترابي ومحمد عبد الرحمن خليفة والغنوشي وإبراهيم شكري وغيرهم، ولكنهم كلهم أخذوا يشيدون بصدام حسين ولم يطرحوا الفكرة التي جئنا من أجلها حتى تكلم قاضي حسين، فقال له بوضوح نحن نطلب يا سيادة الرئيس بأن تعطوا أوامركم بأن تعود القوات العراقية إلى العراق، وتعود الكويت كما كانت قبل 1990/8/2. بعد أن أنهى الوفد أحاديثه جميعها بدأ صدام حسين يتحدث، تحدث عن قراره بالدخول للكويت، وتحدث عما أسماه الفساد الذي يعيش به أمراء الكويت، وقال إذا كانت لديكم رغبة سأرسل طائرة ترسلكم إلى الكويت، وأريكم ماذا في داخل هذه القصور من فساد. أما بالنسبة لما ذكره قاضي حسين فكان جوابه بأنه لو ظلّ ألف سنة فلا يمكن أن ينسحب من شبر من الكويت. انتهت هذه الجلسة وصافحناه واحداً واحداً، وعندما صافحته أنا ممثل حركة حماس قال لي كيف حال إخواننا في فلسطين؟ قلت له بخير وينتظرون مساعدتكم، ونأمل أن تكون الصواريخ موجهة إلى الغرب إلى الكيان الصهيوني، وهزّ رأسه وصافحني، وقال لي سلم عليهم. عدنا إلى الفندق وأخذنا نُقَيِّم هذا اللقاء وأصبحنا طرفين، طرف اقتنع بفكرة صدام لزيارة الكويت ليرى ثم يحكم بعد ذلك، وطرف قال لا، وأنا كنت مع هذا الطرف، وكنا نخشى أن نوجه إلى أماكن معينة لنراها كما يريد العراقيون، وبالتالي لا نعطي شهادة متوازنة، وعلى أي حال فالأغلبية كانت مع عدم الذهاب. وبعد ذلك زرنا إيران والتقينا مع رفسنجاني ومع كل القادة الإيرانيين، وتحدث الوفد إلى رفسنجاني بأن العراق مهدد من قِبَل أمريكا وإيران مهددة أيضاً من قِبَل أمريكا، فلماذا لا يتفق الطرفان؟ فكان جوابه بأنه لا يثق بصدام، وأنه سابقاً خلال الحرب الإيرانية العراقية، كان الغرب هو الذي يدعم صدام. بعد ذلك زرنا بعض البلاد الأخرى، وعدنا إلى عمّان، وكان المفروض أن نعود إلى السعودية لنقل هذا الرأي إليها، ثم نعلن ذلك للرأي العام العربي والإسلامي، وللأسف لم تتمّ

الزيارة للسعودية، ولم يتمّ إعلان بيان ختامي للجولة، هذا هو الملخص للجولة في شهر أيلول/ سبتمبر 1990.

أما في فلسطين فقد تطورت الانتفاضة وحصلت **مجزرة في المسجد الأقصى يوم 1990/10/8** وسقط حوالي 20 شهيداً وجرح حوالي 300. وتحرك الشارع العربي والإسلامي، وتمت الدعوة إلى لقاء جماهيري في المحطة في عمّان وحضره 100 ألف، حيث كان صفّ الإخوان المسلمين قوياً وله ثقل في مجلس النواب، وتحدث المتحدثون في هذا اللقاء أذكر منهم أحمد قطيش وآخرون، وأنا ألقيت كلمة حماس، وبالمناسبة ففي هذا المهرجان كانت الشعارات تتعلق بفلسطين وضدّ الصهاينة والأمريكيين، ولم يكن فيها صور لصدام أو غيره. كان رأي هذا اللقاء الجماهيري أننا مع الشعب الفلسطيني في انتفاضته ضدّ الكيان الإسرائيلي، ومع الشعب العراقي ضدّ الغزو الأمريكي المتوقع. في كلمتي تحدثت عن رؤية حركة حماس، حيث نرى حلّ هذا المأزق من خلال البيت العربي الإسلامي، وأن تنسحب القوات العراقية من الكويت، وتنسحب القوات الأمريكية من الجزيرة العربية، هذا الطرح من قِبَل الحركة لم يعجب بعض المتحمسين من الإسلاميين.

ومن التطورات الأخرى **ما حصل في ليبيا**، وصلت دعوة إلى حركة حماس للمشاركة في مؤتمر يعقد في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1990 في طرابلس لتأسيس ما يسمى القيادة الشعبية الإسلامية. قرر الإخوان أن يرسلوني إلى هذا المؤتمر، وأذكر أن أحد أعضاء المكتب التنفيذي في آخر الليل بعد اتخاذ القرار، قال لماذا ترسلون إبراهيم إلى ليبيا وقد اختفى فيها الصدر؟ أيجب أن نرسله هكذا؟ ولكن القيادة قالت إن من الضروري على إبراهيم أن يذهب إلى هذا اللقاء، فغادرت إلى ليبيا وحدي، فلم يكن لممثلي حماس في ذلك الوقت ولو مرافق واحد. وفي ليبيا أنزلونا في فندق المهاري، وكما علمت فهذه الكلمة تعني الإبل الصغيرة، وهو على البحر وفي مقابله مسجد حيث نزلت كل الوفود في ذلك الفندق، ورأيت في طرابلس في شهر تشرين الأول/ أكتوبر عدداً من الوفود التي شاركت **في لقاء أيلول/ سبتمبر**. ألقى القذافي في هذا المؤتمر خطبة طويلة انتقد من طرف خفي الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية، لم أعقب كثيراً على هذا الموضوع. وفي اليوم

الثاني كان هناك **لقاء لكل قادة الوفود مع معمر القذافي في خيمته**، التقينا وكنا حوالي 15 رئيس وفد، أذكر منهم الدكتور الترابي والشيخ الغنوشي وإبراهيم شكري ومنير شفيق وعادل حسين، وربما أربكان والنحناح، تحدث القذافي وهاجم الإخوان هجوماً شديداً واتهمهم بأنهم عملاء للاستعمار. ووجدت بأن داخلي يغلي غلياناً، فأنا ابن تربية الإخوان المسلمين منذ أكثر من 40 عاماً أُهاجَم، بصورة غير علمية وغير منطقية واتهم باتهامات غير صحيحة. انتظرت بأن يرد بعض قيادات الحركة فلم يرد أحد، كنت في ذلك الوقت لربما من أصغرهم سناً، ولكنني رأيت أن هذا لا يمكن أن يمرّ. التفت إلى العقيد القذافي وقلت له بالنسبة للإخوان المسلمين الذين هاجمتهم، أريد أن أؤكد أن حسن البنا الذي أنشأ الإخوان المسلمين أنشأ أهم حركة إسلامية في العالم حاربت في فلسطين، وقد استشهد اغتيالاً على يد عملاء الملك فاروق، وأقول لك بأن من يقاتل الآن في فلسطين ومن تصدى للعدوان الصهيوني على المسجد الأقصى هم من شباب الإخوان المسلمين المنضوين مع حماس، وقدموا الشهداء والجرحى في صدّ العدوان، ولا ينبغي اتهامهم بالاستعمار ولا بأي تهمة أخرى، وأنا أقول لك أيها العقيد بأن عبد الناصر له حسنات وله سيئات، ومن الممكن أن تدعو إلى ندوة واسعة كبيرة لمناقشة هذا الموضوع ما هي الإيجابيات وما هي السلبيات، وأنهيت حديثي. فأخذ وجهه يتغير، وقال ما قاله إبراهيم صحيح وإن عبد الناصر له إيجابيات وله سلبيات، وربما نفكر بهذه الأمور التي حصلت.

وخرجنا وعدنا إلى الفندق، ثم قالوا لي يريد القذافي أن يلتقي بك، قلت في نفسي هاهو سيناريو الصدر قد بدأ!! فقال لي الصديق شفيق، حضر حالك يا إبراهيم؟ فقلت سأتوكل على الله وأقابله. وقبل ذلك بفترة علمت أنه سيقابل الترابي والغنوشي كل على حدة فاطمأن قلبي، قابلته في الخيمة لوحدنا وتحدث معي، وأيّد حماس لتصديها للعدو الصهيوني، وقال إن عليكم أن توجعوا هذا العدو، فأنتم لستم دولة، تستطيعون أن توجهوا ضربات، والعدو الصهيوني لا يستطيع أن يوجه ضربة معاكسة، لأنكم لستم دولة ينتقم منكم، وسألني عن بعض القيادات الفلسطينية، وصار الجو جيداً، وقدم لي حليب النياق والشاي الذي يقدم في ليبيا شديد المرارة، وتحدث لي عن تغيير أسماء الشهور وأسهب في هذا الحديث وكيف أن شهر تشرين الأول/ أكتوبر يسمونه

"شهر التمر" على أساس أن التمر ينضج في ذلك الوقت، وأن شهر أيار/ مايو يسمى شهر ماي وهكذا، وهي تسمية سارية حتى الآن. وقلت في نفسي يا إبراهيم أحسنت الدخول فأحسن الخروج، فتذكرت أمس، فقلت له يا سيادة العقيد إننا في حركة حماس أعداء ألداء للصهاينة والأمريكيين فأريد منك أن تريني القصر الذي تعرض لقصفهم، حيث استشهد أبرياء في هذا القصف، فتهللت أساريره ونادى فوراً أحد مساعديه، وقال له خذ إبراهيم وأره العدوان على القصر من القوات الإمبريالية. وهكذا ذهبت لزيارته واهتممت به، وعدت إلى الفندق ورآني بعض الإخوة منهم إبراهيم شكري فقال لي بأن باله كان مشغولاً علي، فذكرت له ما حصل، وقال لي جيد جداً، وقال لي بأن موقفك كان مشرفاً. مع أن إبراهيم شكري ليس من الإخوان، وكان رئيس حزب العمل، وعلمت بعد ذلك أنه أبلغ المرشد العام في مصر، وقال له إن إبراهيم وقف أمام تهجمات القذافي على الإخوان، وأوضح له من هم الإخوان المسلمون، وقيل لي إن المرشد قد سُرّ كثيراً.

وبعد شهر دعينا مرة أخرى إلى ليبيا حيث تحسنت علاقتي مع القذافي، وكان هناك عدد من القيادات لبحث موضوع **تشكيل وفد لزيارة صدام حسين**، وفكرة هذا الوفد أن نطلب من صدام أن يكون مستعداً للانسحاب من الكويت إذا اعترف الكيان الصهيوني ونفذ قرار 242. تداولنا هذه الفكرة وقلت لهم إنني كممثل لحركة حماس حركة إسلامية نحن نرفض ابتداءً الاعتراف بقرار 242. ولا نقبل أن نكون ضمن وفد يحمل هذه الفكرة مع أن أربكان قد جرى عليه تأثير من السفير الفلسطيني في أنقرة، وبعد ذلك تراجع أربكان، وكان الرأي أن نصرف النظر عن هذا الموضوع، وأن نقابل صدام والملك فهد ونعيد الكرَّة على الشكل الذي تم مع وفد الحركات الإسلامية في السابق. وهكذا **تمّ تشكيل وفد مقلص** من حوالي ثمانية أشخاص من الحركات الإسلامية، واخترت عن حركة حماس، وأربكان عن حزب الرفاه، وشكري عن حزب العمل، وشخص عن باكستان، وشخص عن السنغال، رئيس الوفد كان الدكتور محمد الشريف من ليبيا ومعه إبراهيم الغويل. ومرة أخرى ركبنا الطائرة وبدأنا بجولة موسعة للعالم العربي والإسلامي، كانت الفائدة في هذه الزيارة والزيارة الأولى بأن **حركة حماس بدأت تطل على الرسميات العربية والإسلامية**، وكنت ممثلها في هذا الوقت، أول زيارة كانت لليمن حيث قابلنا الرئيس علي عبد الله صالح، وقام إبراهيم شكري بتقديمي إليه وقال

له هذه حركة حماس حركة مجاهدة، وفعلاً تعرفنا على الرئيس علي عبد الله صالح. وبعد ذلك سافرنا إلى إيران والتقينا مع القيادة الإيرانية، وتحدثنا حول الموضوع نفسه، أن تفتح إيران على العراق لتصديها للولايات المتحدة، والجواب كان مثل الجواب الأول. وذهبنا بعد ذلك إلى سورية وفي سورية تحدثنا مع عبد الحليم خدام، وتحدث بأن الوقت متأخر وغير موات لنجاح هذه المهمة، لأن الترتيبات واضحة لضرب العراق، وانتقد موقف صدام وقال بأن صدام لا يدرس الظروف المحلية والإقليمية قبل قراره. ومعلوم بأن سورية انضمت إلى التحالف المشارك في إخراج العراقيين من الكويت، ورحب بي عبد الحليم خدام، وكان هذا أول لقاء مع قيادة البعثيين في سورية، وقال نأمل أن نراكم مرة أخرى، قلت إن شاء الله. وأذكر عندما قابلت الأحمر الأمين العام المساعد للقيادة القومية، ودخلت تحت حراسات بعثية، وجلست معهم، تذكرت بأنه كانت بين الإخوان المسلمين وبين حزب البعث خلافات عميقة، وقد كانت هذه بداية لتطورات العلاقة فيما بعد مع سورية. بعد ذلك مررنا بالأردن والتقينا الملك حسين في القصر الملكي، وكان الملك يتصدر الطاولة، ومعه الأمير حسن، وعدنان أبو عودة وزير البلاط، وزيد بن شاكر. تحدث الملك ورحب بنا، وتحدث محمد الشريف، رئيس الوفد وهو ليبي، عن مهمة الوفد، وتحدث إبراهيم شكري، وتحدث أربكان، وتحدثت أنا، وقلت إن المعركة قادمة ونحن نريد أن ننزع فتيلها، ونريد أن نتحدث مع صدام بوضوح بأن ينسحب من الكويت، ونتحدث مع الملك فهد بالطلب من القوات الأمريكية الانسحاب من الجزيرة العربية. وجدت على وجه الملك حسين علامات السرور، وعندما غادرنا، وسلمت على الملك قلت له بأن حركة حماس تريد أن تتشرف بلقائكم، قال لي أهلاً وسهلاً، ورتّب مع أحمد هليِّل، وتحدثت مع أحمد هليل فقال لي أمهلني قليلاً وكان وقتها يعمل مسؤولاً عن الحضرة الهاشمية، وقد قال لي هليل إن اللقاء كان جيداً، وقد سُرّ الملك، وسنرتب موعداً لكم للقاء الملك. وبعد ذلك اندلعت الحرب ضدّ العراق ولم يلتقِ وفد حماس الملك.

قابلنا الرئيس صدام حسين هذه المرة، وكالعادة كان يجلس ويستمع لمن حوله ولا يتحدث بكلمة، ولا يظهر على وجهه علامة رضا ولا رفض، هكذا تحدث الإخوة جميعهم؛ بمن فيهم الدكتور محمد الشريف وأربكان وشكري، وكالعادة يجدون أنفسهم ينجرون للإشادة بصدام حسين، ولم يبقَ غيري فقلت في نفسي إذا لم نطرح الفكرة التي

جئنا لأجلها، فمهمتنا فشلت. قلت يا سيادة الرئيس إننا والعراق في مركب واحد، وإننا والله لا نريد أن تمسّ العراق فهي سند للعرب والمسلمين، ولكننا نأمل منكم أن توافقوا على فكرة سنطرحها أمام الملك فهد بأن سيادتكم مستعدٌ للانسحاب من الكويت، مقابل أن تنسحب القوات الأمريكية من الجزيرة العربية. أنهيت حديثي وكانت الصورة قد اختلفت لأن هذه الزيارة قد تمت في أواخر شهر كانون الأول/ ديسمبر 1990، والحشد قد تمّ ونذر الحرب جاهزة. قال صدام ما ذكره إبراهيم أنا أوافق عليه، فتهللت أساريرنا، فصدام كان متحمساً أن ننقل هذه الفكرة. قال لي الدكتور محمد الشريف بعد أن غادرنا لقد أنقذت مهمة الوفد يا أخ إبراهيم، جزاك الله خيراً. توجهنا بعد ذلك من العراق إلى مصر لنقابل الرئيس محمد حسني مبارك، ومن هناك نرتب للذهاب لمقابلة الملك فهد، وفي مصر قرأنا الكتاب من عنوانه ففي المطار لم يستقبلنا أيُّ شخص مصري رسمي، سوى رئيس بلدية القاهرة فقط، وأنزلونا في فندق سميراميس كما أذكر، ومكثنا ثلاثة أيام كاملة نطلب مقابلة الرئيس حسني مبارك ليتوسط لنا لمقابلة الملك فهد، وكان والواسطة الأساسية المبعوث الشخصي للقذافي السيد قذاف الدم. وزارنا في الفندق أحمد صدقي الدجاني، وزارني في الفندق نائب المرشد العام للإخوان فقدرت له هذه الزيارة ووضعته في ظروف هذا اللقاء، وأذكر أن إبراهيم شكري قد دعانا إلى بيته وهو مطل على النيل في الجيزة، وأنا تخرجت من مصر في تموز/ يوليو 1961 ولم أدخلها بعد ذلك بتاتاً لأني كنت متأكداً أن لي اسماً في المخابرات المصرية، وكان دخولي إلى مصر للمرة الثانية في ظلّ هذا الوفد الرسمي، فقلت لشكري بالقرب منكم شارع يافع بن زيد، قال نعم كيف عرفت؟ قلت له كنت أسكن في هذا الشارع سنة 1955 قريباً من ميدان الجيزة، وأقام لنا وليمة طيبة. وإبراهيم شكري مع أنه من حزب العمل إلا أنه مع الإسلام وهو وطني وقوي جداً، وأحسن منظِّر عنده عادل حسين (توفي)، وعندما كنا في الوفد الأول كان فيه مفكرون وبعضهم سياسيون، فعادل حسين من السياسيين وخورشيد أحمد من السياسيين، والترابي سياسي ومفكر، والغنوشي مفكر بالدرجة الأولى وسياسي أيضاً، أما كامل الشريف فقد كان دبلوماسياً من الطراز الأول، بالإضافة لكونه سياسياً ومفكراً، وربما أضع نفسي مع السياسيين. وفي القاهرة بعد الانتظار الطويل جاءنا عمدة القاهرة وأعطانا جواباً سلبياً، وهكذا لم يُسْمَح لنا باللقاء مع مبارك، وقطعت الطريق

علينا للذهاب للرياض، وعدنا لطرابلس، وقيَّمنا الوضع فوجدنا أن نذر الحرب قد بدأت، وهكذا انتهت الجولة، وعدت إلى عمّان وبدأت الحرب.

في شهر كانون الأول/ ديسمبر أيضاً **سافرت إلى لندن**، حيث جاءتني **دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين**، كانت المرة الأولى التي أزور فيها لندن، وهناك شاركت في عدد من اللقاءات الطلابية وغير الطلابية، وتعرفت على بعض الإخوة هناك، وزرت مقرّ مكتب فلسطين المسلمة، التي كانت وما زالت تقوم بعمل مهم للقضية الفلسطينية، وتعرفت على عدد لا بأس به من الشباب هناك في لندن.

الأوضاع في الأردن ودور الإخوان:

أعود إلى **الأردن إلى** الانتخابات حيث حصلت في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1989، في هذه الفترة بدأ الشعب الأردني يتعلق بالبرلمان حيث كان قوياً جداً، وكان فيه تيار إسلامي قوي، وكان فيه تيار قومي، وتيارات يسارية، وتيارات وطنية، وشخصيات قوية. أذكر أنه لدى طرح الثقة في وزارة مضر بدران في أواخر سنة 1990 وبداية 1991 في هذه الفترة كان الشعب الأردني يقف بالمئات إن لم نقل بالآلاف لحضور جلسات البرلمان، وكان هناك شعور بأن هذا البرلمان سيحل كل أزمات الشعب الأردني وعلى رأسها الفساد، وأنا ممن حضر هذه الجلسات، وقد كان مضر بدران بارعاً في الإجابة على كل مداخلات النواب، واستعد الإخوان لإعطائه الثقة في هذه الحكومة، ووضعوا 14 شرطاً وافق عليها مضر بدران. وفي هذه الأثناء اتصل بي أبو ماجد، وهناك في بيته في أول شارع الجاردنز كان موجود عنده الدكتور عبد اللطيف عربيات، فالتفت أبو ماجد إلى الأخ عبد اللطيف وقال نريد أن نرشحك وزيراً للتربية والتعليم، والتفت إلي وقال نريد أن نرشحك وزيراً للأشغال، فابتسمت أنا كما ابتسم عبد اللطيف عربيات، وقلت له يا أخ أبو ماجد أنا الآن ممثل لحركة حماس، وأقوم بهذا الدور باسم حركة مجاهدة في فلسطين، والأخ عبد اللطيف قال أيضاً أما تعلم بأني أترأس البرلمان وموقع البرلمان، لا يمكن أن نشغره من أجل وزارة، وهكذا اعتذر كلانا عن الدخول في هذه الوزارة. وبعد ذلك تشكلت الوزارة ودخل فيها خمسة من الإخوان أذكر منهم الأخ إبراهيم زيد الكيلاني للأوقاف، وعدنان الجلجولي للصحة، ويوسف العظم للتنمية الاجتماعية،

وعبد الله العكايلة للتربية والتعليم، وماجد خليفة للعدل ولم يستمروا إلا خمسة أشهر في الوزارة، وحصلت بعد ذلك حملة منسقة للهجوم على هؤلاء الوزراء الخمسة وعلى التيار الإسلامي لإغلاق الطريق أمامه. وهذا يذكرنا بوزارة حركة حماس التي ووجهت في أول يوم وسنتحدث عنها فيما بعد، وأذكر بأن الأخ يوسف العظم كان لديه في أحد الأقسام أربعة موظفين؛ رجلان وامرأتان، وكان يجلس موظف وموظفة معاً في غرفة، والموظف والموظفة الآخران في غرفة ثانية، فقال لهم ما رأيكم بأن يجلس الرجلان معاً والمرأتان تجلسان معاً فوافقوا، ولكن الصحافة فتحت النار عليه وقالت هذا الذي لا يؤمن بالاختلاط هذا غير حضاري. أما عبد الله العكايلة فقد اقترح في نهاية العام أن يكون هناك نشاط رياضي للفتيات ولا ينبغي للرجال أن يشاهدوه، فقيل عنه هذا متخلف يريد أن يحجر على تقدمنا وحضارتنا. وأذكر أن الحملة كانت شرسة على وزراء الإخوان، ولم يعطوا فرصة ليصلحوا الوزارة ولا ليحاربوا الفساد، وهكذا أجهضت أول تجربة وزارية للإخوان في الأردن.

أعود بعد ذلك للحديث عن موضوع آخر، وهو أنه في أوائل عام 1991 عاد أكثر من 300 ألف مواطن أردني من أصل فلسطيني للأردن بعد احتلال الكويت، وهذا النزوح كان وراءه موقف عرفات الخاطئ في الأزمة العراقية الكويتية، ووصلت روايات كثيرة عن الفوضى التي حصلت في الكويت إثر دخول الجيش العراقي لها، حيث إن أي شخص كان بعيد النظر كان يتأكد بأن كل جيش فيه فوضى ولا يوجد فيه دعم لوجستي قوي، لا يستطيع أن يصمد أمام أية قوة أمريكية. وفي الأردن حضر مع الفلسطينيين عدد من رموز حركة حماس منهم خالد مشعل والأخ عزت الرشق ومنهم الأخ سامي خاطر وآخرون، وبدأنا نعمل من خلال الإخوان المسلمين ومن خلال نواب الحركة الإسلامية التي استأجرت مكاناً لها بالعبدلي، وهو مكان حزب جبهة العمل الإسلامي الآن، وأقيمت خلية أزمة، كان فيها أربعة من الأشخاص اثنان من الإخوان واثنان من حركة حماس هدفها التعامل مع القضايا المختلفة؛ ومنها فتح حوارات مع القوى القومية واليسارية، ومنها الإسهام في العمل الخيري في استقبال اللاجئين الذين جاؤوا إلى منطقة الحدود الأردنية في الرويشد، وكنا نقوم بهذا الدور ونفكر في الأساليب المناسبة للقيام به، وفعلاً الإسلاميون كان لهم دور قوي في هذا المجال الخيري.

مع دخولنا سنة 1991، بدأت نذر **الحرب الأمريكية على العراق** تتضاعف، وتصاعدت أيضاً دعوات الأردن لتشكيل **مقاومة شعبية**، فيما لو تطورت الحرب على العراق إلى هجوم صهيوني على الأردن في الطريق إلى العراق. وتحدث الإخوان المسلمون مع مضر بدران رئيس الحكومة ومعهم وزراء الإخوان، وقالوا له نحن نريدك أن توافق على تشكيل مقاومة شعبية في الأردن لدعم الجيش الأردني لو حصل عدوان صهيوني، فقال لهم لا مانع لدي من ذلك، ولكن لا توجد لدينا أسلحة لتسليح هذه المقاومة الشعبية، ثم اتفق الطرفان على أن يسمح مضر بدران **لوفد من الإخوان المسلمين للذهاب إلى إيران لتسليح هذه المقاومة الشعبية**، وهذا الموضوع لم يتطرق له أحد منذ فترة.

تشكل الوفد للذهاب إلى طهران أوائل سنة 1991، وبالذات في شهر شباط/ فبراير في أثناء الحرب، فالحرب على العراق بدأت في 17/1/1991 وبعد أن قطعت الحرب فترة، وفي بداية شهر شباط/ فبراير تشكل الوفد للذهاب إلى طهران لسبب واحد ووحيد وهو الطلب منها تسليح هذه المقاومة الشعبية أمام أية اختراقات صهيونية. وتشكل الوفد من الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة رئيساً للوفد ومعه علي الحوامدة وهمام سعيد وأحمد قطيش وإبراهيم مسعود، وقرر الوفد أن يغادر واتصل بي الأخ أبو ماجد وقال لي أريدك أن ترافقنا في هذا الوفد فقلت له هذا وفد للإخوان، قال لي إنك تعرف إيران، وذهبت إليها أكثر من مرة في وفود سابقة وتعرفهم أكثر. وهكذا رافقتهم إلى إيران ولم يكن يوجد وقتها خطّ طيران من عمّان إلى طهران، فكان علينا السفر إلى لارنكا، ومنها نسافر إلى أثينا، ومنها إلى إسطنبول، ومنها إلى طهران، فكانت رحلة طويلة جداً، وكان الإيرانيون يخشون علينا من الموساد في لارنكا في قبرص، فجاءت بعض الشخصيات الأمنية الإيرانية لتوفير الحماية لنا في لارنكا، وصلنا إلى طهران والتقينا مع كل المسؤولين الإيرانيين، وأفرزوا سياسيين وأمنيين للقاء مع الوفد، ومعرفة ما يريد. والإيرانيون معروف عنهم أنهم يعصرون زائرهم عصراً، لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا ويسألون عنها، أي أنهم ماهرون في جمع المعلومات؛ فالتقوا مع كل نائب على حدة للاستفسار والسؤال. وأمضينا حوالي ثلاثة أيام، والإيرانيون لم يعطونا قراراً قاطعاً، قالوا سندرس الوضع ونتواصل معكم، ثم عدنا إلى عمّان وقابلنا السفير الإيراني في عمّان ومضى الوقت، ولم يتمّ الاتفاق على إرسال أسلحة لتسليح المقاومة الشعبية.

وفي سنة 1991 عندما قال مضر بدران أكثر من مرة يحق "للشعب الأردني أن يتسلح كيفما شاء"، وكانت ثمة أسلحة كثيرة واشتغل المهربون، اجتهدت مجموعة ممن تعمل مع حماس على شراء عدد من الأسلحة المتوفرة والرخيصة، وفي ظلّ موافقة رسمية من مضر بدران للشعب الأردني أن يتسلح للدفاع عن الأردن لو حصل عدوان صهيوني. هذه المجموعة كان عددها حوالي 11 شخصاً، وقامت بشراء أسلحة دون علم القيادة السياسية، وفي أواخر سنة 1991 ألقي القبض عليهم، وكانوا قد قاموا بتخزين الأسلحة في عمّان ومادبا على أساس تخزينها وإرسالها إلى الانتفاضة في الضفة. ذهبنا أنا والأخ (ح)، بعد أن علمنا باعتقال هؤلاء الإخوة، نراجع النواب بمن فيهم الأخ عبد اللطيف والأخ العكايلة للمساعدة في الإفراج عن هؤلاء، وممن راجعناهم الأخ أحمد قطيش في مادبا، وكان الأخ أحمد قطيش (أبو بلال رحمه الله) قد أثقل عليه المرض، ولكنه اهتم جداً واتصل بعد ذلك برئيس الوزراء، وكان حينذاك زيد بن شاكر، وقال لرئيس الوزراء لا بدّ أن تلتقي مع أحد الإخوة، وهكذا أقنعه وهو يقاسي المرض الشديد، فذهبت لمقابلة رئيس الوزراء وطرحت القضية، قضية الإخوة المعتقلين، حيث إنهم جمعوا الأسلحة بمبادرة فردية منهم، ولم يستهدفوا شيئاً إلا العدو الصهيوني، فأبدى تجاوباً، وقال لي راجع مدير المخابرات أبو مازن مصطفى القيسي. وهكذا كان أول لقاء لي مع مدير المخابرات، قابلته في دائرة المخابرات القديمة في العبدلي، فقال لي أنتم حماس تجمعون أسلحة وتخزنونها داخل مدننا إنكم توحون بأنكم تريدون أن تقوموا بإثارة المشاكل داخل الأردن. قلت له أولاً هذه الأسلحة للانتفاضة في فلسطين، فقال لماذا لم توضع في الأغوار؟ قلت على الأغلب هذه المناطق أسهل للتخزين من الأغوار، ونحن القيادة السياسية لم يكن لنا علم بذلك. قال أنا أعلم قلت له بأن هؤلاء جمعوها عندما كان مضر بدران يسمح للشعب الأردني أن يتسلح وتفهَّم الوضع وتحدثنا عن حماس والإخوان، وشكا من بعض النواب الذين يهاجمون الحكومة، وذكر أسماء الذين يخطبون الجمعة، فأجبته بأن هذه فترة ديموقراطية طالما لا يقومون بأشياء غير قانونية فليتحدثوا في المساجد ويقولوا رأيهم، فابتسم.

أريد أن أؤكد أن رئيس الحكومة والمخابرات، في ذلك الوقت، لم يكونوا يفرقون بين حماس والإخوان، وكانوا يتعاملون معنا على أن الإخوان، وحماس شيء واحد، وليس

مثل الوقت الحالي. وأذكر بأن القيسي قال بأننا خدمنا الإخوان أكثر من مرة، وخاصة عندما كان السوريون يستهدفونهم في الأردن، كنا نقدم الحماية إلى يوسف العظم وإبراهيم زيد الكيلاني، قلت له فعلاً وأنتم مشكورون على ذلك، ولكن لا تنسوا يا أبا مازن أن الإخوان المسلمين كان لهم دور مهم جداً في تاريخ الأردن في المحطات الأساسية التي مرّ بها الأردن، كانت مواقفهم قوية، وساعدت على ثبات النظام في الأردن. وذكرت له سنة 1957 وقلت له أذكر وأنا من شعبة الإخوان المسلمين في القدس بأن أحد كبار المذيعين من عائلة الدجاني، وكان يذيع في رام الله، وتعرض لتهديد من اليساريين فلجأ إلى شعبة الإخوان المسلمين في القدس، وهذا يجب أن يسجل لدى النظام الأردني. فاعترف بذلك وقال هذا صحيح. وذكرت سنة 1970 وكيف أن الإخوان المسلمين رفضوا أن يشاركوا في القتال بين الفدائيين والجيش الأردني باعتبار أن كلا الفريقين مسلم ولا يجوز للمسلم أن يقاتل المسلم.

وأستدرك أن قضية الأسلحة قد أفرج فيها عن الإخوة بعد ذلك بعفو ملكي، مع أن كمية الأسلحة التي صودرت كانت حوالي 160 كلشن ومليون طلقة.

أذكر عندما **توفي المرحوم أحمد قطيش**، وقد شاركت في هذه الجنازة، كانت أكبر جنازة في تاريخ الأردن، عشرات الآلاف شاركوا في هذه الجنازة من مسلمين ومسيحيين. وأذكر جيداً أننا عندما كنا نصلي عليه في المسجد، كانت الكنائس تقرع الأجراس حزناً على هذا الرجل، وأنا أعتز بأنه أحد المهندسين الذين عملوا معي في قسم المهندسين في نقابة المهندسين، ثم تطور بعد ذلك إلى أن يصبح رئيس بلدية مادبا، وبعد ذلك أصبح أول أمين عام لحزب جبهة العمل الإسلامي تحت التأسيس، ورئيس كتلة نواب الحركة الإسلامية.

التعيين ناطقاً رسمياً باسم حماس:

في أواخر سنة 1991 عقد اجتماع مجلس شورى لحركة حماس، وبعضهم ضغط علي لأكون مسؤولاً أول، فاعتذرت، فأفضل العمل لدي هو العمل الذي لا يكون في الواجهة، وهكذا تمّ إعادة انتخاب (أ. أ.) وعمل معنا حوالي سنتين أو أقل، وبعد ذلك اعتذر وقام بتفويض الأخ موسى أبو مرزوق ليكون مسؤولاً لقيادة حماس.

وفي أواخر سنة 1991 أيضاً، قررت قيادة حركة حماس في الخارج **تسميتي ناطقاً رسمياً** باسم حركة المقاومة الإسلامية حماس، وقد استمر عملي كناطق رسمي منذ هذا التاريخ حتى أواخر سنة 1999. وأنوه هنا بأنه لا صحة لما ذكره عماد الفالوجي في كتابه بأنه هو الذي أصدر القرار بتعييني وتسميتي ناطقاً رسمياً، علماً بأنني لم أقابل هذا الشخص بتاتاً، وهذا يدل على أن الذي كان يكتبه ليس دقيقاً.

الحوار مع الجبهتين الشعبية والديموقراطية:

في هذه الفترة أيضاً بدأنا حوارات مكثفة مع الفصائل الفلسطينية، ومما هو جدير بالذكر، أن **أول من بدأ معنا هذه الحوارات هو الجبهة الشعبية**، وبعد ذلك الديموقراطية والحزب الشيوعي، الذي تمّ تسميته بعد ذلك بحزب الشعب. وفي هذه الفترة كانت حركة فتح لا تشعر بحاجتها لبدء الحوار مع حركة حماس، ومن الجدير بالذكر أننا بعد أن أنهينا هذه الحوارات مع الشعبية والقوى الأخرى، قررت فتح أن تجري حوارات مع حركة حماس. تشكل وفد الجبهة الشعبية من أبو نضال المسلمي وهو من قطاع غزة وعضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية، ومعه عزمي خواجا وبشير الخيري وشارك معه آخرون، ومن طرفنا كنت أنا ومعي الأخ عزت الرشق والأخ زياد أبو غنيمة والأخ (س)، وقد استمرت هذه الحوارات فترة طويلة، وبداية هذه الحوارات كانت حوارات تتعلق بالفكر والأيديولوجيا ثم تركزت حول ما جرى في لقاء المجلس الوطني في 15/11/1988، والموافقة على القرار 242. حيث أوضحت الجبهة الشعبية بأنها رفضت الاعتراف بالقرار 242، وكانت من المعارضة في هذا الاجتماع، وأوضحت في قرار إعلان الدولة الفلسطينية بأنها تعترف بإعلانه بناء على الحقّ الطبيعي للشعب الفلسطيني. لقد وجدنا أن هؤلاء في الجبهة الشعبية يأخذون ويعطون وكذلك حركة حماس تأخذ وتعطي، واستطعنا أن نصل إلى محصلات وخلاصات من الممكن البناء عليها مستقبلاً لعمل جبهوي بيننا وبينهم. أهم هذه الأمور التي اتفقنا عليها؛ أولاً: دعم الانتفاضة وتطويرها إلى عمل مقاوم، وأن هذا من حقّ الشعب الفلسطيني حسب القوانين المختلفة التي تسمح للشعب الفلسطيني بأن يقاوم الاحتلال. وثانياً التصدي لأي مؤامرات تستهدف الشعب الفلسطيني، وفي ذلك الوقت بدأ الحديث عن مؤتمر

مدريد، لم تكن اتفاقية أوسلو قد ظهرت بعد، وقد فهمنا مواقفهم وهم فهموا مواقفنا وأصبحت علاقتنا جيدة.

بعد ذلك جرت لقاءات مع الجبهة الديموقراطية، أذكر منهم السيد ساجي سلامة والسيد أحمد الجمل وتيسير خالد، وأيضاً بنينا علاقات طبيعية ومتفهمة بيننا وبينهم. وكذلك جرى حوار مع الحزب الشيوعي الفلسطيني، وهذه الحوارات استمرت عدة أشهر، بعد ذلك، تطورت الأمور وبدأت الحوارات مع حركة فتح بصورة أكبر من السابق.

المؤتمر القومي الإسلامي:

وقبل أن أستأنف الحديث عن حواراتنا مع حركة فتح وغيرها، أريد أن أتحدث عن المؤتمر القومي الإسلامي الذي عقد في الخرطوم في شهر آذار/ مارس 1991 بعد الحرب العدوانية على العراق. بانتهاء هذه الحرب دعا الدكتور حسن الترابي إلى هذا المؤتمر وسماه المؤتمر القومي الإسلامي، وشاركت فيه قوى شعبية قومية وإسلامية، وترأس الدكتور حسن الترابي هذا المؤتمر، وكانت أول مرة يخرج فيها إلى العلن منذ الانقلاب الذي تمّ في 1989/6/30 في السودان. وممن حضر هذا اللقاء زعماء وقادة من جميع الدول العربية والإسلامية، وأذكر أن ياسر عرفات شارك في هذا المؤتمر، وكان معه الدكتور جورج حبش وآخرون، المؤتمر بحث معظم القضايا العربية والإسلامية، ومنها القضية الفلسطينية. كان هناك ضغط من عرفات لتثبيت اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في التوصيات الأخيرة، وقد تصدت حركة حماس إلى هذا بقوة. وأذكر جيداً، أنني أعلمت رئيس الجلسة في ذلك الوقت الدكتور مهدي إبراهيم، وقلت له أنا سأتحفظ على هذه التوصيات إذا ما تمّ إدخال تلك التوصية بخصوص المنظمة، وكنت أُحضِّر كلمة ألقيها في المؤتمر بحيثيات رفض هذا الموضوع، فدخل على الخطّ عدد من الإخوة منهم الدكتور عبد اللطيف عربيات والشيخ راشد الغنوشي، فتحاورا معي حول ذلك، وأخيراً قدما اقتراحاً بأن يكون نصّ الجملة هو "الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني طالما تتمسك بفلسطين من النهر إلى البحر"، وقرأ هذه التوصية مهدي إبراهيم أمام الجميع، ولكن عندما وصلتني القرارات والتوصيات بعد عودتي إلى عمّان، وجدت أن هذه التوصية لم

يجرِ عليها أي تعديل. وأريد أن أؤكد بأن السودانيين، كما سيأتي بعد ذلك، سواء الدكتور الترابي ومن حوله كانوا مع توجه للاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.

وأذكر في هذا المؤتمر أن السيد ياسر عرفات أرسل لي ضابطه المرافق وقال لي إن عرفات مستعد للقاء معك، فقلت له متى؟ قال بعد ساعة، قلت لا ليس مناسباً بعد ساعة لأننا سنذهب الآن إلى الجلسة الختامية. ومما هو معروف بأنه في الجلسات الختامية تؤخذ القرارات المهمة، فكان من الأفضل أن أقابله بعد نهاية المؤتمر. وبعد أن انتهت الجلسة أرسلت أحد الإخوة ليتصل بهذا الضابط لمعرفة هل عرفات موجود حتى يتمّ اللقاء، فإذا بعرفات قد سافر وغادر الخرطوم. وأحب أن أنبه أن هذه من التكتيكات التي كان يبرع فيها ياسر عرفات، كان يريدني أن أتحاور معه أثناء الجلسة الختامية حتى تمر القرارات كما يشتهي.

اللقاء الثاني بين حماس وفتح:

بعد ذلك تدخل الرئيس عمر البشير **ودعانا إلى لقاء في شهر آب/ أغسطس 1991 في القصر الجمهوري في الخرطوم**، فكان هذا اللقاء الثاني بيننا وبين فتح، اللقاء الأول كان في صنعاء في آب/ أغسطس 1990 وهذا في الخرطوم في آب/ أغسطس 1991، الوفد المكون من طرف حماس بالإضافة لي كان الأخ محمد صيام والأخ عماد العلمي والأخ منير جرادة، والوفد المشكل من عرفات كان ياسر عرفات ومعه سليم الزعنون وعبد الله الحوراني. مما هو جدير بالذكر أنني قلت للشباب الذين معي عليكم أن تناموا جيداً بعد العصر، لأن عرفات لا يأتي إلا بعد منتصف الليل، فلا أريدكم أن تكونوا نياماً. وفعلاً حوالي الساعة الـ 12 ليلاً جاءنا خبر بأن عرفات وصل وهو جاهز للقاء، كان الشباب كلهم مستيقظين، واستمر حوارنا من منتصف الليل حتى صلاة الفجر. في هذا اللقاء طرحت عدة قضايا، منها دعم الانتفاضة، والموضوع الثاني الدخول في منظمة التحرير، بالنسبة للبند الأول وهو دعم الانتفاضة، بدأ عرفات يتحدث عن أن عناصر حماس في الداخل، وخاصة في قطاع غزة، في صراعاتهم مع فتح يستعملون الجنازير والعصي وغيره من هذه الأمور، وأخذ يرفع صوته فأوقفته، وقلت له إن شباب حماس كانوا

يدافعون عن أنفسهم، وكان الهجوم يأتي من جماعة فتح، وبعض القوى المتحالفة معهم. وأكدنا على أن حماس تهتم جداً بتصعيد الانتفاضة، وأنها ستكون بعلاقة جيدة مع فتح إذا سارت في هذا الاتجاه. أما بالنسبة لموضوع دخول المجلس الوطني ومنظمة التحرير، قال عرفات إنكم تدخلون في البرلمان الأردني، وتدخلون في البرلمان المصري، أنتم أيها الإخوان المسلمون؛ أما في المجلس الوطني الفلسطيني فترفضون الدخول، قلت له ببساطة، في الأردن ومصر جرت انتخابات حرة ونزيهة، ادعُ إلى انتخابات حرة ونزيهة ونحن مستعدون أن ندخل المجلس الوطني؛ أما أن ندخل بالعدد الذي تحدده أنت فهو ما نرفضه، هذا مجلس الشعب الوطني الفلسطيني، وعندما قدمنا المذكرة حددنا أننا مستعدون أن ندخل المجلس بثقلنا إذا استحالت الانتخابات. وقام الزعنون بمحاولة تبرير الاعتراف بالقرار 242 من ناحية قانونية بصفته هو قانوني، وقام عبد الله الحوراني (وخلفيته كانت من حزب البعث) فناقشنا نقاشاً حزبياً، واستمرت هذه الجلسة حتى الصباح. وعندما بزغ الفجر دون أن نتفق أقيمت الصلاة، وأمّنا الشيخ محمد صيام وصلينا الفجر مع عرفات والوفد، وانصرف كل منا دون أن نحقق أي اتفاق. وأحب أن أوضح بأن هذا اللقاء الذي تمّ في آب/ أغسطس 1991، كان وراءه أن عرفات كان يريد أن نوافق على الدخول في المجلس الوطني، وكان يُعدّ لقاء في أوائل شهر تشرين الأول/ أكتوبر للمجلس الوطني الفلسطيني، ويأخذ قراراً بالتوجه إلى مدريد، وكان حريصاً على أن يكون الإسلاميون في هذا اللقاء. إذن هذا اللقاء الغاية منه هو سحب أرجلنا إلى أن نذهب لاجتماع الجزائر، وأن نعطي موافقة للذهاب إلى مدريد؛ حيث إن الأمريكيين نصحوا عرفات وقالوا له من المناسب أن تشرك معك الإسلاميين، حتى تكون ممثلاً لكل الشعب الفلسطيني، وكان وزير خارجية أمريكا بهذه الفترة هو جيمس بيكر، وقد قام بزيارات مكوكية إلى المنطقة، ودعا عدداً من الدول العربية للمشاركة في مدريد، الأردن ومصر وسورية وغيرها، ودعا أيضاً الفلسطينيين، حيث شاركوا تحت المظلة الأردنية، وبعد ذلك عقد مؤتمر مدريد وسنتحدث عنه فيما بعد.

مؤتمر دعم الانتفاضة في طهران:

نعود الآن للنشاط المهم جداً الذي تمّ في عام 1991 وهو مؤتمر دعم الانتفاضة في طهران، وجهت لنا دعوة للمشاركة في مؤتمر دعم الانتفاضة الذي دعا إليها رئيس مجلس الشورى الإيراني الشيخ كروبي. غادرنا عمّان إلى طهران، والمؤتمر ابتدأ حوالي 1991/10/22 واستمر ثلاثة أيام، كان معي في الوفد الأخ عزت الرشق والأخ عماد العلمي والأخ محمد نزال. في طهران استُقْبِلنا استقبالاً مهماً، من القيادة الإيرانية، وقمنا بزيارة القيادات الإيرانية جميعها، وتبدأ الزيارة عادة بوزير الخارجية أولاً ثم الرئيس، وكان وزير الخارجية هو علي أكبر ولايتي، وكان رئيس الجمهورية هو رفسنجاني، والقائد خامنئي وهو المرجعية العليا للقيادة في إيران، بالإضافة إلى مراكز مسؤولة أخرى في الحكومة. في أول لقاء مع علي أكبر ولايتي وزير الخارجية، تحدثنا حول التطورات الأخيرة وطرحنا عليه ماذا نريد من إيران، قلنا له إننا نريد أن يكون لنا **ممثلٌ لحركة حماس في طهران**، فأبدى الرجل تجاوباً سريعاً، وهكذا تمّ تسمية **الأخ عماد العلمي** ليكون ممثل حركة حماس في طهران، ويساعده الأخ أسامة حمدان، وأصدر وزير الخارجية تعليماته بأن يعامل مكتب حركة حماس معاملة جميع السفراء في طهران، وهذا ما تمّ فعله.

بالنسبة لمؤتمر دعم الانتفاضة، فقد كان هذا هو المؤتمر الثاني لدعم الانتفاضة. وكان أول رجل من حماس وطأ أرض إيران هو الأخ خليل القوقا، وقد شارك في المؤتمر الأول؛ وكان هذا المؤتمر الذي جئنا للمشاركة فيه هو المؤتمر الثاني، وقد كان أوسع من المؤتمر الأول. وقد حضر في هذا المؤتمر جميع الفصائل الفلسطينية بما فيهم حركة فتح، وحضر أيضاً رئيس المجلس الوطني الفلسطيني عبد الحميد السائح، وقد تعرض السائح إلى هجوم من بعض من الفصائل الفلسطينية، وخاصة الفصائل التي في دمشق، لأنهم وافقوا على الذهاب إلى مدريد. ترأس المؤتمر الشيخ كروبي رئيس مجلس الشورى الإيراني، وأذكر جيداً أن المسؤولين في الخارجية الإيرانية أصروا على أن أكون في الصفّ الأول، وجاءني من وفد الإخوان الأخ إبراهيم خريسات وقال لي يا أخ أبو عمر إن نائب المرشد العام يجلس في الصفوف الخلفية، وفوراً تحدثت مع أحد مسؤولي وزارة الخارجية

بهذا الخصوص وتمّ نقله وجلس بجانبي، وكان بجانبي في الجهة الأخرى محمد باقر الحكيم، وهو الذي اغتيل في عملية بعد دخول القوات الأمريكية إلى العراق. وفي المؤتمر ألقيت كلمات طويلة من الجميع، وأعطيت كلمة لحركة حماس وألقيتها، وأصر الشيخ كروبي تقديراً لحركة حماس ودورها في الانتفاضة أن يمنحني إدارة إحدى الجلسات وفعلاً أدرتها. وأذكر في هذه الجلسة أن مندوب العراق كان يمثّل نظام الرئيس صدام حسين، وعندما تكلم حاول بعض العراقيين أن يقاطعه، وهو ممن كانوا من المعارضة وخاصة في جنوب العراق، فأوقفتهم عند حدِّهم، فبعضهم غضب وغادر الجلسة. إذن هذا اللقاء كان مهماً جداً للقضية الفلسطينية وكان التركيز معظمه على دعم الانتفاضة، ومن الأشياء التي تمّت على هامش هذا اللقاء إفراد جلسات خاصة لدعم الانتفاضة لمناقشتها، وقد اختير الأخ محمد عبد الرحمن خليفة رئيساً لهذه الجلسات، وأنا انتخبت أميناً لسرّ هذه الجلسات من الموجودين، وأذكر أنه كان هناك أحد الإخوة من جبهة النضال الشعبي وكنت أعرفه سابقاً اسمه إبراهيم الفتياني، وسابقاً تربّى مع الإخوان المسلمين في القدس، فقال حيث إن حركة حماس هي أكثر حركة تناضل الآن في الانتفاضة فيجب أن يكون أمين السرّ من حركة حماس وأنا أرشح الأخ إبراهيم، وكان موجوداً في هذه الجلسة عباس زكي، وأُسندت لي أمانة سرّ هذه الجلسة، وسمحت للجميع بأن يتكلم بمن فيهم عباس زكي، وأخذت قرارات على أن تعلن بعد ذلك في الجلسة الختامية.

لقاء الفصائل الفلسطينية العشر:

أذكر أيضاً في هذا المؤتمر لقاء الفصائل الفلسطينية العشر، وهو أول لقاء يتمّ بين هذه الفصائل، وتمّ ذلك على هامش مؤتمر دعم الانتفاضة. هذا اللقاء حضره بالإضافة إلى حركة حماس كل من القيادة العامة برئاسة أحمد جبريل، والجبهة الشعبية ومثلها أبو أحمد فؤاد، والجبهة الديموقراطية ومثلها أبو عدنان، وفتح الانتفاضة ومثلها أبو موسى، والصاعقة وأيضاً جبهة التحرير الفلسطينية وجبهة النضال وآخرين، وكان العدد عشرة فصائل. وكان هناك ممثل لحزب الله الفلسطيني، وأصرّ على أن يشارك، وأيضاً ممن شارك الجهاد الإسلامي ومثله الأخ فتحي الشقاقي فتحفظ الأخ فتحي الشقاقي على ممثل حزب الله الفلسطيني، فكان التوجه أن لا ندخله، وحضر معنا السيد

عباس موسوي زعيم حزب الله في لبنان، وقال السيد عباس موسوي أنا أمثل حزب الله الفلسطيني، وأنا أنوب عنه في هذا اللقاء، وهكذا انتهت الأزمة. اللقاء ركز على دعم وتصعيد الانتفاضة، وركز أيضاً على التصدي لمؤتمر مدريد الذي هو على وشك أن ينعقد، وجلست مع السيد عباس موسوي وقلت له إن مؤتمر مدريد قريب، وحركة حماس تبذل جهدها للتصدي لهذا المؤتمر، ولكن آمل أن تقفوا (حزب الله في لبنان) معنا للتصدي لهذا المؤتمر، ووعد خيراً. وفعلاً بعد عودتنا قام حزب الله بتسيير مظاهرات في بيروت وتعرض لها الأمن اللبناني، واستشهد عدد من أعضاء حزب الله، وأيضاً قام حزب الله ببعض العمليات العسكرية دعماً للانتفاضة. ونتيجة هذه العمليات أنه في شهر شباط/ فبراير 1992 تعرض موكب السيد عباس موسوي إلى عملية اغتيال بالطائرات؛ حيث استشهد هو وأحد أولاده، وقد كان قائداً صادقاً وقوياً وبعيد النظر، وحريصاً على دعم الجهاد في فلسطين.

عندما انتهى مؤتمر الفصائل العشر صدر بيان تمّ إعداده ووقعنا عليه (عشرة من القادة) كل باسمه، والنسخة الأصلية استلمها المجاهد فتحي الشقاقي، ولا بدّ أنها موجودة الآن في أرشيف الجهاد الإسلامي. ومن أهمية هذا المؤتمر أيضاً، أنه سلّط الأضواء على قوة حماس في الانتفاضة، وتنافسها القوي مع حركة فتح التي تأثرت نوعاً ما بعد مشاركتها في مؤتمر مدريد. على هامش هذا المؤتمر أيضاً قامت عدة حوارات بيننا وبين الفصائل التي ذكرتها كل على حِدَه، لقاءات ثنائية، وأيضاً لقاءات مع عدد من الشخصيات، وأذكر أن وفدنا كان يعمل في اليوم 18 ساعة على الأقل. وجرى أيضاً على هامش هذا اللقاء، استئناف للحوار مع الجهاد الإسلامي، وكان التوجه أننا سنصل إلى الوحدة على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى التنسيق، والمرحلة الثانية إقامة جبهة، وقد تمّ ذلك من خلال الفصائل العشر، وبعد ذلك الوحدة. وتحدث معي المجاهد فتحي الشقاقي وقال لي يا أخ إبراهيم نحن عندما بدأنا في الجهاد الإسلامي، وقد كنا من الإخوان، قمنا بهذا التحرك والانخراط في العمل الفلسطيني في نهاية السبعينيات، وكان الإخوان في ذلك الوقت يعدون أنفسهم؛ أما الآن والإخوان في فلسطين هم الآن الذين يقومون بجهد كبير في التصدي للعدو الصهيوني فلا بدّ أن نتحد، كانت توجهات جيدة بيننا وبين الجهاد واستمرت بعد ذلك، وما زالت العلاقات بيننا وبين الجهاد علاقات قوية، لأن ما يجمعنا

مع الجهاد عاملان أساسيان؛ العامل الأول: أننا على أرضية فكرية إسلامية واحدة، وثانياً: أن برامجنا السياسية متقاربة جداً.

بعد أن عدنا إلى عمّان من مؤتمر دعم الانتفاضة بدأ الشارع الفلسطيني يتحرك في الداخل والخارج وتحرك الشارع العربي أيضاً ضدّ مؤتمر مدريد الذي عُقِد يومي 30-31/10/1991، وأذكر جيداً، أنه في ليلة 30 من تشرين الأول/ أكتوبر في منتصف الليل اتصل بي عباس زكي وقال لي يا أخ إبراهيم إنني باسم حركة فتح أطلب منكم أن لا تنزلوا إلى الشارع غداً وإلا فإنكم تتحملون المسؤولية، فأجبته يا أخ عباس (أبو مشعل) أنت تعلم أن هذا المؤتمر (مؤتمر مدريد) يعمل ضدّ مصلحة الشعب الفلسطيني، والشباب في حماس ومن يقف معهم سينزلون إلى الشارع للإضراب تعبيراً عن موقفهم، ونحن نأمل من حركة فتح أن تترك هؤلاء يعبرون عن أنفسهم بصورة سلمية، وأنتم الذين تتحملون النتائج فيما إذا تعرضتم لهم. تحركت حماس في الضفة وفي القطاع كما لم تتحرك في فترات لاحقة، عمل الشباب على ثلاثة محاور؛ المحور الأول: الدعوة للإضراب وإقناع التجار بإغلاق محلاتهم، والمحور الثاني: التصدي لعناصر فتح الذين أخذوا يعملون على تخريب هذا الإضراب، والمحور الثالث: التصدي للاحتلال الصهيوني الذي كان يعمل على اعتقال شبابنا الذين كانوا يدعون للإضراب. وقد قرأت تقريراً من إخواننا يشرح بالضبط مقدار الجهد الذي بذلوه يومي 30-31/10/1991، لكن ما حصل أن الأغلبية من الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع أضربت، بحيث إن حنان عشراوي التي كانت تنطق باسم الوفد الفلسطيني في مدريد واجهها الصحافيون هناك، وقالوا لها أنتم تقولون أنكم تمثلون الشعب الفلسطيني، ولكن حركة حماس استطاعت أن تلزم كل الداخل بالإضراب، فمن يمثل الشعب الفلسطيني؟ أنتم الموجودون في مدريد أم حركة حماس التي استطاعت أن تحرك الشارع ضدّ هذا المؤتمر؟ وكانت هذه الاحتكاكات الأولى بين حركة حماس وفتح (الاحتكاكات الثانية كانت في سنة 1992 وكانت أوسع، وسنأتي على ذكرها فيما بعد).

حركة المقاومة الإسلامية حماس في الخارج كان لها دور كبير وخاصة في كل مراحل الانتفاضة، ففي الوقت الذي كان فيه العدو الصهيوني يعتقل قياداتنا وشبابنا ويزجّ بهم

في السجون كانت الحركة في الخارج تقوم بتغطية كل الثغرات بما فيها كما ذكرت سابقاً إصدار البيانات. وأيضاً كانت توفر الدعم المادي وتقدمه للإخوة في الداخل، وأيضاً تقدم الدعم السياسي والإعلامي بالإضافة إلى فتح علاقات مع العالم العربي والإسلامي، وقد ذكرت كيف فتحت العلاقات مع إيران كمثال على ذلك، بالإضافة إلى تجهيز رؤية سياسية واضحة للحركة، وبرنامج سياسي تسير عليه، هذه وغيرها كانت من المهمات الملقاة على عاتق الحركة في الخارج.

في القسم الثاني من سنة 1991 حصل **لقاء في المجلس الوطني الفلسطيني** في وادي صقرة، وذلك بعد تقديم المذكرة التي قدمناها إلى الشيخ عبد الحميد السائح، حيث بناء على اتصال من عدد من أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني التقينا أنا وعزت الرشق مع كل من صالح البرغوثي وياسر عمرو وعبد العزيز الحاج أحمد في مبنى المجلس الوطني. في هذا اللقاء طلب الثلاثة أن نعطيهم موافقة مبدئية على الدخول في المجلس الوطني، فكان جوابنا بأنا لا نستطيع إعطاء موافقة مبدئية إلا بعد تحقيق ما جاء في مذكرتنا، وهو أن تجري انتخابات في المجلس الوطني الفلسطيني، حيث سنعلن حينئذٍ بأنا سندخل في المجلس الوطني الفلسطيني أو أن نحصل على 40% على الأقل من عدد أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، وهو الثقل الذي تمثله الحركة في ذلك الوقت اعتماداً على الانتخابات التي حصلت في المجتمع المدني من النقابات والجامعات وغيرها. وطبعاً رفضنا الموافقة المبدئية، وانتهى الاجتماع.

أيضاً عندما فشل لقاء الخرطوم في شهر آب/ أغسطس 1991 حيث التقينا مع عرفات وأصرّ علينا أن نعترف بمنظمة التحرير وندخل في المجلس الوطني الفلسطيني وأوضحنا موقفنا في ذلك الوقت، حاول عرفات وقبل مؤتمر مدريد أن يرسل وفداً برئاسة أبو علي مصطفى، وهو الأمين العام للجبهة الشعبية، وكان يعلم الفتحاويون أننا على علاقة حوارية مع الجبهة الشعبية، فأراد عرفات أن يستغل هذه لتمرير ما فشل في تمريره. حصل اللقاء في منزل قريب لهاني الحسن. وفد المنظمة كان برئاسة أبو علي مصطفى ومعه هاني الحسن وساجي سلامة من الديموقراطية وآخر من الحزب الشيوعي، ووفدنا كان مشكلاً مني ومن محمد صيام ومن عزت الرشق. في هذا اللقاء تحدث

أبو علي مصطفى عن أهمية المشاركة في المجلس الوطني والاعتراف بمنظمة التحرير، البيت المعنوي لكافة الشعب الفلسطيني، وتحاورنا معه وشرحنا له موقفنا مما جاء في المذكرة التي قدمناها. ومما هو معلوم أن الجبهة الشعبية أيضاً تؤمن بإجراء انتخابات لأعضاء المجلس الوطني وليس بالأسلوب الذي يقوم به عرفات وهو الذي يقوم باختيار أعضاء المجلس الوطني، ولكن أراد أبو علي مصطفى أن يمرر هذه الرسالة لعلنا نوافق على دخول المجلس الوطني، ونحضر لقاء الجزائر الذي فوض عرفات بالمشاركة في مؤتمر مدريد.

الفصل التاسع

الفترة 1992 - 1993

عضوية اللجنة التحضيرية لجبهة العمل الإسلامي:

ندخل الآن إلى سنة 1992، هذه السنة أيضاً كانت زاخرة بفعاليات كثيرة، حيث تمت تسميتي في أوائل هذه السنة كعضو في اللجنة التحضيرية لجبهة العمل الإسلامي، وقد شاركت فيها، وحضرت عدة جلسات. وأذكر أن الجلسة الأولى حضرتها معظم القوى الإسلامية وبعض المستقلين في الأردن، منهم أناس من السلفيين وأناس من الصوفيين وأناس من التبليغ، وشخصيات أذكر منها كامل الشريف وحمدي الطباع وليث شبيلات ورائف نجم وعزت العزيزي ويوسف مبيضين وآخرين، وأذكر أيضاً أنني شاركت في اللجنة التي أعدت النظام الأساسي الداخلي للجبهة، وكان معنا الدكتور محمد أبو فارس وكامل الشريف وعزت العزيزي وأعددنا المسودة الأولى لهذا النظام، وكان هناك رأيان داخل الإخوان المسلمين، رأي يريد أن تكون نسبة الإخوان في الجبهة عالية، 70%، وآخرون يقولون يكفي 50%، وأنا كنت من مؤيدي الرأي الثاني، وتمّ التمسك بفكرة الأغلبية للإخوان، ولذلك بعض الشخصيات وبعض الأخوة في التيارات الأخرى تراجعوا عن الحماس الذي أبدوه في الجلسات الأولى. وفعلاً تمّ تشكيل جبهة العمل الإسلامي وجسمها الأساسي من الإخوان المسلمين، وتعتبر الذراع السياسي للإخوان المسلمين، وبعض المستقلين. بعد ذلك صدرت قوانين تحدد أن صفة من يشارك في أي حزب أردني يجب أن لا يكون له أي علاقة مع أي تنظيم آخر، وبصفتي ناطق رسمي باسم حركة حماس، فقد قدمت استقالتي من جبهة العمل الإسلامي. أما بالنسبة لوجودي في مركز جبهة العمل الإسلامي، فقد كان له عدة فوائد لحركة المقاومة الإسلامية حماس، أول هذه الفوائد أنني كنت على اتصال وتماس مع الناس، ومع حوالي 26 نائباً في البرلمان الأردني، وكنت تقريباً يومياً أضعهم في صورة آخر تطورات القضية الفلسطينية، فعندما يتحدثون عن قضية معينة تكون لديهم معلومات موثقة حديثة. هذه من الإنجازات المهمة في وجودي في مكتب جبهة العمل الإسلامي، بالإضافة إلى الاتصال بالصحافيين ووكالات الأنباء، وفيما بعد الفضائيات، وكذلك الأحزاب والفصائل وهي عبارة عن منصة تتصل بها مع العالم. وقد استمر بقائي في جبهة العمل الإسلامي حتى سنة 1997 كما أذكر، وبعدها فتحت مكتباً خاصاً بي لمتابعة مهامي؛ وقد أغلق هذا المكتب سنة 1999 وهو ما سنمر عليه فيما بعد، وبهذه المناسبة فقد كان للحركة عدة مكاتب،

فكان للأخ خالد مشعل مكتب، وكان هناك مكتب للأخ محمد نزال ممثل حركة حماس في الأردن، وكان هناك مكتب للأخ الدكتور موسى أبو مرزوق، أما الأخ عزت الرشق فكان مكتبه في مجلة فلسطين المسلمة، هذه المكاتب أغلقت في ضربة سنة 1999.

اشتباكات مع فتح في غزة:

في تموز/ يوليو 1992 حدثت محاولة خطيرة، قامت بها حركة فتح لضرب حركة حماس في قطاع غزة، وتفاصيل هذه المحاولة كما يلي: في شهر حزيران/ يونيو 1992 تمّ انتخاب إسحق رابين رئيساً للحكومة الإسرائيلية بدلاً من سابقه شامير. وترافقت تلك الفترة مع المفاوضات السريّة التي أدّت إلى عقد إتّفاق أوسلو، والذي تمّ التوقيع عليه في واشنطن في 13/9/1993. ماذا حصل في هذه الفترة؟ حدثت مشكلة في شرق غزة. وأذكر أن هذه المشكلة تتعلق بأقارب للدكتور محمد صقر رئيس الجامعة الإسلامية، وقد كان يقيم في عمّان. وكان أقاربه يقيمون عزاءً لديهم، فاعتدت حركة فتح على هذا العزاء، وتطورت الأمور واتسعت في قطاع غزة، وسط تعتيم إعلامي لمدة ثلاثة أيام. وأذكر أن أحد الذين كانوا يحاوروننا من الجبهة الشعبية قال لي هناك أحداث مهمة في قطاع غزة، لم يكشف عنها أبداً، وقال لي: عندما راجعنا حركة فتح نفوا أن هناك شيئاً. وقد تبينً بعد ذلك أن حركة فتح حاولت أن تصفي حركة حماس في قطاع غزة، فصمدت حركة حماس. وكان على رأس حركة حماس في ذلك الوقت الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، وواجه هذه المحنة بكل قوة، وسقط شهيد لحركة حماس وجرح المئات، ولكن استطاعت حركة حماس بإمكانيات محدودة وأسلحة بسيطة أمام الإمكانيات الكبيرة لحركة فتح وأسلحتها الكثيرة أن تصمد وأن تهيمن على عدد من مخيمات اللاجئين. عندها فقط حصل الاتصال من فتح بحركة حماس لوقف هذه الصدامات، بعد أن رجحت الكفة لحركة حماس، ذهب وفد من حركة فتح لزيارة المراقب العام للإخوان المسلمين محمد عبد الرحمن خليفة على أساس أن يتوسط باعتبار أن حركة الإخوان المسلمين كانت تمثل المرجعية لحركة حماس، قال لهم أبو ماجد أنا لا أقوم بهذا الدور ولكن أستطيع أن أجمعكم مع الأخ إبراهيم، وفعلاً التقينا في مكتبه. كان معي في وفد حماس الأخ عزت الرشق والأخ زياد أبو غنيمة، أما وفد فتح فكان برئاسة محمد جرادة

ومعه غازي الحسيني وخالد مسمار، بحضور أبي ماجد وبعض الشخصيات أذكر منهم برجس الحديد، وأقيم الاجتماع على أساس إيقاف هذه الصدامات، فشرحت للمتوسطين ماذا حصل، ومن هو الذي ابتدأ كل هذه الأمور، وبعضهم لم يكن يعلم أي شيء، حيث كان لفتح هيمنة على الإعلام. وفي النهاية اتفقنا على صيغة نوجهها للإخوة في الداخل لوقف هذه الصدامات. وقد نصّ في هذا الاتفاق على أن حركة فتح تعترف بأن حركة المقاومة الإسلامية حماس هي فصيل وطني للشعب الفلسطيني. وقعت أنا ووقع جرادة، وأرسل هذا إلى الداخل، وفي اليوم التالي قرأت في الجريدة أن نجيب الأحمد، (والد عزام الأحمد) وكان مدير مكتب عرفات في عمّان، أصدر تصريحاً صحفياً بأن حركة فتح وعرفات لا يعترفان بهذا البيان، وأذكر جيداً أن عدداً من المقربين من فتح أخذوا يتصلون بي ويقولون إن الأحمد لا يمثلنا، ونحن مع الاتفاق، وكانوا يخشون فعلاً أن تنتقل الصدامات من غزة إلى الأردن. بعدها بيوم أو يومين دعا الشيخ أسعد بيوض التميمي إلى وليمة كبيرة للمصالحة بين فتح وحماس في بيته في جبل الحسين، وقد تحدث في هذا اللقاء عدد من الإخوة، أذكر منهم الشيخ أسعد بيوض والأستاذ كامل الشريف وسليم الزعنون وأنا أيضاً، وكانت محاولة مهمة لوقف هذه الصدامات التي حصلت في الداخل.

أحداث مرج الزهور:

وهي التي تمّ فيها إبعاد 415 من الشخصيات التربوية والسياسية والدعوية الإسلامية وطردهم إلى مرج الزهور، وخلفية هذه الأحداث كما يلي: قامت مجموعة من كتائب القسام في منطقة القدس بخطف وأسر عريف في الجيش الصهيوني من مدينة اللد واسمه نسيم توليدانو، وأعلنوا بأنهم مستعدون للإفراج عنه مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين؛ حيث قام الأخ عز الدين الشيخ خليل، (الذي استشهد في عملية اغتيال قبل ثلاث سنوات في دمشق على يد الموساد الصهيوني)، بتسليم رسالة باسم كتائب القسام إلى الصليب الأحمر في بيروت، وسلمها له، ليسلمها إلى إسحق رابين على أن يطلق سراح الشيخ أحمد ياسين الساعة التاسعة مساء مقابل الإفراج عن توليدانو. وكعادة الصهاينة، فقد رفض إسحق رابين الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وهكذا

تمّ قتل توليدانو، واكتشفت جثته في الطريق من القدس إلى أريحا، فجنّ جنون إسحق رابين، وكان ذلك في 1992/12/17، وقام رابين بإخراج 415 قيادياً إسلامياً؛ منهم نحو 385 شخصاً محسوباً على حماس و15 من الجهاد الإسلامي، وجمعهم من السجون والبعض من منازلهم مكبلي الأيدي ومعصوبي الأعين، ووضعوا في باصات لا يعرفون إلى أين يتوجهون، وتحدث هؤلاء الإخوة كيف أنهم لم يعرفوا أين هم، وكيف مكثوا أكثر من عشر ساعات دون أن يسمح لهم أن يأكلوا أو يشربوا، ثم رمي بهم في جنوب لبنان ووجدوا أنفسهم في مكان يسمى مرج الزهور، وهي منطقة جبلية شديدة البرودة، وتركوا هناك. وفوراً استطاع هؤلاء الإخوة أن ينتخبوا مسؤولاً عنهم وكان هو الأخ عبد العزيز الرنتيسي. ورفض هؤلاء الإخوة أن يغادروا هذا الموقع، وأنشأوا مخيّماً لهم مُصرّين على البقاء حتى العودة. وهكذا بدأت قصة الإخوة في مرج الزهور.

وهناك سؤال: من الذي عاون إسحق رابين على اختيار هؤلاء الإخوة بالاسم وبالمكان، لا شك أن الشاباك له دور في ذلك، ولكن لا شك أن هناك عملاء أعطوا أسماءهم، كانت الضربة مزلزلة لحركة حماس، زبدة القيادة أخرِجَت، وكان رابين يظن أنه بهذه الضربة سيقضي على حركة حماس. ولكن هؤلاء الإخوة أقاموا مخيمهم بين الثلوج في المنطقة الجبلية الباردة جداً، وبعد ذلك انفتحوا إعلامياً على العالم، لمدة شهرين تقريباً أو ثلاثة أشهر، كان الخبر الأول في وسائل الإعلام هو عن جماعة مرج الزهور، وبدل أن تكون هذه محنة أصبحت منحة من الله، فتعرف العالم على حركة حماس، ووجدوا هناك تنظيماً وضبطاً وربطاً جيداً. وطبعاً الحركة بدأت تتصل بهم، وتقدم لهم المساعدات عن طريق سورية ولبنان. وللتاريخ فإن النظام السوري ساعد الإخوة في جنوب لبنان في تأمين الغذاء وفي تسهيل الاتصال بهم، وكذلك الحكومة اللبنانية في لبنان قامت بهذا الدور المشرف، وأصبح مرج الزهور عنواناً لرفض وأنفة مجموعة من الشعب الفلسطيني، بحيث تفاعلت معها الأمة العربية والإسلامية، وبعد نحو ثلاثة أشهر، أخذ ينزوي الاهتمام الإعلامي بـ"مرج الزهور".

اللقاء مع ياسر عرفات والعلاقة مع فتح:

أعود إلى التحرك المتعلق بالإخوة في مرج الزهور، اجتمعت قيادة الحركة في عمّان، ووجدنا أنه من المناسب أن نلتقي مع ياسر عرفات، على الرغم من كل شيء، للاستفادة من إمكانيات منظمة التحرير في اتصالاتها الدولية لتحريك الدول لإعادة هؤلاء المبعدين. فهذه القضية لا يستطيع ياسر عرفات إلا أن يسير بها، لأن قضية الإبعاد هي قضية إجماع لكل الفلسطينيين، ولكل الفصائل الفلسطينية. فاتصلنا بالسفارة الفلسطينية في عمّان، وأرسلنا رسالة إلى عرفات بأن لنا رغبة في أن نلتقي، فوافق، وأصررت على أن يأتينا كتاب خطي بأنه مستعد لاستقبالنا، وتلكأت السفارة، وتلكأوا حيث كانوا يقولون التذاكر جاهزة سافروا، قلت لهم لا نسافر حتى نحصل على كتاب خطي، وبعد مرور عشر ساعات أرسلوا كتاباً خطياً بخط ياسر عرفات يدعونا فيه إلى لقاء مع القيادة الفلسطينية في تونس.

كانت هذه أول زيارة لنا إلى تونس، فتوجه الوفد وترأسه الأخ موسى أبو مرزوق وكنت أنا عضواً فيه والأخ عماد العلمي والأخ محمد نزال وآخرين. توجهنا إلى تونس، واستقبلنا في المطار عناصر من منظمة التحرير، وأنزلونا في أحد البيوت، وجاءنا السيد نصر يوسف، ومعه عبد المنعم أبو سردانة، وقالوا إن عرفات مشغول، ويمكنكم لمدة يومين أن تتعرفوا على معالم تونس السياحية. فأخرجت الكتاب الخطي من ياسر عرفات، وقلت لنصر يوسف هذا هو كتاب خطي من ياسر عرفات، نحن لم نأتِ لنرى معالم تونس السياحية. نحن جئنا لنلتقي مع عرفات، فإذا لم يكن موجوداً سنغادر إلى عمّان. قال أمهلونا قليلاً، فذهب وعاد بعد ساعة وقال الليلة تلتقون مع السيد ياسر عرفات. وفعلاً التقينا تلك الليلة مع السيد ياسر عرفات.

حصلت ثلاثة لقاءات خلال الثلاثة أيام، انصب الحوار على المواضيع الساخنة، أول موضوع، موضوع الإبعاد وطرق إعادتهم إلى الداخل، والموضوع الثاني دعم الانتفاضة وتصعيدها، والموضوع الثالث موضوع منظمة التحرير الفلسطينية، والتحاق حماس بها. الشيء الغريب أن ما يسمى باجتماعات القيادة الفلسطينية، هو عبارة عن اجتماع مفتوح يحضره حوالي 40 شخصاً، ممثلو الفصائل، وأعضاء من اللجنة المركزية لفتح،

وأعضاء من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وأشخاص مستقلون، بعضهم يدخل وبعضهم يخرج، أي أنه اجتماع قيادة مفتوح، غير منضبط. وعندما كانت تجري الحوارات، كنت أرى كل شخص يكتب، فالتفت إلى عرفات وقلت له يا أبا عمار أنت تكتب، هل هذا هو محضر الجلسة؟ قال نعم هذا محضر الجلسة، قلت إذن نريد نسخة منه بعد أن تنتهي، قال لا أعطيه لأحد، كل واحد يكتب محضره لوحده. هذه صورة عن الضبط والربط في جلسات القيادة الفلسطينية، وهذا يؤكد أن هذه الجلسات كانت صورية، وأن القرارات كانت تؤخذ في جلسات ضيقة بعيداً عن الأضواء. أبو عمار بصورة أو بأخرى تصادم مع تيسير خالد وهو من الجبهة الديموقراطية، وأخذ يهاجمه بشدة ونحن لم نبدأ الجلسة بعد، فقلت في نفسي إنه يريد أن يشد على تيسير خالد كي يرسل لنا رسالة. قلت له يا أخ أبو عمار لا يليق أن تستعمل هذا الأسلوب مع الأخ تيسير، وعليك أن تعتذر له، نحن لا نقبل هذه الأساليب، ولا هذه الطريقة في التعامل مع الفصائل فيما بينها، فتراجع قليلاً.

أخذ الأخوة يطرحون قضية الإبعاد، وقد توقفت المفاوضات في واشنطن في ذلك الوقت بسبب الإبعاد، أحد الإخوة الموجودين قال يجب أن نعيد هؤلاء المبعدين، قال محمود عباس هل أنتم مستعدون إذا تمت إعادتهم، أن توافقوا على عودة المفاوضات؟. وكأنه يريد سحب أرجلنا لهذه المفاوضات. قلنا لهم لا نوافق على المفاوضات، أما إعادة هؤلاء فهو واجب، وعلى كل فلسطيني أن يقوم بذلك.

لاحظت في هذه الجلسة أن مجموعة محمود عباس، وحسن عصفور وأحمد قريع كانوا يتضاحكون مع بعض، وعلق عرفات عليهم، وقال "هذه العصابة يجب أن تسكت، وأشار إليهم"، في تلك الجلسة كانت المفاوضات السرية قد بدأت في أوسلو، فكلمة عرفات عندما قال "هذه العصابة" كان كأنه يتكلم من داخله، طبعاً لم ينتبه أحد.

تمّ تشكيل لجنة لصياغة البيان، فمن منظمة التحرير كان ياسر عبد ربه، ومن حركة حماس اخترنا الأخ عماد العلمي، ومكث الإخوة في لجنة الصياغة حوالي ست ساعات ولم تتفق، حاول عبد ربه ببراعته أن يزحلق الأخ عماد، ولكن الأخ عماد أخ واعٍ وصلب، فلم ينجح. فصدر بيانان أحدهما يعبرّ عن وجهة نظر حماس، والآخر يعبّر عن وجهة

نظر منظمة التحرير وفتح لوحدها. وهكذا انتهى هذا اللقاء في تونس، واتفق بعد ذلك أن يتمّ لقاء ثانٍ فيما بعد.

وفي أواخر سنة 1992 حصل موقفان أود أن أشير إليهما، الأول: عندما كنا في لقاء تونس وبحضور ياسر عرفات في لقاء القيادة الفلسطينية ورد ذكر للإخوان المسلمين، فهاجمهم ياسر عرفات وكان وفد حماس موجود في هذه الجلسة، دخلت على الخطّ وقلت له لا يجوز أن تهاجم الإخوان المسلمين، وخاصة أن الكوادر الأولى من حركة فتح الذين بنوا الحركة كانوا من الإخوان المسلمين، وأنت آخر من ينبغي أن يهاجم الإخوان المسلمين. فسكت هنيهة ثم قال، ما قاله إبراهيم صحيح انظروا إلى صورة الشهداء وكانت معلقة تضمّ شهداء فتح الأوائل، قال إن هؤلاء جميعاً كانوا أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين. فأحببت أن أذكر هذه الحادثة للتأكيد على أن حركة فتح قد بنيت أساساً على كوادر من الإخوان المسلمين، الذين تتجلى فيهم قيم التضحية والانضباط.

أما الموقف الثاني في سنة 1992 فتمّ على هامش الأحداث التي حصلت في قطاع غزة، حيث وقف الإخوان المسلمون في الأردن بما فيهم نواب الحركة الإسلامية مع حركة حماس، واستهجنوا الاعتداءات التي تعرضت لها حركة حماس في هذا العام. وأذكر أن هذا الوفد تشكل من رئيس الوفد الطيب عبد الرحيم ومعه عباس زكي ومروان البرغوثي وعدنان الضميري من طولكرم وممثل من نابلس. وكان وفد حركة حماس مشكلاً من حماس والإخوان برئاسة إبراهيم خريسات رئيس كتلة نواب الحركة الإسلامية في الأردن، وبحضور الدكتور محمد أبو فارس والشيخ عبد العزيز جبر، وحضوري أنا عن حماس ومعي الأخ محمد نزال، وكان هناك ضيف في عمّان من حماس في الداخل من منطقة القدس هو جميل حمامي. وفي هذا اللقاء جرى لقاء مطول عما جرى من أحداث في قطاع غزة، وحاولت حركة فتح أن تضع اللوم على حركة حماس كالعادة، إلا أن المعلومات التي كانت بأيدينا كانت تؤكد بأن حركة فتح هي التي تسببت فيما حدث، وبالصدفة وصلنا قبل ذلك كتاب مكتوب من ياسر عرفات وموجه إلى المرشد العام للإخوان، وعلى هذا الكتاب كان هناك تعليق من عدنان الضميري الموجود في هذا اللقاء يقول فيه: "السيد الرئيس لا ينفع مع هؤلاء إلا الاستئصال". وعندما كان يتكلم

عدنان الضميري عن النظريات والوحدة الوطنية والأخوة، تقدم محمد نزال بهذا الكتاب فأحدث هزةً كبيرة، واصفر واحمر وجه الضميري، وهو من طولكرم. أما بالنسبة إلى مروان البرغوثي؛ فكان موقفه أكثر تشدداً من عباس زكي، وقد جرت عدة لقاءات مشتركة بيننا وبينهم في فتح حضرها مروان البرغوثي؛ حيث كان يركز على سلبيات الانتفاضة الأولى، وكنا في ذلك الوقت في نهاية 1992 قبل أوسلو، وكان يركز على عدد من السلبيات مثل الإضرابات، وتأثيراتها على الاقتصاد الفلسطيني، والتلثم، وقضايا أخرى سلبية، ولسان حاله يقول آن الأوان لوقف هذه الانتفاضة، وقد تمّ ذلك، بعد عام من هذا اللقاء. وبعد اتفاق أوسلو، دخل مروان البرغوثي إلى الداخل، وأصبح من قيادات حركة فتح، وبرز اسمه في الانتفاضة الثانية أكثر من ذلك.

وفي نهاية سنة 1992 أيضاً، زرت لندن للمرة الثانية حيث دعيت من قِبَل اتحاد الطلبة المسلمين، وعندما وصلت مطار لندن، كنت قد حصلت على فيزا عادية من عمّان، أخذت مسؤولة الأمن جواز السفر واطلعت عليه فإذا بالبلدان التي سافرت إليها كلها بلدان موضوعة على "قائمة الإرهاب"، إيران والعراق والسودان وليبيا وهكذا!! فقالت انتظر قليلاً، ويبدو أنها راجعت المسؤولين، وعادت بعد حوالي نصف ساعة، ثم ختمت الجواز، حيث وجدت أن الفيزا صحيحة والدعوة صحيحة. في لندن كان هناك لقاء آخر ربما حصل في مدينة ليستر؛ حيث كان هناك مخيم للإخوة من الجماعة الإسلامية الباكستانية، التقينا هناك حوالي يومين أو ثلاثة، وطرحت في هذا اللقاء عدة قضايا، القضية الفلسطينية وقضية الكويت والعراق وقضية مدريد وغيرها، وكانت هذه ثاني وآخر زيارة لي إلى لندن.

الحوار مع فتح في الخرطوم 1993:

أدخل قليلاً في **حواراتنا مع فتح**، بعد أن عدنا إلى عمّان، **وجه الدكتور حسن الترابي دعوة لنا و لفتح لاستئناف الحوار في الخرطوم**، فلبينا الدعوة، وأيضاً كان الوفد برئاسة الأخ موسى وعضويتي ومعي الأخ محمد صيام والأخ عماد العلمي وآخرون. أما الوفد الذي ترأسه عرفات فكان معه سليم الزعنون ونصر يوسف وأبو علي شاهين ومحمد دحلان وصائب العاجز وآخرون. جلس عرفات بقرب الترابي، وعيَّن الزعنون

رئيساً لوفد فتح؛ وبدأنا الحوارات، التي كانت حول إدخالنا في منظمة التحرير. وهذا الضغط علينا في أوائل عام 1993 يذكر بالضغط علينا في آب/ أغسطس 1991 عندما كان عرفات أمام استحقاقات مؤتمر مدريد. في لقاء الخرطوم هذا، كانت قد بدأت تحت السطح مفاوضات أوسلو، وكان أبو عمار حريصاً على أن يدخلنا في منظمة التحرير، بحيث عندما يوقع الاتفاقية، تكون باسم كل فصائل الشعب الفلسطيني. ضغط علينا عرفات، وحاول عرفات أن يستعمل أساليبه في الضغط، ومنها أسلوبه في "ضَبْع" الطرف الآخر (أي تخويفه وإرباكه). هاجم عرفات حركة حماس ومما قاله، "إنكم تسيرون على حلّ شعوركم، ومفيش حدا يلمكم [أي لا يوجد شخص يوقفكم عند حدّكم]، ولا يمكن أن نسمح بالتنازل عن قافلة الشهداء التي قدمناها" وهكذا وهاجمنا بشدة، فقلت له يا أبا عمار نحن لم ندخل منظمة التحرير بعد، وأنت تهاجمنا بهذه الصيغة، فما بالك لو دخلنا منظمة التحرير؟ ماذا سيكون موقفك، سيكون موقفك أشدّ من ذلك؟ قلنا له موقفنا كما هو لا نغير ولا نبدل، إما أن ندخل بنسبة 40% إذا لم يكن انتخابات، أو أن تعمل انتخابات، غضب كثيراً لأنه كان يريد أن يأخذ ورقة اعترافنا بالمنظمة بيده، وكثير من غضبه مجرد تمثيل. التقى بنا السودانيون على حدَه، وقالوا لنا، والضغط كان من حسن الترابي ومن إبراهيم السنوسي وياسين الإمام، قالوا إن العالم كله يعترف بمنظمة التحرير، فاعترفوا أنتم بمنظمة التحرير، قلنا لهم لا يمكن. وللتاريخ وقف الأخ موسى وعماد وأنا بقوة ورفضنا، وسافر عرفات وأخذ معه سليم الزعنون، وكانت قد تمّت صياغة البيان الختامي وحدد موقف فتح وحدد موقف حماس، ولم يكن أي شيء متفاهم عليه، ووقع عليه الدكتور موسى عن حركة حماس والدكتور حسن الترابي، والبيان موجود الآن في أرشيف حركة حماس. وبعد مغادرة عرفات والزعنون، وقع على البيان نصر يوسف عن فتح، وهكذا كانت نهاية حوار الخرطوم أوائل 1993.

ترتيبات وضع حماس في الأردن:

في الأردن حصل لقاء بحضور الأخ موسى أبو مرزوق وأنا والأخ عماد العلمي كما أذكر، والتقينا برئيس الوزراء زيد بن شاكر **وكان معه نائب رئيس الوزراء ذوقان الهنداوي**. وهذا اللقاء تمّ بعد أن أُعطي الدكتور موسى أبو مرزوق والأخ عماد العلمي إقامة في الأردن، وووفق على أن يقيموا في الأردن، وأن يكون المكتب السياسي في

الأردن، فأبدى الشريف زيد رئيس الوزراء انفتاحاً للعلاقة بين حركة حماس وبين حكومة الأردن، والتفت إلي وقال يا أخ إبراهيم هل تجد منا أي تضييق في نشاطك في الأردن كناطق رسمي قلت لا، كل شيء ميسر، ونحن أيضاً حريصون على أن نحافظ على الأردن. بعد هذا اللقاء التقينا مع **مدير المخابرات مصطفى القيسي**، وكان أحياناً يدعو نائبه سميح البطيخي لحضور اللقاءات، في هذا اللقاء أيضاً حضر الأخ موسى وأنا والأخ محمد نزال وربما عماد العلمي، وتحدثنا عن آلية عملنا في الأردن، وما هي الحدود التي نعمل بها والحدود التي لا نعمل بها، وتمّ كتابة رؤوس أقلام فقط، بأنه يُسمح لنا بالنشاط السياسي والإعلامي في الساحة الأردنية، وألّا نتدخل في الشأن الأردني، وأيضاً اتفقنا على أن لا تقوم حركة حماس بأي عمليات عسكرية انطلاقاً من الأردن، هذا هو "اتفاق الجنتلمان" الذي حصل ولم يتمّ التوقيع عليه، فاتفقنا على أن نعمل بناء على هذه الأسس منذ ذلك الوقت، أي منذ بداية سنة 1993، وفعلاً فتحنا مكتباً في خلدا بعمّان، ومارسنا عملنا كمكتب سياسي في هذا المكتب، حتى التطورات التي حصلت فيما بعد، وسأذكرها لاحقاً.

بدايات اتصالات حماس الخارجية:

في هذه الأثناء في أوائل سنة 1993، وبسبب أزمة إخواننا في مرج الزهور، (وللعلم فإن الإخوة الذين أبعدوا إلى مرج الزهور لو تمّ الآن (2007) استعراض أسمائهم سنجد العديد منهم قد استشهد أو اعتقل)، أخذت قيادة الحركة قراراً بالاتصال بالدول الأوروبية، وأمريكا إن أمكن، للطلب من هذه الدول التحرك في مجلس الأمن وغيره لإعادة هؤلاء الذين أبعدوا إلى مرج الزهور، باعتبار أن هذا الإبعاد مخالف لاتفاقيات جنيف الرابعة سنة 1948، وطلب مني بصفتي الناطق الرسمي أن أجري هذه الاتصالات، واتصلت بالسفارة الأمريكية بناء على تكليف حركة حماس، وطلبت أن أقابل مسؤولاً أمريكياً فكانت الموافقة بالإيجاب. وحضر المستشار السياسي في السفارة الأمريكية إلى مكتب جبهة العمل الإسلامي، وكان شخصاً نحيفاً وقصيراً إلى حدٍّ ما، ولكن علامات الحذر كانت على وجهه، واستقبلته كما ينبغي، قدمنا له القهوة، تحدثنا معه، وطرحنا عليه قضية مرج الزهور، وقلنا له نحن نريد أن تبلغ حكومتكم بأننا نطلب من الولايات المتحدة أن تعمل على إعادة مبعدي مرج الزهور إلى وطنهم، لأن ما قام به رابين مخالف لقوانين جنيف وقوانين الأمم المتحدة. واستمع جيداً وتفهّم الموضوع، ووعد بأن ينقل

ذلك إلى السفير ثم إلى حكومته. ويعدّ هذا أول لقاء بين حركة المقاومة الإسلامية حماس مع شخصية رسمية أمريكية.

بعد فترة ربما أقل من شهر اتصل بي وهو الذي طلب أن يزورني، فرحبت به واستقبلته أيضاً في مكتب جبهة العمل الإسلامي، وفي هذه الزيارة تحدثنا طبعاً عن إجراءات إعادة مبعدي مرج الزهور، ولكنه اقترح موضوع المفاوضات، وزيّن لحركة حماس أن تشارك في المفاوضات، وأن توافق على الحلول السلمية بما فيها مدريد وغير مدريد، ولم تكن أوسلو قد ظهرت بعد. فأوضحنا له موقف حركة حماس من موضوع التسوية بأن فلسطين حقّ شرعي لنا، فلسطين كل فلسطين، وأننا في حركة حماس لا نفرق بين الأرض التي احتلت سنة 1948 والأرض التي احتلت سنة 1967 لأنها كلها أرض فلسطينية، هذا كان موقفنا في ذلك الوقت، فتفهم وجهة نظرنا، ولم يقتنع بها وغادر.

واتصلنا بعد ذلك بسفراء عدة دول في عمّان، اتصلنا بالسفارة البريطانية، فرحب بنا السفير، واستقبلنا في بيته في منطقة زهران، كان معي في الوفد الأخ عزت الرشق والأخ محمد نزال، وعادة نحن عندما نلتقي مع هؤلاء لا نلتقي لوحدنا، حتى عندما عاد الأمريكي كان يجلس معي بعض الإخوة من الحركة، فذهبنا ثلاثتنا إلى بيت السفير واستقبلنا وتحدثنا. عندما تتحاور مع الإنجليز تجد أنهم أكثر فهماً لقضية فلسطين، وهذا ليس غريباً لأنهم هم السبب في إنشاء "دولة الكيان الصهيوني"، وهم سبب المصيبة الكبرى في إخراج وتهجير الشعب الفلسطيني، قدم السفير القهوة والبارد، وكانت معه سكرتيرة سياسية (مستشارة سياسية)، ثم قدم نصائحه لنا وقال لماذا لا توافقون على قرارات الأمم المتحدة، حيث أن جميع الدول وافقت عليها؟ قلت له بريطانيا لم توافق على بعضها، قال لا وافقنا على كل القرارات، قلت له القرار 181 الخاص بالتقسيم لم توافق عليه بريطانيا، التفت إلى هذه السكرتيرة وسألها هل هذا صحيح؟ قالت له نعم، بريطانيا لم توافق حيث امتنعت عن التصويت، فضحكنا وضحك. قال ولكنكم ضعاف، وعليكم أن تتعاملوا مع الكيان الصهيوني "إسرائيل" لأنها هي الأقوى، فتصديت له وقلت له إن بريطانيا عندما هاجمها الألمان بقيادة هتلر، وهُزِمت في معركة دنكرك، وانسحبتم

إلى بريطانيا، وأرسل هتلر من يفاوضكم، رفضتم ذلك، وكان موقفكم أنه لا يمكن أن نتفاوض مع هؤلاء الذين احتلوا فرنسا وأوروبا وعملوا الفظائع، وكنتم ضعافاً في ذلك الوقت وكان سلاح الطيران الألماني لمدة سنتين يقصف بريطانيا، واحتل كل أوروبا ولكن ضعفكم لم يبرر لكم أن تدخلوا في تسوية، وهذا موقفنا نحن الآن، صحيح أننا أضعف ولكننا مع الزمن سنقوى. كانت جلسة حوار طويلة جداً وطرحنا عليه موضوع المبعدين، ووعد على الطريقة الإنجليزية أن يدرس الموضوع، وأن يرسل إلى حكومته.

ممن زرناهم أيضاً السفير الألماني في عمّان، استقبلنا ولكن وجدنا أن موقفه يشبه الموقف الأمريكي. وجاء القنصل الألماني وقال لنا أريدكم أن تشربوا عندي فنجان قهوة، بعد أن تنتهوا من لقاء السفير، فذهبنا عند القنصل الألماني لنشرب فنجان قهوة، كان ذلك أوائل سنة 1993، قال أنا من منطقة ألمانيا الشرقية، وكانت ألمانيا الشرقية قد توحدت قريباً مع ألمانيا الغربية، وأنا معكم في حركة حماس وأؤيد نضالكم ضدّ الاحتلال الصهيوني، لأننا نحن الشعب الألماني قاسينا كثيراً من اليهود، وإذا احتجتم أي شيء أنا جاهز.

عندما قابلنا السفير الإيطالي استقبلنا وتحدثنا معه، قال إن إيطاليا ضعيفة، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، ونحن كما تسير أمريكا نحن وراءها، قالها بصورة واضحة.

وسفيرة النرويج اختارت أن تزورني في مكتبي، التقيت بها وبحثت معها موضوع المبعدين أيضاً، وأذكر بعد سنتين، بعد أوسلو، جاءت السفيرة مرة أخرى، وهذه المرة كان معها سفير النرويج في القاهرة، وعندما جاؤوا كانت أوسلو قد تمت، واتفق على وضع مراقبين غير مسلحين بعضهم من النرويج في الخليل، وكان هؤلاء خائفين بأن يتعرضوا إلى اعتداءات من حركة حماس في الخليل، فقلت لهم إن حماس لا تعتدي على أحد، هي لا تهاجم إلا العدو الصهيوني المحتل، فليطمئنوا بأنه إذا أرسلوهم لن يتعرضوا لأي اعتداء. يبدو أن آخرين ولا يستبعد أن يكونوا أشخاصاً من حول عرفات قد خوفوهم بأن حماس في الخليل ربما تعتدي عليهم، لأننا في حركتنا السياسية في العالم، وحتى في دول عربية وغيرها، كنا دائماً نرى أناساً يتخوفون منا بسبب تقارير وصلتهم، وفي الأغلب أن هذه التقارير قد جاءتهم ممن هم حول عرفات لتشويه سمعة حركة حماس.

في نهاية شهر آذار/ مارس 1993 أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية قراراً بحظر الاتصال بحركة حماس، وبوضعها على الجهات المحظور اللقاء معها، وكان ذلك بعد لقائنا الثاني مع المستشار الأمريكي. ولكن قبل هذا الحظر كنت قد طلبت أن ألتقي مع السفير الأمريكي، بعد لقائي مع المستشار الأمريكي، فأجابت السفارة بأنها سترسل المستشار نفسه، قلت إن السفير يلتقي مع شخصيات أقل من حركة حماس، فأنا أصرّ على لقاء السفير نفسه، فاعتذروا وأنا اعتذرت من طرفي، وكان هذا آخر عهدنا بهذه الاتصالات بين أمريكا وبين حركة حماس.

اتفاقية أوسلو:

نبدأ الآن في موضوع **التمهيد لأوسلو**، التمهيد لأوسلو بدأ بالسرّ، وترأس ذلك أحمد قريع ومعه حسن عصفور وشخص من عائلة الكرد، وكان يشرف عليهم محمود عباس وكان على اتصال مباشر مع عرفات، عقدت عدة لقاءات، وعادة ما يبدأ مثل هذه اللقاءات الأكاديميون، حيث التقى أكاديميون يهود مع أكاديميين فلسطينيين، مثل فيصل الحسيني وحنان عشراوي وبعد ذلك تواصلت إلى حوارات في النرويج وكشف عنها في شهر آب/ أغسطس 1993 وعقدت الاتفاقية في 13/9/1993 في البيت الأبيض في احتفال كبير. وهكذا **دخلت أوسلو إلى المسرح الفلسطيني**، كان ردّ الفعل عنيفاً جداً من الشعب الفلسطيني ومن القوى السياسية بما فيها حماس، ومن عدد من الدول العربية، وحتى الأردن، الملك حسين غضب عندما سمع بأوسلو وبعد مرور 48 ساعة تغير موقف الأردن، وسورية غضبت أيضاً، وعدد من الدول العربية غضبت. اتفاقية أوسلو درستها أنا، كما درسها كثير من المهتمين وهي اتفاقية أمنية بالدرجة الأولى، وتركز على **بناء جهاز شرطة كبير وقوي**، والغاية منها وقف الانتفاضة الأولى ومنع أية عمليات ضدّ العدو الصهيوني بواسطة الشرطة الفلسطينية، وهذا ما تمّ، وأجلت القضايا الأساسية لعدة سنوات بعد ذلك. القضايا الأساسية هي القدس والانسحاب والمستوطنات والحدود والمياه واللاجئين، كل هذه أجلت لما بعد.

وبعض الفلسطينيين اعترض عليها وأذكر ممن كان يعترض عليها هاني الحسن الذي كان يقول أن هذه الاتفاقية خطيرة، لأنه كان الأصل بالاتفاقية أن تبت نهائياً

بالقضايا الأساسية، ويتم برمجة الانسحاب، ولكن ما حصل أن القضايا الأساسية هي التي أجلت. وأذكر أنني عندما زرت مرج الزهور في نهاية سنة 1993 قبل عودة الإخوة إلى فلسطين (ومرج الزهور زرتها مرتين مرة في أوائل سنة 1993، والمرة الثانية في أواخر سنة 1993؛ حيث ودعنا الإخوة في عودتهم إلى الوطن، ومعظمهم دخل السجون بعد عودتهم) أذكر أني ألقيت كلمة في مخيم مرج الزهور قلت فيها إن هذه الاتفاقية، بالإضافة إلى التركيز على سلبياتها، تحمل في طياتها بذور فنائها، وقال أحد الإخوة للوفد من المكتب السياسي أرى أن الأخ إبراهيم متأكد كثيراً من أن هذه الاتفاقية ستفشل، وهو الأخ بسام جرار.

وطبعاً الرئيس الأسد كان له أيضاً تعليق عميق، قال كل بند في هذه الاتفاقية بحاجة إلى اتفاقية لتوضيحه، ولكن عرفات وفتح دفعوا باتجاه قبولها بقوة، ومعهم بعض القوى اليسارية بما في ذلك الحزب الشيوعي، وأذكر أنني سمعت محاضرة لأحد رموزه في عمّان اسمه إسحق الخطيب، قال فيها إنّ اتفاقية أوسلو هي ممر إجباري للدولة الفلسطينية.

ظهور تحالف القوى الفلسطينية من عشر فصائل:

أما نحن والفصائل الفلسطينية التي توالت لقاءاتنا معهم في دمشق، فقد ذكرت سابقاً أننا أسسنا الفصائل العشر في طهران في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1991، واستمررنا في عام 1992 و1993 في حواراتنا، ووصلت هذه الحوارات نهايتها في سنة 1993. وفي 1994/1/1 أعلنا عن ظهور تحالف القوى الفلسطينية من عشر فصائل. ونحن تحفظنا في الاتفاق على أن الميثاق الوطني الفلسطيني خالٍ من البعد الإسلامي، لأنه لم يكن في ذلك الوقت لا حماس ولا الجهاد أعضاء في منظمة التحرير وأننا نحتفظ بحقنا عندما يتمّ إعادة بناء منظمة التحرير، وإعادة كتابة الميثاق الوطني الفلسطيني أن يُضمن البعد الإسلامي أيضاً مع البعد القومي. وكنت في دمشق ممن دفع وشجّع على الوصول إلى هذا الاتفاق؛ لأننا لا نستطيع أن نقف أمام معسكر أوسلو لوحدنا. كان المهم أن نبدأ بقاعدة عريضة وهي تحالف القوى الفلسطينية التي تشملنا نحن والجهاد الإسلامي والقيادة العامة والجبهة الشعبية والديموقراطية والصاعقة وفتح الانتفاضة وآخرين،

وأوائل سنة 1993 نشطنا وسنتحدث عن ذلك في الحلقة القادمة في أوائل سنة 1994.

في أوائل سنة 1993 **وصلنا تهديدٌ من ياسر عرفات حمله إلينا** السيد نصر يوسف وحضر معه اثنان من عناصر فتح، وجاؤوا إلى مكتب جبهة العمل الإسلامي، وحضرت أنا هناك ومعي أحد الإخوة، وكان اللقاء بعد لقاء الخرطوم بحوالي شهرين، نصر يوسف حمل رسالة مختصرة كما يلي: إما أن توافق حركة حماس على الدخول في المجلس الوطني والاعتراف بمنظمة التحرير، وإما يتمّ الحسم معها في الميدان، وهذا مختصر الرسالة، وأضاف لها نصر يوسف بعض التشدقات عن حركة فتح وبداياتها في العمل الوطني. وبالنسبة للنقطة الأولى فأوضحنا له أننا لن نغير موقفنا، ونحن نرفض هذه التهديدات، وارتفعت الأصوات بيننا حتى وصلت إلى الخارج. وأما بالنسبة إلى ادعاءهم بأنهم من أطلق الرصاصة الأولى، فقلنا إن أول من أطلق الرصاص، كان مبكراً، في سنة 1920، وسنة 1921، وسنة 1929 وفي ثورة 1936، وإن الإخوان المسلمين الذين ننتمي نحن لهم شاركنا وقاتلنا وقدمنا شهداء في حرب 1948، وقبل أن تظهر حركة فتح، وأما الكوادر الأولى لحركة فتح فالفضل فيهم للكوادر التي انبثقت من حركة الإخوان المسلمين.

الفصل العاشر

الفترة 1994 – 1996

أنشطة معارضة لأوسلو:

في أوائل هذا العام كانت أجواء أوسلو تسيطر على المنطقة. وقد ذكرنا سابقاً أنه في خريف عام 1993 جرى توقيع اتفاقية أوسلو وقد شقت الاتفاقية الشعب الفلسطيني إلى شقين، فحركة فتح وبعض الفصائل الهامشية انضمت للاتفاقية، ومعظم الفصائل الأخرى، كحماس والجهاد والشعبية والديموقراطية وفصائل منظمة التحرير في دمشق، وقفوا موقفاً شديداً وصلباً ضدّ أوسلو. وأودّ أن أشير إلى أنه في **الرسائل المتبادلة بين عرفات ورابين في 9/9/1993**، اعترف عرفات لرابين بحقّ "إسرائيل" في الوجود ونبذ العنف وتعهد بالتصدي لفصائل منظمة التحرير المتمردة على وقف المقاومة، مقابل اعتراف رابين بـ م. ت. ف. ممثلاً للشعب الفلسطيني مع إسقاطه كلمة "وحيداً"، وقد اعتبر المحامي إبراهيم بكر في كتابه حول أوسلو وهو من أفضل الكتب التي كتبت حول أوسلو، اعتبر أن الاعتراف بحقّ "إسرائيل" في الوجود من الناحية القانونية أخطر بكثير من الاعتراف بـ"إسرائيل".

ومما زاد الطين بلة، أن اتفاقية أوسلو لم تنته عند توقيع الاتفاقية. ولكن أحمد قريع الذي كان له دور في اتفاقيات أوسلو استأنف المفاوضات مع الجانب الصهيوني **ووقع اتفاقية باريس**، وهذه الاتفاقية هي اتفاقية اقتصادية بالدرجة الأولى، وقد ربطت الاقتصاد الفلسطيني كلياً بالاقتصاد الصهيوني. وحتى نعرف بعض جوانب هذه الاتفاقية، فقد مهدت الطريق لتصبح سوق الضفة الغربية وقطاع غزة مجالاً واسعاً للاقتصاد الصهيوني؛ ليصدّر إلى هذه المناطق في سنة 2006 حوالي 2,700 مليون دولار من البضائع والأغراض المختلفة. وأما نصيب الدول العربية (الأردن ومصر) فكان ما تصدره لا يزيد عن بضعة ملايين من الدولارات. هذه الاتفاقية التي وقعها قريع، والتي جاءت استكمالاً لأوسلو جاءت معها اتفاقيات أخرى مثل **اتفاقية طابا**، التي وقعها نبيل شعث، والتي حدثت فيها تنازلات في الخليل القديمة، وظلت منطقة تحت الاحتلال الصهيوني، وكما كان هناك تنازلات أخرى عن نصف الحرم الإبراهيمي تقريباً.

في ظلّ هذه الأجواء أخذ عرفات يهيئ نفسه ويمهد للنزول إلى الداخل، وشنّ حملة شرسة على حركة حماس، فالتقى بأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في عمّان عدة

مرات، وشنّ حملة كشف تفاصيلها السيد صالح البرغوثي في الجريدة الأردنية الأسبوعية (اللواء)؛ حيث كان يتحدث عرفات ويقول بأنه لا ينبغي أن يكون عاجزاً، استند لبيت الشعر (إنما العاجز من لا يستبد). كان يدل على مقدار مخططاته التي كان يحضرها عند دخوله لفلسطين، **وقال إذا كان مانديلا** (الذي كان في ذلك الوقت قد خرج من السجن، وقاد النضال، وأصبح الزعيم الأول في جنوب إفريقيا) لم يطلق الرصاص على قبائل الزولو، وقد كانوا منافسين لمانديلا، فأنا سأطلق الرصاص (يعني حماس). قال ذلك أمام أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في عمّان، وهذا يدل على نواياه المبيّتة لحركة حماس في الداخل، وهذا ما ستكشفه الأيام بعد ذلك، وهي تُذكِّر بما حصل في تموز/ يوليو 1992.

في ظلّ هذه الأجواء حصلت حادثة أثبتت زيف وبطلان اتفاقية أوسلو، حيث حصلت **مجزرة في الحرم الإبراهيمي في 1994/2/25** الموافق 15 رمضان 1414هـ، حيث توجه طبيب يهودي صهيوني يحمل الجنسية الأمريكية، ومن مواليد نيويورك اسمه باروخ جولد شتاين، إلى المسجد الإبراهيمي، حيث كان المصلون يؤدون صلاة الفجر من يوم الجمعة، وكان الإمام يقرأ سورة السجدة وعندما سجدوا بدأ بإطلاق رشاشه إم – 16 على المصلين، وبدّل أمشاط الذخيرة أكثر من مرة، وكان نتيجتها 29 شهيداً وأكثر من 200 جريح، وقد تمكن أحد الشباب الأبطال من ضربة بأسطوانة إطفاء وقتله. هذه الحادثة هزت الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وكشفت زيف واتفاقية أوسلو؛ لأن هذا العدو الصهيوني، الذي وُقِّعت هذه الاتفاقية معه ما يزال يرتكب هذه المجازر.

وقد توجهنا نحن المكتب السياسي بحضور الأخ خالد والأخ موسى إلى بيت الأستاذ **محمد عبد الرحمن خليفة**، المراقب العام للإخوان المسلمين، صباح يوم الجمعة، وقال لنا لقد تأثرت كثيراً بهذه الحادثة فماذا ترون؟ فقلنا اليوم هو الجمعة، ويجب أن يتحرك الشعب الأردني، قال أبشروا واتصل بأعضاء المكتب التنفيذي للإخوان ودعاهم للاجتماع وتشاورنا جميعاً، وأصدر تعليماته إلى حركة الإخوان المسلمين بالنزول للصلاة في الجامع الحسيني الكبير، والانطلاق بعد ذلك في مظاهرة. نزلت وفود الشعب

بشكل لا يصدق، وتجمّع حول ساحات المسجد أكثر من 30 ألف نسمة، وتحركت مظاهرة كبيرة في شوارع عمّان تدعو للثأر من العدو الصهيوني. وقد مرّ وقت حتى بدأ الانتقام من هذه المجزرة، سأعود له بعد أن أناقش فعالية أخرى.

كثرت زيارتنا لدمشق لتفعيل تحالف القوى الفلسطينية للفصائل العشرة. كما قمنا بعدة زيارات لبلدان عربية وإسلامية شملت إيران واليمن والسودان لشرح أبعاد اتفاقية أوسلو. **وفي شهر آذار/ مارس 1994 جاءت دعوة من العقيد القذافي إلى فصائل تحالف القوى العشرة لزيارة ليبيا**، والتشاور حول اتفاقية أوسلو والقضية الفلسطينية. توجهنا إلى دمشق ومن هناك توجهنا بطائرة متجهة إلى مالطا، ومن ثم قطعنا البحر في سفينة إلى طرابلس، وكان هناك حظر على ليبيا حيث لم يكن هناك سفر مباشر إلى ليبيا. الوفد كان مشكلاً من جميع الفصائل، ومن القيادات التي كانت موجودة، أنا والأخ خالد من حركة حماس، ومن الجهاد الإسلامي فتحي الشقاقي، ومن الجبهة الشعبية جورج حبش، ومن الجبهة الديموقراطية نايف حواتمة، ومن القيادة العامة أحمد جبريل، ومن فتح الانتفاضة أبو موسى، ويوجد آخرون من بقية الفصائل. المخاطر الأمنية في ذلك الوقت لم تكن واضحة ضد الفصائل الفلسطينية، لأن العمليات المؤلمة للعدو الصهيوني لم تكن بدأت بعد؛ فسافرنا سفراً عادياً دون أخذ احتياطات أمنية. ووصلنا مالطا وعاصمتها فاليتا، مكثنا يوماً أو يومين، واستقبلنا الممثل الليبي في مالطا، وأحببنا أن نقوم بجولة بترتيب مع الأمن الليبي، وزرنا جزيرة مالطا، وقد كانت مقراً للأسطول البريطاني، لا يوجد شاطئ بحر لها، المياه عميقة جداً قرب اليابسة وربما هذه من أحد الأسباب، التي دفعت الأسطول البريطاني، ولقرون، لاستعمالها كقاعدة له. ومن الأشياء الغريبة في هذه الجزيرة وجود 365 كنيسة أي بعدد أيام السنة وهي كنائس كاثوليكية، ويبدو أنهم متشددون دينياً لذلك ضرب المثل العربي "فلان يريد أن يقيم الدين في مالطا". وفيها أيضاً ما تبقى من فرسان القديس يوحنا، وهم الذين قاتلوا في الحروب الصليبية، ومؤخراً ظهر لهم تمثيل في عدد من الدول العربية وأن لهم دور في دعم الاحتلال الأمريكي في العراق.

غادرنا مالطا بالسفينة إلى طرابلس، أخذت الرحلة حوالي ثماني ساعات قضيناها في

حوارات ولقاءات مع الليبيين حتى وصلنا إلى طرابلس، حيث لم نجد الزعيم الليبي، وقيل لنا إنه موجود في مدينة سرت، وهي مدينة جديدة بنيت وتهيأ لتكون عاصمة. ركبنا الطائرة إلى سرت ثم قابلنا العقيد الليبي في حفلة عشاء كبيرة، ألقى فيها كلمة وتحدث كل مسؤول من الفصائل الفلسطينية كلمة، ثم دعانا إلى لقاء في إحدى الخيم لمزيد من المناقشات.

في هذه اللقاءات مع القذافي حاول نايف حواتمة أن ينال من طرف الإسلاميين، لم نردّ عليه نحن، ولكن ردّ عليه زعيم الحزب الشيوعي الثوري الفلسطيني، وقال له إذا كنت تتهم حماس بأنهم "إسلامويون"، وهذا التعبير يستعمل كنوع من التحقير، فأنت أيضاً من "الماركسويين"، وهذا ردّ ماركسي على ماركسي. وقد جنّ جنون نايف حواتمة في هذه الرحلة، لأن القذافي التقى بنا جميعاً وتأخر اللقاء به فأخذ يغلي غلياناً، وبعد ذلك التقاه القذافي. أما عن لقائنا المنفرد مع القذافي، فقد تمّ في إحدى الخيم البعيدة في الصحراء؛ حيث ذهبنا أنا والأخ خالد وفتحي الشقاقي إلى حيث أقام القذافي خيمته، فاستمر اللقاء مدة طويلة، ولا أجد من المناسب الآن أن أتحدث في تفاصيل هذا اللقاء. وبعد ذلك مكثنا فترة وعدنا أدراجنا بالطريق نفسه بالبحر إلى مالطا، وبعد ذلك إلى سورية ثم الأردن.

الشاهد من تجربة تحالف القوى الفلسطينية أن المشكلة الأساسية التي واجهتنا أن معظم الدول العربية والإسلامية والعالمية لا تعترف إلا بمنظمة التحرير، فهذه أحد العوائق التي حدَّت من نشاط وتفاعل تحالف القوى الفلسطينية. أما النقطة الثانية التي حدَّت من انطلاق تحالف القوى الفلسطينية، وأوهنت من عزيمة تحالف القوى (مع أن هذا التحالف كما ذكرت سابقاً بُنِي على أساس دعم الانتفاضة والتصدي لاتفاق أوسلو) أن بعض الفصائل، وبإغراءات من عرفات، بدأوا يفكرون بالدخول إلى الضفة والقطاع، وللأسف هذا ما حصل، فقيادات من الجبهة الديموقراطية دخلت مثل أبو ليلى، وقيادات من الجبهة الشعبية دخلت مثل أبو علي مصطفى، وتحت مظلة أوسلو.

عمليات الانتقام لمجزرة الحرم الإبراهيمي وانعكاساتها:

نعود الآن إلى نتائج عملية مجزرة الحرم الإبراهيمي؛ كان الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية يتحرقون شوقاً إلى من يشفي غليلهم من العدو. وهكذا تمّ تنفيذ

العمليات الخمس التي خطط لها وجهز القيام بها الشهيد البطل يحيى عياش. يمكن أن نقول هنا إن من أبرز الأسباب التي دفعت للقيام بالعمليات الاستشهادية هو ما فعله المجرم جولد شتاين؛ عندما أطلق الرصاص على المصلين، فأصبح هناك مبرر للردّ على المدنيين اليهود، إذ لا يجوز أن يكون الدم الفلسطيني أرخص من الدم اليهودي، وهكذا تمت خمس عمليات مهمة جداً سنة 1994: عملية نتانيا في 4/6، وعملية نهاريا في 4/13، وعملية القدس في 10/9، وعملية اختطاف فاكسمان في 10/14، ثم العملية الكبرى ديزنجوف في 10/19 في تل أبيب، سنتكلم عن هذه العمليات شيئاً فشيئاً.

بعد عمليتي نتانيا ونهاريا بدأ الأردن يضيِّق الخناق على حركة حماس، وقد استدعاني وزير الداخلية سلامة حماد في ذلك الوقت، واعترض على التصريحات التي كنت أعبر فيها عن موقف حركة حماس، وعن تصريحات إخوة آخرين، ولمح بالتشدد في هذا الاتجاه، ولكنني أوضحت له بأن هاتين العمليتين إنما كانتا رداً على العملية الأولى التي قام بها المجرم جولد شتاين.

المرة الثانية اتصل بي مدير مكتب المحافظ، وقال لي إن المحافظ يريد أن يراك، ذهبت إليه إلى دوار الداخلية، كان مدير المكتب موجوداً ولم يكن المحافظ موجوداً. اتصل مدير المكتب بالمحافظ، وقال له إن المهندس إبراهيم موجود بناء على طلبنا له فماذا أقول له؟ قال له: اطلب منه أن يحضر جواز سفره، وأن يأتي إلى المحافظ. اعتبرت ذلك مسّاً بحركة حماس وبكرامتها، وتوجهت إلى مكتبي في جبهة العمل الإسلامي، وتصاعدت الأمور بعد ذلك من المحافظ ومن وزير الداخلية، وأخذوا يطلبون أن ألتقي بهم وأشرب القهوة معهم، فقلت لن ألتقي مع أحد. تطورت الأمور وأرسلوا عناصر من المخابرات والأمن الوقائي وأحاطت بجبهة العمل الإسلامي، وحضر الأخ خالد مشعل وجرى التشاور حول الحالة، وتمّ القرار على أن أخرج أنا بسيارتي وكان يقودها ابني وأن يخرج معي أحد النواب من كتلة الإخوان المسلمين، وكان هذا النائب الدكتور بسام العموش، فخرجت بسيارتي، وعندما خرجنا من جبهة العمل وأصبحنا قريبين من وزارة الصناعة والتجارة، وقرب فندق بلازا، أوقف سيارتي اثنان يحملان أجهزة لاسلكية، وقالا لي إنزل واركب في سيارتنا، قلت لهما من أنتما؟ فأشارا إلى الجهاز قلت لهم أنا لا أفهم، وبقيت في السيارة.

فأصبحت أزمة طويلة في الشارع لمدة أكثر من نصف ساعة، وجاء ضباط أمن كثيرون، وحاولوا أن يضغطوا علي، ورفضت أن أتحرك من السيارة. وأخيراً تدخل الأخ بسام العموش، وهو نائب وقال إذا كان يريده مدير شرطة العاصمة يأتي معي، فوافقت على أساس أن النائب له حصانة، فنزلت من السيارة وركبت في سيارة النائب بسام العموش وذهبنا إلى مدير شرطة العاصمة. دخلنا عليه وبادر الحديث مع بسام العموش فوراً وقال له، هذا من حماس فما شأنك أنت؟ فقال له بسام العموش صحيح أنني نائب من الإخوان المسلمين في الأردن، ولكن الأخ إبراهيم من حماس، ومن الإخوان المسلمين في فلسطين، والإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين شيء واحد.

وأخذ قائد الشرطة يطالب باستلام جواز السفر، فرفضت أنا ورفض بسام، وحجزنا هناك حوالي ثلاث ساعات، وكان رئيس الوزراء في ذلك الوقت زيد بن شاكر خارج البلاد، وعاد بعد اتصال الدكتور عبد اللطيف به، وكان رئيس مجلس النواب، وشرح له ذيول القضية فأصدر أوامره لقائد الشرطة بإطلاق سراحي، وهكذا انتهت هذه القصة التي أرّخها الأستاذ فهد الريماوي في جريدة المجد وبالخط العريض "ليلة القبض على إبراهيم غوشة".

العملية الثالثة المهمة جداً عملية إطلاق الرصاص في القدس قرب فندق الملك داود؛ حيث كان وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر هناك وقد استمع لهذه العملية. وقد قام بالعملية اثنان أحدهما مصري، وقد استشهدا بعد أن أصابا عدداً من الجنود الصهاينة.

أما العملية الرابعة فقد أخذت وقتاً طويلاً حيث تمّ خطف جندي اسمه فاكسمان، وأُعِدّ له شريط تلفزيوني، وبُثّ من قطاع غزة؛ فكان الصهاينة يظنون أن هذا الجندي المختطف موجود في قطاع غزة، ونظراً للتنسيق الأمني، ونحن هنا نتحدث عن شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1994، أي بعد دخول عرفات والسلطة الفلسطينية في شهر تموز/ يوليو 1994 في اتفاقية أوسلو التي من شروطها التنسيق الأمني، فالأمن الفلسطيني شكّ بشخص ما وألقى القبض عليه، وتحت التعذيب اعترف باسم الشخص الذي أعطاه الشريط من منطقة القدس، وهكذا عرف الصهاينة اسم الشخص فاعتقلوه

فدلّهم على مكان فاكسمان، وكان الشباب قد أعدوا أنفسهم لأي اقتحام. اقتحم الموقع مجموعة من رئاسة الأركان الصهيوني فحصل اشتباك، فكانت نتيجة الاشتباك مصرع فاكسمان واستشهاد شابين مجاهدين من حماس، ومصرع قائد العملية الإسرائيلي من النخبة في قيادة الأركان. وهذه تدل، كقضية توليدانو، بأن الصهاينة إذا عرفوا المكان لا يمكن بأن يقبلوا بأي مفاوضات، لأن فاكسمان عندما خطف كان الهدف من خطفه مثل توليدانو إطلاق سراح الشيخ ياسين، إذ يفضّل القادة اليهود الصهاينة أن يقتل عدد منهم ويقتل المخطوف، ولا يرضخون للمختطفين، وهذه السياسية مستمرة حتى الآن، ولو يعرف الصهاينة مكان جلعاد شاليط فإنهم سوف يهاجمون المكان حتى لو قتل جلعاد شاليط.

أما العملية الأخيرة ديزنجوف، فقد قام بها أحد الشباب من مدينة قلقيلية، وكان له شريط وجهه إلى الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وتحدث مع إسحق رابين بمنتهى التحقير. وهذا يعطيك فكرة عن الروح العالية التي تتحلى بها كتائب القسام، فقد حصلت العملية في أهم شارع في تل أبيب، وهو شارع ديزنجوف، وفي هذه العملية قتل أكثر من 20 صهيونياً وجرح أكثر من 100، هذه العملية التي تمت في 19 تشرين الأول/ أكتوبر هزت الكيان الصهيوني وهزت رابين نفسه، الذي كان يعدّ من أبرز رؤساء وزراء الكيان الصهيوني، وهو الذي وقع اتفاقية أوسلو.

ردَّ رابين الاعتبار لنفسه أمام الصهاينة من خلال خطوتين؛ الخطوة الأولى: وكانت بعد أسبوع فقط، وهي توقيع اتفاقية وادي عربة في 1944/10/26 في موقع ما في وادي عربة. حيث كان موجوداً كل من إسحق رابين وعبد السلام المجالي ووقعا هذه الاتفاقية السيئة الذكر، التي أنهت الحرب بين الكيان الصهيوني والأردن. والواضح أن من أول نتائجها تخلي الأردن عن الضفة الغربية التي كانت جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية، وقد بدأ هذا التخلي في قرار فكّ الارتباط في 1988/7/31. وعقب هذه الاتفاقية تمّ توقيع أكثر من 20 اتفاقية أخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية وزراعية ومياه وغيرها، وتمّ تأجير منطقتين لمدة طويلة إحداهما في الجنوب والثانية عند الباقورة في الشمال. وقد غضب الشعب الأردني على توقيع هذه الاتفاقية، وقامت المظاهرات.

أما الخطوة الثانية التي ساعدت رابين فقد حدثت في 18/11/1994، عندما أصدر عرفات أوامره لرجال الأمن بإطلاق الرصاص على المتظاهرين الخارجين من مسجد فلسطين في قطاع غزة، حيث كانت حماس تحرك الشارع للخروج بمظاهرة تضاماً مع أحد شهداء الجهاد الإسلامي، فسقط حوالي 18 شهيداً ومئات الجرحى. تحركت الجماهير في قطاع غزة إلى السرايا، وهو موقع الاعتقال والتعذيب للسلطة الفلسطينية، والتي لم يمرّ على إنشائها إلا بضعة أشهر. ويقول نبيل شعث في إحدى جلساته في غرفة مغلقة، مكثنا ثلاثة أيام لا نخرج ونخشى من ثورة الشعب، ولكن عندما وصلت الجماهير للسرايا لتدميرها، وقررت قيادة حماس منع هذه العملية، قال نبيل شعث بعد ذلك استرددنا الروح المعنوية، وبدأنا الهجوم المضادّ ضدّ حركة حماس، والذي استمرّ بعد ذلك عدة سنوات، حيث تعرضت حركة حماس إلى اعتقالات وتعذيب متواصل منذ دخول السلطة الفلسطينية في تموز/ يوليو 1994، وحتى الانتفاضة الثانية في أيلول/ سبتمبر 2000، وكان هذا التعذيب والاعتقال تنفيذاً لاتفاقية أوسلو، لأن اتفاقية أوسلو أنشأت قوة أمنية كبيرة، الغاية منها حماية الكيان الصهيوني، ومنع أية عمليات يقوم بها المقاومون ضدّ هذا الكيان.

وفي هذه الأثناء بعد توقيع اتفاقية وادي عربة قابلنا مدير المخابرات مصطفى القيسي في أواخر سنة 1994 في مبنى المخابرات الجديد، الذي انتقل من العبدلي إلى وادي السير، كنت أنا والأخ خالد والأخ موسى وطرحنا على السيد أبي مازن مدير المخابرات بأن اتفاقية وادي عربة لها جانب أمني، فهل يا ترى الجانب الأمني سيطبق على حركة المقاومة الإسلامية حماس، التي أنتم وافقتم على تأسيس مكتب سياسي لها في عمّان؟ فكان جوابه بالنفي وأن الأمور ستبقى كما هي.

ندخل الآن إلى عام 1995، في هذه الفترة استمرت الضغوط على حركة حماس ومحاولة منع التصريحات التي تتحدث عن المقاومة وأيضاً أرسل عرفات وسطاء منهم الأستاذ كامل الشريف وقد تمّ أكثر من لقاء، أحد هذه اللقاءات حضرته في بيت السيد كامل الشريف وكان بحضوره والأخ الدكتور عبد اللطيف عربيات والأخ الدكتور إسحق الفرحان، قال الأخ كامل الشريف، إن عرفات يطرح عليكم فكرة أن تُسهّلوا له حسب

اتفاقية أوسلو بأن يحوز على المدن ومنطقة (أ) التي أقرت حسب الاتفاقية، والتي تقسم المناطق المحتلة إلى ثلاث مناطق؛ منطقة (أ) وهي منطقة المدن في الضفة الغربية، ومنطقة (ب) وهي القرى، ومنطقة (ج). منطقة (أ) كان باتجاه إعطائها للسلطة الفلسطينية لتديرها من الناحية المدنية والأمنية، ومنطقة (ب) تبقى تحت الاحتلال الصهيوني والسلطة تتعامل معها مدنياً، أما منطقة (ج) قليلة السكان مثل الغور تبقى تحت الاحتلال مدنياً وأمنياً. ونقل رسالة من عرفات يطلب فيها من حماس أن تخفف من عمليات المقاومة حتى يحصل على مناطق (أ)، تناقشنا كثيراً حول هذا الموضوع، وأوضحنا أن حركة حماس لا تستطيع وقف المقاومة، حيث إن المقاومة هي البرنامج الوحيد لحركة حماس ضدّ الكيان الصهيوني.

أما الوساطة الثانية التي أرسلها عرفات كانت عبد الرزاق اليحيى، وهو رجل عسكري من منطقة فلسطين المحتلة سنة 1948 جاء إلى عمّان، التقينا به في بيت الدكتور موسى أبو مرزوق في خلدا بحضور المكتب السياسي، وطلب منا أن نوقف المقاومة أيضاً، فقلنا له أين نوقفها في قطاع غزة؟ قال نعم، قلنا أين أيضاً؟ قال في الضفة الغربية، قلنا وأين أيضاً؟ قال في مناطق 1948. قلنا له أنتم تريدون وقف المقاومة تماماً، وتريدون تنفيذ اتفاقية أوسلو على أساس نبذ العنف ومنع كل الفصائل من أن تقوم بأية مقاومة، قال إننا بحاجة لأن نأخذ الأرض، ومقاومة حماس تعيقنا عن أخذ الأرض، قلنا له لو أخذتم الأرض فهي تحت الاحتلال، وليست محررة، واتفاقية أوسلو أجلت القضايا الأساسية حول الدولة والقدس واللاجئين والأراضي والحدود والمياه إلى ما بعد فترة طويلة، فنحن لا يمكننا أن نوقف المقاومة. وهكذا فشل هذا اللقاء مع عبد الرزاق اليحيى، وهو الآن (صيف 2007) وزير الداخلية في حكومة فياض.

مغادرة موسى أبو مرزوق وعماد العلمي للأردن:

بعد مغادرته بقليل في أوائل شهر أيار/ مايو 1995 اتصل بي وزير الداخلية سلامة حماد وقال أريد منك ومن المكتب السياسي أن تحضروا إلى مكتبي، حضرنا إليه، لم نأخذ معنا رئيس المكتب السياسي موسى أبو مرزوق، ذهبت أنا وخالد مشعل وعماد العلمي والتقينا به في وزارة الداخلية، استقبلنا استقبالاً مكفهراً، ولم أتحدث أنا في هذا

اللقاء، وقد تحدث الأخ خالد وهو أكثر مني دبلوماسية، حاول أن يقنع سلامة حماد بصرف النظر عن هذا الموضوع وهو إنهاء ضيافة موسى أبو مرزوق وعماد العلمي، قال لهم الأخ خالد لقد تمّ الاتفاق معكم رسمياً، ولقد أعطيتموهم الإقامة بعد الاتفاق بيننا وبينكم، فكيف الآن تغيرون هذا الاتفاق؟ لكن وزير الداخلية كان ينفذ تعليمات أعطيت له، معنى ذلك أن الأردن قد غيّر اتفاقه معنا، وقد ألححنا عليه لتأجيل مغادرة الأخ موسى والأخ عماد من أول شهر أيار/ مايو حتى آخره حتى تنتهي المدارس على الأقل، فاتصل وبعد الاتصال وافق على أن تكون المغادرة في نهاية شهر أيار/ مايو.

هذا الموضوع طرح على الإخوان حيث إنَّ هناك تنسيقاً بيننا وبينهم، اختلفت الرؤى حول كيفية التعامل مع الموضوع، كان واضحاً أن الأغلبية باتجاه تمرير هذا القرار، وفعلاً في نهاية شهر أيار/ مايو 1995 غادر الأخ موسى والأخ عماد عمّان إلى دمشق، تكلم في الحضور في المطار نائب المراقب العام عبد الرحيم العكور ولكن هذا الكلام كان في الوقت الضائع، وسط نقمة داخلية وحزن غادر الأَخَوَان عمّان، كان والد موسى أبو مرزوق موجوداً في المطار، فأعطى جواً من المرارة والحزن على هذا الحال، وهذه العملية كانت مؤشر بداية الخطوات التصعيدية ضدّ حركة حماس.

وفي هذه الفترة كنت أقوم بواجبي كناطق باسم حركة حماس بالتصدي لكل الاختراقات التي كانت تقوم بها السلطة الفلسطينية، وقد أعلمني أحد أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح أن ياسر عرفات عندما كان يقرأ تصريحاتي كان يزداد توتره كثيراً، وربما أشار عليه البعض بالاستفادة من قريب لي هو الدكتور سمير غوشة، ليصرح تصريحات تتناغم مع السلطة، وهكذا كنت تقرأ تصريحات: صرح غوشة، وصرح غوشة، بمضامين مختلفة!!. وممن هاجمني بشدة من رجال عرفات غازي الجبالي، حيث ظهر بمؤتمر صحفي في التلفزيون وقال إن من يعيث فساداً في الضفة وغزة هم حركة حماس، وهناك عماد العلمي يخطط في عمّان، وإبراهيم غوشة هو الذي ينفق الملايين. وغازي الجبالي تبين أنه متّهمٌ بالفساد. أما الثاني الذي هاجمني فهو جبريل الرجوب، وخاصة في السنوات التالية، بعد أن تحدّثت مؤشرات عن أن هناك اتهامات ضده في اغتيال محيي الدين الشريف، وفي قضية خلية صوريف، حيث قال إن إبراهيم غوشة لم

يبقِ نظام مخابرات في العالم إلا وقد تعامل معه. أما الآخر الذي كان يهاجم بشدة، فهو الطيب عبد الرحيم، بالإضافة إلى إذاعة فلسطين التي كانت تسيطر عليها حركة فتح.

حصلت عدة عمليات استشهادية لحماس في شهر تموز/ يوليو. وسافر الدكتور موسى أبو مرزوق إلى الولايات المتحدة وهناك تمّ القبض عليه، ومكث في السجن أكثر من سنة ونصف، ولم تألُ الحركة جهداً في توظيف محامين للدفاع عنه والانتصار لقضيته، وتحريك الإعلام والعمل السياسي حول هذه الحركة حتى تمّ الإفراج عنه.

وفي العام نفسه حضر إلى مكتب جبهة العمل الإسلامي الصحافي صالح قلاب، وقال لي بإن عرفات موجود في عمّان، وهو له رغبة بأن يلتقي مع حماس فما رأيكم؟ قلت له أنا أراجع المكتب السياسي وهو يأخذ القرار. وفعلاً المكتب السياسي وافق على اللقاء، وعندما مرَّ بي صالح قلاب وسأل ما هي نتيجة العرض، قلت له إن المكتب قد وافق لكنني لن أكون في اللقاء، قال قلت للختيار بأنني التقيت بك وهو يرحب بلقائك، قلت له لن ألتقي مع عرفات بعد توقيع أوسلو.

أما داخلياً فقد عقد في نهاية سنة 1995 مجلس شورى لحركة حماس، حيث إن عدداً من الإخوة قالوا إنه لا يجوز للحركة أن تبقى دون قيادة في غياب موسى أبو مرزوق، وهكذا تمّ عقد مجلس الشورى، **وتمّ انتخاب الأخ خالد مشعل رئيساً للمكتب السياسي**، وانتُخِبْت رئيساً لمجلس الشورى.

وأيضاً في هذه الفترة هناك نقطتان نجمل بها بعض القضايا الأخرى، أنه في لقاء عمّان كان بين وزراء الخارجية شمعون بيريز، وكان ذلك في أواخر شهر تشرين الأول/ أكتوبر، وكان الأخ فتحي الشقاقي قد اغتيل في مالطا، وكانت حركة الجهاد قد قامت بعملية ناجحة جداً في بيت ليد حيث قتل أكثر من 25 جندياً صهيونياً؛ فقرر إسحق رابين أن يصفّي فتحي الشقاقي، حيث تحرك الشقاقي بمفرده إلى ليبيا مروراً بمالطا، وخلال عودته كان عملاء الموساد ينتظرونه، وهؤلاء هم عملاء الموساد أنفسهم الذين حاولوا أن يغتالوا خالد مشعل فيما بعد، حيث تمّ إطلاق الرصاص عليه وهو يمشي، من فوق دراجة نارية رحمه الله. قال شمعون بيريز من عمّان، في أواخر شهر تشرين الأول/ أكتوبر، بعد استشهاد فتحي الشقاقي لقد نقص

القتلة واحداً، ويشاء الله أن لا يمرّ أسبوع واحد حتى يُقتل إسحق رابين في تل أبيب في مهرجان في ساحة كبيرة على يد يهودي متدين شرقي، وخرجت جريدة السبيل وعلى صفحتها الأولى "نقص المجرمون القتلة واحداً". اغتيال رابين وجه ضربتين عميقتين؛ الضربة الأولى: للكيان الصهيوني حيث كان من أقوى رؤساء الوزراء في تاريخ الكيان الصهيوني، وهكذا أصبح الصهاينة بدون قيادة قوية، كما أن العملية أحدثت شرخاً داخلياً في المجتمع اليهودي. أما الضربة الثانية، فكانت لاتفاقية أوسلو ومسار التسوية، فقد تأثر الجانب العربي كثيراً بسبب اغتياله، لأنهم كانوا يراهنون عليه، وشارك عدد من زعماء العرب في جنازته، وحزن عليه عرفات وغيره حزناً شديداً. وربما باغتيال رابين بدأت اتفاقية أوسلو تلفظ أنفاسها شيئاً فشيئاً.

وفي نهاية هذا العام بدأت المخابرات الأردنية تعتقل شبابنا، ومن الذين اعتقلوا عزت الرشق وسامي خاطر وآخرون، وتمت مصادرة أموال وتمّ مصادرة مئات الآلاف من الدنانير، بالإضافة إلى الأجهزة المختلفة في الأردن. وكثر الحديث عن موضوع **إجراء انتخابات في الضفة والقطاع والقدس في أوائل سنة 1996**، وللتاريخ فإن البعض من حركة حماس أعطوا إشارات بترحيبهم بهذه الانتخابات، وجرت اتصالات بين الداخل والخارج، وأعدت الحوارات بين حركة فتح والسلطة من جهة والحركة من جهة أخرى في القاهرة، وأصرت حركة حماس على أن تلتقي أولاً حماس الداخل وحماس الخارج في مكان ما حتى يوحدوا الرؤية قبل اللقاء، وكان عرفات وشمعون بيريز، الذي أخذ مكان رابين، يظنان أن اللقاء قد يوفر فرصة لانخراط حماس في الانتخابات، ووقف المقاومة.

مباحثات فتح وحماس:

تشكل وفد الخارج من الأخ خالد مشعل ومعه محمد نزال وعماد العلمي وأسامة حمدان على أن يذهب **إلى الخرطوم** ويلتقي بوفد من قطاع غزة فيه الأخ محمد حسن شمعة والأخ الدكتور الزهار والأخ سيد أبو مسامح والشيخ عبد الفتاح دخان، أما من الضفة الغربية فكان الأخ جميل حمامي والأخ جمال سليم والأخ عبد الخالق النتشة والأخ حسن يوسف؛ حيث كان المجموع 12 شخصاً. فقال لي الأخ أبو الوليد أريدك أن تذهب معنا إلى الخرطوم للحوار الداخلي، فأنت لك خبرة في تاريخ الدعوة الإسلامية

والحركة الإسلامية، ونريد أن تسهم معنا في الحوار الداخلي في الخرطوم، قلت لا بأس، فذهبنا إلى الخرطوم عن طريق القاهرة، وفي الطائرة التقى وفدنا ووفد الإخوة من الضفة الغربية وقطاع غزة في طريقهم إلى الخرطوم، والتقينا مع بعض لأول مرة منذ قابلناهم في مرج الزهور.

وفي الخرطوم التقينا ثلاثة أيام متوالية ليلاً ونهاراً وكان النقاش منصباً على نقطتين أساسيتين: المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي الذي سيعقد في 1996/1/20، والنقطة الثانية إيقاف المقاومة، وهذان هما البندان الأساسيان. تحدث الجميع حول الموضوع وكان وفد قطاع غزة بأغلبيته متحمساً للمشاركة في الانتخابات التشريعية وتعليق المقاومة مؤقتاً، أما وفد الضفة فكان متردداً، أما وفد الخارج فكان رافضاً لكلا الأمرين. وفعلاً بعد مناقشات طويلة ومعمقة كانت الأغلبية الكبيرة برفض المشاركة في الانتخابات التشريعية سنة 1996، ومبرر ذلك أن هذه الانتخابات تجري تحت سقف أوسلو، وهي إحدى الآليات التي تضمنها اتفاق أوسلو، ونحن بالأصل وقفنا بشدة ضدّ هذا الاتفاق، فكيف نشارك في إجراءات وآليات اتفاق أوسلو؟

ومن جهة أخرى حاول عرفات أن يحصل على تعهّد بوقف المقاومة، مقابل حماية 20 من مطاردي القسام في القطاع. ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن فإن موضوع وقف المقاومة هو عقدة العقد، فالسلطة تريد وقف المقاومة، وحماس لا تريد وقف المقاومة، والسلطة ووراءها الولايات المتحدة والكيان الصهيوني يركزون على وقف المقاومة، وحماس تقول هذا هو العمود والمحور الرئيسي لعمل الحركة.

وتوجهت بعد ذلك إلى عمّان وسفير السلطة في الخرطوم أبو رجائي أرسل إلى عرفات أن إبراهيم قد توجه إلى عمّان فاطمئن، وتوجه الإخوة إلى القاهرة وهناك اختاروا الأخ خالد مشعل ليكون رئيساً للوفد، كان الوفد المقابل سليم الزعنون ومعه حسن عصفور والطيب عبد الرحيم وزكريا الآغا ونبيل عمرو، واستمر الحوار ثلاثة أيام، وتمسك الإخوة بالموقف الذي تمّ الاتفاق عليه في الخرطوم. غضب عرفات وحاول المصريون أن يزينوا الدخول في انتخابات المجلس التشريعي، ورفض عرفات أن يلتقي بالوفد، وغادر القاهرة غاضباً إلى الداخل لأنه لم يحصل على هاتين النقطتين. وهذا يذكرنا بغضبه

سنة 1993 في الخرطوم عندما فشل في انتزاع اعتراف بمنظمة التحرير. وعاد الإخوة إلى الداخل وإلى أماكنهم في الخارج، أما الإخوة في الداخل فمعظمهم تمّ اعتقاله، واستطاع عرفات أن يخترق اثنين كانا محسوبين على حماس، ولكن للتاريخ كان عليهم تحفظات لدى الحركة، وهما عماد الفالوجي من قطاع غزة وطلال سدر من الضفة الغربية، هؤلاء دخلوا في الانتخابات، وبعد ذلك أصبحوا وزراء في السلطة.

استشهاد يحيى عياش وانعكاساته:

العام 1996 كان عاماً خطيراً على حركة حماس في الداخل وفي الخارج. في الداخل وفي بداية العام في 1996/1/5 **اغتيل المجاهد الكبير الشهيد يحيى عياش** في قطاع غزة، وسأتكلم قليلاً عن عملية الاغتيال، الشهيد يحيى عياش مهندس وعضو في نقابة المهندسين الأردنيين والفلسطينيين، وتخرج من جامعة بيرزيت، وكل من يعرفه يقول عنه إنه هادئ ولكن إرادته حديدية، وهو الذي استطاع أن ينتقم لكل الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا على أيدي الصهاينة بالعمليات الرائعة التي كان يشرف عليها، وعندما ضاقت عليه الدنيا انتقل الشهيد من الضفة الغربية إلى قطاع غزة، وفي رأيي الشخصي أن انتقاله كان خطأ، فالضفة أرضها حوالي 5،500 كيلومتر مربع، فيها جبال وقرى ومدن ووديان، بينما القطاع مساحته 365 كيلومتر مربع، وربما الطائر الغريب يعرفه السكان.

المهم انتقل عياش إلى القطاع وجهد الإخوان في حمايته وتنقيله من مكان إلى مكان إلى أن شاء الله أن يستقبله أحد الإخوة الذين تعرف عليهم في جامعة بيرزيت، وهو الأخ أسامة حماد فأسكنه في بيته، وكان له خال يسمى كمال حماد رجل أعمال وعميل للصهاينة، ويبدو أن الخال قد علم بأن يحيى عياش موجود في بيت ابن أخته فأعطى ابن اخته جهاز هاتف نقال (موبايل) ليستعمله، فصار يستعمله أحياناً الشهيد يحيى عياش، وكان الشهيد يحيى عياش حريصاً على أن لا يستعمل الهاتف إلا عند الضرورة القصوى. ففي يوم من الأيام وكان يوم جمعة جرى ترتيب اتصال بين والده وبينه، ولأن العدو الصهيوني يسيطر على الضفة فقد حاول والده الاتصال به بالهاتف الأرضي فقام العملاء الصهاينة بفصل الخطّ الأرضي، فاتصل الوالد مع ابنه عن طريق الموبايل، وقد

كان خال أسامة قد أخذ الموبايل ووضع فيه نوعاً من المتفجرات لا تزيد عن 50 غراماً، وعندما وضعه يحيى على أذنه تمّ تفجيره، ولا نعرف كيفية التفجير إذا كان قد تمّ ذلك عن قرب أو عن طريق طائرة كانت موجودة في الجو وهي التي قامت بالتفجير، انفجر الخلوي واستشهد فوراً الشهيد يحيى عياش. وقد رُويت قصص تذكر أن عدداً من قيادات الأمن الفلسطيني كان لهم علاقات مع كمال حماد، وأنه قد قدم لهم رِشىً بالمال والشقق، وأن من هؤلاء الذين تمت رشوتهم موسى عرفات ومحمد دحلان، وربما التاريخ في المستقبل سوف يكتب عن تفاصيل هذه العملية. أقيمت للشهيد يحيى عياش جنازة كبيرة جداً في قطاع غزة، شارك فيها بحر من البشر. أما العميل كمال حماد فهو موجود في الكيان الصهيوني وهو شخص منبوذ. وتعدّ جريمة اغتيال عياش من جرائم الاغتيال التاريخية، ونتيجة لاستشهاد يحيى عياش تأثر العمل الجهادي.

قبل أن نتحدث عن نتائج استشهاد يحيى عياش نريد أن نتحدث قليلاً عن **الانتخابات التي حصلت في 20/1/1996**، جرت الانتخابات لانتخاب رئيس السلطة وأعضاء التشريعي؛ بالنسبة لرئاسة السلطة نزل عرفات ونزلت أمامه سميحة خليل، وهي شخصية نسائية من منطقة رام الله تقوم بالعمل الإنساني والخيري، وهي والدة ساجي سلامة، حصل عرفات على حوالي 88% من الأصوات وحصلت سميحة على حوالي 11% من الأصوات، وهكذا أصبح عرفات أول رئيس للسلطة الفلسطينية. أما المجلس التشريعي فكان عدد أعضائه 88 عضواً، وقد نجحت به أغلبية ساحقة لحركة فتح وثمة بعض المستقلين الذين نجحوا في هذا المجلس، وهكذا أصبحت السلطة والمجلس التشريعي والحكومة بيد حركة فتح، ولفترة طويلة امتدت من 1996 وحتى 2006، عندما جرت الانتخابات وأخذت حركة حماس الأغلبية.

نعود إلى **نتائج اغتيال واستشهاد يحيى عياش**، قامت خلية من كتائب القسام **بالانتقام ليحيى عياش بأربع عمليات هزت الكيان الصهيوني**، ومن أبرز أفراد هذه الخلية حسن سلامة وهو محكوم الآن بـ 45 مؤبداً في السجون الصهيونية. حصلت عمليتان في يوم واحد في 26 شباط/ فبراير ثم عمليتان في أوائل شهر آذار/ مارس. أدت هذه العمليات إلى سقوط حوالي 50 قتيلاً صهيونياً وأكثر من 500 جريح. اثنتان من هذه

العمليات تمت في باص رقم 18 في القدس في أول أسبوع وفي ثاني أسبوع وفي خط الباص نفسه. والعمليتان الأخريان تمتا في منطقة تل أبيب، وشمعون بيريز أخذ يهتز كبندول الساعة، وشتمه الجمهور الصهيوني في مواقع العمليات، وبكى قهراً.

شعر كلينتون أن الدولة الصهيونية في مفترق تاريخي، فهرول إلى المنطقة، وشاهدته وهو يلقي كلمة في مدرسة ثانوية يهودية في القدس، ويهدئ من روع اليهود والتلاميذ، ودعا فوراً إلى مؤتمر في شرم الشيخ عقد في 13 آذار/ مارس، وحضرته أكثر من 30 دولة بعضها عربية وإسلامية، وقد سُمِّي هذا المؤتمر "مؤتمر محاربة الإرهاب" أي محاربة حماس بالدرجة الأولى والجهاد. بعد هذا المؤتمر أصبحت الحركة محاصرة بقوة في الداخل والخارج، أما في الداخل فاعتقل الآلاف، وقد قرأت في مقابلة لمحمد دحلان في أحد الجرائد العبرية أنه التقى مع رئيس الأركان في ذلك الوقت واسمه شاحاك، وتفاخر أمامه بأنه اعتقل 1,500 من قادة حماس في قطاع غزة لوحدها، وأنه يحمي دولة الكيان الصهيوني. وكذلك في الضفة الغربية قام الرجوب، قائد الأمن الوقائي، بالعملية نفسها. لقد تعرضت الحركة لمحنة شديدة جداً، وكان التعذيب على أشده، عُذِّبَ الإخوة في السجون بصورة هائلة، وتكسرت عظامهم، ونتفت لحاهم، وقامت السلطة الفلسطينية بكل ما هو مطلوب. أما في الأردن فقد تمّ تغيير الحكومة ليصبح الكباريتي رئيساً لها وأيضاً جيء بالبطيخي مديراً للمخابرات، والبطيخي كان شديد الوطأة على حركة حماس. وفي سنة 1996 اعتُقِل في الأردن عدد كبير من شباب حماس، حوالي ما يزيد عن ستين شاباً، وأصبحت السياسة العليا في الأردن عدم السماح لحركة حماس حتى بالنشاط الإعلامي، بناء على قرارات شرم الشيخ بأنه لا يجوز لهذه الحركات أن يكون لها أي منبر إعلامي في أي مكان. وبعد ذلك طرح وارن كريستوفر شعار تجفيف الدعم والمأوى لهذه الحركة، وسارت عليه الولايات المتحدة والكيان الصهيوني وعدد من الدول العربية حتى هذه الأيام، وهو تجفيف الدعم المادي والإعلامي والمكان الآمن.

وفي أيار/ مايو 1996، وفي ظلّ الحظر الإعلامي الذي فرضه الأردن على حركة حماس، وبسبب الضغوط الشديدة والتعذيب، ألقى أحد قيادات حماس في قطاع غزة تصريحاً أمام مؤتمر شعبي قال فيه بأن العمليات الاستشهادية هي خطأ استراتيجي،

وهي تضرّ بمصلحة الشعب الفلسطيني وينبغي إيقافها. قرأت هذا التصريح واستمعت إليه، وكان ذلك يوم جمعة. جاءني الأخ خالد مشعل إلى بيتي وقال لي يا أخ إبراهيم لا بد من تصحيح التصريح الذي أدلى به أحد قياديي قطاع غزة، لأن هذا يؤثر على قواعد الحركة في كل مكان، ويؤثر على الجماهير التي تؤيد الحركة، فلا بد من موقعك كناطق رسمي للحركة أن تدلي بتصريح تؤكد على المقاومة وعلى العمليات الاستشهادية، وثاني يوم كان السبت وكان إجازة رسمية اتصلت بعدد من الفضائيات فجاءت تركض، أذكر أنها كانت ثلاث فضائيات وثلاث وكالات أنباء؛ رويترز وفرانس برس وأسوشيتد برس، وعملت مقابلة ووضحت ما طلبه مني رئيس المكتب السياسي، وهو أن حركة حماس ما زالت متمسكة ببرنامج المقاومة بما فيها العمليات الاستشهادية، وأما ما ورد على لسان أحد الإخوة في قطاع غزة فهو لا يمثل رأي الحركة، وإنما يمثل رأيه بعد الضغوط التي تعرض لها.

وفي يوم الأحد كنت في مكتب الجبهة فجاءني اتصال هاتفي، وكان على الجانب الآخر البطيخي قال لي ماذا تفعل بهذه التصريحات؟ قلت له شيء طبيعي أن أتحدث بأن من حقّ الشعب الفلسطيني أن يقاوم، قال لي يبدو أنه لا ينفع معكم، موجهاً الكلام إلى حماس، إلا الحبس. قلت له إفعل ما تراه مناسباً لك. قال لي، المرة القادمة سأخيط أفواهكم، وأغلق الهاتف. وفي اليوم الثاني شرحت لأحد أقرباء البطيخي ما جرى، وأن البطيخي يريد أن يخيط أفواه حركة حماس، قال لي لقد جاءه توبيخ كبير من الملك بسبب التصريح الذي صدر من عمّان، وبناء على ذلك تصرف هذا التصرف.

في هذا العام، الإخوة الذين اعتقلوا زادوا عن الستين، حاولنا أن نحرك الرأي العام وحقوق الإنسان للدفاع عنهم، وأنه لا يجوز تعذيبهم، ولكن للأسف هذه العملية لم تنجح، وأخيراً قام المحامي هاني الدحلة بالمطالبة بالتحقيق بالتعذيب، قيل له تقدم بطلب، ووضع في الأدراج كالعادة ولم يتمّ إجراء أي شيء.

وبالنسبة للداخل فبسبب الحملة الشرسة من العدو الصهيوني والسلطة تراجعت العمليات في الضفة والقطاع والقدس. وفي هذا العام، في ظلّ حصار المقاومة، عُقِد لقاء للمجلس الوطني الفلسطيني في غزة، وتمّ تحضير ورقة تدعو إلى تغيير الميثاق الوطني

الفلسطيني من كل البنود التي تتعلق بحقّ المقاومة للشعب الفلسطيني، أو باشتمال الأرض الفلسطينية على الأرض التي احتلت سنة 1948، فكل ما يتعلق بوحدة الشعب الفلسطيني ووحدة الأرض الفلسطينية وحقّ الشعب الفلسطيني في الكفاح المسلح، تمَّ إلغاؤه، ورفعت الورقة على أساس اعتمادها، وقد تمّ اعتماد هذه الورقة بعد سنتين في لقاء سنة 1998، أيضاً في غزة، عندما جاء كلينتون ورفع الجميع أياديهم، وبعضهم كان يرفع يديه الاثنتين، تكريماً لكلينتون وزوجته، ولإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني.

زيارة تركيا:

في أواخر سنة 1996، وحول مؤتمر حزب الرفاه التركي في أنقرة، وجهت لنا دعوة باسم حركة حماس، فغادرت إلى أنقرة لحضور هذا المؤتمر برفقة أحد الإخوة، ممن يجيد اللغة التركية، كانت فعاليات هذا المؤتمر تشمل عدة فعاليات أهمها المؤتمر الكبير لحزب الرفاه الذي عقد في قاعة مغلقة، وحضرها أكثر من عشرة آلاف مشارك، كان حزب الرفاه التركي في أوج قوته؛ حيث كان رئيسه نجم الدين أربكان، وقد ذكرت سابقاً أنني أعرفه منذ عام 1990، كان رفيقنا في محاولات التوسط قبل العدوان على العراق، في هذا المؤتمر الكبير كانت الأناشيد التركية تصدح، وكانت هناك فرقة تشبه الفرق الموسيقية خاصة بالطبول التي كانت تستقبل السلاطين العثمانيين، هكذا دخل أربكان في هذا الجو وكأنه أحد السلاطين. ألقى أربكان خطبة طويلة جداً تناول فيها جميع القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان أن سألته ذات مرة عن أهمية القضايا السياسية بالنسبة إليه فأجاب أن أهم قضية خارجية بالنسبة إليه هي أولاً قضية قبرص، حيث كما ذكرنا أنه كان له دور في إرسال الجيش التركي سنة 1974 إلى جزيرة قبرص واحتلال الجيش التركي لشمال الجزيرة، وثانياً كان يهتم بالبوسنة والهرسك باعتبار أن الدولة العثمانية حكمتها 400 سنة وهناك جذور تركية، وكانت قضيتها ساخنة في تلك الأيام، ثم ذكر أذربيجان باعتبار أن شعبها يتكلم اللغة التركية ولكن مذهبه إسلامي شيعي، أما القضية الرابعة في التسلسل فكانت القضية الفلسطينية. المهم أنه بعد أن أنهى خطابه الطويل تحدث مساعدوه ووزراؤه وأخيراً جاء الدور لوفود الحركات الإسلامية ليلقوا كلماتهم، وقد ألقيت كلمة تحدثت فيها عن آخر تطورات القضية الفلسطينية. عندما

خرجنا من هذا المؤتمر الضخم بادرني أحد الصحافيين الأتراك الإسلاميين وقال لي ألا تعلم بأنه كان من ضمن الحضور ممثل للسفارة الإسرائيلية؛ فتأثرت كثيراً وقلت له لو أعلمتني قبل المؤتمر لما شاركت فيه. هذا يدلّ على أن أربكان أيضاً ممن تساهل في التعامل مع العدو الصهيوني بسبب الظروف التركية الخاصة، وليس فقط أردوجان الحالي، الذي أوغل في ذلك عندما زار ما يسمى بالمحرقة في القدس هو وزوجته. هذه كانت إحدى السمات التي اتسم بها حزب الرفاه، وبعد ذلك حزب العدالة والتنمية على أساس أنهم بذلك يرضون الجيش التركي، ويرضون أيضاً العلمانيين الأتراك ومن ورائهم الولايات المتحدة، الحليف الاستراتيجي لتركيا. ويظن هؤلاء، أي حزب الرفاه، وبعد ذلك حزب العدالة والتنمية أنهم باستقبالهم للصهاينة (وبالمناسبة يوجد في تركيا 50 ألف يهودي تركي تقريباً، وهم يسيطرون على قسم من الاقتصاد التركي) يظنون بذلك أنهم قد يؤثرون على اللوبي اليهودي في أمريكا، لعل أمريكا تضغط على الاتحاد الأوروبي، ويسمحون لتركيا بدخول الاتحاد الأوروبي. وللتاريخ فإن أردوجان، وكان تلميذاً لأربكان وكان رئيساً لبلدية إسطنبول أكثر اندفاعاً للدخول في الاتحاد الأوروبي من أربكان، الذي كان يحاول أن يتجه إلى الشرق وإلى العالم الإسلامي، وهو صاحب فكرة تأسيس الدول الإسلامية الثمانية من ناحية اقتصادية. في اليوم الثاني من هذه المقابلة بعض الصحافيين الأتراك التقطوا بعض الصور، ومنها صور لي ونزلت في بعض الجرائد من الجرائد العلمانية للتحريض على حزب الرفاه بأنه قد دعا الناطق الرسمي لحركة حماس. ثمّ أقيمت حفلة عشاء كبيرة أقامها أربكان ودعا إليها جميع الوفود الإسلامية المشاركة، وقد كان هناك وفود من جميع الدول العربية والإسلامية، وأصر على أن أكون ضمن الطاولات الثلاث في المقدمة التي جلس على أوسطها أربكان وألقيت كلمات عدة، كانت قيادة المكتب السياسي قد طلبت مني أن ألتقي مع أربكان، وأعرض عليه تطورات القضية الفلسطينية، وأطلب منه بعض المطالب وهذا ما تمّ. وحولني إلى لقاء مع عبد الله جول وزير الخارجية ومع وزير العدل. اللقاء مع عبد الله جول تمّ بصورة مستعجلة، ولاحظت أنه كان متحفظاً من هذا اللقاء، وكان عليّ أن أُتمّ ما طلبه الإخوة مني باللقاء به، وأبلغه طلبنا الرئيسي وهو: طالما أن رئيس حزب الرفاه أصبح رئيساً للحكومة فنحن نطالب بأن يسمح لنا بإنشاء مكتب لحركة حماس في تركيا، حتى

ولو كان بصورة غير معلنة كما في السعودية، استمع عبد الله جول ووعد بمناقشته مع حكومته، أما اللقاء مع وزير العدل التركي (وقد كان أكثر شجاعة، وهو بقي منضماً مع حزب الرفاه الذي تمّ حله بعد اعتقال أربكان، وتحول إلى اسم حزب السعادة، ولكنه ضعف كثيراً في الانتخابات، وقد قابلت بعض الأتراك وسألتهم فيما بعد من تنتخبون حزب السعادة أم حزب أردوجان، فكان جواب أكثرهم إن قلوبنا مع أربكان وعقولنا مع أردوجان، فهم عند التصويت يصوتون إلى أردوجان، لأنه فعلاً حسّن الوضع الاقتصادي). وزير العدل دعانا لزيارته في مقر وزارته في وسط أنقرة، وفعلاً ذهبت أنا والأخ الذي يجيد اللغة التركية. استقبلنا وزير العدل استقبالاً رائعاً، وأكد على محبة وتعلق الشعب التركي بالقضية الفلسطينية وبالقدس وبالأقصى، وأيضاً وعد خيراً بالنسبة لموضوع إنشاء مكتب لحركة حماس في تركيا.

في أثناء عودتي إلى الأردن وفي المطار بعد أن كنت ضيفاً على رئيس وزراء تركيا، أوقفت وطلب مني مقابلة مدير مخابرات المطار، قال لي نريد أن نفتش حقيبتك، فابتسمت، قلت له شيء عجيب آتي من دعوة من دولة إسلامية كبيرة على شرف رئيس الحكومة، وعندما آتي إلى المطار أطلب للتفتيش أليس هذا غريباً؟ اضطرب الرجل قليلاً وقال دعني أتصل، قلت تفضل، خرجت من غرفته فاتصل. اتصل بمن؟ اتصل مع سميح البطيخي مدير المخابرات على الأغلب، العدو اللدود لحركة المقاومة الإسلامية حماس، والتي ستؤكد التطورات فيما بعد مدى استهداف هذا الرجل للحركة، وبعد ذلك أصر على التفتيش لأن الجواب كان سلبياً، فقلت له فتشها كما تشاء، هذه فقط للدلالة على إرهاصات استهداف الحركة قبل أن تبدأ في سنة 1997 وتصل ذروتها سنة 1999.

الفصل الحادي عشر

الفترة 1997 – 1998

من أحداث 1997:

ندخل الآن في العام 1997، في هذا العام غادرت مكتبي في مقر جبهة العمل الإسلامي، وفتحت مكتباً هندسياً كمهندس رأي، وهذا المكتب فتحته في شارع الجاردنز، وبعد عامين أغلق بالشمع الأحمر، وكان يظهر في الصور التي كانت تبثها الفضائيات فيما بعد، في هذه الفترة استمرت الاعتقالات لحركة حماس بوتيرة أخف من سنة 1996.

وأيضاً في هذه السنة استحقت الانتخابات البرلمانية في الأردن، وطُرِح رأيان؛ مقاطعة الانتخابات أو المشاركة فيها؛ وكان الرأي الأغلب هو مقاطعة الانتخابات. وفعلاً قاطع الإخوان المسلمون الانتخابات والسبب الرئيسي لهذه المقاطعة هو قانون الصوت الواحد، وثانياً تفاعلات اتفاقية وادي عربة وانعكاساتها على الساحة الأردنية والاختراقات الصهيونية في أكثر من مجال في الأردن. وكانت رؤية الإخوان المسلمين، كما علمت، أنهم سيتحركون بديلاً عن البرلمان في نشاطات شعبية مختلفة، منها تفعيل المساجد، ومنها تفعيل الجامعات والعمل الخيري، ولكن كل هذه الميادين أيضاً حوصرت، وتمّ تقليص نشاط حركة الإخوان المسلمين فيها.

أيضاً في أيار/ مايو **1997 أفرج عن الأخ الدكتور موسى أبو مرزوق** من الولايات المتحدة، وكان هناك خطر ملموس في تسليمه إلى العدو الصهيوني، ولا شك أن الملك حسين كان له دور في الإفراج عنه، واستقباله مرة ثانية في عمّان في الأردن.

نعود الآن للتطورات المهمة التي حصلت في شهر أيلول/ سبتمبر 1997، في بداية هذا الشهر تمت عملية استشهادية ناجحة، ربما كانت في القدس، كما أذكر، وأيضاً قبلها كانت هناك عملية ناجحة، وهذه العملية قامت بها وحدة الشهداء في كتائب الشهيد عز الدين القسام لتحرير الأسرى. أي أنهم قاموا بعدة عمليات، الغاية منها إرسال رسائل للعدو الصهيوني، بأنه طالما الأسرى موجودون في السجون، ومن ضمنهم الشيخ أحمد ياسين، فإن عمليات المقاومة ستتواصل.

الاحتكاك مع المخابرات:

يوم الخميس 1997/9/4، على ما أذكر، وكنا في فترة تضييق أمني وإعلامي على الحركة في الداخل والخارج، صرح الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، (وأنا أكِنُّ له محبة خاصة)، وأكد على هذه العملية، وأكد على أهمية إخراج الأسرى، وقلت في نفسي ما دام الدكتور الرنتيسي وهو دائماً يدخل السجون قد صرح بهذا التصريح، فلم لا أصرح به أيضاً من طرفي.

يوم السبت دعوت فضائية ووكالة أنباء رويترز وهي وكالة عالمية، وكان سليمان الخالدي موجوداً، وأما المصور فكان خالد الرمحي، فعملوا مقابلة تلفزيونية، ملخص ما قلته في هذه المقابلة أولاً تحدثت عن حقّ الشعب الفلسطيني في المقاومة، وأنه من حقّ الشعب الفلسطيني أن يردّ على مجازر العدو الصهيوني بعمليات استشهادية، وقلت أيضاً بأن العملية الأخيرة التي تمت يوم 1997/9/4 أي قبل يومين رسالتها التي أرسلها المجاهدون في كتائب القسام للرأي العام الصهيوني أنه طالما أن هناك أسرى فلسطينيين في السجون الصهيونية، لا ينام أهاليهم الليل بسبب تفكيرهم وانشغال بالهم بأبنائهم، فإن على العدو الصهيوني أن لا ينام الليل أيضاً.

عدت بعد ذلك إلى البيت، ومن عادتي أن أستعرض الفضائيات المختلفة وبما فيها فضائية صهيونية هي آي بي إي IBA، تبث باللغة الإنجليزية، كان ذلك قبيل العاشرة مساء، هذه الفضائية بدأت بثها بصورة لي وبهذه الرسالة التي أرسلتها. وفوراً خطر على بالي أن هذا التحريك سيجد صداه هنا في الأردن، هكذا شعرت، وفي الساعة الحادية عشر والنصف تقريباً إذا بطرق على الباب، قلت من؟ قالوا أنا (أ. ث.) و(أ. ن.) نريد أن نشرب قهوة معك، قلت لهم إن الليل متأخر، وإذا أردتم أن تشربوا القهوة معي فأنا موجود في المكتب غداً، وبين أخذ ورد لم أفتح الباب، وقلت لابني في ذلك الوقت اتصل بشخصيتين من الإخوان المسلمين، وقل لهم إن الأجهزة الأمنية تحيط بمنزل الأخ إبراهيم وتحاول اعتقاله، اتصل واستمرت هذه المحاولة فترة. كان الجواب سلبياً بالنسبة للأخوين الذين اتصل بهما ابني، فعندما وجدت بأنه لا توجد نتيجة، وبعد أن كثرت أجهزة الأمن حول البيت، قلت لابني افتح الباب، ففتح الباب ودخلت

مجموعة من أجهزة الأمن المختلفة وعلى رأسها (أ. ث.) و(أ. ن.)، فتشوا جميع البيت وركزا في التفتيش على غرفة النوم، وطبعاً صادروا المسدسين المرخصين، وأحضروا معهم اثنين من شباب الجيران، وعندما تكلم معي ضابط رسمي برتبة ملازم أول وقال لي وقِّع على هذا المحضر، فقرأته وإذا به يتحدث عن أنهم فتشوا البيت ووجدوا فيه مسدساً أوتوماتيكياً ووجدوا ورقة بعنوان "كيف تصنع المتفجرات"، فنظرت إلى هذا الشخص وقلت له أنا لن أوقع على هذه الورقة، وأنا أقول لك بأن هذه شهادة زور فلا تشارك بها، لأن من يشهد الزور كمن يشرك بالله تعالى. هذا الضابط نظر إلى الأرض، وهزته هذه الكلمة، ولم يصرّ علي بالتوقيع، قالوا للشباب وقعوا، فقالا أنتم أحضرتمونا لنوقع أنه لم يحدث كسر زجاج وليس على هذه الأمور، المهم بعد ذلك أخذ هؤلاء الشباب إلى المخفر، وأحضر آباؤهم وضغط عليهم فوقّعوا.

في هذه الفترة أخذتني سيارة مباشرة إلى مبنى المخابرات الجديد في وادي السير، وكان ذلك بعد حوالي ثلاث ساعات. عندما وصلت دائرة المخابرات قال لي الضابط الكبير ماذا تظن نفسك؟ ثلاث ساعات حتى تحضر! قلت له لا يحقّ لكم اعتقالي، فأنا لم أرتكب أي شيء. في مبنى المخابرات وفي أثناء توجهي إلى الزنازين قال لي (أ. ث.) ما رأيك أن توافق على أن توقف تصريحاتك كناطق رسمي، وأنا أعيدك إلى بيتك بسيارتي، فنظرت إليه وقلت له خذني إلى الزنزانة فهذا أفضل. وفعلاً أخذني إلى الزنزانة وأغلق علي الباب، ولمدة 15 يوماً كنت بعيداً عن العالم لا أعلم ما يجري في الخارج، الزنزانة ربما طولها حوالي مترين ونصف وعرضها 170 سم فيها سرير حديدي ومرحاض ومغسلة، وفتحة صغيرة في الباب ليتأكد الحارس من وجودك، وبعد ذلك نقلوني إلى زنزانة أخرى، وكنت لا أعرف مواعيد الصلاة، فكنت أسأل الحارس عن دخول مواعيد الصلاة، وكان رفيقي في هذه الزنزانة هو كتاب الله.

في هذه الفترة جرى تحقيق معي عدة مرات، وكانوا في التحقيق يحاولون أن يتكلموا بأمور تنظيمية وأنا شخصياً لا أتحدث في الأمور التنظيمية، وأحياناً نتكلم في أمور سياسية فقط. أما الطعام فلم أذقه لمدة 15 يوماً وإنما كانوا يشترون لي طعاماً، وهو على حسابي، وعلى الأغلب من النواشف. مدير السجن كان يدعوني كل يوم

لشرب كأس شاي معه، وكنا نتحدث في أمور عامة، ولا يتدخل في قضية سياسية ولا في قضية الاعتقال، في أحد الأيام عندما دعاني وكان عنده ضابطان من الجيش الأردني يحملون رتباً عالية، وأنا ألبس لباس السجن الذي حاولت أن أتلافاه لمدة أربعة أيام، وكان معه جريدة فسألته هل يمكن أن أطلع على هذه الجريدة، قال لا يوجد لدي تعليمات، قلت له أريد أن أعرف أخبار العجوز الشمطاء هل غادرت الأردن أم لا؟ فقال لي من العجوز الشمطاء؟ قلت له مادلين أولبرايت، وزيرة خارجية الولايات المتحدة، السبب الرئيسي في اعتقالي. فضحك هذان الضابطان ولكن لم يعلّقا. وفي إحدى المرات كان يمرّ علي نائب مدير السجن وقلت له أنك تشبه إحدى العائلات في إربد، وقد عشت أنا في إربد لمدة ثلاث سنوات وأعرف العائلات، فتقلص وجهه، في اليوم التالي قال لي مدير السجن ماذا فعلت بنائبي؟ ماذا فعل بك إنه يساعدك. فأجبت: قلت له إنك تشبه عائلة كذا، قال هذا لا يجوز لدينا، وكذلك زارني مندوب الصليب الأحمر. في المرحلة الأخيرة زاد التحقيق معي، وفي يوم الأحد 1997/9/21 صدر الأمر بالإفراج عني، وعلمت عندما عدت إلى البيت مساء يوم الأحد أن اعتصاماً كبيراً من النقابات وفعاليات شعبية حاولت أن تتضامن معي حول بيتي، ولكنها منعت من الوصول إلى هدفها. وعندما أفرج عني زارني الكثير من الإخوة والأحباب واستمرت مقابلاتي للضيوف لمدة حوالي ستة أيام. في اليوم الثالث من عودتي زارني الأخ خالد مشعل وقد كان مسافراً، كان ذلك يوم الثلاثاء، فسألني عن تجربتي في سجن المخابرات فذكرت له ذلك.

محاولة اغتيال خالد مشعل:

يوم الخميس 1997/9/25 وفي أثناء استقبالي المهنئين بإطلاق سراحي اتصل بي أحد الإخوة من المكتب السياسي وقال لي لقد تعرض الأخ خالد مشعل إلى مشكلة، وأدخل الآن إلى المستشفى الإسلامي، وعلمت بعد ذلك أن قوات الأمن أحاطت بالمستشفى الإسلامي، وأصرت على نقل الأخ خالد مشعل إلى مستشفى مدينة الحسين الطبية، ويوم الجمعة صباحاً ذهبت إلى زيارته في المدينة الطبية.

ولكن قبل ذلك لنتحدث عما حصل في ذلك اليوم، كما سمعت وعلمت وقرأت،

كان الأخ خالد مشعل واثنان من مرافقيه، ولم يكونا يحملان أي سلاح، ولكن أحدهما كان رياضياً من الطراز الأول (محمد أبو سيف) وكان صائماً كما علمت في ذلك الوقت، ومقابل عمارة مركز الشامية في شارع الجاردنز كان هناك اثنان كأنهما من السياح، وفجأة هاجم أحدهما الأخ خالد ووضع جهازاً ما تحت أذنه، ثم هربا، يقول أحد الإخوة المرافقين الذي بقي مع الأخ خالد، أن الأخ خالد بعد ذلك صارت تمر به حالة من الغثيان، فنقل إلى المستشفى الإسلامي، حاول الأطباء هناك معالجته فلم يستطيعوا معالجته، وجاء كما ذكرت أمر من الملك بنقله إلى مستشفى مدينة الحسين الطبية. أما محمد أبو سيف فقد ركض وراء هذين الاثنين، وعند محل مطعم السروات كانت سيارة تنتظرهما فركبا بها، فوقف أبو سيف وسط الشارع، وأخذ سيارة خصوصي وقال نريد أن نلحق بهؤلاء لأنهم اعتدوا على شخص، وقطع المسافة، قال بأن السيارة التي كان بها هذان العميلان، نزلا منها ولم ينتبها بأن وراءهما أبو سيف، وذهبت تلك السيارة بالجهاز الذي استخدم ضدّ مشعل، وعلى الأغلب إلى السفارة الإسرائيلية في منطقة الرابية، وهما توجها إلى شارع المدينة، لحق بهما إلى هناك أبو سيف، وبدأ معركة من الملاكمة والكراتيه والحجارة وكانت صعبة جداً، وذكر لي الأخ أبو سيف أنهم كانوا يضربونه بالحجارة حتى يكاد يغيب عن الوعي ولكنه كان يرد عليهم، ثم أخذ أبو سيف أحدهما وتمترس به، فكان الآخر يوجه اللكمات فيصيب رفيقه. في هذه الأثناء بعد أن استهلك أبو سيف واستهلك هؤلاء الاثنان، سخر الله سبحانه وتعالى له ضابطاً في جيش التحرير الفلسطيني اسمه بدر ابن قائد جيش التحرير الفلسطيني نعيم الخطيب، هذا الشاب استمع لأبي سيف وهو يقول إن هؤلاء موساد هؤلاء حاولوا اغتيال خالد مشعل، ففهم القضية وقال للثلاثة تعالوا معي فأنا ضابط أمن، وأخذهم بالسيارة، وسلمهم إلى مخفر بيادر وادي السير. إلى هنا هذه قصة أبو سيف. وقد زرته يوم الجمعة في المستشفى وقد كانت عليه آثار ضربات في رأسه، وأخذ عدة غرز وكان متورماً من الضرب، وكان يبتسم، فقلت له كيف استطعت أن تقف أمامهم وأنت صائم، قال لقد جاءتني قوة ربانية من الله سبحانه وتعالى.

نعود إلى الأخ المجاهد خالد، ذهبت لزيارته صباح يوم الجمعة، في مستشفى المدينة الطبية، كان في فمه مثل الصفارة من أجل الهواء، والتنفس متصل بجهاز، ووضعه سيء، كان يغالب سكرات الموت، مكثنا حوله، وحضر الأطباء وكان الأطباء يعالجونه ولكن دون أن يتكلموا بأي شيء، وجاء والده وأهله، وجاء الإخوان وجاء أعضاء الحركة، وأذكر فيمن زاره بعد ذلك عدد من أعضاء الكنيست العرب.

يوم الجمعة عدت إلى البيت بعد الظهر، واستمر مجيء الزوار للتهنئة بالإفراج عني، وممن زارني، وهذا أذكره للتاريخ الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني، قال لي كيف حال أبو الوليد؟ قلت له حاله صعب جداً، ويقول بعض الأطباء بأنه لا يمكن معالجته إلا إذا عرفت المادة التي ضخت في جلده تحت أذنه بواسطة الجهاز إياه، فتأثر كثيراً وقال أنا سأسأل. اتصل بي مساء الجمعة وقال لي، بعد أن غادر وسأل من بيته، سألت الدكتور أشرف الكردي وزير الصحة، وقال لي إن الجهاز الكيماوي هو موجود مع الأجهزة، وسيتم إن شاء الله التعرف على هذه المادة. يوم السبت عندما زرنا خالد منعونا من الزيارة، وعندما زرناه يوم الأحد بدأ خالد يعود يتنفس تنفساً طبيعياً، وكانوا قد نزعوا عنه التنفس الاصطناعي، وبدأ يعود للحياة شيئاً فشيئاً، حتى صحا تماماً يوم الأحد والإثنين، وبدأنا نتحدث معه يوم الاثنين بكل وضوح. وقلت له هل أستطيع أن أعود وأباشر نشاطي الإعلامي، قال لي توكل على الله، صرحت بأول تصريح لي بعد أسبوع، وكان هذا التصريح لوكالة الأنباء القطرية، وقلت فيه إن ما قام به الصهاينة من خلال العميلين لا يسكت عليه، ويجب أن يقدما إلى المحاكمة، وبعد ذلك، بعد أن يحاكما ويودعا السجن، لا مانع من إجراء مفاوضات مع العدو الصهيوني لإطلاق سراح هذين العميلين من الموساد مقابل إطلاق الشيخ أحمد ياسين، وكل المعتقلين في السجون الصهيونية. قال لي مندوب وكالة الأنباء القطرية هل من المعقول أن يتمّ إطلاق سراح جميع المعتقلين من السجون الصهيونية؟ قلت له نعم لأن هؤلاء الاثنان من الموساد، وثمن الموساد أكثر كثيراً من الجندي الصهيوني العادي، وذكرت له أن القائد أحمد جبريل ومقابل جنديين يهوديين أطلق سراح 1,200 أسير سنة 1985، ومن الممكن تنظيف السجون

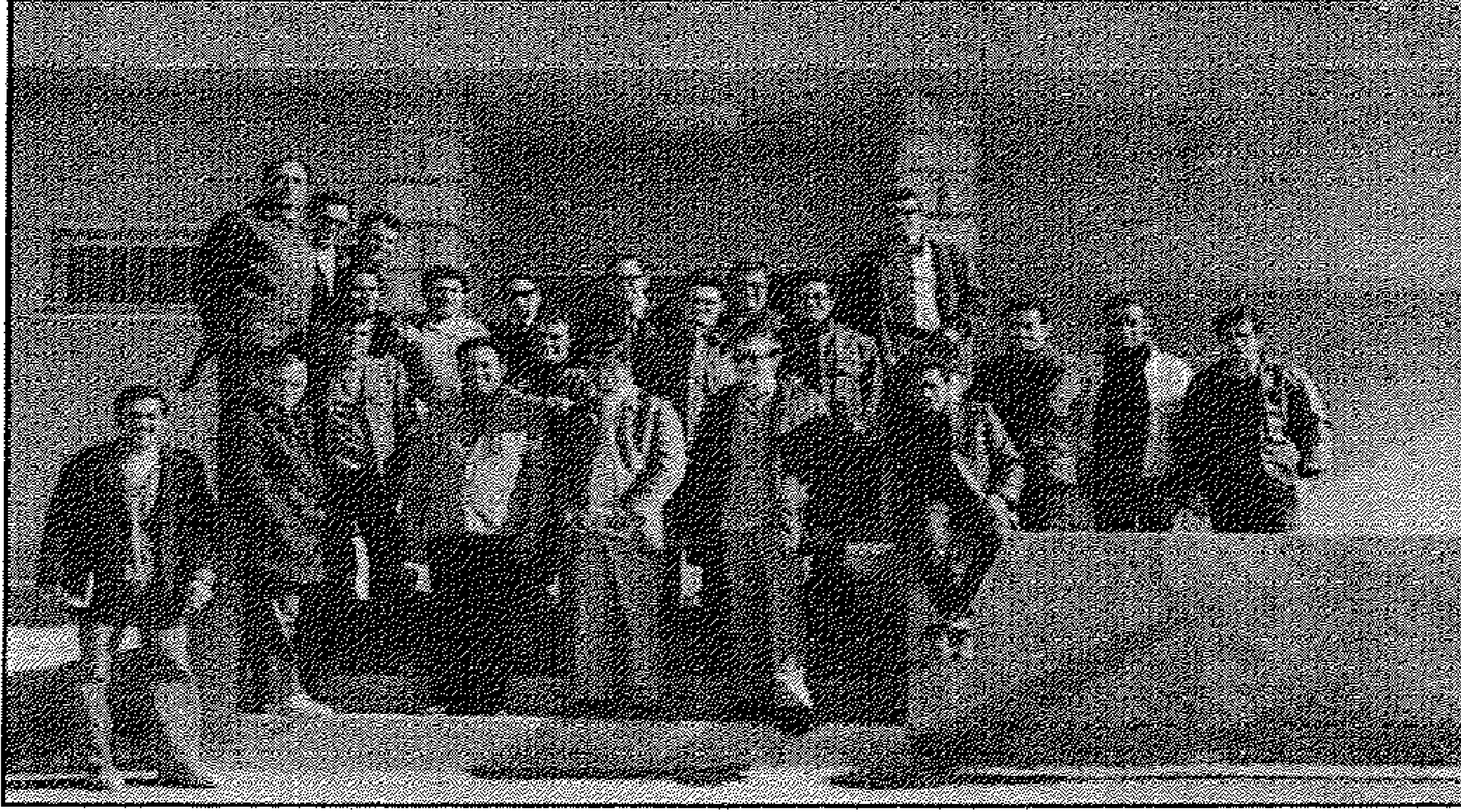
جميعها، في هذه الفترة اتصل أحد أعضاء المكتب السياسي (قبل أن يصحو الأخ خالد) بالبطيخي، وقال له نحن لا نوافق على الإفراج عن هؤلاء العملاء إلا بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين وعدد كبير من الأسرى. في البداية قال له إن هؤلاء ليسوا صهاينة، وذلك في بداية عملية الاغتيال، وأنه تمّ الكشف عليهما وتبين أنهما غير مختونين مما يدل على أنهما ليسا يهوديين، ربما يكونان من المسيحيين المتعصبين للصهاينة. هذه الدعايات التي كانت تروج في ذلك الوقت للأسف، وهي مكذوبة، عن طريق البطيخي، وهو الذي أوعز لسمير مطاوع وزير الإعلام آنذاك بأن ما جرى ليس اعتداء على خالد وإنما مهاوشة بين مرافقي مشعل وبين سائحين كنديين.

نعود للقصة، الملك حسين غضب غضباً شديداً عندما تمت العملية في أرض الأردن في أيلول/ سبتمبر 1997 بعد ثلاث سنوات من عقد اتفاقية وادي عربة، وهو تدخل وقح في السيادة الأردنية، وأرسل إلى كلينتون وقال له حياة خالد مشعل في كفة، واتفاقية السلام في المنطقة بما فيها اتفاقية السلام في الأردن في كفة أخرى. وتحرك في هذه الفترة نتنياهو، وقد كان رئيساً لوزراء العدو الصهيوني، فوعد بإرسال المادة المضادة للتسمم الكيماوي Anti Dot، ويقال بأن هذه المادة كانت مع دكتورة، وكانت تقيم في فندق الأردن في عمّان، ويوم السبت أُعطيت للأخ خالد قبل الظهر، بعد أن أخلي المستشفى من جميع أقاربه وأصدقائه، وعندما ذهبنا إليه يوم الأحد كان قد عاد إليه التنفس الطبيعي. في هذه الفترة حسب الروايات أن أفراهيم هاليفي، وهو شخصية صهيونية عمل في الموساد سابقاً، وبعد عملية خالد مشعل استلم الموساد مرة أخرى، وتقول المعلومات بأنه على صداقة مع الملك حسين، جاء إلى عمّان وقابل الملك حسين، وأعطى موافقة بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين مقابل الإفراج عن هذين العميلين، وفعلاً أعلن بعد ذلك بأن الأردن سيستقبل الشيخ أحمد ياسين، وقد جاء إلى الأردن ونزل في مدينة الحسين الطبية، وأفرج عن هذين العميلين وغادرا إلى الكيان الصهيوني، مع أننا كنا نتوقع أن تبيض كل السجون في فلسطين.

عندما جيء بالشيخ أحمد ياسين كان وضعه الصحي قلقاً، فوضع في مستشفى المدينة الطبية، وأجريت له فحوصات كاملة. ولقد زرته عدة مرات بعد

أن زاره الملك حسين وزاره ياسر عرفات، وبعد أن زاره ياسر عرفات قال للإعلام كنت أنا والشيخ أحمد ياسين في صفّ واحد. وعندما زرت الشيخ أحمد ياسين في إحدى المرات نظرت إلى الخارج فرأيت صحافية ذات شعر أشقر، ومن قراءاتي للجرائد العبرية عرفت أن هذه صحافية يهودية اسمها سميدار بيري وتعمل لجريدة يديعوت، فدخلت إلى الشيخ وقلت له احترس أيها الشيخ هناك صحافية يهودية، فرفض مقابلتها. المهم قلت له يا شيخ أحمد إن عرفات يقول في تصريح صحفي إنه يعرفك منذ أن كنتما في صفّ واحد، ضحك وقال لم نكن في صفّ واحد، ولم نكن في مدرسة واحدة. بعد ذلك أقيم مؤتمر صحفي كبير للشيخ أحمد ياسين، ووجه له الصحافيون الأسئلة، وكان عضو المكتب السياسي الأخ محمد نزال يرفع الصوت وهو ذو صوت جهوري بكل إجابات الشيخ أحمد ياسين، وبعد ذلك تمّ نقله بطائرة هليوكبتر وودعناه ومرافقه الذي جاء معه إلى قطاع غزة. هناك في قطاع غزة استقبل الشيخ أحمد ياسين استقبالاً جماهيرياً كبيراً، وخطا الخطوة الأولى في قطاع غزة بعد الإفراج عنه بعد أن اعتقل منذ العام 1989 حيث حكم عليه سنوات طويلة.

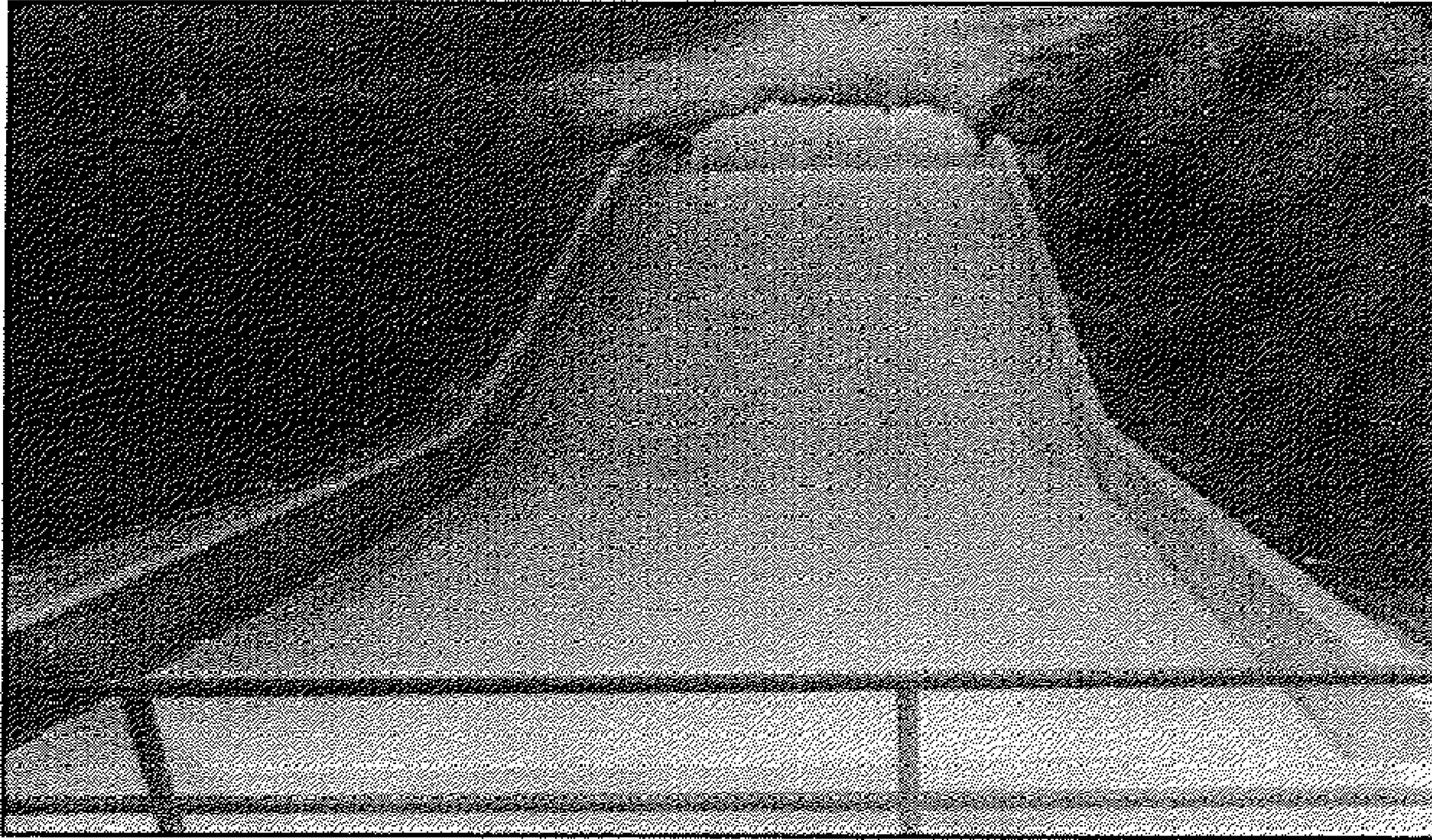
استأجرنا بيت الشيخ غازي أبو سماحة في عمّان لاستقبال الزوار للسلام على الأخ خالد مشعل واستقباله للصحافيين الذين أتوا زرافات ووحداناً، وتحدث الأخ خالد، وأصبح الأخ خالد يتكلم بقوة لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه عمراً جديداً، لدرجة أن رندة حبيب مندوبة وكالة فرانس برس في عمّان عقبت أمامه، وكنت موجوداً، بأن تصريحاتك أصبحت أشد من تصريحات الأخ إبراهيم. بعد ذلك في أوائل شهر تشرين الثاني/ نوفمبر قال لي الأخ خالد سنذهب لزيارة الملك حسين لشكره على مجهوداته وموقفه المشرف، سأذهب أنا والوالد قلت له توكل على الله، قال لا، نريدك أن تذهب معنا. ربما كان الأخ خالد يريد أن يمسح ما حصل من اعتقال لي قبل شهرين، فذهبت معهم إلى القصر الملكي، وهناك استقبلنا جنرال أردني اسمه شكري، وهو جنرال طويل القامة، استقبلنا بحفاوة ورحب بنا، وبعد فترة جاء الملك حسين وجلس معنا وتحدث والد خالد مشعل وشكر الملك، وألقى كلمة أمامه، وتكلم الأخ خالد، كما تحدث الملك بعطف مع الأخ خالد.



مهندسو الإشراف على سدّ الملك طلال، أردنيون ويوغوسلاف، سنة 1973.



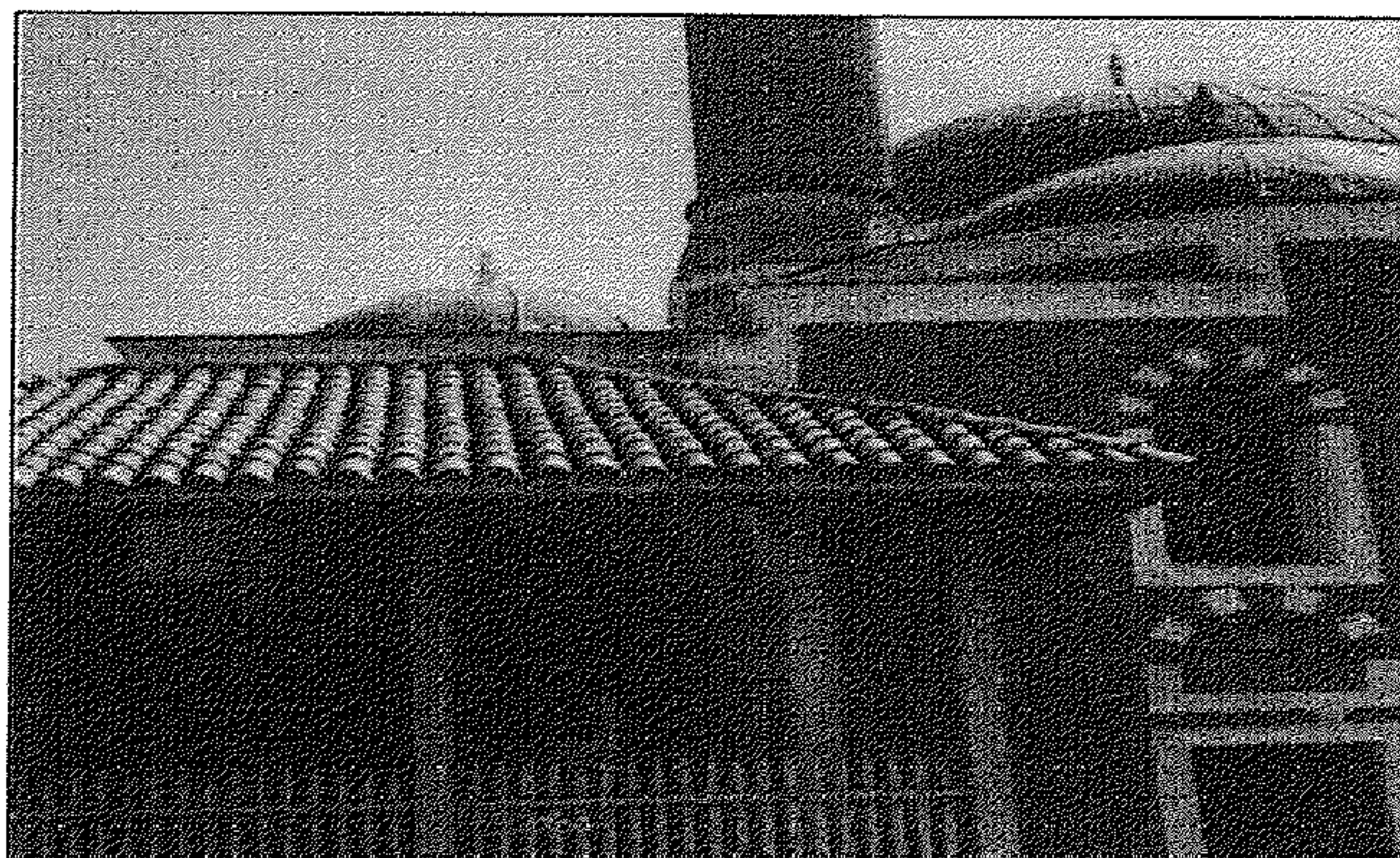
مع مهندسي سلطة وادي الأردن، سدّ الملك طلال، سنة 1977.



مهرب سدّ الملك طلال، سنة 1978.



أمام بحيرة سدّ الملك طلال، سنة 1978.



مسجد رودس، سنة 1979.



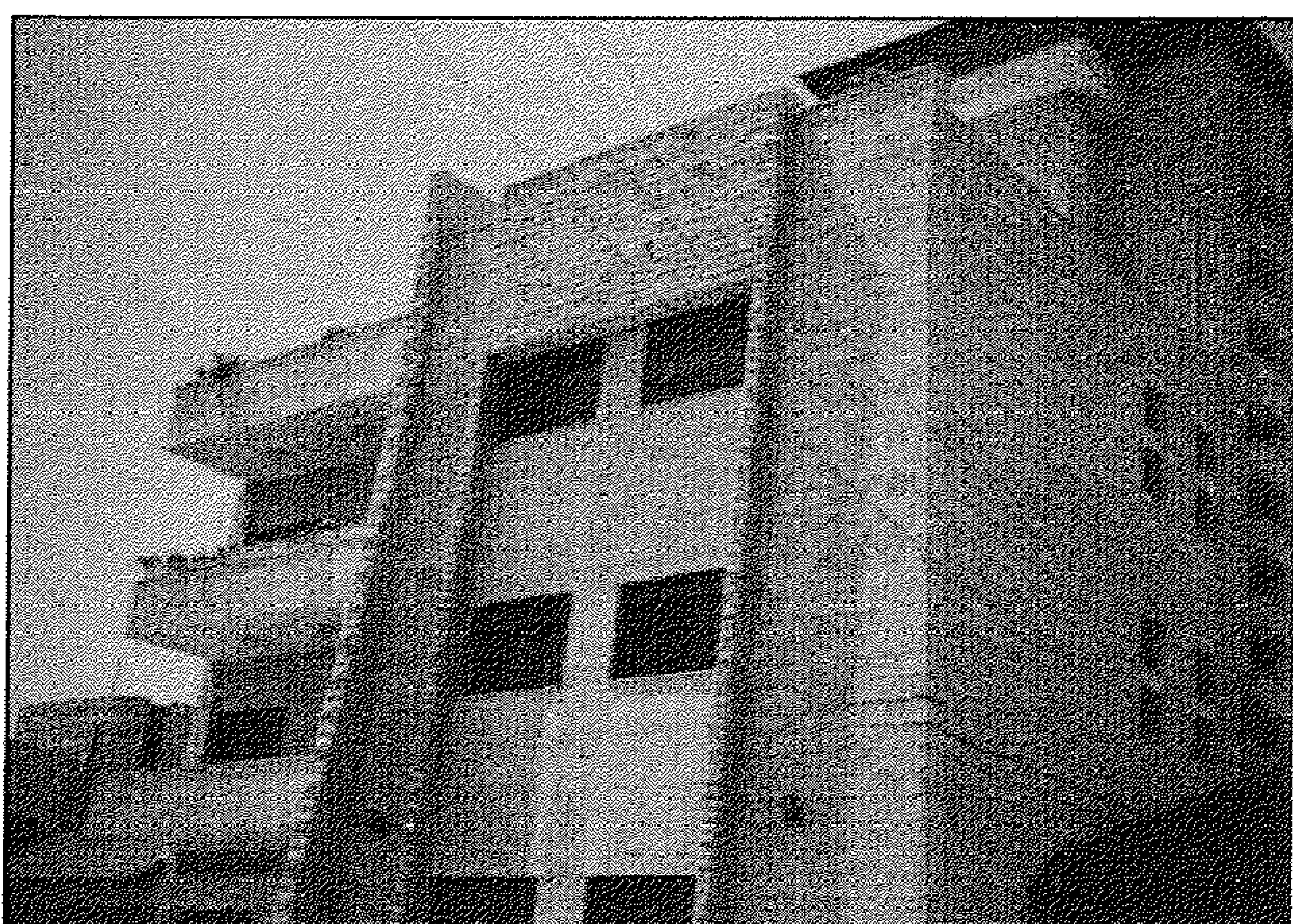
التصميم والإشراف على مشروع الرازي للإسكان، سنة 1979.



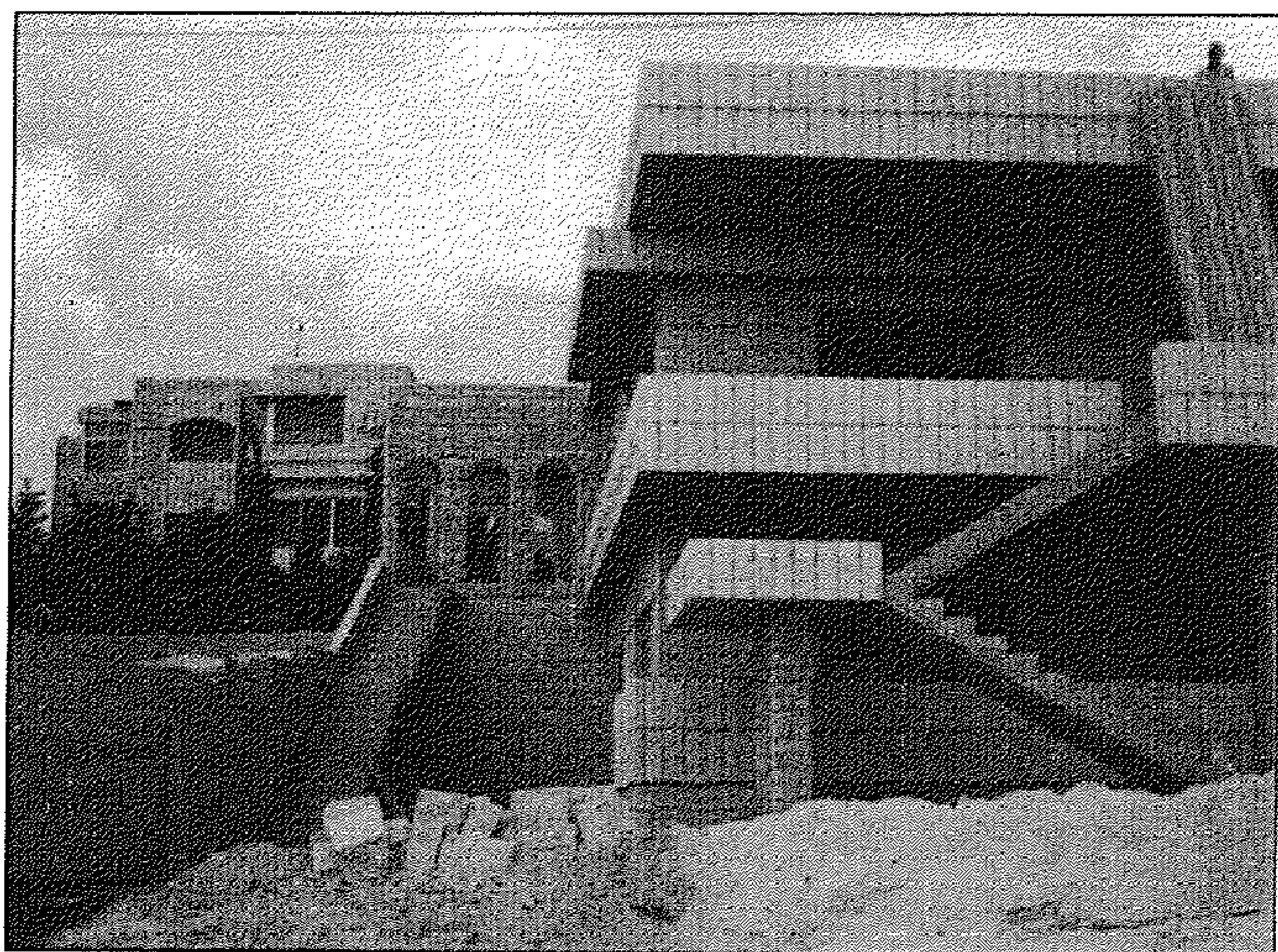
مشروع إسكان الرازي، تلاع العلي، سنة 1980.



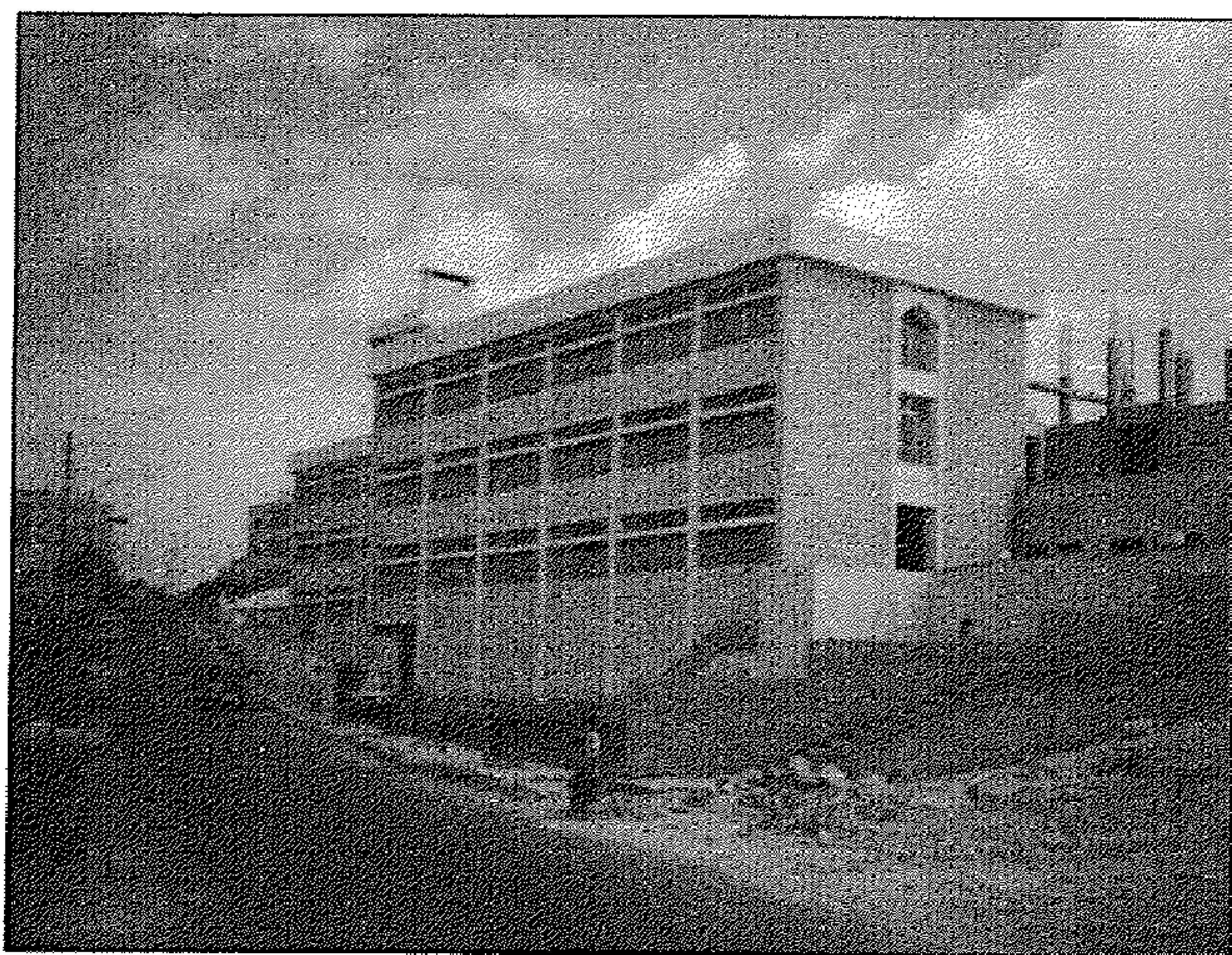
مشروع إسكان الرازي، تلاع العلي، سنة 1981.



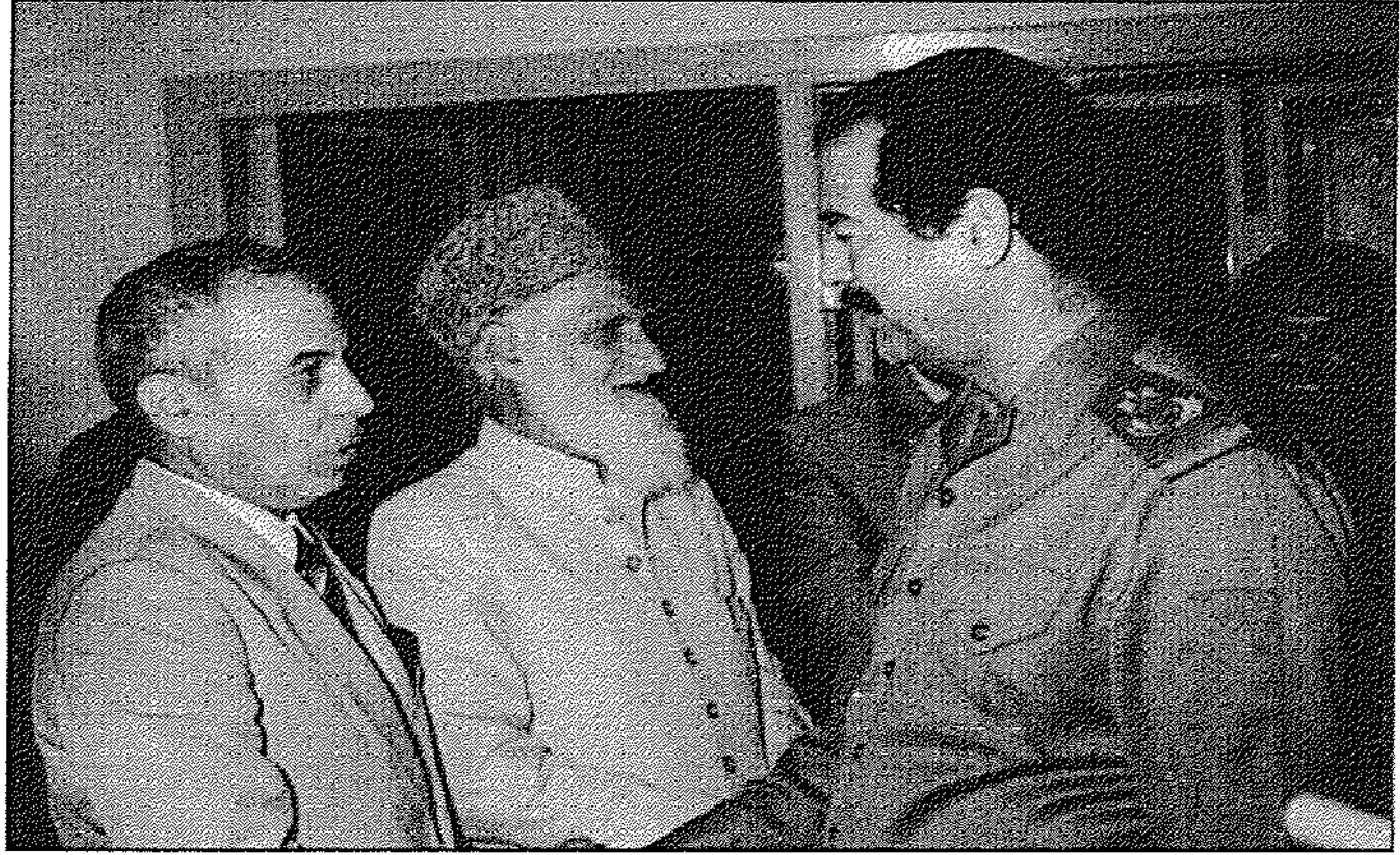
أحد المباني التي صممها وأشرف عليها إبراهيم غوشة في الشميساني، عمّان، سنة 1983.



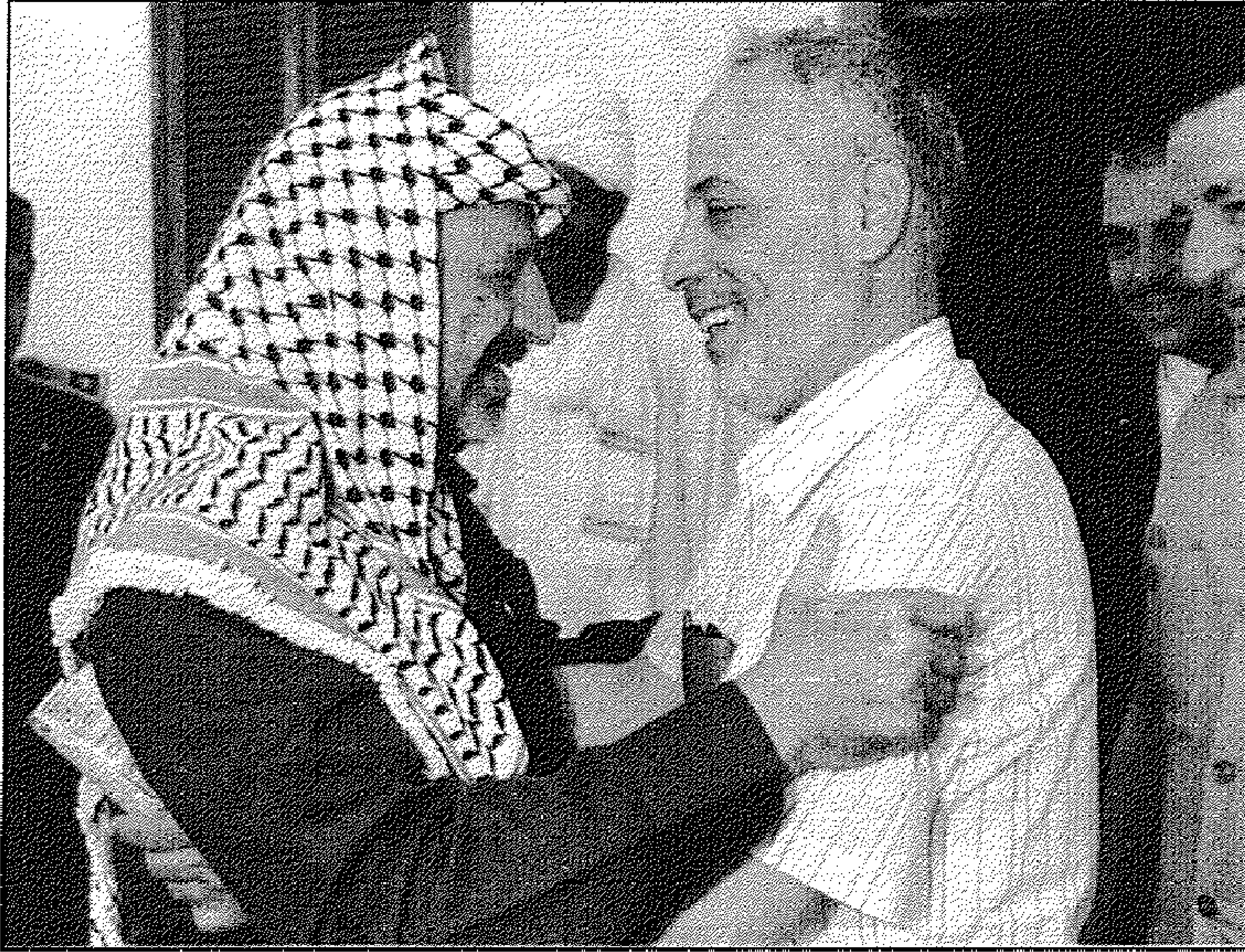
من المباني التي صممها وأشرف عليها إبراهيم غوشة، سنة 1985.



الإشراف على إنشاء مباني مدارس الأرقم، سنة 1985.



وفد الحركات الإسلامية إلى العراق، أيلول/ سبتمبر 1990.



مع ياسر عرفات، في المؤتمر القومي الإسلامي باليمن، آذار/ مارس 1991.



في إحدى ندوات نقابة المهندسين في الأردن، سنة 1994.



في مؤتمر حزب الرفاه في تركيا، تشرين الأول/ أكتوبر 1996.



في مؤتمر حزب الرفاه التركي، مع أربكان، تشرين الأول/ أكتوبر 1996.



كلمة حماس في مؤتمر حزب الرفاه، تشرين الأول/ أكتوبر 1996.



في مؤتمر حزب الرفاه في تركيا، تشرين الأول/ أكتوبر 1996، برفقة ماهر عبد الله رحمه الله.



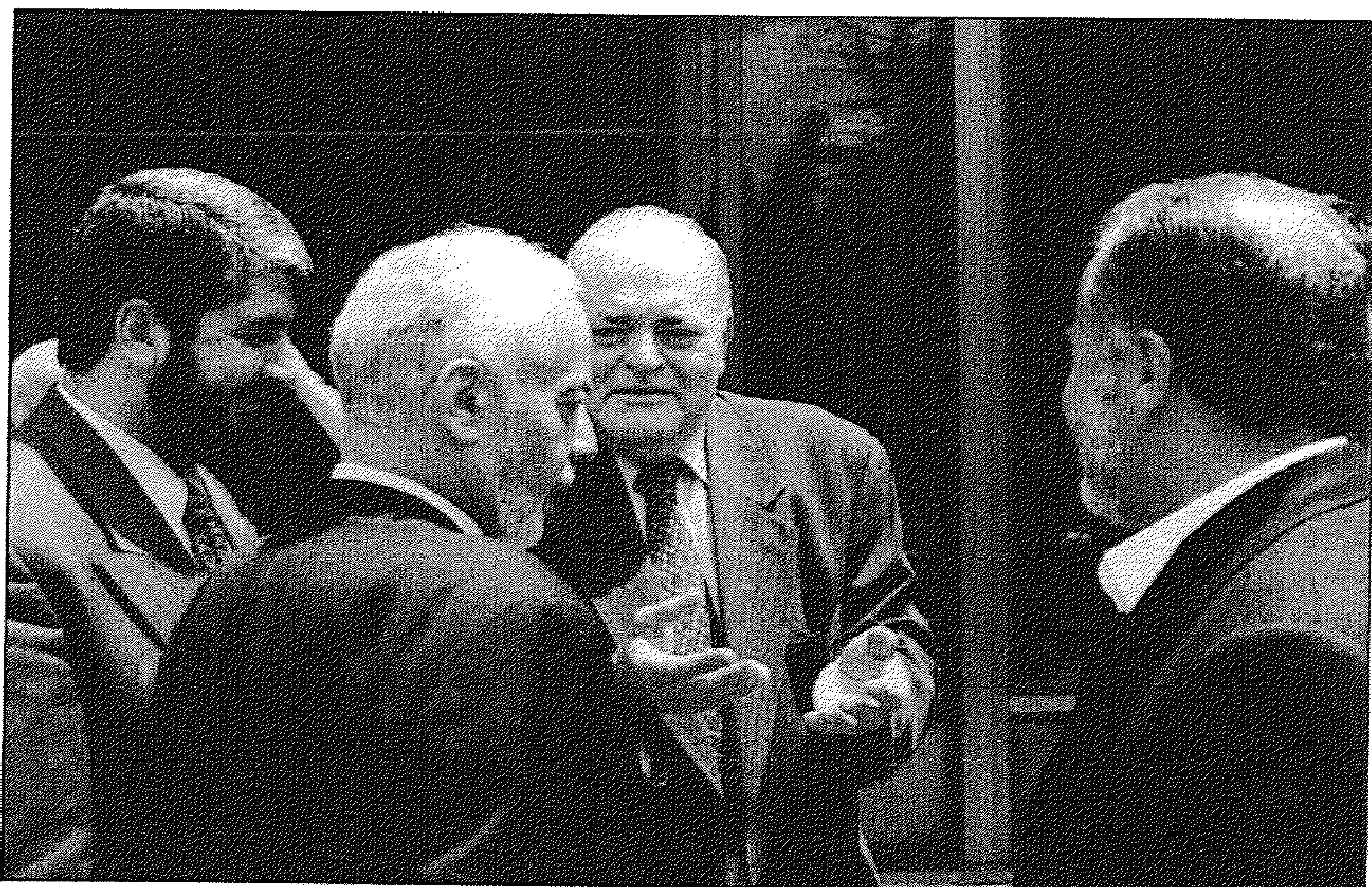
إحدى محاضرات نقابة المهندسين،عمّان، سنة 1997.



مؤتمر الدفاع عن القدس، عمّان، في 20–21/8/1997.



برفقة الشيخ أحمد ياسين في زيارة للسيد أحمد جبريل، دمشق أيار / مايو 1998



بعد مقابلة الرئيس حافظ الأسد مع خالد مشعل وعصام القاضي وأبو محمد مصطفى، دمشق، سنة 1998.



تكريم السفراء العرب للشيخ أحمد ياسين في دمشق، أيار/ مايو 1998.



لقاء الشيخ أحمد ياسين مع السيد حسن نصر الله، أيار/ مايو 1998.



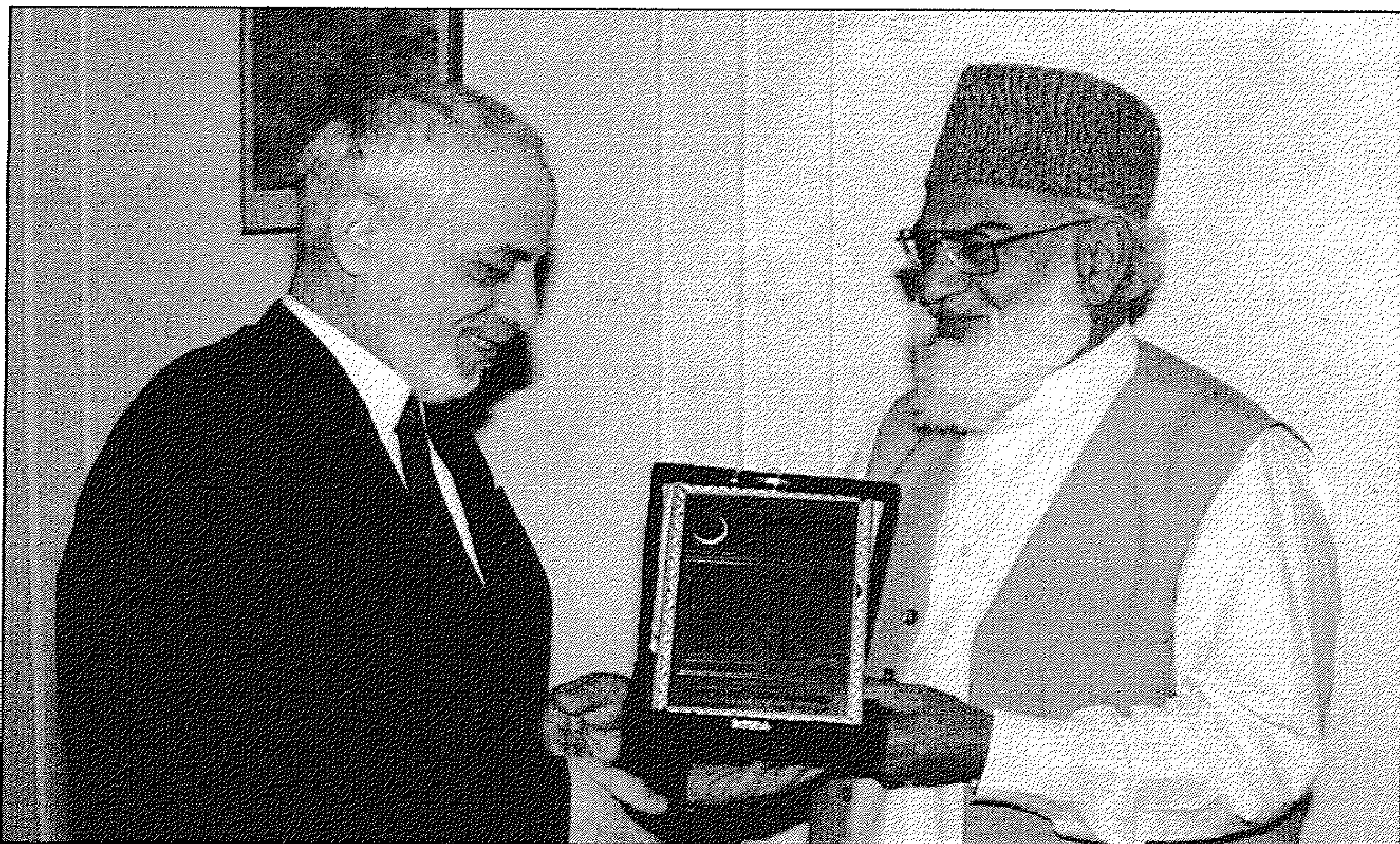
استقبال الشيخ أحمد ياسين للرفيق جورج حبش، دمشق، أيار/ مايو 1998.



لقطة مع أحمد ياسين وخالد مشعل، بجانب قبر صلاح الدين الأيوبي، دمشق، أيار/ مايو 1998.



في أثناء انعقاد مؤتمر الجماعة الإسلامية في الباكستان، إسلام آباد، تشرين الأول/ أكتوبر 1998.



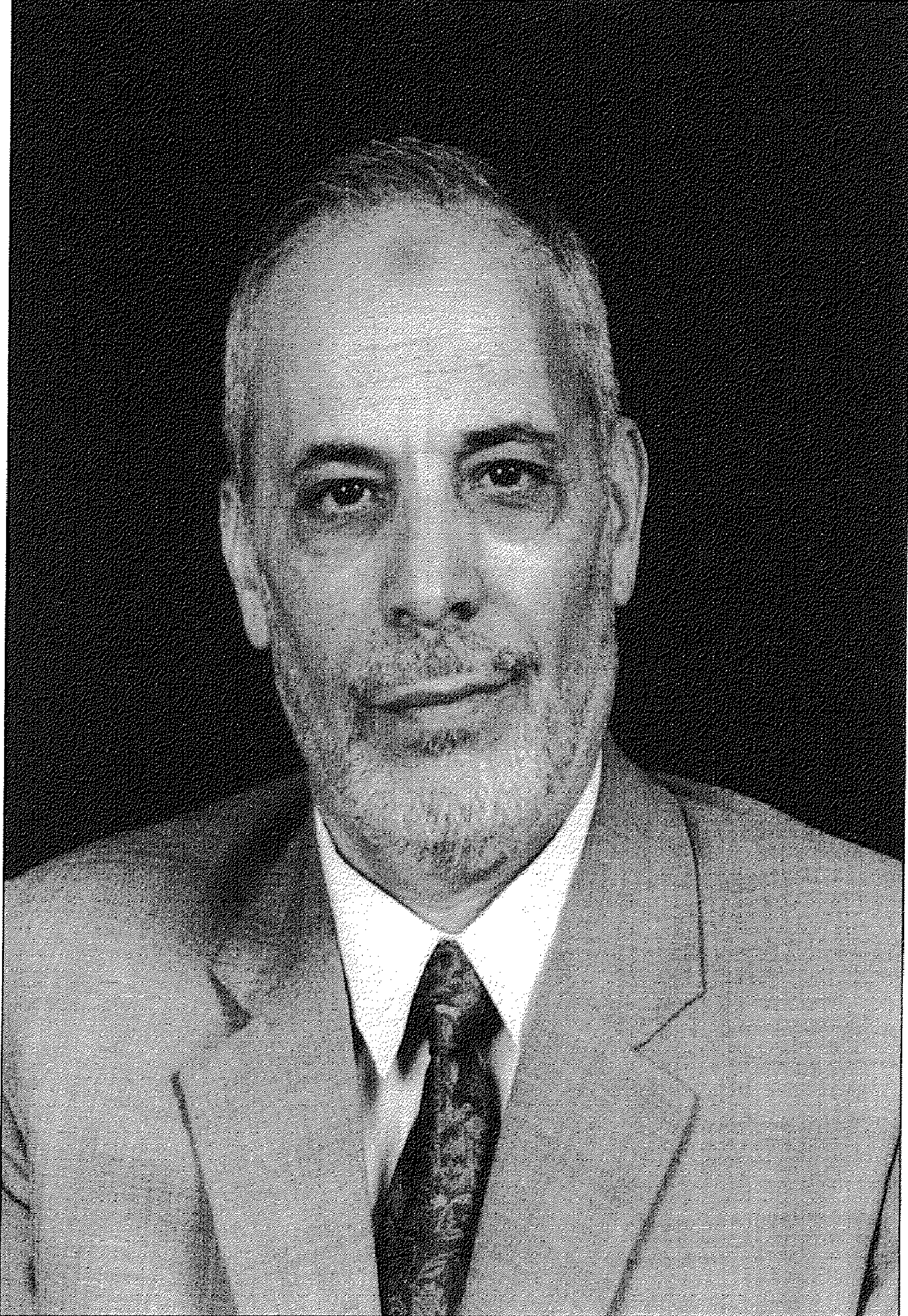
استلام درع تذكاري من قاضي حسين، أمير الجماعة الإسلامية في الباكستان، في أثناء انعقاد مؤتمر الجماعة الإسلامية، تشرين الأول/ أكتوبر 1998.



حفل تكريمي بعد العودة للأردن، سنة 2001.



مسيرة إسلامية في عمّان، 2002.



إبراهيم غوشة

التطورات في الأردن سنة 1998:

في سنة 1998 جرت مفاوضات واي ريفر في أمريكا، أولاً على الجانب السوري ثم على الجانب الفلسطيني، واستمرت لفترة طويلة ولم تنجح في الجانب السوري. وعقدت اتفاقيات مع الفلسطينيين في واي ريفر استكمالاً لاتفاقية أوسلو. في هذه الأثناء جاءت دعوة إلى حركة المقاومة الإسلامية حماس لمؤتمر الجماعة الإسلامية في إسلام أباد في باكستان في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1998، فكلفني المكتب السياسي بتلبية هذه الدعوة، وفعلاً سافرت إلى إسلام أباد، وكانت أول مرة أدخل فيها إسلام أباد. في هذه الزيارة أقيم مؤتمر كبير قرب مسجد الملك فيصل في إسلام أباد، وهو مسجد كبير، وطرازه المعماري من الطراز الأول، وأقيم المؤتمر بقربه، حيث حضره مئات الألوف من الباكستانيين من الجماعة الإسلامية، وتكلم القائد قاضي حسين ودعا إلى نصرة القضية الفلسطينية، وجمعوا تبرعات للقضية الفلسطينية، وكان هناك كلمة أيضاً من الشيخ أحمد ياسين عبر الهاتف، وتكلم كثير من قادة العالم الإسلامي، وطلب مني أن ألقي كلمة قصيرة. بعد هذا الاحتفال دعيت إلى وليمة أقامها رئيس الجامعة الإسلامية في إسلام أباد الدكتور العسال وهو مصري يقيم هناك، وهو شخصية محببة ومتعاطف جداً مع الجهاد في فلسطين، وقد تحدثت له عن تطورات القضية الفلسطينية. وهناك قابلت عدداً من شباب الحركة الإسلامية، من الشباب الواعد المتفهم، وجزء من هؤلاء الشباب أخذوا بعد ذلك يعملون مع الفضائيات. وهناك التقيت بأخ عزيز علي لم أره منذ 1966 عندما كنت أعمل في الكويت، وقبلها سنة 1956 رافقته في التطوع للدفاع عن مصر في أثناء العدوان الثلاثي، وهو الدكتور سعيد الهليس. وهؤلاء الشباب رتبوا لي مؤتمراً صحفياً في أحد فنادق إسلام أباد، تحدثت عن تطورات القضية الفلسطينية وعن قرارات واي ريفر، وأوضحت موقف حركة حماس منها بكل قوة، وبثتها وكالة رويترز عالمياً.

بعد عودتي إلى الأردن كانت الأجواء تزداد توتراً في الساحة الأردنية، وكان البطيخي يزيد الأمور توتراً أيضاً، وأذكر أن الأخ خالد مشعل حاول أن يذهب إلى دمشق فأعيد من الحدود الأردنية.

وعقد ملتقى وطني في المركز العام للإخوان المسلمين، وكان هناك حظر على حركة حماس في الإدلاء بأي تصريح، قال لي الأخ خالد أريدك أن تمثلني في الملتقى الوطني في المركز العام، ذهبت إلى المركز العام وكانت هناك شخصيات وطنية مختلفة، وكان بجانبي المجاهد الكبير بهجت أبو غربية، وأثناء جلوسي قبل أن ألقي كلمتي قيل لي بأن المراقب العام يريدك، فذهبت إليه، قال لي، وكان حوله عدد من أعضاء المكتب التنفيذي، نحن لا نرغب بأن تلقي كلمة، لأنك ربما تعتقل بعد خروجك من هنا، قلت له إن هذا هو موقف حركة حماس، وقد كلفني رئيس المكتب السياسي، وليس لي إلا أن ألقي هذه الكلمة، وأنا والحركة نتحمل المسؤولية، أحد الحاضرين قال بما أن الأخ إبراهيم سيتحمل المسؤولية فلا مانع من ذلك. وألقيت كلمة حول اتفاقية واي ريفر، وأوضحت موقف الحركة منها، وعندما تكلم بهجت أبو غربية أشاد بموقف حركة حماس وتمسكها بخيار المقاومة.

في اليوم الثاني، وكما هو متوقع، تمّ **استدعائي إلى دائرة المخابرات**، قابلت هناك السيد (أ.هـ) وتحدثنا وعاتبني على اللقاء الذي تمّ قبل يوم، وشرحت له، وبعد قليل قال لي رافقني إلى مقابلة مسؤول آخر، دخلنا على هذا المسؤول وتركت وحدي معه، لم أعرف هذا المسؤول، ولكن فيما بعد علمت أنه مدير المخابرات الذي جاء بعد البطيخي وهو سعد خير، أي أنني قابلت نائب مدير المخابرات. قال لي نحن حظرنا عليكم أن تصرِّحوا، فكيف صرّحت في المركز العام للإخوان المسلمين؟ قلت له أنا لم أصرح للإعلام، أنا ألقيت كلمة أمام الجمهور، قال كان هناك تلفزيونات، قلت أنا لم أتوجه مباشرة إلى هذه التلفزيونات، قال إنك تحرجنا في الأردن، وأنت تحرج الأردن. قلت له أنا لا أحرج الأردن، لا بل خدمت الأردن ربما أكثر من كثيرين، احتدت الأمور بيني وبينه، وكنت أشير إلى قيامي المشرف ببناء سدّ الملك طلال لمدة سبع سنوات، وهو أكبر مشروع تنموي في الأردن، قال إذن لماذا لا تكون متفهماً لمصلحة الأردن، وأنت ابن شقيق الشيخ عبد الله غوشة أحد رجالات الأردن الكبار؟ قلت له إنني أحب الأردن وأحب فلسطين، ونحن في حركة حماس حريصون على ثرى الأردن كما أننا حريصون على ثرى فلسطين، هذه المعادلة نحن لن نتخلى عنها، أنتم وقّعتم هذه الاتفاقية التي نحن لا نرضى عنها، ولا الشعب الأردني يرضى عنها، وبعد ذلك أُذِنَ لي بالخروج، وانتهت هذه المقابلة. لم أره بعد ذلك بتاتاً حتى

عندما حضرت سنة 2001، التي سيأتي ذكرها لاحقاً، لم أقابله بتاتاً. وفي عهده طبعاً تمت محاكمة البطيخي في قضية فساد كبرى؛ حيث تأكد أن البطيخي قد اختلس حوالي 17 مليون دينار من جيوب الشعب الأردني، وهذه سيأتي ذكرها.

في هذه الفترة بدأت تطفو على السطح بعض **التباينات بين سياسة قيادة الإخوان المسلمين وبين سياسة حركة حماس**، وكان هناك في الإخوان المسلمين خطّ يدعو إلى أن يكون الهمّ الداخلي المحلي، أي البعد الأردني، هو همّ الإخوان، ويجب أن لا يستغرق الإخوان المسلمون في البعد الفلسطيني أو غيره، وأن يركزوا على البعد التربوي والاجتماعي والخيري، والبيئي. وللأسف عندما كانت الحركة تتعرض لضربة شديدة سنة 1999 كان هذا الخطّ يعمل ضدّ هذه الحركة بالتأليب والتحريض. المهم أن هذا التباين ازداد بين قيادة الإخوان وحماس، وكان من نتيجته فيما بعد عدم السماح للأخ خالد مشعل باستعمال غرفة في المركز العام كمكتب خاص له، وقد انتزعت منه.

في هذه الفترة ظهرت **قضية** (ع. ن.) وهو ممن كانوا في الكويت، وجاء إلى الأردن بعد احتلال الجيش العراقي للكويت، وتمّ استيعابه في حركة حماس، وعمل مع رئيس المكتب السياسي في ذلك الوقت موسى أبو مرزوق، وانتدب كضابط ارتباط بين حركة حماس، في ذلك الوقت عندما كان لها مكتب معلن، وبين المخابرات الأردنية. ولكن بسبب شخصيته غير المتوازنة (وقد أكد لي آخرون ممن يعرفونه في الكويت بذلك، بأنه كان من الخطأ استيعابه في حركة حماس) فقد تفجّر خلافٌ بين مكتب حماس وبين إدارة المخابرات. ثم اعتقل هذا الشخص، وتعرض إلى أمور معينة، جاء وحدّث الأخ خالد مشعل بها؛ والأخ خالد حدّث بها الإخوان المسلمين، وصدر بيان باستنكار ما حصل معه، والإخوان كانوا متضامنين في هذه الفترة. ولكن بعد فترة، وبعد أن أفرج عنه، ارتد على ما قاله، وزعم بأن ما قاله كان بطلب من خالد مشعل، والأخ خالد أوضح موقفه للإخوان، وقال إذا كان هناك أدله لدى (ع. ن.) فليقدمها، لكنه لم يقدم أي أدلة.

في هذه الفترة بدأت تظهر مقالات في الجرائد، بعضها جرائد أردنية وبعضها جرائد تصدر في الخارج. ظهرت حوالي أربعة مقالات تهاجم حركة حماس، والأخطر منه أنه كان يرد في هذه المقالات أسماء قيادات لم تكن معلنة، ولا معروفة من حركة حماس

ونزلت بالأسماء الحقيقية، ونحن عرفنا أن وراءها هو (ع. ن.)، بالنسبة لحركة حماس فقد حاكمت هذا الشخص وقررت فصله، ولكن الإخوان للأسف تلكأوا في فصل هذا الشخص، وزادت الفجوة بين الإخوة في حماس والإخوة في قيادة الإخوان.

كان هناك عدد من الحوادث المهمة التي كانت تركز على استهداف الحركة، وخاصة في الضفة الغربية، وإذا حاولنا أن نجد شبكة تصل بين ما كان يجري في قطاع غزة وما يجري في الضفة الغربية وما يجري في الأردن، نجد أن الحملة ضد حماس كانت مستمرة منذ سنة 1996 حتى وصلت ذروتها سنة 1999 باعتقال رئيس وأعضاء المكتب السياسي وإبعادهم من الأردن. وفي هذا العام كانت الحملة شديدة لتصفية الكوادر وقيادات القسام في الضفة الغربية، بدأ ذلك في شهر آذار/ مارس 1998 عندما تمّ اغتيال وتصفية القائد الشهيد محيي الدين الشريف. وقد كان لي اطلاع على هذه القضية، حيث أسند لي ولأحد الإخوة من المكتب السياسي دراسة التقارير التي كانت تردنا من الضفة الغربية من منطقة رام الله بتفصيلات ما حصل مع محيي الدين الشريف، وهو يعتبر القيادي رقم 2 بعد الشهيد يحيى عياش وكان خبيراً بالمتفجرات.

ما حصل أن الإعلام تحدث عن انفجار في ضواحي رام الله، واستشهد فيه محيي الدين الشريف، هذا ما أعلن ولكن مع البحث والتنقيب فإن ما جرى هو اعتقال محيي الدين الشريف على يد الأمن الوقائي في مدينة رام الله، وتعرضه لتعذيب شديد توفي على أثره، وحتى يغطي الأمن الوقائي، قام بمسرحية تفجير سيارة، وادعى أن هذه السيارة فجرت بمحيي الدين الشريف، ومن هذه التقارير التي اطلعنا عليها كان هناك أسماء محددة ومعينة، فمن قام بالتفجير أتي به من منطقة نابلس، ومن هي المجموعة التي كانت قريبة من محيي الدين الشريف وتدعي أن لها علاقة بحماس، وبالحقيقة كانت على علاقة وثيقة بالأمن الوقائي وبالشاباك الصهيوني، وقد تم إنهاء هذه المجموعة بقتل أحدها وجرح آخرين، وقد تمت هذه العملية بعد عدم قدرة محيي الدين الشريف على التواصل مع جسم حركة المقاومة الإسلامية حماس، حيث كانت تتعرض الحركة لحملة شرسة في منطقة رام الله. وقد أعددنا التقرير لنشره في الإعلام، وقد كان يتحدث رئيس المكتب السياسي خالد مشعل

بأننا سنضع النقاط فوق الحروف في قضية استشهاد محيي الدين الشريف، ولكن الإخوة في الداخل، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، نصحوا بعدم نشر هذا التقرير؛ لأنهم يخشون ازدياد الحملة عليهم في الضفة والقطاع. وهكذا لم ينشر هذا التقرير، وهو موجود في أرشيف حركة المقاومة الإسلامية حماس.

الحادث الآخر المهم الذي حدث في هذا العام وهو تصفية **واغتيال القائدين عماد وعادل عوض الله**، وقد بدأت القصة عندما اعتقل عماد في أريحا لدى السلطة، وأما عادل وهو القائد الرئيسي بعد محيي الدين الشريف فقد اختفى في الضفة الغربية، ويبدو أن هناك تخطيطاً مشتركاً وتنسيقاً أمنياً بين السلطة والشاباك، ونحن في هذه الأيام نجد أن هذا التنسيق الأمني قد عاد في عهد عباس. حيث بدأ هذا التنسيق في هذه القضية باعتقال عماد والضغط عليه، ويبدو أن عماد قد جرى له مسرحية لفراره من السجن أي أن هناك من سهل له الفرار من السجن، وصل عماد عوض الله إلى رام الله واتصل بالحركة، وسأل عن أخيه ويبدو أنه كان يعرف أين يقيم، حيث كان يقيم في أحد المناطق القروية في منطقة الخليل، فذهب إليه وهذا بالضبط ما كان يريده الشاباك والأمن الوقائي، ويبدو أنه زُرِع في جسده بدون أن يشعر جهاز يعطي إشارات ويسجل ما كان يجري من حديث مع أخيه. وفجأة تحدث الإعلام عن قوات أمنية في منطقة الخليل، قد اقتحمت بيتاً في إحدى القرى في الخليل وأطلقت الكلاب، وتمّ تصفية عماد وعادل عوض الله، ولكن لم يتم الكشف عن العملية الحقيقية التي تمّ بموجبها تصفية هذين البطلين الشهيدين، وكل المعلومات مصدرها صهيوني. ثم أخذ هذان الشهيدان ودفنا في "مقبرة الأرقام"، وهي موجودة في الغور وبها مئات الشهداء من الانتفاضة الأولى والثانية ما زال العدو الصهيوني يحتفظ بهما، ويرفض الإفراج عن جثامينهما، وقد تمت تصفية الشهيدين في أيلول/ سبتمبر 1998.

وفي هذا العام كشف النقاب عن خلية صوريف، وهذه الخلية استمرت في العمل في مناطق الضفة الغربية لمدة عام ونصف وقامت بعمليات استشهادية، ويرأس هذه الخلية كما كشف بعد ذلك البطل القائد عبد الرحمن غنيمات، وهو أسير موجود في السجون الصهيونية وقد كان الشاباك الصهيوني يعتقد أن

هذه الخلية وراءها مقاتلون من الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، ولمدة عام ونصف كانت هذه الخلية تقوم بعمليات بطولية حتى تمّ الكشف عنها.

كيف تمت القصة؟ الخلية تتكون من حوالي خمسة أفراد يرأسهم البطل المجاهد عبد الرحمن غنيمات، نسأل الله أن يفرج عنه وعن كافة الأسرى، اثنان منهم موجودان في منطقة تحت سيطرة العدو الصهيوني وقد اعتقلا، والثلاثة الآخرون موجودون في مدينة الخليل ومنهم عبد الرحمن غنيمات، ألقت القوات الصهيونية القبض على اثنين منهم؛ حيث كانت هذه الخلية قد قامت بعدة عمليات منها عملية استشهادية في تل أبيب، وقتل جندي صهيوني ودفنه في المنطقة التي تسيطر عليها القوات الصهيونية.

أخذ هذان الأخوان تحت التعذيب الشديد من الشاباك، حتى يَدلا على مكان دفن الجندي الصهيوني. ذهبا إلى المكان، ولم يجدوا الجثة، وقد كانت الخلية كاملة قد أسهمت في الدفن، ولكن القائد الذكي عبد الرحمن غنيمات بعد الدفن ومغادرة أفراد الخلية قام بتغيير مكان الجثة بحيث لا يعلم المكان إلا هو بمفرده، الشاباك الصهيوني ضغط على هذين الأخوين، لم يستطيعا أن يقدما أي شيء، فاتصل الصهاينة بجبريل الرجوب مسؤول الأمن الوقائي في الضفة الغربية، والمنسق الأول بين الشاباك والجيش الصهيوني وبين السلطة، حيث قام باعتقال الثلاثة المتبقين؛ عبد الرحمن غنيمات والآخرين وضغط عليهم ضغطاً شديداً، وهددهم بتسليمهم إلى الصهاينة. ما أقوله عبارة عن تقرير وصل للحركة من البطل المجاهد عبد الرحمن غنيمات من داخل السجن، وهو تلخيص لهذا التقرير، وبعد الضغط الشديد والتهديد خشوا أن يسلموا إلى قوات الاحتلال، فوافقوا على أن يدلوهم عن مكان الجثة مقابل أن لا يسلموهم للعدو الصهيوني، ويقول عبد الرحمن غنيمات وصلتني مكالمة هاتفية من ياسر عرفات، وقد كان وقتها في قطاع غزة، ونصحه بتسليم جثة الجندي الصهيوني، ووعده بحمايتهم في الضفة الغربية، وخُدِعَ الإخوة، فدلوا عن مكان الجثة للأمن الوقائي، الذين بدورهم قاموا إبلاغ الشاباك بالمكان، حيث تمّ استخراج الجثة من مكانها من قِبَل الشاباك، وتمّ دفنها حسب المراسيم اليهودية.

وبعد شهرين من هذه الحادثة طلب منهم جبريل الرجوب أن يحضروا أنفسهم لأن هناك محاكمة لهم من قبل السلطة في منطقة أريحا، وقد ذهب اثنان من الخلية أما الثالث فقد كانت له عشيرة في الخليل حمته من أن يذهب إلى أريحا، وقبل الترحيل قالا لجبريل الرجوب إننا نخشى أن نقع في أيدي الصهاينة، قال لهم لا تخافا سيذهب معكما مجموعة من الأمن الفلسطيني إلى أريحا، ولن يتمّ تسليمكما. ذهبا إلى أريحا وهناك قال لهما الأمن الفلسطيني المحاكمة ليست هنا وإنما في نابلس، وقالا إن في الطريق حواجز إسرائيلية كثيرة، قال لهم الأمن الفلسطيني لا تخافا نحن سنمرركما. وعلى مشارف نابلس كان ينتظرهم قائد المنطقة الوسطى عوزي ديان، وعندما وصلت السيارات تبادلوا الإشارات بالضوء فعرف عبد الرحمن غنيمات وزميله بأن القصة مدبرة، وهكذا تمّ تسليمهما إلى العدو الصهيوني، وهما الآن معتقلان في السجون الصهيونية، حيث حكم على البطل عبد الرحمن غنيمات بثمانية مؤبدات.

وهنا أريد أن أؤكد أن حركة حماس لم تتوقف للحظة واحدة عن المقاومة بالرغم من الضربات المتلاحقة من العدو الصهيوني ومن الأمن الفلسطيني. وبعدها جاء بطل تابع للقسام وقام بعمليتين لوحده، ونؤكد عليه، ونخلد هذا البطل وهو سالم صرصور، حيث ألقى قنبلة يدوية على عدد من الجنود الصهاينة في القدس ثم توجه إلى بئر السبع وألقى قنابل أخرى على تجمع كبير للجنود الصهاينة قرب محطة للباصات، حيث كان مجموع من جرحوا جراء عملية هذا البطل حوالي 75 جندياً صهيونياً، وعندما تمت هذه العملية وكان عرفات في أوج مفاوضاته جنّ جنونه، وقال بأن هذا البطل عميل للصهاينة، وكان ردّ فعل الشعب الفلسطيني نريد مئات من هذا النوع من "العملاء".

جولة الشيخ أحمد ياسين:

وفي سنة 1998 قام الشيخ أحمد ياسين بجولة إلى العالم العربي، وقام المكتب السياسي بقيادة الأخ خالد مشعل وكان للأخ محمد نزال دور كبير لتنسيق هذه الجولة، وأنا رافقته في ثلاث رحلات، حيث زار عدداً من البلاد العربية، ومنها زيارته لقطر في شهر نيسان/ أبريل، وزيارته لصنعاء في أيار/ مايو، وزيارته إلى سورية في نهاية أيار/ مايو.

وأبدأ بزيارة قطر حيث استُقْبِل استقبالاً كبيراً ابتداءً من الأمير والحكومة والشعب القطري، فنزل في فندق الشيراتون، وهو أفضل الفنادق في قطر، وهو الفندق الذي نزلنا به بعد أن أطلق سراحنا من سجن الجويدة، كنت في استقبال أمير قطر الشيخ حمد، وعندما دخل قال لمدير الفندق وقد كان إنجليزياً أريد أن تهتم بالشيخ أحمد ياسين وكل "الإرهابيين" الذين معه فضحكنا وضحك المدير. وجلسنا فترة في لقاء مع الشيخ أحمد وتحدث مع أمير قطر ومن معه من أركان الدولة. وقام الشيخ ياسين بنشاطات كثيرة رسمية وشعبية، حيث دعي لمؤتمر شعبي ألقى فيه كلمة طيبة حضرها الجميع، وقام بزيارته العلماء جميعاً ابتداء من الشيخ القرضاوي، وفي هذه الفترة جاءه مقدم البرنامج أحمد منصور من قناة الجزيرة، وطرح عليّ وعلى الأخ محمد نزال وكان معي في الزيارة برنامج شاهد على العصر، وأن يبدأ بالشيخ أحمد ياسين وشجعنا الشيخ على ذلك، وكانت له أول حلقة من حلقات شاهد على العصر.

والرحلة الثانية التي شاركت فيها الشيخ أحمد هي اليمن وقد رحّب بالشيخ أحمد الرئيس علي عبد الله صالح والحكومة ورئيسها والشعب اليمني جميعه، وقد عقد مؤتمر ضخم في ساحة الجامعة في صنعاء وحضره أكثر من 20 ألف من الشعب اليمني، وقد قدمت الشيخ بكلمات صغيرة، وتحدث الشيخ جيداً عن الانتفاضة ودور حركة المقاومة الإسلامية حماس في إنجاح هذه الانتفاضة الأولى، كما التقى الشيخ بقادة الأحزاب والفصائل.

بعد ذلك غادرنا صنعاء إلى سورية حيث استُقْبِل استقبالاً كبيراً من قبل الرئيس حافظ الأسد والحكومة والشعب السوري، وقد تمت جلسة في قصر الرئيس الأسد، وقد حضرتها مع الأخ خالد مشعل رئيس المكتب السياسي ومرافقين للشيخ أحمد، وحضر الأخ موسى أبو مرزوق وعماد العلمي وإخوة آخرون، وحضر من طرف الرئيس السوري حافظ الأسد عبد الحليم خدام ووزير الخارجية فاروق الشرع، وبعض أعضاء القيادة القومية لحزب البعث منهم عصام القاضي، وامتد اللقاء لثلاث ساعات، وكان الشيخ أحمد ياسين قد اتصل به الإخوان السوريون وطلبوا منه

أن يتوسط لدى حافظ الأسد، فتحدث الشيخ أحمد ياسين حول الموضوع. ولكن شعرنا أن هذا الموضوع قد أثار مكامن الرئيس حافظ الأسد، فأخذ يتحدث عما فعله الإخوان السوريون وبالتفصيل، وخشينا أن تنتهي الجلسة بتوتر. وهنا تدخل الأخ خالد مشعل وهو على درجة كبيرة من الدبلوماسية، فحوَّل الحديث بعد ذلك إلى القضية الفلسطينية، وهكذا أُنْقِذَ الاجتماع، وبدأنا نتحدث عن القضية الفلسطينية، وتحدثنا عن ما تقاسيه الحركة من السلطة الفلسطينية، وتحدث أيضاً حافظ الأسد عن بعض تجاربه مع عرفات. وعندما تكون في حضور الرئيس لا تستطيع أن تذهب إلى الحمام فتنتظر، وعندما انتهى اللقاء سارعت إلى الحمام، فضحك عصام القاضي وقال لا تستطيع أن تصبر، قلت لا، قال لقد كان حافظ الأسد يستعمل هذا الأسلوب مع وارن كريستوفر، وزير خارجية الولايات المتحدة، وكان الحوار يسمى حوار "مدّ المثانات" لمن يصبر أكثر، وكان كريستوفر يتضايق كثيراً وكان حافظ الأسد يستمر طويلاً وله قدرة على ذلك. وقد ذكر لي في هذه المناسبة بأن رئيس قبرص الأول مكاريوس كان يستعمل هذا الأسلوب مع السياسيين ومع نقابات العمال التي تزعجه كثيراً، فيدعوهم للاجتماع ويقدم لهم القهوة والشاي والبارد ويستمر بالحديث ولا يستطيعون المغادرة، وفي نهاية الجلسة عندما يصبحون محصورين جداً يأخذ القرارات التي يريدها من هؤلاء النقباء. وقد قيل لي أيضاً أن عرفات كان يستخدم أسلوباً قريباً من هذا الأسلوب حيث كان يبدأ اجتماعاته دائماً بعد منتصف الليل مع اللجنة التنفيذية ومع فتح ويستمر حتى الفجر ومعروف عنه أنه كان ينام ساعتين في النهار يستعين بهما، فعندما يصبحون نصف صاحين ونصف نائمين يأخذ عرفات القرارات التي يريدها.

هذه بعض النشاطات التي قام بها الشيخ أحمد، وقد زاره قادة الفصائل الفلسطينية كلهم بما فيهم جورج حبش ونايف حواتمة وأبو موسى والصاعقة وحفيد عز الدين القسام الذي يقيم في دمشق، وكانت زيارة تاريخية بين حفيد القسام والشيخ أحمد ياسين. كما زار المسجد الأموي وألقى فيه كلمة، ثم زرنا معه قبر البطل صلاح الدين الأيوبي قرب المسجد.

الفصل الثاني عشر

الاعتقال في الأردن والإبعاد إلى قطر سنة 1999

اعتقال عدد من قادة حماس في الأردن:

في أوائل شباط / فبراير 1999 توفي الملك حسين، ويمكن أن نقول إنه بوفاته اختلت المعادلة الحساسة التي كانت تحكم العلاقة بين حركة حماس وبين النظام الأردني. وتاريخياً أصر الأخ خالد مشعل على أن يشارك في جنازة الملك الحسين، وسار في هذه الجنازة أشخاص متباينون تماماً، فلوحظ مثلاً، أنه قد شارك فيها حافظ الأسد، وشارك عزرا وايزمن، وشارك خالد مشعل، وشارك نتنياهو وآخرون، نحن كمكتب سياسي لم يسمح لنا أن نشارك في هذه الجنازة، فأصررنا على أن نشارك في العزاء، وبصعوبة جداً سُمِحَ لنا أن ندخل لنقدم واجب العزاء بالملك حسين في الديوان الملكي، كنا أربعة خالد وموسى وإبراهيم ومحمد نزال، وبصعوبة جمة وصلنا إلى دور لتقديم العزاء، وكان هناك مصور تلفزيوني يأخذ صوراً للوفود، وأنا كنت ألاحظ من كان قبلنا ومن كان بعدنا، وعندما رجعت إلى البيت وفتحت التلفزيون الأردني فرأيت الوفود وهي تصافح وتقدم العزاء، عندما وصل المصور إلى وفد حركة حماس لم يظهر الوفد في الصورة، قلت لإخواني في المكتب السياسي إن شيئاً ما يدبر لحركة حماس.

بعد فترة وبالذات في 1999/8/28 غادرنا إلى طهران بناء على دعوة من القيادة الإيرانية، وبعد وصولنا طهران وفي **يوم 1999/8/30 تمّ اعتقال أكثر من 16 أخاً ممن يعملون في حركة حماس**، وعلى رأسهم عضو المكتب السياسي الأخ سامي خاطر، أما الإخوة محمد نزال والأخ عزت الرشق فقد اختفيا عن الأنظار، وأغلقت جميع المكاتب بما فيها مكتبي، ومكتب الأخ محمد نزال، ومكتب فلسطين المسلمة الذي يديره عزت الرشق، ومكتب د. موسى أبو مرزوق، ومكتب الأخ خالد مشعل، وأخذت منها أجهزة وأغراض كثيرة، حدث ذلك بعد يومين من وصولنا إلى طهران، وأعلن بأن الحركة أصبحت محظورة قانونياً، وبعد ذلك قيل بأن هناك مذكرات جلب لنا ونحن في طهران.

الحوارات بيننا وبين الإيرانيين تركزت بالدرجة الأولى على الحدث الأردني، وأذكر عندما التقينا مع علي لاريجاني، الذي أصبح الآن شخصية بارزة في المجال النووي الإيراني، وكان مسؤولاً عن التلفزيون والإذاعة، والتلفزيون والإذاعة في إيران تتبع القائد خامنئي. سألَنَا لاريجاني عن الأردن، الأخ خالد والأخ موسى قالا بأن هذه ربما

تكون غمامة صيف تنقشع، أما عندما سألني ما رأيك أنت؟ قلت له إنني أخشى أن تكون ضربة جذرية لاقتلاع الحركة من الأردن.

في طهران تباحثنا فيما جرى في الأردن، وحضر إلينا الأخ عماد العلمي فأصبحنا ثلاثة، وتحمسنا لضرورة العودة إلى الأردن، ثم جرت اتصالات كثيرة مع شخصيات كثيرة في الأردن، معظمها كانت تقول إن الأولى لكم أن تعودوا، وعندما اتصل الأخ خالد مشعل مع الأخ عبد المجيد ذنيبات، المراقب العام للإخوان المسلمين، كان ردّ الفعل الأول للأخ عبد المجيد أن هذا القرار لكم، أن تعودوا أو لا تعودوا، بعد ذلك غادر الأخ موسى إلى دمشق وبعده غادر الأخ خالد، وقالا لي رافقنا إلى دمشق فقلت سأبقى في طهران، أنا لا أرى أي فائدة من السفر إلى دمشق أو أي مكان ويجب أن نعود إلى الأردن، الساحة الأردنية من أهم الساحات، ولا يجوز أن نتخلى عنها. وبقيت في طهران ومعي أحد المرافقين في أحد بيوت وزارة الخارجية الإيرانية، وكنت أقول دائما لإخواننا قبل أن يغادروا المكان الذي كنا فيه: انظروا لا توجد هناك إلا طيور الغربان السوداء! وقلت لهم هذه رسالة، فضحكنا.

المهم أننا تقدمنا بعدة مطالب إلى الرئيس خاتمي، وسلمناها إلى مدير مكتبه أبطحي ولكنه لم يصنع بها شيئاً وتجاهلها تماماً. وللعلم فإن الخط السياسي لخاتمي يختلف تماماً عن الخط السياسي للقائد خامنئي، الخط السياسي لخاتمي وأبطحي خط أقرب إلى موقف منظمة التحرير منه إلى موقف حماس، ولكن القادة الآخرون كانوا يتفاعلون مع حركة حماس تفاعلاً كبيراً مثل خامنئي، وقائد الحرس الثوري، ووزير الدفاع، وقد اجتمعنا معهم جميعاً، كانوا يتجاوبون مع حركة حماس تجاوباً كبيراً، ويقولون إنها حركة المقاومة الأولى في فلسطين، المهم أن الأخوة في دمشق استمروا بالتشاور حول ماذا نصنع في الموضوع، وكان الأخ المراقب العام قد غيّر موقفه، فسابقاً قال للأخ خالد القرار لكم، ثم أصبح يضغط بأن لا نعود إلى الأردن. ومما علمت، أنه كان يقول أنتم لكم علاقات بالخارج فلتمكثوا شهراً أو شهرين أو سنة أو سنتين، هذا ما سمعته من الإخوة، ولكن الآخرين كانوا يقولون إذا لم تعودوا فلن تعودوا بتاتاً، عليكم أن تأتوا، وتواجهوا المحكمة، والشعب معكم، (ونسيت أن

أذكر أنه نتيجة للاعتقالات حصلت ردة فعل في الأردن من الشباب ومن القواعد).

ومَن حَسَمَ الأمر في النهاية بعد ذلك، كما علمت، هو مكتب الإرشاد؛ وكان يمثله الشيخ فيصل مولوي، والذي حسم **بأن المصلحة بالعودة إلى الأردن. وهكذا يوم 1999/9/20** عاد الأخ خالد وموسى ومعهم المرافقون إلى طهران، ومن هناك انطلقنا للعودة إلى الأردن. وأحب أن أسجل أن أبطحي رفض أن يسمح لنا أن نقيم مؤتمراً صحفياً في المطار، وأحب أيضاً أن أوضح أنه في الفترة التي أقمنا فيها في طهران دعينا إلى وليمة من السفير السوري، ووليمة من السفير المصري، وهو من أقارب رفاعة الطهطاوي، والسفير السوداني. وقبل أن يسافر موسى وخالد دُعينا إلى بيت ممثل فضائية الجزيرة في طهران غسان بن جدو، وفي هذا اللقاء قال لنا ما رأيكم أن نأخذ لكم صوراً فلربما نستعملها فيما بعد، وفعلاً أخذت لنا صور، وكنا بحالة معنوية عالية جداً.

وعندما عدنا في 1999/9/21 كما أذكر، بواسطة الخطوط الإماراتية من طهران إلى دبي ثم إلى عمّان، ونزلنا في دبي، بدأ غسان بن جدو يبث الصور التي التقطها لنا ونحن في ضيافته، وكانت مهمة جداً لإبراز المعنويات العالية. وكان هناك في الطرف الآخر البطيخي، كان يغلي، وكان حريصاً على أن لا نعود، يريد أن يتخلص منا نهائياً، بادعائه أننا ذهبنا إلى زيارة إيران، وفي رأيه أنها "إرهابية" ونحن "إرهابيون"، إذن فليبق الإرهابيون عند الإرهابيين!! وللأسف حاول الأخ المراقب العام أن يضغط علينا أيضاً بأن لا نعود، وعندما عدنا قيل لنا بأن مجلس شورى الإخوان قد اجتمع وأخذ قراراً بالأغلبية بأن لا نعود، ولم نُبَلّغ به ولم نعرف به أصلاً، ومن قال بأنهم عادوا على الرغم من قرار مجلس الشورى فهذا الكلام لا أساس له من الصحة لأننا لم نعلم بالقرار، أما بالنسبة لمثلنا أبو محمد مصطفى في طهران، فقد كان حريصاً أن لا يذكر على أي طائرة نحن عائدون، بسبب استهدافنا من الموساد، وعندما اتصل به المراقب العام، وسأله عنا قال له إنهم نزلوا إلى الحديقة، ورفض أن يقول بأنهم سافروا.

في دبي في محطة الاستراحة، كانت المحطات الفضائية تتحدث عن قرار عودة قيادة حماس إلى الأردن، ونظرت لبعض الناس، كانوا ينظرون إلى التلفاز وينظرون إلينا، ويحدثون أنفسهم هل هؤلاء الذين في التلفاز هم الذين هنا أمامنا؟كانت معنوياتنا جمعياً

مع المرافقين عالية جداً، عندما وصلنا عمّان طبعاً كان رجال الأمن يعلمون بأي طائرة **نحن قادمون. عندما وصلنا مطار عمّان،** (ولي تجربة ثانية في مطار عمّان سأذكرها لاحقاً)، وضعونا في غرفة واحدة، لم يكن في الغرفة ولا كرسي فصرخ خالد أين الكراسي؟ وبعضهم أحضر كرسياً أو اثنين، هكذا كانت تعليمات البطيخي، والله أعلم. بعد ذلك أخذونا، كل واحد إلى غرفة، وكنت أنا قد أُخِذْتُ إلى غرفة أحد الضباط، وكان أشقراً ربما كان شركسياً، ويدخن بصورة متوالية ويبدو أنه كان متوتراً، أما نحن فقد وكَّلنا أمرنا إلى الله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾. بعد ذلك أخذنا ننزل إلى الطابق الأرضي، وفجأة هجم علي اثنان أو ثلاثة وأرادوا أن يقيدوني من الخلف بالقيود، فقاومت وصرخت عليهم، ولا أذكر ما قلته لهم، المهم تغلبوا عليّ ووضعوا القيود في يدي من الخلف، وكنت أنا صاحب الحصة الأكبر من النقمة علينا؛ لأن الأخ خالد سمحوا له بأن تقيد يداه من الأمام. وشدوا القيد على يدي شداً، نزلت الدرج وكان في أسفل الدرج الإخوة المرافقون الأربعة وحولهم عدد من الضباط، وخطبت فيهم وقلت لهم ألا تخجلون من أنفسكم؟ تقيدون قادة المقاومة الفلسطينية الذين يرفعون رأس الأمة جميعاً وأنتم الآن تقيدونهم؟ والله نظرت إلى بعض الضباط فأخذوا ينظرون بعيداً. ثم جاء أحدهم ونهرهم وقال كل منكم يتحرك إلى السيارة، أما الأخ موسى فسافر باعتبار أنه ليس أردنياً وكان يحمل جواز سفر يمني، حيث سافر بعد ذلك إلى سورية.

كنا أنا والأخ خالد وأربعة من المرافقين، أركبوني سيارة النجدة في الكرسي الخلفي، جندي عن يميني وجندي عن يساري، ويوجد حاجز أمامي في السيارة والسائق وبجانبه ضابط شرطة، وأخذونا من الطريق الخلفي وليس من طريق المطار، وهذا الطريق يمرّ على بعض القرى وهو طريق طويل وصعب، وطلبت من الضابط أن يفكّ القيد قليلاً لأن يدي كانت تؤلمني جداً، فلم يردّ. وبعد حوالي ساعة ونصف وصلنا إلى ماركا في موقع محكمة أمن الدولة، وصلنا هناك وعندما فكّ القيد عني قليلاً كانت الدماء تنزف من رسغي، وكان هناك نائب مدعي عام محكمة أمن الدولة فاستقبلنا استقبالاً شريفاً، وقدم لنا القهوة، ونهر هؤلاء الذين وضعوا القيود في أيدينا، وكان هناك المحامي الشريف هاني خصاونة، وعمل كل جهده لتطييب خواطرنا، واستعداده لأي طلب نطلبه. لم يكن

يوجد محامٍ غيره، وهذا مما حزّ في أنفسنا، كنا نتوقع أن نرى بعض المحامين الآخرين من الحركة الإسلامية، فلم نجد أحداً للأسف.

بعد ذلك طُلِبْنَا فدخلت أنا ودخل الأخ خالد، كل على حده، واتفقنا على أن يكون محامينا الأستاذ صالح العرموطي، قال لنا مدعي أمن الدولة هل تقدمون الإفادة الآن أم تختارون محامياً، قلنا له نريد الأستاذ صالح العرموطي محامياً لنا أنا والأخ خالد وأبو فادي وأبو مؤيد ومرافقي أبو مهدي، أما أبو أنس فقد قدم إفادته مباشرة بدون محامٍ. أخذونا بعد ذلك، ومقيدين أيضاً، وبسيارة السجن المتحركة إلى مقرّ شرطة العاصمة، وأدخلونا في زنازين، كلٌّ في زنزانة، ولم يدققوا كثيراً فقد كان معي راديو صغير، واستمعت لردود الفعل المختلفة، وبعد ذلك أخذونا مرة أخرى إلى ماركا للمدعي العام، مقيدين أيضاً، وأصروا على التقييد من الخلف، واحتد الأخ خالد مع أحد الضباط، ولكن لا فائدة. وهناك عند المدعي العام محمود عبيدات دخلت أنا أولاً، وبدأ يوجه أسئلة واتهامات، قال نحن دخلنا مكتبك ووجدنا فيه أسلحة، فما هي إجابتك؟ قلت إن هذه طروحات مفبركة، قال لا أقبل منك كلمة مفبركة، قلت له طروحات غير صحيحة، أما بالنسبة للأسلحة التي ذكرتها فمن الممكن ادعاء أنها موجودة، لأنه في سنة 1997 عندما دخلت الأجهزة الأمنية إلى بيتي أحضروا معهم مسدساً أوتوماتيكياً وورقة مكتوب عليها كيف تصنع المتفجرات، وليس بعيداً أن تقولوا بأنكم وجدتم أسلحة في مكتبي، فغضب غضبا شديداً، وأخذ يصرخ، قال له صالح العرموطي لا يجوز لك أن تصرخ على مجاهد مثل الشيخ إبراهيم، وهكذا، وجهوا بعض الاتهامات. بعد ذلك تم التحقيق أيضاً مع الأخ خالد وبقية الإخوة.

ثم وضعونا في سيارة السجن بالقيود، وتم نقلنا إلى سجن الجويدة، وهي أول مرة ندخل بها الجويدة. في الجويدة عندما تدخل يأخذون ملابسك ويعطونك بدلة السجن، وبالمناسبة فإن بدلة السجن زرقاء غامقة أما في سجن المخابرات فهي زرقاء فاتحة، هذه معلومات لمن سيعتقل لاحقاً حتى يعرف هذه الحقائق البسيطة، وأخذوا أجهزة الموبايل التي معنا، والراديو، وكل الأشياء الخاصة ووضعوها في قسم الأمانات، في الجويدة اعتقلنا من 22/9/1999 وحتى 21/11/1999، أي أننا مكثنا 61 يوماً.

وقبل أن أتحدث عن الجويدة ونظام الحياة فيها، أذكر أنه بعد 14 يوماً اقتحموا علينا العنبر الذي كنا فيه، وأخذونا إلى محمود عبيدات لإجراء تحقيق آخر، فتحدث معنا محمود عبيدات وقال أنتم متهمون بسبع تهم، منها جمع الأموال، ومنها تصريحات ومنها...إلخ، ولكن هناك اتهام جديد وهو أننا بالمشاركة اقتنينا سلاح كلاشنكوف، ونحن أعضاء المكتب السياسي، والذي اعتقل هو من حركة حماس، فإذن بالمشاركة تتحملون المسؤولية. وهذا نتيجته الإعدام حسب النظام الأردني، فلذلك ظهرت في الجرائد (اتهامات ضدّ حركة حماس بما فيها الإعدام)، أما قضية هذا الكلاشنكوف الذي وجدوه عند المتهم، فإنه يوجد الآلاف المؤلفة في عمّان ممن يملكون الكلاشنات غير المرخصة ويطلقونها بالمناسبات المختلفة كما يشاؤون، أما هذا الكلاشنكوف الصدئ، كان يراد لنا أن نحكم بالإعدام بسببه. أما قصته فهي غريبة، وتضع بعض علامات الاستفهام، وذلك أنه قبل إغلاق مكاتبنا بشهر قام شخص يعمل في مكتب الأخ أبو الوليد بشراء كلاشنكوف صَدِئ من أحد المخيمات، وأعطاه لأخ آخر في الزرقاء لينظفه، فألقي القبض عليه، وسجل بأن هذا الكلاشنكوف كان عند عناصر من حركة حماس. والسؤال الآن الذي يطرح نفسه! هل هي صدفة أن هذا السلاح قد اشتري قبل شهر واحد من إغلاق مكاتبنا واعتقال شبابنا! أم هي قضية مدبرة! وهذا ما أميل أنا إليه.

في سجن الجويدة، لأول وهلة، يقول الإنسان كيف استطعتم أن تمكثوا 61 يوماً؟ العنبر الذي نزلنا فيه كان بجانبه أيضاً عنبران آخران، وقد خصص لنا فقط نحن الستة، وهو ربما يتسع لـ20 سجيناً، ويوجد فيه صفان من أسِرَّة الحديد، صف أرضي وآخر علوي ومكان للحمامات، هذا هو العنبر الذي كنا فيه. وبالمناسبة فإن أسِرَّة الحديد خطرة، لأنها عبارة عن أشرطة من الحديد بين الشريط والشريط مسافة حوالي عشرة سنتيمترات، فعندما ينام الإنسان فإن جزءاً من العمود الفقري يكون معلقاً في الهواء، وهذه تؤدي إلى آلام، فاقترحت على الإخوة أن نضع جرائد، وفعلاً فإن الجرائد التي كنا نشتريها أصبحنا نضعها لتوزيع الوزن بصورة معقولة حتى لا يتأثر الظهر، وقد كتبت تقريراً لمدير السجن وطلبت منه أن يغير تصميم أشرطة الحديد لأنها تؤثر على العمود الفقري.

كان برنامجنا يشتمل على **العبادات**، نصلي جماعة صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وكان يؤمنا الشيخ خالد مشعل بصوته الجميل، وبعد كل صلاة طيلة الـ 61 يوماً، كان يرفع كفيه للدعاء، ويدعو على من ظلمنا، ويسميهم بالاسم، البطيخي والروابدة وكل واحد أسهم في إيذائنا وإدخالنا السجن ظلماً وبهتاناً، كان ضباط الأمن في الخارج يستمعون، وعندما يبدأ الأخ خالد بالدعاء يبتسمون فيما بينهم. وقد لاحظنا ملاحظة في السجن، وهي أن معاملة ضباط الأمن معاملة مقبولة، لكن الذي يمسك السجن هم ضباط الأمن الوقائي، الكلمة الأولى والأخيرة لهم، وبعد أداء الصلوات كنا نقضي وقتنا في العبادات: قراءة القرآن والتجويد وتفسير المعاني، وقضينا وقتاً جميلاً محبباً إلى النفس، هذا كان يأخذ وقتاً جيداً من فترة الـ 24 ساعة. أمّا **الطعام**، فكان الطعام يقدم ثلاث مرات، ولكن لم أذق ولا وجبة طعام في السجن، كان يسمح لنا أن نشتري من الكانتين، وهو الدكان الذي يتبع السجن، فكنت أعيش على النواشف، الجبن والتونة وغيرها، وطالبنا بأن يسمح لنا بإدخال بعض الخضار والفاكهة، فسمحوا لنا ببعضها، وهذه ساعدتنا بصورة معقولة. **والنشاط** اليومي **الآخر** هو جلي الصحون، وقد أعفانا الإخوة المرافقون، بارك الله فيهم، من المشاركة في جلي الصحون، حيث كان المرافقون هم الذين يقومون بهذا العمل. ثم الغسيل، كل منا كان يغسل ملابسه بنفسه، ونضعها على جدار أمام العنبر لتنشف، وكان الأخ أبو الوليد يهتم كثيراً بتنشيف ملابسه، فعندما يكون ماراً أحد المساجين يقول له اقلب البنطلون إذا سمحت، فنضحك، فأي شيء كان يضحكنا. أما الأغطية فأكل عليها الدهر وشرب هي والفراش، ولكن عليك أن تغمض عينيك فلا تسأل عنها، كنا نضعها في الشمس أحياناً لتتعقم.

أما ما كان يؤذينا كثيراً فهو البعوض، ويبدو أن البعوض يستهدف نوعيات أكثر من نوعيات، كنت أنا والأخ أبو فادي والأخ أبو مؤيد على ما أظن ممن يستهدفنا البعوض، أما الإخوة الآخرون فلم يكونوا مستهدفين، ومن ضمنهم الأخ خالد، وكان يضحك علينا عندما نصحو في منتصف الليل ونقتل البعوض؛ فالبعوض مزعج جداً. وقد اكتشفت بعد ذلك أن سبب البعوض هو حفرة امتصاصية في السجن يخرج منها البعوض، والأصل أن تكون مجاري السجن متصلة مع المجاري العامة وليس حفرة امتصاصية!.

كنا نستحم بمياه باردة، وفي الأيام الأخيرة عندما ازدادت شدة البرد أصبح الاستحمام بالمياه الباردة مشكلة، طالبنا بمياه ساخنة فجاءت متأخرة. أي شيء كنا نطالب به كانوا يلبونه بصعوبة، وذلك نوع من الضغط المعنوي الذي مورس علينا، فعندما كنا نطالب بمبيد للبعوض كانوا يقولون أن هذا محظور في السجن، ولا أدري لماذا. أي شيء فيه معدن يمنعونه في السجن. كنا نحرص على قراءة الجريدة، وهي المتنفس لنا مع العالم الخارجي لنعرف ماذا يجري، وهذه ميزة موجودة في سجن الجويدة، وغير موجودة في سجن المخابرات، الجرائد التي كنا نحصل عليها هي جريدة الرأي والدستور، أما جريدة العرب اليوم فكانت ممنوعة؛ لأنها كانت تتعاطف معنا كثيراً. أما الرأي فهي شبه رسمية والدستور تسرب بعض الأخبار، وكنا نتخاطفها عندما تأتي، وكان هناك تأخير في تسليمنا إياها. أما التلفاز فكان هناك جهاز تلفاز في العنبر، ولا يعرض إلا القناة الأردنية الأولى، ويغلق في التاسعة ليلاً، على كل كنا نطلع على ما يجري من خلال نشرة الأخبار الأخيرة، هكذا تقريباً كانت حياتنا في السجن.

أما النشاطات الأخرى التي قمنا بها، وكانت مؤثرة في تقطيع الوقت، فهي **سهرات السمر**، بعد أن نصلي العشاء وننهي كل الواجبات كنا نعتلي الصف العلوي من الأسرة ونجلس، وكنا ستة، ثلاثة مقابل ثلاثة، ونبدأ في المباريات المختلفة، مثل أن نضمر شيئاً ما والآخرون يبدأون في السؤال عن أوصافه، فتكون الإجابة بنعم أو لا، ونضحك، وعندما كان طرف منا يختار شيئاً صعباً جداً كان الطرف الآخر يختار شيئاً صعباً وهكذا. وعندما كنا نضحك ونسمر كان الضباط ينصتون إلينا، ومن المؤكد أنه كانت تكتب تقارير، ومن المؤكد أنهم كانوا يقولون إن هؤلاء معنوياتهم عالية في السماء. ومن النشاطات الأخرى التي كنا نقوم بها **النشاط الرياضي**، وتمّ هذا النشاط الرياضي بعد أن حضر الأخ عزت الرشق واثنان من المرافقين معه، فأصبحنا تسعة، أربعة مقابل أربعة، عملنا كرة من الجوارب، وأنا كنت الحكم لأني أكبرهم سناً. وفعلاً خرجت تقارير من داخل السجن للخارج وخاصة للبطيخي تقول بأن معنوياتهم عالية، وربما أخذ يفكر بعد ذلك في الخطوة التالية وهي **الإبعاد**، بالإضافة إلى هذا كنا نخرج بعض الرسائل السرية ونستلم بعض الرسائل السرية لنعرف ما يجري، نكتب تقارير عن وضعنا في الداخل، وتأتينا تقارير من إخواننا في الخارج.

ومن أول يوم دخلنا السجن أرسلنا لإخواننا أننا لن نتفاوض ونحن في السجن مع أحد، كائناً من كان، لأننا لا نملك حريتنا، وهذا ما نشدد عليه مع إخواننا في السجون الصهيونية بأنه لا يجوز لهم أن يفاوضوا، لأنهم لا يملكون حريتهم، فالذي يفاوض هو الذي يملك حريته. فلذلك أرسلنا لإخواننا في دمشق، أنتم الذين تفاوضون عنا، وعندما جاءنا بعض الإخوة لمساءلتنا في عدد من المواضيع كنا نقول لهم المفاوضات موجودة في دمشق، فنحن لا نملك حريتنا، ولا نعرف ما يجري في الخارج فنحن غير مستعدين للتفاوض.

كان الأهل يزوروننا، أنا والأخ خالد كانوا يسمحون لنا بأن نلتقي بأهالينا في غرفة المدير، والشباب المرافقون كانوا يسمحون لهم برؤية أهاليهم من وراء السياج. وللأسف هذا السياج يمسّ بكرامة الإنسان، فلو كان أمام السجين ابنه أو ابنته فلن يستطيع أن يحضنه، ولا يستطيع أن يصافح أباه أو أمه، هذا شيء إجرامي من الطراز الأول، لا أدري الآن إذا تغير أم لا. وكانوا ينادون على كل واحد باسمه عندما يأتي أهله، وكان الأهل يأتون مرتين في الأسبوع مرة يوم الجمعة ومرة يوم الثلاثاء. أما المساجين الآخرون فقد كانت إدارة السجن والأمن الوقائي حريصة على أن لا نحتك بأحد منهم، فقد كان هناك مسجد وكانوا يمنعوننا من الصلاة فيه خوفاً من أن نحتك بأحد من المساجين الآخرين، كنا نصلي فقط في العنبر، ويوم الجمعة يسمح لنا أن نصلي في الخارج أمام العنبر، وبصعوبة كانوا يسمحون لنا أن نصلي الجمعة فنأخذ بعض الحرية، عندما كنا نخرج إلى الساحة فإن باب الحرية الوحيد المفتوح لك هو الباب إلى السماء، كنت تستطيع أن ترى الغيوم وهي تتحرك، وكنت أراقب باهتمام أسراب الحمام في الأماكن العالية وأتذكر حرية الإنسان.

عندما اشتدت علينا الأمور بعد مرور حوالي شهر ولم يتمّ الإفراج عنا، ولم تتقدم قضيتنا، قررنا أن نضرب عن الطعام، وأرسلنا رسالة إلى الإخوة في سجن قفقفا في إربد بهذا الأمر، حيث كان هناك حوالي 20 أخاً في سجن قفقفا، وفي مقدمتهم عضو المكتب السياسي الأخ سامي خاطر، ولكن يبدو أن هذه الرسالة لم تصل، نحن ظننا أنها وصلت. واستطعنا أن نوصل موضوع الإضراب إلى الخارج، فلا فائدة من الإضراب عن الطعام

إذا لم يعرف الرأي العام أنك أضربت عن الطعام، والإضراب عن الطعام سلاح ذو حدين، أنت تقاسي منه والسجّانون يقاسون منه خشية أن يحصل أي تطورات صحية لمن يضربون عن الطعام، أضربنا يوم 1999/10/16، وأنهينا الإضراب عن الطعام يوم 1999/10/20، خمسة أيام متواصلة، قلت للأخ أبو الوليد نحن نضرب عن الطعام، ولكن لنسمح لإخواننا بأن يشربوا الحليب، قال لا، حتى الماء بصعوبة وافق على أن نشربه، في هذه الأمور كان أبو الوليد متشدداً أكثر من أبي عمر، بدأنا الإضراب وأنا معي قرحة في الاثني عشر، فقلت للأخ أبو الوليد، وحتى لا تنفجر القرحة، لا بدّ أن آخذ شيئاً من الحليب، فقال يسمح لك بكمية صغيرة في علبة صغيرة، وكنت آخذها يومياً بسبب القرحة بالإضافة إلى الماء. كما علمت فيما بعد عندما جاءنا وفد من نقابة الأطباء، جزاهم الله خيراً، وأظن أن النقيب في ذلك الوقت كان الأخ الدكتور طارق طهبوب، ومع آخرين، قالوا الإضراب عن الطعام معناه أنك تستطيع أن تشرب الحليب وتشرب العصير، ولكن لا تأكل أي شيء، لأنه بغير ذلك يتأثر الكبد والكلى وكل شيء في الجسم، هذا ما عرفناه فيما بعد. وفعلاً، بعد مرور ثلاثة أيام نصف قوتنا الضاربة والمضربة تمّ تحويلها إلى المستشفى. ثلاث إخوة أصبح لديهم نزيف في المعدة، وفعلاً نقلوا أبو أنس والأخ أبو فادي والأخ أبو المؤيد، وأخذوهم إلى المدينة الطبية، وبقي إبراهيم وخالد وأبو مهدي، وبدأت المراودات لنا بالموافقة على فك الإضراب، انتحى بي ضابط كبير في السجن جانباً، وقال لي إنك "ختيار" وأنت لا تستطيع الاستمرار فما رأيك أن تأكل موزة معي، قلت له لا آكل شيئاً إلا عندما يأكل بقية إخواني، والأخ خالد بدأ يشكو من ألم في كليته، وأصبح وضعنا صعب جداً جداً، وكان ينبغي أن نفكّ الإضراب لأننا كنا نضرب عن الطعام، ولكن لا يجب أن نصل إلى درجة الموت والانتحار فهذا أمر محرم، لأن الغاية من الإضراب هي الضغط على السجان، حيث لا توجد طريقة أخرى إلا أن تضرب عن الطعام، وقلنا لعل الله يجد لنا حلاً لفكّ هذا الإضراب.

زارنا في السجن بعض الإخوة وطالبونا بفكّ هذا الإضراب، وفي يوم الخميس 1999/10/20 حضر إلى السجن، بقدرة الله، **وزير العدل الدكتور حمزة حداد**، ومكث فترة في السجن وحلّ قضايا كثيرة في السجن، وجاء إلينا وجلس معنا، وجاء معه المراقب العام للإخوان المسلمين، قال ماذا تريدون؟ قلنا له نريد أن يفرج عنا لأننا مظلومون، لماذا

اعتقلتمونا؟ ونريد وعداً من الحكومة بأن تفرج عنا، قال لا أستطيع أن أعطيكم وعداً، ولكن أعدكم أن أعرض هذا الموضوع على مجلس الوزراء في أقرب فرصة، فوجدنا ذلك مخرجاً، فوافقنا على ذلك، وهكذا فكّ الإضراب. وأذكر أن الدكتور حمزة كان بيده لبن وتمر قدمه لنا، وهكذا أفطرنا بالتدريج، وجاء إخواننا الذين كانوا في مستشفى المدينة الطبية، سألت أبو مؤيد ماذا كنت تفعل والبعوض يلسع جلدك وأنت في المدينة الطبية، لأن يده كانت مقيدة في السرير وهو في المستشفى، ويضعون الجلوكوز في اليد الأخرى، فقلت له ماذا كنت تفعل بالبعوض؟ قال كنت أهز رأسي هكذا وهكذا، وكنا نضحك. لاشك أن قضية الإضراب قضية مهمة ينبغي التعامل معها من كافة الأطراف بحرص ومسؤولية.

في هذه الفترة أخذ أبو الوليد يقول الشعر، وألف قصيدة يردّ بها على عبد الرؤوف الروابدة الذي انتقدنا بقوة، فردّ عليه بقصيدة من داخل السجن، ونشرت فعلاً في جريدة العرب اليوم، رداً على تهجمات عبد الرؤوف الروابدة، وبالمناسبة الروابدة كان من الإخوان المسلمين، وكان رئيساً للقسم السياسي في الإخوان المسلمين سنة 1970، وكنت أعرفه جيداً حيث كان يزور عديلي محمد نمر وهبة، وكنا نلتقي به في مسجد الحسين الغربي قبل سنة 1970، ولكن الدنيا تغيرت ومحبة السلطة والسلطان والجاه تغير كثيراً من الناس.

عندما زارنا وفد نقابة الأطباء، فحصنا فحصاً جيداً، كان الضغط لدي قد وصل إلى 100/200، وهي نسبة عالية جداً مع أني كنت آخذ حبوباً للضغط، وخرجنا من السجن بعد ذلك بعدة أمراض، لأننا عندما ذهبنا إلى قطر بعد أن أفرج عنا، تحركت قرحة الإثني عشر معي، وزاد الضغط، وظهر معي مرض جديد اسمه النقرس، لأنني لم أكن آكل أي وجبة وعشت على النواشف وخاصة التونة، ويبدو أن كثرة تناول التونة تسبب النقرس فورم أصبعي وقالوا معك النقرس وعالجوني، والأصل أن هذا المرض لمن يأكل اللحوم الحمراء، والحمد لله كل شيء بسيط في سبيل الله.

ونحن في السجن تأثرنا كثيراً من موقف قيادة الإخوان المسلمين بأنهم أصبحوا وسطاء بيننا وبين الحكومة، مع أننا جزء انبثق من الإخوان المسلمين ومازلنا، فوجدناها

صعبة علينا كثيراً، عندما أصبح الأخ عبد المجيد يقوم بالوساطة بيننا وبين الروابدة والبطيخي، لم نرد للإخوان هذا الموقف. وللتاريخ فقد رفضنا أن نتفاوض وكنا ضدّ أن يقوم الإخوان بالوساطة، ولكن الأخوة في دمشق أخطأوا في الموافقة على مبدأ التفاوض، وهذا حتى نضع النقاط فوق الحروف. وكل شخص يستهجن أن يقوم الإخوان المسلمون بهذا الدور، فهل المسافة بين قيادة حماس وقيادة الإخوان المسلمين هي نفسها المسافة بينها وبين الحكومة وبين البطيخي، هذا لا يعقل.

أيضاً، في فترة السجن، أكثر من تأثر في السجن كان الأخ خالد عندما رأى المراقب العام وهو يخرج في إحدى المقابلات مع الروابدة، كما رأيناها على التلفزيون، ويقول نحن والحكومة في موقف واحد، فغضب خالد غضباً شديداً.

في هذه الفترة أيضاً وردت أخبار بأن محمد مهدي شمس الدين مفتي الشيعة في لبنان توسط وجاء إلى الأردن والتقى بالملك عبد الله الثاني، ولكن بعد ذلك فشلت هذه الوساطة، وهذه نقطة تسجل للشيخ محمد مهدي شمس الدين مفتي الشيعة في لبنان، في أوائل شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1999، حضر إلى السجن إخوة أعزاء، فقد جاءنا أحد الضباط على ما أذكر وكان معجباً بنا، معجباً أولاً بأخلاقنا العالية وباحتمالنا لكل شيء وبعباداتنا وصلواتنا وعدم إثارة أي مشاكل في السجن، وكان معجباً كثيراً بالأخ خالد، قال للأخ خالد يوجد شخص قريب منكم معتقل الآن في السجن، قلنا له من؟ عزت؟ لأننا قرأنا في الجرائد أن عزت قد اعتقل، قال لا أدري ما اسمه، قلنا له ها هي بعض النقود اشتر له ما يحتاج، وفعلاً قام الضابط بشراء له ما يحتاجه. وكان عزت موجوداً في زنزانة قريبة من زنزانات المحكومين بالإعدام، وجاءنا اثنان من مرافقيه وهم طوال الأجسام، نسيت أسماءهم، أبو حاتم وأخ أخر، وعندما أطلوا علينا أخذنا نهتف الله أكبر ولله الحمد، جاء ضابط الأمن الوقائي وقال اسمعوا أنتم تثيرون الجلبة لدى ظهور المرافقين كيف إذا ظهر زميلكم عزت الرشق؟ الأخ خالد قال للإخوة هدِّئوا من روعكم، بعد ذلك جاء هؤلاء الأخوان وتعانقنا معاً، وأصبح عددنا ثمانية، وفي آخر النهار جاءنا الأخ عزت وتعمدوا تأخيره، لأنه كان قد تعرض للضرب أسفل عينه ووجهه، وهكذا أصبح هناك ثلاثة من المكتب السياسي، مع ستة مرافقين.

شهر تشرين الثاني / نوفمبر 1999 هو الشهر الحاسم، ففي يوم 20 تشرين الثاني / نوفمبر نودي علينا لمقابلة أناس في مكتب مدير السجن، ذهبت أنا وخالد وعزت، وكان هناك الأخ صالح العرموطي، والأخ سيف الشريف نقيب الصحافيين في ذلك الوقت، وجلسنا معهم. الأخ صالح قال أحمل لكم عرضاً من عبد الرؤوف الروابدة، وهو إذا أنتم وافقتم على الخروج من الأردن بموافقتكم وطواعية فإن عبد الرؤوف يعدكم بأنه لن تقيد أيديكم وتغادرون الأردن إلى الخارج، وبعد ثلاثة أشهر من الممكن أن تتقدموا بطلب لزيارة أهلكم وينظر هو في الطلب بعد ذلك، هذا هو العرض. قال لي الأخ صالح العرموطي فيما بعد أن الروابدة كان حريصاً جداً على أن يعرف ما هو الجواب، فعندما تأخر العرموطي في الاتصال به اتصل الروابدة بالعرموطي، وقال ماذا كان الجواب؟ فنقل الجواب الذي قلناه وهو أنه لا يضيرنا بتاتاً أن توضع القيود في أيدينا، فقد دخلنا السجن والقيود في أيدينا، أما أن يحاول الروابدة أن يخدعنا بالموافقة على الإبعاد الطوعي منا فهذا لن يكون، لأنه حسب الدستور الأردني المادة التاسعة لا يجوز إبعاد أي أردني من الأردن. فنحن لن ننخدع، ولن نتخلى عن حقنا الدستوري الذي يعطينا الحقّ في أن نبقى في الأردن، وقلنا العرض مرفوض. نقل العرموطي هذا الجواب للروابدة، وطبعاً يشهد على ما قلناه الأخ سيف الشريف، وهو يعمل الآن (صيف 2007) رئيس تحرير جريدة الدستور. بعد أن تحدث مع الروابدة فهم صالح العرموطي بأن الروابدة سيبعدنا ويعطي قرار الإبعاد، والقرار ليس للروابدة فالقرار هو للبطيخي، والروابدة هو من سيعلنه رسمياً، فبدأ يذكر العرموطي في الإعلام، كما قرأت بعد ذلك، بأن هناك توجهاً لإبعادنا من الأردن، وكذّب ذلك الروابدة في الإعلام.

الإبعاد إلى قطر:

يوم 1999/11/21 صلينا المغرب فجاءنا ضباط الأمن وقالوا لنا خذوا ملابسكم أنا وخالد وعزت، وبقي الإخوة الستة، فعانقناهم وودعناهم وذهبنا لاستلام الأمانات، الملابس والنقود، جاءني الضابط الذي كان يتعاطف معنا، وكانت الدموع في عينيه، وقال لي بلّغ أبا الوليد تحياتي. عندما أغلق باب السجن وصرنا خارج السجن كانت هناك قوات من الأمن الخاصة جاء أحدهم إلي وقيدني من الخلف ووضع عصابة على عيني،

وقلت له كيف تضع العصابة على عيني؟ قال هذه هي الأوامر، قلت في يوم من الأيام سنحاكمكم وأنت واحد منهم. دفعونا إلى سيارة السجن، جلست وكان عن يميني رجل أمن وعن يساري رجل أمن آخر، ومقابلي الأخ خالد وبجانبه أيضاً رجلا أمن، وكذلك الأخ عزت. وسارت بنا السيارة، إلى أين؟ لا نعرف!! سألني أبو الوليد في رأيك إلى أين سنذهب؟ قلت له إما أن يأخذوننا ويسلموننا إلى عرفات، وإما أن يأخذوننا إلى الجفر، لا ندري إلى أين تذهب بنا السيارة، ولكن معنوياتنا كانت عالية، فكنا نضحك مع بعضنا البعض، أما من يحيط بنا فهم لا يتكلمون ولا كلمة واحدة.

بعد مسيرة ساعة تقريباً وكانت السيارة تصعد، شممت، وأنا عندي حاسة شمّ شديدة، سبحان الله، قلت لهم والله إني لأشم رائحة البن وكأننا يا إخوة في منطقة ماركا، ومنطقة ماركا فيها مطاحن بن كثيرة، مشينا قليلاً ثم سمعنا صوت طائرات هليوكبتر، فعرفنا أننا في مطار ماركا، فوقفت سيارة السجن، ومازالت عيوننا مغلقة ومقيدي الأيدي. وجاء من أخذ أغراضنا البسيطة وخرج بها، ثم فكت القيود عن أيدينا ورفعت العصابات عن أعيننا، وقيل لنا تفضلوا، قلنا إلى أين؟ ونحن ننزل على الدرج من السيارة كانت **أمامنا طائرة، وكانت المسافة بيننا وبين الطائرة ثلاثة أمتار**، قال لي شخص يلبس لباساً مدنياً، ويبدو أنه شركسي، لقد **وافق الملك على خروجك إلى قطر**، قلت له لكننا لا نوافق، من قال لكم أننا نريد **أن نذهب إلى قطر**؟ قال إصعد إلى الطائرة، وستعرف، صعدنا إلى الطائرة خالد وأنا وعزت؛ وللمفاجأة جاؤوا بالأخ سامي من سجن قفقفا وكان يلبس ملابس السجن لم يعطوه فرصة ليغير ملابسه، تعانقنا معاً وجلسنا نحن الأربعة، وكان على متن الطائرة وزير الدولة للشؤون الخارجية القطري أحمد المحمود، قال أهلاً وسهلاً في قطر، فما رأيكم؟ واتفقنا أن يتكلم باسمنا الأخ خالد، قال الأخ خالد نحن لا نريد أن نغادر إلى قطر، قال الوزير القطري إنهم قالوا لنا أنكم وافقتم على الخروج إلى قطر.

وبالمناسبة أريد أن أوضح خلفيات هذا قبل أن أفصل ما حصل في الطائرة، في هذه الأجواء أي نهاية 1999 أصبح باراك رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني، واعتبره العرب أنه رجل سلام، وكانت هناك محاولات لبدء مفاوضات جديدة، وبعد ذلك اتضحت في

كامب ديفيد 2، في تموز/ يوليو 2000، وكان المكتب السياسي لحماس في عمّان يُعَدّ حجر عثرة أمام هذه المفاوضات، ومن هنا أغلقت مكاتبنا واعتقلنا وأدخلنا السجون، ومن هنا أبعدنا حتى يستطيع المفاوض الفلسطيني برئاسة عرفات أن يتفاوض مع المفاوض الإسرائيلي برئاسة باراك، وفي تقديرنا فإن مَنْ ضغط على سجننا وإبعادنا ثلاث جهات: الجهة الأولى الولايات المتحدة والسفير الأمريكي في عمّان بيرنز كان له دور في هذا الموضوع، ثم الحكومة الصهيونية، ونعلم أن الحكومة الصهيونية لها ثأر لدى خالد مشعل الذي فشلت في تصفيته، فكان الإبعاد هو بعض العقوبات، والثالثة هي التقارير التي كان يرسلها ياسر عرفات للحكومة الأردنية ويقول فيها إن من يحرِّض على عمليات المقاومة والعمليات الاستشهادية هم المكتب السياسي لحماس في عمّان. وكان الطيب عبد الرحيم له دور في هذا الاجتهاد والتحريض، ومحمود عباس كان له دور، وكان على علاقة متينة مع البطيخي، والدليل على ذلك أن المجموعة التي اعتقلت بعد ذلك مع البطيخي كان بينها (أحمد رضا عباس) شقيق محمود رضا عباس، وهو من العصابة التي نهبت أموال الشعب الأردني، فكانوا على علاقة حميمة معه، هذه العلاقة أيضاً كانت تدفع باتجاه اعتقالنا وإبعادنا.

نعود إلى الطائرة، قال الأخ أبو الوليد بعد أن أمَّرناه علينا ليتحدث باسمنا كلنا، قال إننا لا نريد أن نخرج من الأردن ولا نوافق على الخروج من الأردن، قال الوزير القطري بأن وزير الخارجية الأردني، قال لنا بأنكم وافقتم، قال خالد لم يحصل ذلك، ولم نلتقِ مع أي شخص رسمي أردني غير ضباط السجن، قال إذن سأنزل وأناديه، فنزل إلى الأرض من الطائرة ونادى عبد الإله الخطيب، كان بيد عبد الإله الخطيب جوازات سفرنا نحن الأربعة، فردّ على أحمد المحمود قائلاً لخالد أنت الذي طلبت من حمد بن جبر أن يتدخل بقضيتكم، فقال خالد له صحيح لقد طلبت منه عندما كنت في طهران، عندما أغلقت الحكومة المكاتب واعتقل بعض الإخوة، في ذلك الوقت فعلاً طلبت منه ولكن بعد ذلك لم أتحدث معه، وكانت الغاية من ذلك هي الإفراج عن المعتقلين وليس إخراجنا من الأردن. قال الخطيب إسمع، إذا لم توافقوا فستعودون إلى السجون، وها هي جوازات سفركم، وسلمها إلى أحمد المحمود، قال خالد يا أخ أحمد إعلم ماذا قال الخطيب، ونحن نبعد الآن إبعاداً قهرياً، وسنطلبك أنت وعبد الإله الخطيب في المحكمة، فنزل عبد الإله

الخطيب وأقلعت الطائرة وهي طائرة خاصة، وجاءت المضيفة وقدمت لنا الطعام، ولأول مرة منذ 61 يوماً أتناول طعاماً ساخناً. لم يترك لنا المجال لنرى أهالينا أو أن نودعهم، كيف يكون هذا الإبعاد برضانا؟ على الأقل كان من الممكن، لو كان برضانا، أن نرى أهلنا، لقد كان هذا الإبعاد رغماً عنا.

غادرنا عمّان بالطائرة الخاصة إلى قطر، وصلنا بالليل وكان باستقبالنا الأخ الشيخ غازي أبو سماحة وبعض أبنائه وبعض الإخوة، وقد استقبلتنا الحكومة القطرية استقبالاً لائقاً وخصصوا لنا سيارات مرسيدس خاصة، لكل منا سيارة، وهكذا قارن التغيير الذي حدث في أقل من 24 ساعة، كنا نركب سيارة السجن ونحن مقيدون في وسط النهار ثم تخصص لكل أخ من الإخوة من المكتب السياسي سيارة مرسيدس خاصة لتنقلنا إلى فندق الشيراتون !! وقد كان في ذلك الوقت، سنة 1999، من أفخم الفنادق في الدوحة، وقد مكثنا في هذا الفندق حوالي الشهر. وقد دخل علينا رمضان وقد كنا في حركة مستمرة من زيارات، زارتنا أعداد كبيرة، في هذا الفندق، من القادة الرسميين والشعبيين، وقمنا برد هذه الزيارات واستمررنا خلال شهر رمضان، وبعد شهر رمضان وقد دعينا إلى عزائم كثيرة جداً من الرسميين ومن الشعب وكبار التجار ومن الذين دعونا وزير الداخلية القطري، والأوقاف، ورئيس أركان الجيش القطري، وآخرون، وكانوا يكرموننا إكراماً كبيراً. والوليمة القطرية عبارة عن خرفان مشوية، وحتى يكرمون الضيف يسيحون "ليَّة" الخروف، ويضعونها أمام الضيف، وكنت لا أحب أن أرى الليَّة، وبسبب النقرص ولأنني عشت 61 يوم على التونا صار معي مرض النقرص، واللحوم الحمراء تؤثر على مرض النقرص، فكنت أقلل منها كثيراً. وفي هذه الفترة حولونا إلى مستشفى حمد وهو مستشفى كبير، وأُجريت لنا نحن الأربعة فحوصات شاملة وكانت معي زيادة في الضغط فتمّ فحص قرحة الإثني عشر والبروستات وعملت عملية بعد ذلك للبروستات، والنقرص تعالجت منه وانتهى بحمد الله، والإخوة الآخرون تعالجوا علاجاً كاملاً في مستشفى حمد في الدوحة. وثمة إخوة زارونا من الخارج من الخليج من السعودية ومن بلاد عربية وإسلامية جاؤوا ليطمئنوا علينا، وكنا نرى محبة الناس جميعاً لنا محبةً لحركة حماس. وفي المرة الأولى التي نزلنا فيها لإحدى الجمعيات الاستهلاكية لشراء بعض الأغراض لنا فإذا بالناس قد تجمعوا حولنا، من الإخوة الفلسطينيين والقطريين

والأردنيين والعرب والمسلمين، تجمعوا حولنا ليطمئنوا علينا، فمحبتهم هذه أعطتنا زاداً وقوة مع القوة التي نستمدها من إيماننا من عقيدتنا الإسلامية، ومن إرادة الجهاد لتحرير فلسطين بإذن الله.

وذات مرة، قال لي الأخ خالد أريد أن أتحدث معك على حدة، فقال لي: جاء أحد التجار وقدم 140 ألف ريال قطري حوالي 28 ألف دينار أردني، وقال هذه مني لتقسّم على الإخوة الأربعة، فما رأيك يا أخ أبا عمر؟ فكرت قليلاً وقلت يا أخ أبا الوليد تعلم بأننا كل ما يأتينا، حتى من الهدايا، نقدمه لصندوق مال الحركة، فأنا أقترح أن نقدمها لصندوق مال الحركة، ونقول للأخ التاجر إذا كان يريد أن يقدمها فليقدمها على هذا الأساس، فقال أوافقك على هذا الرأي، ووافق ذلك الشخص وحولت إلى صندوق الحركة. وكان الأخ العزيز غازي أبو سماحة قد أخذنا إلى السوق، حيث جئنا كما نحن من سجن الجويدة وسجن قفقفا، فاشترى لنا بدلة وحذاءً وقميصاً من مخصصات الحركة.

وفي قطر أقيمت عدة لقاءات شعبية تحدث فيها الأخ أبو الوليد، وتحدّثت فيها وتحدث الآخرون أيضاً، وعقدت لقاءات مع وكالات الأنباء والفضائيات.

سنة 1999 تحركنا للذهاب للعمرة، قدمنا الفيزا وطلبت من عائلتي أن تأتي إلى العمرة، ولكن الفيزا لنا الأربعة تأخرت، فذهبت زوجتي وأبنائي وبناتي إلى العمرة وقضوا العمرة ولم أحضر، أما الإخوة الآخرون فأخروا ذهاب عائلاتهم، فالتقوا بهم في العمرة. وفي هذا اللقاء التقينا مع الأحباب في السعودية ومع المسؤولين السعوديين الذين أكرمونا جيداً، التقينا مع الكثير من قادة العمل الإسلامي في العالم العربي والإسلامي حيث التقينا بهم في العمرة في رمضان، وفي هذه الفترة كان الأخ أحمد طبيشات وهو أحد المحامين الأربعة الذين قاموا بالدفاع عن قضيتنا أمام القضاء الأردني، بالإضافة للأخ الكريم صالح العرموطي، والأخ الكريم زهير أبو الراغب، والأخ الكريم هاني خصاونة، وهم نعم الإخوة الذين وقفوا معنا لله تعالى، ورفضوا أن يتقاضوا قرشاً واحداً. أخذ توقيعنا الأخ أحمد على توكيله لرفع قضية أمام محكمة العدل العليا للطعن في قرار إبعادنا لمخالفته الواضحة والفاضحة للدستور الأردني، الذي لا يسمح لكائن من كان في الأردن أن يبعد أردنياً عن أرض الوطن.

وفي هذا الوقت بدأت الرسائل التي امتدت منذ نهاية 1999 حتى سنة 2000، وجميعها رسائل منا إلى الأردن وردود رسمية من الأردن علينا. وملخص هذه الرسائل التي كنا نرسلها ويرد علينا فيها الروابدة يطلب منا إذا أردنا أن نعود إلى الأردن أن نستقيل من حركة حماس ونعود كمواطنين أردنيين. وكانت هناك صيغة يكتبها الأخ خالد للملك، فاعترض عبد الرؤوف الروابدة على وضع خالد مشعل لتلك الصيغة، حيث كان يريد شطب كلمة رئيس المكتب السياسي. كان يريد أن يكتب هذا الكتاب بصفة شخصية، بحيث لا يمتّ لحركة حماس بصلة. وتطورت هذه الاتصالات بيننا وبين السلطات الأردنية، وكانت مثل حوارات الطرشان، وكان هناك قرار بأننا أبعدنا ولا يريدون إرجاعنا مرة أخرى.

الفصل الثالث عشر

الفترة 2000 - 2001

تطور العلاقة مع دمشق:

في سنة 2000 زارني الأهل في قطر، ورأيتهم بحرية لأول مرة منذ خمسة أشهر، بعد أن اعتقلت في آب/ أغسطس 1999 وقد كان هذا اللقاء مهماً لمراجعة هذه الفترة السابقة، فسمعت منهم جوانب أخرى من تطورات القضية.

وفي هذا العام كثر التردد على دمشق وكان هذا التردد له سببان؛ السبب الأول: هو أن دمشق قلب العمل السياسي، وكانت الدوحة محدودة العمل السياسي، وكان على قيادة الحركة أن تنتقل إلى دمشق لتباشر هناك العمل السياسي، وخاصة أنه كان لنا أَخَوَان من أعضاء المكتب السياسي موجودين في سورية، وهما الأخ موسى أبو مرزوق والأخ عماد العلمي، وهو موجود في دمشق منذ أُبْعِدَ من عمّان في أواخر أيار/ مايو 1995، والأخ موسى عندما دخلنا الأردن أيلول/ سبتمبر 1999 سُفر من المطار إلى دمشق، كان مهماً أن نتردد على دمشق، وهي مفتوحة على العرب، وهي ميزة تسجل للقيادة السورية. والسبب الثاني لترددنا على دمشق هو أن نلتقي مع عائلاتنا التي تأتي من عمّان إلى دمشق فتمكث معنا فترة كل شهرين أو ثلاثة أشهر، حيث نراها في دمشق، تأتي في البر وتعود في البر، وهو ما سهّل وزاد ترددنا وتردد عائلاتنا على دمشق.

وفي العام نفسه توفي الرئيس حافظ الأسد حيث كان ذلك في حزيران/ يونيو 2000 وقد كنت لوحدي في قطر، وكان الإخوة في دمشق، فقررت أن أغادر إلى دمشق لأشارك في الجنازة، لأنه يجب تقدير من فَتَحَ لنا دمشق لعمل المكتب السياسي، ونشاط المكتب السياسي، وعندما وصلت دمشق توجهت من المطار إلى بلدة القرداحة، وهي أول مرة أدخلها، وكان معي أحد الإخوة المرافقين فقلت إذهب بي فوراً إلى القرداحة لعلي ألحق الجنازة، دخلنا منطقة جبل العلويين، ولاحظت أن الجبل فيه بنية تحتية جيدة؛ شوارع وأسواق ومباني، حيث جرى الاهتمام بهذه المنطقة، وصلنا إلى حيث الجنازة ولكن كان الجيش يحيط بها فلم أستطع أن أرى الإخوة أعضاء المكتب السياسي، ولم أستطع أن أدخل مع المشيعين لهذه الجنازة. يبدو أنه كان هناك حظر إلا على أعداد محدودة فقط، ولأول مرة أرى شباب القرداحة السوريين يلبسون اللون الأسود ويهتفون: الله، سورية، حافظ الأسد، وعدت إلى دمشق، والمسافة حوالي أربع ساعات فاتصلت بالإخوة،

وعلمت بأنهم لم يستطيعوا أن يشاركوا في الجنازة. وفي اليوم الثاني عدنا إلى القرداحة، كل أعضاء المكتب السياسي، وقدمنا التعازي إلى الرئيس بشار الأسد الرئيس الجديد لسورية، ألقى كلمة الأخ خالد نيابة عن حركة المقاومة الإسلامية حماس، وجرى بعد ذلك احتفال كبير في القرداحة حضره ممثلون عن العالم العربي والإسلامي والرسميون والشعبيون، أذكر ممن رأيتهم عزمي بشارة، ولاحظت بعض أعضاء كنيست آخرون، وألقيت كلمات كثيرة، والأخ خالد ألقى كلمة، ولكن لم تعجبني كلمة الشيخ رمضان البوطي، لأنه استعمل ألفاظاً تقديسية لا يجوز استعمالها من منطلق أصولي إسلامي.

زيارة الجزائر:

وفي العام نفسه قمنا بزيارة إلى الجزائر، حيث تمّ ترتيبها من قبل الأخ عبد العزيز بلخادم رئيس وزراء الجزائر الحالي (صيف 2007)، وقد كان في ذلك الوقت مبعوثاً للرئيس بوتفليقة، وجهت لنا الدعوة ولم تعلن في الإعلام، ذهبنا أربعة أنا والأخ خالد والأخ موسى والأخ عماد وربما آخرون، وسافرنا من دمشق إلى الجزائر، ومكثنا حوالي أسبوع، التقينا بعض الشخصيات المهمة مثل بن فليس مدير مكتب بوتفليقة، وأصبح بعد ذلك رئيساً للوزراء، والتقينا رئيس مجلس الشعب، ورئيس مجلس الشورى، وضابطاً كبيراً في العلاقات الخارجية من الجيش الجزائري. والحقيقة إن هذه الزيارة كانت مهمة، لأنها أول زيارة لوفد من حركة حماس لكي نضع القيادة الجزائرية في صورة وحقيقة حركة المقاومة الإسلامية حماس. وفعلاً وجدنا أن تقارير كثيرة كانت تصلهم تتضمن تشويهاً لهذه الحركة. طبعاً كنا نرد على كل تساؤلات هؤلاء المسؤولين، وشعرنا أنهم بدأوا يفهمون ما هي حركة حماس، ومثال ذلك أن المسؤولين الأربعة الذين قابلناهم سألونا عن أبي قتادة الفلسطيني الموجود في لندن، وقالوا لنا إن لدينا تقارير بأن أبا قتادة من حركة المقاومة الإسلامية حماس، وهو الذي يحرِّض على بعض الأعمال الإرهابية في الجزائر، ضحكنا، وقلنا لا يمت أبو قتادة للحركة بصلة، فتعجبوا. وهذا يدلّ أن هذه التقارير هدفها تشويه اسم حركة حماس ووصمها بـ"الإرهاب"، كانت تصل هذه التقارير من خصومنا السياسيين، ومعروف من هم خصومنا السياسيون، إلى القيادة الجزائرية، لقطع الطريق علينا حتى لا ننجح في الجزائر. حيث كانت من أوائل البلاد

التي فتحت المكاتب لحركة فتح، في النصف الأول من ستينيات القرن العشرين عندما زارها خليل الوزير، الإخواني السابق، قبل أن يصبح فتحاوياً. وأعتقد أن زيارتنا كانت ناجحة، ويدل على ذلك التطورات التي حصلت بعد ذلك وأدت إلى تحسين هذه العلاقة. (وآخر زيارة لي كانت للجزائر في هذا العام 2007 في شهر آذار/ مارس للمشاركة في مؤتمر مؤسسة القدس الدولية).

وفي هذه الفترة جاءنا ونحن في الجزائر نبأ وفاة الأخ غازي أبو سماحة، وقد حزنّا عليه حزناً شديداً، الأخ غازي أبو سماحة باختصار أخ مسلم ملتزم جيداً، ومن النشيطين جداً، ويمتاز بالشجاعة، كان أمراء قطر يحترمونه، وكان يجمع التبرعات لفلسطين ولحركة حماس، وعندما ذهبنا إلى قطر قدّم لنا كل ما يستطيع أن يقدمه من مساعدة، فرحمة الله عليه.

متابعة العلاقة مع الأردن:

من النشاطات التي تمت في هذا العام المراسلات التي تمت بيننا وبين حكومة الروابدة وقد ذكرت جزءاً منها، وفي أواسط سنة 2000 جاء إلى قطر وفد من الأردن مشكل من وزير الخارجية عبد الإله الخطيب ومدير المخابرات، سميح البطيخي، وعلى التلفاز علمنا أنه كان من المفروض أن يقدم ويحمل تقريراً، علمنا فيما بعد أن هذا التقرير كله أكاذيب ملفقة ضدّ حركة حماس، وقدمه البطيخي إلى أمير قطر لإيغار صدره علينا، وتحدث عن أشياء كثيرة كلها فيها دس وافتراء وأكاذيب، ولاحظنا أنه بدل أن يقدم التقرير وزير الخارجية قدمه مدير المخابرات، والواقع أن من يحكم الحكومة في الأردن هو مدير المخابرات، فموقعه أعلى من رئيس الحكومة، وهذا معروف حتى لابن الشارع في الأردن. علمنا فيما بعد أن أمير قطر قد ردّ على رسالة من ملك الأردن، هذه الرسالة وضعها في مغلف وأعطاها للوفد لتسليمها للملك، وبكل اعتداد بالنفس قام البطيخي أمام أمير قطر بفتح هذه الرسالة وقرأها وقال أنا لا أوافق على هذا العرض، فغضب أمير قطر، قال لا ينبغي لك أن تفتح هذه الرسالة وهذه الرسالة موجه إلى الملك عبد الله الثاني، ورفع الجلسة. وربما هذه الحادثة قد نُقِلَت إلى الملك، وربما كانت من الأسباب التي أودت بسميح البطيخي، بعد أن كشف عن عصابة الفساد والإفساد في الأردن، التي

نهبت الشعب الأردني، وعندها حوكم البطيخي، وكان منظره شفاء لصدر كل من ظلمه البطيخي. وعندما كان واقفاً لم يسمح له رئيس المحكمة عصفورة أن يجلس لساعة أو لساعتين، وبعد ذلك حكم بخمس سنوات سجن، اتهم بالاستيلاء على 17 مليون دينار من أموال الشعب الأردني. جرت اتصالات كثيرة بيننا وبين شخصيات في الأردن إسلامية ووطنية، وجميعهم كانوا يقولون لماذا لا تأتون كأمر واقع، تعالوا إلى الأردن كأمر واقع.

زيارة طهران:

وفي العام نفسه جاءت لنا دعوة لزيارة طهران في يوم 2000/9/28. في يوم 27 أيلول/ سبتمبر وكعادتي كنت أتابع الأخبار الرئيسية والفرعية، علمت من تتبعي للأخبار بأن شارون سيزور المسجد الأقصى يوم الخميس الموافق 28 أيلول/ سبتمبر أي يوم سفرنا، فسارعت إلى مسؤول إعلام حركة حماس الأخ عزت الرشق وأطلعته على المعلومات، وهكذا تمّ إصدار بيان باسم حركة حماس تدعو أبناء الحركة وأبناء الشعب الفلسطيني التوجه إلى المسجد الأقصى لحمايته من تدنيس شارون لعتباته المقدسة، وهذا كان سبقاً إعلامياً لحركة حماس.

وفي يوم الخميس توجهنا إلى طهران في زيارة رسمية، وقابلنا جميع المسؤولين كالعادة، وعلى رأسهم مرشد الثورة الإسلامية علي خامنئي، ومعظم الأحاديث كانت عن موضوع انتفاضة الأقصى، كما أن ممثل وكالة فرانس برس قد عمل معي مقابلة باللغة الإنجليزية، وفي أثناء الحديث، حيث كان ذلك بعد أربعة أيام من الانتفاضة، سألني هذه الانتفاضة هل ستستمر وتنجح وما رأيك بدور عرفات؟ كان ذلك في بداية الانتفاضة وكنا نحن في حماس قد ذقنا الأمرين من ضغط عرفات على حركة حماس، وتوقيعه لاتفاق أوسلو، وإجهاض أوسلو للانتفاضة الأولى. فقلت له أفضل شيء أن يبتعد عرفات عن هذه الانتفاضة، وستنجح هذه الانتفاضة إذا ابتعد عرفات عنها. قال معنى ذلك أنك تدعو إلى تنحي عرفات؟ قلت لم لا، فليتنحَّ عن السلطة، لأن ذلك من مصلحة الشعب الفلسطيني. بُثّ هذا الخبر فقامت الدنيا ولم تقعد، وحصل ضغط شديد على الشيخ أحمد ياسين في قطاع غزة، كيف يجرؤ الناطق الرسمي لحماس على مطالبة عرفات بالتنحي

وترك المجال للمقاومة لتحقق أهدافها؟ ويبدو أن الشيخ أحمد قد اتصل بالأخ خالد وجرى ضغط علي بسبب هذا التصريح وبقيت متمسكاً بالتصريح. وبعد ذلك صدر تصريح آخر من حركة حماس لتخفيف هذه الواقعة التي وقعت على رأس عرفات.

دعوة سعودية للعمرة:

وفي هذا العام دعينا إلى العمرة على حساب الحكومة السعودية، ولأول مرة أنزلونا في قصر الضيافة المطل على الحرم، وفي هذا القصر في الطابق الـ 12، وهو يعدّ جزءاً من الحرم، فإذا كنا مشغولين أو مصابين بالتعب نصلي جماعة في هذا الطابق لأنه جزء من الحرم. وبالصدفة في أحد الأيام، وعندما كنت أصلي في هذا الطابق التفت حولي فإذا برئيس وزراء باكستان الذي أقام عليه مشرف الانقلاب، وهو نواز شريف، فأنا كنت أدعو وهو كان يدعو، وعندما فرغنا قلت له أنا كنت أدعو على من ظلمنا وأخرجنا من بلادنا ووطنا، وأنت فمن المؤكد أنك تدعو على من أخرجك من الحكم، فضحك، قلت له لقد زرت إسلام أباد وقابلت وزير الخارجية سيرتاج، فقال لقد كتب لي تقريراً في ذلك الوقت، وهكذا تعرف نواز شريف علي وتعرفت عليه. وأنا أصلي رأيت شخصاً في الجانب البعيد لا أحب أن أراه، كان رفعت الأسد، وكان أحد الضيوف الذين جاؤوا إلى السعودية، لدوره في أحداث حماه سنة 1982 طبعاً تجنبت أن أراه أو يراني.

ترتيبات داخلية لحماس:

في رمضان نهاية سنة 2000 عقد مجلس الشورى الجديد لحركة حماس بعد مرور خمس سنوات منذ 1995، والأصل هو أن يتم انتخابه كل أربع سنوات، وكانت قد تمت الموافقة على تمديده بسبب الأحداث التي حدثت في نهاية 1999 من إبعاد لقيادات الحركة، من الأردن، فمدد المجلس سنة بموافقة الجهات المعنية. عقد هذا اللقاء، حيث تمّ الإصرار على إعادة انتخاب الأخ خالد مشعل لدورة ثانية. وأنا قلت لهم أريد أن أعتذر بالنسبة لي، وأريد شخصاً آخر، فأصروا على تكليفي أيضاً، وانتخبوني رئيس مجلس شورى لدورة أخرى، وأخذت قرارات معينة، ونوقشت التقارير السياسية والإدارية بكل تفصيل، ولمدة ليست بالقصيرة.

من أحداث سنة 2000:

من الأحداث المهمة التي حصلت في سنة 2000 انسحاب جيش الاحتلال الصهيوني من جنوب لبنان في 2000/5/25، بتعليمات من رئيس حكومة الكيان الصهيوني باراك، وقد كانت اللوحة التاريخية لهذا الانسحاب معبرة عن أول هزيمة واضحة للجيش الصهيوني ينسحب بها من بلاد عربية احتلها بدون أي اتفاقيات أو شروط أو تدخل، وإنما بفضل المقاومة المشرفة التي قامت بها المقاومة الإسلامية في لبنان بقيادة حزب الله، وبقيادة البطل المجاهد حسن نصر الله، هذه المحطة التاريخية أثرت على الأمة العربية والأمة الإسلامية، وأثرت كثيراً على الشعب الفلسطيني، فتذكر الفلسطينيون بلادهم التي احتلت منذ سنة 1948، وبعد ذلك في سنة 1967، وتساءل الفلسطينيون هل يمكن أن نحرر أرضنا الفلسطينية كما حرر اللبنانيون أرضهم اللبنانية؟ وكان هذا سبباً رئيسياً لانطلاقة انتفاضة الأقصى بعد ذلك في 2000/9/28. وكان هناك أيضاً درس لهؤلاء الذين يراهنون على الإسرائيليين والصهاينة ويقيمون معهم العلاقات، وقد جسد هذا الدرس انطوان لحد وجيشه في جنوب لبنان، حيث دبّ الرعب في هؤلاء العملاء؛ فبعضهم استسلم وبعضهم غادر مع جيش الاحتلال، وبعد ذلك بسنوات ندم هؤلاء على هذه الفعلة، وجزء منهم استمر في تعاونه مع العدو الصهيوني. ويقال بأن لحد قائد الجيش له مطعم الآن في إحدى مدن فلسطين المحتلة، هكذا انتهى مصيره. وهكذا ينبغي أن ينتهي مصير كل الذين تعاونوا مع العدو الصهيوني أو طبّعوا معه، لا بدّ أخيراً أن يكون مصيرهم الندم والخسران المبين.

ومنذ ذلك الوقت لم ترتح المقاومة الإسلامية في لبنان، وإنما استمرت في إعداد قواتها الذاتية، وقامت بعملية في أواخر سنة 2000 حيث أسرت ثلاثة من جنود الصهاينة، تبين فيما بعد أنهم كانوا قتلى، بالإضافة إلى أسر ضابط آخر، ومقابلهم أفرجوا عن عدد كبير من الأسرى اللبنانيين والعرب والفلسطينيين، وعلى رأسهم الشيخ عبد الكريم عبيد.

ومن الأحداث المهمة في سنة 2000 أيضاً، مفاوضات جرت في شهر تموز/ يوليو 2000 في كامب ديفيد بين عرفات وباراك، وتحت إشراف كلينتون، وقد استمرت هذه المفاوضات حوالي 14 يوماً، عندما تعرض عرفات لضغط من كلينتون وباراك،

ولاحظ عرفات أنه لن يحقق الحدّ الأدنى من انسحاب القوات الصهيونية من الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967 ومن القدس. وفعلاً كانت القدس هي السبب المباشر لإفشال هذه المفاوضات حيث عرض باراك بدعم من كلينتون على عرفات أن يقبل بأن يكون المسجد الأقصى أسفله لليهود وأعلاه للفلسطينيين العرب المسلمين. وافق عرفات من حيث المبدأ، للأسف، على التخلي عن حائط البراق، والتخلي عن حارة الشرف (حارة اليهود) وحارة الأرمن، ولكن الذي جعله يرفض التوقيع على الاتفاقية هي قضية المسجد الأقصى. وقد قرأت كثيراً عن مفاوضات كامب ديفيد الثانية بين عرفات وباراك ووساطة كلينتون، ولكن محاضر الاجتماعات الحقيقية لم تخرج حتى الآن.

وبعد هذه المفاوضات وبدخول سنة 2002 تعرض عرفات إلى ضغط وحصار من الاحتلال الصهيوني باعتبار أنه لم يحقق ما يريده الأمريكيون والصهاينة، وينتهي الأمر بعد ذلك في نهاية سنة 2004، حيث يموت عرفات مسموماً، كما تؤكد على ذلك أكثر الروايات.

في هذه السنة 2000 أيضاً قامت السلطة الفلسطينية بعدة اعتقالات للمئات من حركة حماس، سواء في الضفة الغربية أم في قطاع غزة، ووصلت المضايقات إلى فرض الإقامة الجبرية على الشيخ أحمد ياسين، ونعلم أن الشيخ أحمد ياسين قد تمّ تحريره في أوائل شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1997، وأيضاً اعتقل الرنتيسي والمقادمة وقد تعرض المقادمة إلى تعذيب شديد في سجون السلطة، وكسرت بعض أضلاعه. وأيضاً في الضفة الغربية اعتُقِل عدد من قادة حركة حماس العسكريين والسياسيين، منهم الشهيد جمال منصور والشهيد جمال سليم، وأيضاً البطل الأسير الصلب جمال النتشة، الذي مازال حتى الآن في سجون الاحتلال.

وكانت أعداد كبيرة من المعتقلين في سجون السلطة قد هربوا بسبب الضربات التي وجهت للسجون في السلطة الفلسطينية، والتحقوا بالمقاومة. ومما هو جدير بالذكر أن البطل المجاهد الشهيد أبو هنود ابن عصيرة الشمالية في منطقة نابلس، وعلى الرغم من مواجهته البطولية للمئات من جنود الاحتلال عندما حاولوا اعتقاله، فقد فرّ، بعد أن أوقع خسائر في جيش العدو الصهيوني، إلى منطقة نابلس حيث اعتقلته السلطة الفلسطينية

ووضعته في السجن. ومن الأمور القدرية أن الصهاينة علموا بأي سجن يتواجد، فقاموا بقصف هذا السجن بطائرة إف – 16 بقنبلة تزن حوالي الطن، وكان مدير السجن في هذا الوقت ونكاية بأبي هنود قد أنزله في أعمق زنزانة في ذلك السجن، فعندما جاءت القنبلة ودمرت السجن، قتل ضابط السجن وكل من كان في الأعلى، أما أبو هنود فقد نجا، وقام ينفض الغبار عن نفسه وهو يحمل المصحف، وبعد ذلك استمر أبو هنود في مقاومته حتى تمّ اغتياله فيما بعد.

تطورات سنة 2001:

في أوائل سنة 2001 جرت انتخابات صهيونية تنافس فيها باراك وشارون، وكان الفوز لشارون حيث أصبح رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني، وشارون يمثل أكبر مجرم تصدى للشعب الفلسطيني من ناحية عسكرية فتاريخه تاريخ دموي، وشارون هو أبو الاستيطان في القطاع والضفة، وقام بمجازر كثيرة أهمها وأخطرها مجزرة صبرا وشاتيلا في لبنان سنة 1982، ثم أقيل من وزارة الدفاع وقدم للمحاكمة وانزوى قليلاً، لكنه عاد وزيراً للبنية التحتية، وظلّ في موقع متقدم في الليكود، إلى أن انتخب رئيساً لليكود خلفاً لنتنياهو في أيلول/ سبتمبر 1999. فعندما تطورت الأمور، وبعد بداية انتفاضة الأقصى التي كان هو أحد أسبابها المباشرة بدخوله إلى المسجد الأقصى، اختار الإسرائيليون هذا القائد المجرم الذي يتمسك بكل الأرض المحتلة في فلسطين.

بعد شارون تطورت انتفاضة الأقصى، وبسبب مجازره الكثيرة صار الشباب يقومون بعمليات كبيرة جداً، وهذه العمليات امتدت من سنة 2001 وحتى 2004، وكانت تشمل عمليات فدائية وعمليات استشهادية، بحيث أن ذروة العمليات وصلت سنة 2002، وكان مجموع القتلى من الصهاينة في انتفاضة الأقصى أكثر من ألف قتيل، أما الشهداء الفلسطينيون فهم أكثر من أربعة آلاف شهيد، وهذه النسبة (1 إلى 4)، هي أكبر نسبة في المواجهات بين العرب وبين الصهاينة. المواجهات التي كانت تتمّ سابقاً مع الجيوش العربية ربما كانت نسبتها تصل إلى (1 إلى 40)، وتحقيق هذه النسبة بسبب العمليات البطولية التي قام بها المجاهدون والمقاومون، وكان لكتائب القسام دور كبير في إنزال هذه الأعداد الكبيرة من قتلى الصهاينة، تلك الأعداد التي جعلت قادة

الصهاينة يقولون إننا نعيش أياماً تذكرنا بما يسمى بـ"حرب الاستقلال" سنة 1948، أيام فاصلة ربما تهدد زوال الدولة العبرية، تقريباً نصف قتلى الصهاينة كان على يد كتائب القسام، والنصف الآخر كان على يد بقية الفصائل المقاومة وهي، كتائب شهداء الأقصى والجهاد وأبو علي مصطفى وبقية الفصائل. ومن هنا كان الاستهداف الكبير لكتائب القسام وحركة حماس وخاصة في الضفة الغربية، وكان العدد الأكبر من القتلى الإسرائيليين سقطوا بعمليات من الضفة الغربية، وذلك لأن قطاع غزة عبارة عن سجن كبير، ومن الصعوبة للشباب أن يدخلوا إلى داخل الكيان الصهيوني. وكنتيجة مباشرة لخسائر الانتفاضة كان بناء الجدار الفاصل الحالي، لتخفيف خسائر العدو الصهيوني. ومن هنا يمكن أن نفسر ثقل الحملة الكبيرة على حركة حماس، وثقل التصفيات، فقد قام شارون بتصفيات كبيرة جداً نالت من قادة كتائب القسام، وقام باعتقالات كبيرة، بحيث يوجد الآن في سجون الاحتلال الصهيوني من ضمن حوالي 11 ألف معتقل، أكثر من أربعة آلاف معتقل لحركة حماس، والأغلبية الساحقة منهم هم من الضفة الغربية: قادة عسكريون وقادة سياسيون لحركة حماس.

في بداية هذا العام في شهر نيسان/ أبريل تمّت دعوة حركة حماس إلى مؤتمر في طهران لدعم الانتفاضة، وخرج وفد كامل من حركة حماس للمشاركة في هذا المؤتمر، كان في الوفد الأخ خالد مشعل وقد جاء من دمشق ومعه الأخ موسى أبو مرزوق وبقية الإخوة. وكنا نحن أنا والأخ عزت الرشق والأخ سامي خاطر في الدوحة وغادرنا إلى طهران. لكن النظام في إيران تحت حكم الرئيس خاتمي كان نظاماً إصلاحياً، وكان من ناحية سياسية، خاتمي وجماعته، أقرب إلى منظمة التحرير منه إلى حركة حماس، بينما كان المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران خامنئي وقادة الحرس الثوري يتعاطفون مع حركة حماس. وأذكر عندما وصلنا مطار طهران لم يتمّ استقبالنا كما جرت العادة، وإنما تُركنا لنأخذ سيارة عادية ونذهب إلى المؤتمر دون أي استقبال. وحول هذه النقطة بالذات وفي أول لقاء تمّ بيننا وبين نائب وزير الخارجية الإيراني محمد الصدر، فاتحته شخصياً وقلت له هل تغيرت سياستكم في طهران تجاه حركة حماس، بحيث أنكم اهتممتم كثيراً باستقبال وفد منظمة التحرير الذي جاء إلى طهران، وقدمتم لهم الاستقبال الرسمي، وخاصة لسليم الزعنون وفيصل الحسيني؟ حاول أن يدافع عن

نفسه، ولكن كانت الصورة واضحة. وأذكر أننا عندما التقينا بالرئيس خاتمي، وقبله كنا قد التقينا مع جميع المسؤولين الإيرانيين، لم يكن اللقاء عميقاً بسبب موقف خاتمي وحكومته من حركة حماس، وتقريبه لمنظمة التحرير. وعندما طرح ما يجري في الضفة والقطاع من أعمال بطولية، علقت بأن حركة حماس وكتائب القسام توجه ضربات قوية جداً للاحتلال الصهيوني، والاحتلال الصهيوني يلتفت ويوجه ضرباته إلى منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، وضحك الحضور، ولم يضحك الرئيس خاتمي.

هذا المؤتمر حضره، بالإضافة إلى الفصائل الفلسطينية والوفود العربية والإسلامية، شخصيات وطنية مختلفة. وكان خاتمي يريد أن يمرر في هذا المؤتمر مشروعه المبني على عمل استفتاء للفلسطينيين المسيحيين واليهود والمسلمين، وهم يختارون الصيغة للحكم الذي ينبغي أي يكون في فلسطين.

طبعاً هذه الصيغة نحن رفضناها، وأذكر أن لجنة الصياغة، وقد شاركت فيها نيابة عن حركة حماس، وكان يترأسها وزير الداخلية الإيراني الأسبق محتشمي، كنت جالساً بجانبه، وقد شارك في الاجتماع حوالي 40 عضواً، بمن فيهم عدد من نواب مجلس الشورى الإيراني المتحمسين لفكرة خاتمي من حيث الاستفتاء، وحضر أيضاً مندوبون عن حزب الله، وكان نبيه بري موجوداً عن حركة أمل، وكان معنا من الأردن شخصيات وطنية وإسلامية منهم ليث شبيلات وجواد يونس وبهجت أبو غربية، وكل الفصائل الفلسطينية، انتقدنا بشدة قضية الاستفتاء وقلنا: فلسطين هي أرض فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب، وعمر بن الخطاب عقد العهدة العمرية مع المسيحيين، والمسيحيون أيضاً إخوتنا في فلسطين، أما اليهود الغزاة فلا مقام لهم عندنا، واليهود الذين يقترح خاتمي استفتاءهم هم اليهود الذين جاؤوا بعد وعد بلفور سنة 1917، وهؤلاء غزاة، ولا يجوز أن يشاركوا في الاستفتاء. وهكذا وقفنا بشدة ضدّ هذا الاستفتاء، وقد أيدنا كما أذكر حزب الله وكل الفصائل الفلسطينية والشخصيات الأردنية، واحتار رئيس الجلسة، وكنت بجانبه وهمست في أذنه وقلت له، إذا لا سمح الله أقرت هذه الصيغة فإن المؤتمر سيرفضها، وسيؤدي ذلك إلى بلبلة نحن في غنى عنها. وأخيراً وافق على إسقاط مشروع رئيس الجمهورية خاتمي بفكرة الاستفتاء وإشراك اليهود فيه، وأذكر أنني

رأيت رئيس الجلسة الذي كان يدير المؤتمر، وهو محمد شريعتي، وهو مستشار قريب لخاتمي مثل أبطحي، نظر شريعتي إلي نظرة طويلة بها عتاب طويل لأنني كنت ضدّ مشروع الاستفتاء.

العودة إلى الأردن:

نعود إلى موضوع **العلاقة بيننا وبين الأردن**، اجتمع المكتب السياسي في الدوحة، وناقشنا موضوع العودة إلى الأردن كأمر واقع بعد أن استحالت المفاوضات بيننا وبين الحكومة الأردنية، وقد ذكرت ذلك في السابق، وتقرر أن نقابل وزير خارجية قطر حمد بن جبر، وهو الآن رئيس الوزراء، لنضعه في الصورة، قابلناه في مقر وزارة الخارجية نحن الأربعة خالد وإبراهيم وعزت وسامي. قال له الأخ خالد أنت تلاحظ، وقطر تلاحظ، بأن الحكومة الأردنية لا تريد إعادتنا لا بالمفاوضات ولا بغيرها، وقد دخلت الحكومة القطرية في محاولة التوفيق، لكنها أفشلت، ولم يتمّ أي شيء، فنحن في المكتب السياسي قررنا أن يعود بعضنا أولاً كأمر واقع، فسأل وزير خارجية قطر من الذين سيعودون أولاً، فقال له الأخ خالد: سيعود الأخ إبراهيم والأخ سامي، فعقب فوراً وقال: لكن الأخ إبراهيم لا الأردن ولا منظمة التحرير يرتاحون له!! قال خالد: نحن أصررنا على أن يكون الأخ إبراهيم في المقدمة، لأنه أكبرنا سناً، وهو أحد الإخوة الذين عملوا في الأردن في مشاريع التنمية، وهو معروف في الأردن، فنحن نصرّ عليه وعلى الأخ سامي. فأعطى الوزير موافقته المبدئية.

اجتمع المكتب السياسي مرة ثانية وبحثنا الوضع وأخذنا قراراً بالموافقة على سفر إبراهيم وسامي إلى الأردن كأمر واقع، ولاحقاً كانت هناك بعض الظروف الاجتماعية للأخ سامي فطلب تأجيل سفره، وهكذا بقي إبراهيم هو الذي سيسافر. وفعلاً **حجزت تذكرة باتجاه واحد إلى عمّان**، ولاشك أن القطريين، الذين أصيبوا بخيبة أمل من الحكومة الأردنية، التي يبدو أنها وعدت القطريين بأن القضية لن تحتاج إلى وقت طويل، بينما كان قد مر عليها حوالي عامين، كانت لها رغبة أيضاً بأن تعيد هؤلاء الذين استضافتهم إلى بلدهم ووطنهم. ومن هنا يبدو أن هناك تعليمات صدرت إلى كابتن الطائرة بأن لا يعود إلى قطر ومعه إبراهيم، وأن يصر على أن هذا مواطن أردني ومسؤوليته هي

على الأردن وليست قطر. كان التخطيط أن أسافر يوم 7 حزيران/ يونيو ولكن حصلت عملية كبيرة قبلها بيومين، وهي عملية الدولفيناريوم، وهزت أركان الدولة الصهيونية، فتشاورت مع الإخوة في المكتب السياسي بأني لو ذهبت في ظلّ هذه العملية فلن يكون هناك تركيز إعلامي، **فتمّ تأجيل الرحلة إلى 14 حزيران/ يونيو، أي بعد أسبوع آخر،** وكان ذلك يوم خميس. لم أجد أي مقعد على الدرجة السياحية، ونحن دائماً كنا نسافر على الدرجة السياحية، وليس على الدرجة الأولى، لم يكن في ذلك الوقت أي مقعد في الدرجة السياحية وهكذا حجزت في الدرجة الأولى. كان بجانبي الدكتور إبراهيم علوش، وكان قد أجرى مقابلة مع الجزيرة وهو عائد إلى عمّان، تعرفت عليه وتحدثت معه وأنا أعرف والده ناجي علوش جيداً، وهو شخصية قومية مناضلة، وهو يعاني من المرض، ونسأل الله له الشفاء، قلت له يا دكتور عندما تصل إلى المطار ستجد ابني هناك، فالرجاء أن تطمئنه عني لأنهم سيحتجزونني، فقال كيف؟ لا يجوز؟ قلت له رجاء أن تنفذ ما أقوله لك، وفعلاً هذا ما حصل. فطمأن ابني والعائلة على أنني وصلت، وطبعاً العائلة انتظرت عدة ساعات فلم أخرج فغادرت إلى البيت.

عندما وصلت إلى المطار وتقدمت بجواز سفري إلى الشرطة للدخول، نظر إلى الكمبيوتر أمامه ونظر إلي وتغير وجهه، وغادر فوراً وبلغ الجهات المعنية، وقال لي أحد الضباط انتظر قليلاً. كان هناك قرار قد اتخذ كما يبدو بقضيتين، الأولى منع دخولنا إلى الأردن وأيضاً إسقاط الجنسية الأردنية عنا، وقضية إسقاط الجنسية هذه علمت بها بعد أن دخلت الأردن وانتهت المشكلة، عندما ذهبت لتجديد جواز سفري، قيل لي أنت لا تملك الجنسية الأردنية، قلت للضابط إنني أملك الجنسية الأردنية قبل أن تولد أنت، لقد أخذت الجنسية الأردنية سنة 1955 عندما كنت في القدس في بلدي، وذهبت لأدرس في القاهرة، فكيف تقول لي إنك لا تملك الجنسية؟ وبعد ذلك راجعنا مدير الجوازات، وتدخلت الجهات المعنية، وسمحوا بإصدار جواز سفر جديد لي، وكذلك إصدار جوازات سفر للإخوة جميعاً، الأخ خالد وسامي وعزت.

مكثت في المطار حوالي ساعة ثم جاءني ضابط آخر من الأمن وقال لي رافقني، كانت معي شنطة صغيرة بها بشكير وغيار واحد، ووضعت فيها جهاز الخلوي وكان مغلقاً،

وأنا في الطائرة اتصلت مع العائلة مرتين وقلت لهم أنا الآن أتكلم معكم من أرض مطار الملكة علياء وطمأنتهم، وهكذا أخذني، وعلى عجل أدخلني إلى قسم الحدود في المطار، وهو في الجهة اليمنى للقادمين. وبعد فترة أفرغوا غرفة صغيرة من كل شيء، ربما كانت لسكرتير، تشبه الزنزانة، ووضعوا سريراً متنقلاً وقال لي تفضل، أنت هنا محجوز، أما حقائبي فكانت محجوزة في الأسفل، كان يشغل بالي شيء واحد وهو أن أطمئن أهلي، طلبت أن أتصل هاتفياً فمُنِعْت. عندما مرّت عدة ساعات بدون أن أتصل بأهلي لأطمئنهم بأنني في وضع سليم، طلبت أن أذهب إلى الحمام ودسست الخلوي في جيبي، ورافقني أحد الحراس إلى الحمام ووقف على الباب، فسحبت مقبض المرحاض ليندفع الماء، وفتحت الخلوي وتكلمت ثلاثة كلمات مع البيت، قلت لهم أنني بخير فاطمئنوا، وأغلقت الخلوي، ووضعته في جيبي وعدت، بشكل طبيعي، ولم يخطر ببالهم أن يفتشونني.

ومرت حوالي خمسة أيام استطعت خلالها أن أتصل مرتين أخريين. وضعوا حارساً على باب الغرفة. وطيلة 14 يوماً لم أغير البدلة التي كنت ألبسها، وكنت أنام فيها، كان باب الغرفة صغيراً مفتوحاً وعليه حارس يتمّ تغييره كل يوم مرتين أو ثلاث مرات، لاحظت أنه عندما كنت أستيقظ لصلاة الفجر يكون الحارس يغالب النعاس، فكنت أصلي الفجر ثم أضع البطانية فوقي وأغطي نفسي وأفتح الخلوي وأتصل، اتصلت مرتين وطمأنت الأهل بأنني بخير، وسألت ما هي الأخبار قيل لي اطمئن فإن الجميع يتضامنون معك، هذه أعطتني دفعة معنوية عالية. أول يوم قلت لا بدّ أن يأتي بعض ضباط الأمن (المخابرات)، وأنا أعرفهم جميعاً منذ سنة 1990، وفعلاً لم يخب ظني، فبعد الساعة الـ 12 ليلاً فإذا بالضابط (أ. ث.) يظهر ويبتسم لي ابتسامة لها معاني، قال هل تظن أن بإمكانك أن تدخل الأردن؟ قلت لم لا فأنا مواطن أردني، قال لن تدخل الأردن، قلت بإذن الله سأدخل الأردن، إذا كان علي أي شيء تستطيعون أن تحولونني إلى المحكمة أو تعتقلونني، ولكن لا يمكن أن تمنعوا مواطناً أردنياً أن يعود إلى وطنه، وهذا يخالف الدستور مخالفة واضحة، وهذا الموقف الذي ذكرته في أول يوم بقيت متمسكاً به طيلة 14 يوماً، لم أغير ولم أبدل كلامي، على الرغم من الضغوط الشديدة التي تعرضت لها، قال لي هناك قرار من أعلى المستويات بأنك لن تدخل الأردن، قلت لا تستعمل كلمة لن، أنا أقول لك بإذن الله سأدخل الأردن، هدد وقال إذا لم تستجب لنا، وكان طلبهم

أن أوافق على أن أغادر المطار إلى جهة هم يختارونها وإلا فسيتم سحب جواز سفري وجوازات سفر عائلتي جميعاً، وجوازات سفر جميع المبعدين من حماس. وهدد بأنه سيرسلني إلى آخر بقعة في الكرة الأرضية، وتهديدات أخرى من هذا النوع.

أحب أن أؤكد أنني في هذه الفترة كنت أعيش على النواشف، جبن وخبز ولبنة وهكذا، أما الجرائد فقد منعت عني، أما التلفاز، فكان مدير المركز، وأذكره بخير، كان يدعوني إلى شرب الشاي عنده، ولكنه كان يقفل التلفاز، يعني كنت بعيداً عن العالم ولا أعرف شيئاً عن العالم، وأما الراديو الذي معي فقد رموا بطاريتيه بعيداً، فلم أكن أعرف ما حولي، ولكن في أحد الأيام سمح لي بأن أذهب إلى الحمام الخارجي بسبب انشغال الحمام الداخلي، فنظرت فإذا بالطائرة القطرية ما تزال موجودة في مكانها، فقلت في نفسي إن الأزمة مازالت مستمرة، وفي هذه الفترة جاءني ضابط من القسم نفسه وكان في إجازة وهمس في أذني وقال لي أصمد واصبر يا مهندس، فإن كثيراً من الناس يتضامنون معك في الخارج. وهذه أيضاً رفعت من معنوياتي أكثر، وأذكر أيضاً أنه بعد مرور أسبوع علي طلبت أن أستحم، فأخذوا يتلكأون، ولكن أحد ضباط المخابرات وكان شركسياً كما أذكر قال لي سأدبر لك الموضوع، وفعلاً دُبِّر في حمّام المدير وكان نظيفاً فاستحممت وشكرت الله على ذلك، فعدم الاستحمام لمدة طويلة تضايق الإنسان.

بعد مرور أسبوع تقريباً، فأنا حجزت يوم الخميس 14 حزيران/ يونيو، وفي يوم الأربعاء 20 حزيران/ يونيو جاءني الضابط (أ. ث.) قبل العصر، وقال لي أريد منك شيئاً، قلت ما هو؟ قال سيتصل بك الآن وزير خارجية اليمن، فلا تقل لا، فسكت هنيهة، ومررت شريطاً سريعاً عن هذه العملية، وقلت في نفسي إن الغاية من ذلك هي أن يتصل وزير خارجية اليمن ويدعوني إلى اليمن، ونحن علاقتنا جيدة مع اليمن، ربما أخجل فأوافق، وهكذا يتخلصون مني وتفشل عملية العودة إلى الأردن بالأمر الواقع. قلت له إسمع أنا مستعد يا (أ. ث.) أن أتحدث مع وزير خارجية اليمن، ولكني لا أدري ما يجري حولي، أنا الآن في سجن فأعطني حرية 24 ساعة وأنا مستعد لذلك، فغضب، وقال لي لماذا تفكر تفكيراً متهماً لنا؟ قلت له إسمع، وخلعت طقم أسناني، أنا عمري 65 عاماً ولم يبقَ سن في فمي، ولدي تجارب كثيرة جداً، وأنا موظف دولة لمدة 16 عاماً فلا

تحاول أن تخدعني بهذه الأساليب، أنا لن أتحدث مع وزير خارجية اليمن، وفي هذا الأخذ والرد جاء الاتصال من اليمن، قال له سيدي الآن سيحدثك، قلت لا، وخرجت من الغرفة غاضباً وأصرخ بصوت عال، وهكذا أحبطت هذه العملية. في اليوم الثاني جاء (أ. ث.) ومعه (أ. هـ.)، والذي لم أره منذ ذهابنا إلى طهران في شهر آب/ أغسطس 1999، خاطبني (أ. هـ.) وهو أعلى درجة من (أ. ث.)، قال لي أسمع معك ساعة واحدة أن تقرر إما أن توافق على أن تغادر بالطائرة التي نحددها نحن، وإما سنرميك في آخر الدنيا وسنفعل كذا وكذا، ابتسمت وقلت له لماذا تعطيني ساعة؟! أنا سأجيبك الآن، أنا أتكل على رب العالمين، وأنا أقول لك لن أوافق على المغادرة، فنظر إلي وقال لماذا أرسلوا أعند واحد في المكتب السياسي إلى هنا؟ على كل سنتصرف، بعد ذلك لم أعد أرى (أ. ث.). وجاء (أ. هـ.) وأصبحت لهجته ألطف من السابق، في هذه الأثناء قيل لي إننا سننقلك إلى غرفة مقابلة. شعرت أنهم ربما قد علموا بوجود جهاز الخلوي معي، فقلت لهم لا بأس، فأخذت الحقيبة، فقالوا لا، دع الحقيبة نحن نأخذها فإن قيمتك أكبر من ذلك، فعلمت أن الخلوي سيذهب في خبر كان، وفعلاً أعدوا لي غرفة مقابلة أوسع قليلاً، وليست في قسم الحدود، وعندما ذهبت إلى هذه الغرفة فتحت الحقيبة فلم أجد الخلوي كان الخلوي قد صودر. مرّ علي (أ. هـ.) مرة أخرى ثم لم أعد أراه لعدة أيام، كنت في هذه الفترة أمشي ذهاباً وإياباً وهناك ستار من القواطع القوية، وكنت من خلالها أرى الركاب الذين يأتون من الطائرات، وكم كنت أتضايق عندما أسمع، يعلن مطار الملكة علياء عن مجيء الطائرة من تل أبيب، كان التطبيع قد أخذ مداه للأسف، وأكبر دليل على ذلك هو ما حصل لحركة حماس، لأن حركة حماس لم تطرد من الأردن إلا بضغط أمريكي صهيوني سلطوي باعتبار أن حماس تعيق التسوية. في اليوم الـ 14 أي يوم 28 حزيران/ يونيو، وأظنه بعد المغرب قليلاً، جاءني أحد الضباط وقال لي تفضل إلى الجهة الأخرى إلى قسم الحدود الذي كنت به سابقاً، فذهبت، قيل لي إن شخصاً سيراك، فتساءلت عمن سيراني؟ وفي هذه الفترة لم أر أحداً لا من الحكومة ولا من النقابات. قلت هل ممكن أن يكون نقيب المحامين صالح العرموطي على أساس أنه محامي حركة حماس؟ بينما كما قرأت بعدما خرجت كان وزير الإعلام صالح قلاب يقول بأنني أعيش في غرفة خمسة نجوم، وأن الطعام يأتيني من أحسن المطاعم وهكذا، وكلها أكاذيب في أكاذيب، وصالح قلاب هو

ممن استفاد من أزمة حماس الأولى والثانية فأصبح وزيراً للإعلام. دخلت قسم الحدود في غرفة مدير القسم ولم يكن فيها إلا شخص واحد وهو **عضو المكتب السياسي الأخ (أ. ب.)**، تعانقنا معاً ولم أره منذ فترة، ومكثنا نتحدث أنا وهو لمدة 20 دقيقة، وبعد ذلك التحق بنا الضابط (أ. هـ.)، قال لي الأخ (أ. ب.) لقد جرى الاتفاق بين حركة حماس وبين المخابرات الأردنية وهذا نص الاتفاق وأعطاني الورقة، قرأتها وإذا بها تنص على التالي:

(بسم الله الرحمن الرحيم.... أبلغني الإخوة في المكتب السياسي لحركة حماس موافقتهم على مغادرة الأخ إبراهيم غوشة إلى صنعاء لمدة ثلاثة أيام يعود بعدها للأردن على أن يلتزم بعدم ممارسة أية نشاطات إعلامية أو سياسية باسم حركة حماس في الأردن، وعلى هذا تمّ الاتفاق.

التاريخ 2002/6/27. توقيع عن الأردن وتوقيع عن حماس).

وعلمت بعد ذلك أن التوقيع عن الأردن كان بتوقيع الضابط الكبير (أ. هـ.)، والتوقيع عن حماس هو توقيع الأخ (أ. ب.).

عندما كنا في الدوحة، وكنا ندرس ما هي السيناريوهات التي ممكن أن تواجهني في المطار، كان أحد السيناريوهات أن أبقى في المطار لفترة طويلة. وبالمناسبة لم يكن معي من أمراض سوى الضغط وكانت قرحة في الإثنى عشر، ولذلك أعددت أدويتي معي على أساس أن أبقى في المطار لمدة شهرين فأحضرت معي أدوية تكفيني لشهرين، وكنت أحمل هذه النفسية على أساس أني سأبقى لشهرين، ومن السيناريوهات المتوقعة أن يعتقلوني ويزجوا بي في السجن، أو أن يعيدونني إلى الخارج، ولكن حيث أن كابتن الطائرة القطرية رفض العودة بي وبقيت الطائرة في المطار 14 يوماً، وطبعاً خسرت قطر أكثر من مليون دولار بسبب هذه العملية، فالقطريون كانوا حريصين على أن ينهوا هذه القضية، فلا يريدون أن يبقى المكتب السياسي معلقاً عندهم، ربما بناء على الاتفاق الشفوي بين وزير خارجية قطر وبين مدير المخابرات سميح البطيخي كما أعتقد. وقد كان سميح البطيخي قد تمّ طرده بسبب الفساد المالي وحكم خمس سنوات سجن. أنا لم أكن أتوقع أن أقابل أحداً، واتفقنا أيضاً في المكتب السياسي في قطر على ألا يجري أي كتابة خطية، وأنني أدخل وأقول لهم كلمة شرف بأنني سأوقف النشاط السياسي والإعلامي، هذا ما اتفقنا

عليه في الدوحة. ولكن عندما وجدت هذه الورقة المكتوبة والموقعة تضايقت وفكرت قليلاً ماذا أفعل، كان الأخ (أ. ب.) ينتظرني ماذا أقول، وربما كان الردّ الأولي أن أرفض، ولكن كيف أرفض قرار المكتب السياسي، ونحن في الحركة الإسلامية كإسلاميين نربى على أن نلتزم بقرار القيادة حتى لو خالفت الرأي الشخصي، وقلت له لا بأس، ما اتفقتم عليه أنت ومسؤول المخابرات أنا سألتزم به، قال لي مطلوب منك أيضاً، وعندما تذهب إلى اليمن أن تصدر تصريحاً خطياً تعلن فيه بأنك مستعد أن تلتزم بما جاء في هذه الاتفاقية، وبناء على هذا التصريح الخطي سيصدر الملك أمراً بإدخالك إلى الأردن، قلت له هذا الكلام غير موجود في الاتفاق؟ قال هكذا قالوا لي، قلت له طالما أن الأمور بهذه الصورة فلماذا لا تأتي أنت معي، أنا لا أعرف طيلة 14 يوماً ما يجري في الخارج، تعال معي وأنت تكتب الصيغة التي تراها مناسبة أنت والمكتب السياسي، وهكذا تتمّ العملية، فلم يوافق على الحضور معي. وفي هذه الفترة جاء (أ. هـ.) وقال ما هي الأخبار؟ وكان خائفاً أن يكون الجواب بالرفض، فقال له (أ. ب.) لقد وافق الأخ إبراهيم، فتهللت أساريره، ثم تحدث هو أولاً ثم الأخ (أ. ب.)، هو قال أنه اتصل باليمن على أساس أن أسافر بطائرة إلى اليمن حسب الاتفاق ولكن اليمنيين لم يستجيبوا لذلك، لا يوجد ردّ على هذا الاتصال، (ويبدو أنه عندما أحبطت أنا اتصال وزير خارجية اليمن، يبدو أن اليمنيين رفعوا أيديهم عن هذا الموضوع)، وقال لي الأخ (أ. ب.) أن الأخ خالد مشعل حاول أن يتصل مع اليمنيين فلم يجد تجاوباً. فطرح (أ. هـ.) أنه طالما قد جرى الاتفاق على المغادرة، فلماذا لا يتمّ الاتفاق على أن يغادر إبراهيم على أقرب طائرة مغادرة، فوافقنا الثلاثة على ذلك، إلى هنا انتهت هذه الصفقة. وأخذوني من قسم الحدود وأعادوني إلى الغرفة، وبقي (أ. هـ.) والأخ (أ. ب.)، بعد عودتي، علمت أن الأخ (أ. ب.) ترك في الغرفة لفترة ونسيته الجهات الأمنية، وسأل عن (أ. هـ.) فقالوا له يبدو أنه قد غادر، فتأثر وتوتر وقد فهمت ذلك فيما بعد، وكان عليه أن يقوم ببعض الإجراءات ولكن بسبب وضعه الغاضب نسي أن يقوم بها. أولاً عائلتي لم تبلّغ بأنه جرى اتفاق على أن أغادر إلى أي مكان آخر، طالما أن اليمن لم يستجب، إلى أي مكان آخر، فلم يتصل بعائلتي أحد، فمكثت العائلة 24 ساعة في وضع نفسي سيء جداً، وخاصة عندما أشيع وذكر بأنني سافرت بالطائرة من مطار عمّان إلى بانكوك. وتضايق الأخ خالد مشعل أيضاً جداً وأصدر تصريحات قرأتها فيما بعد

بتحميل الحكومة الأردنية مسؤولية أي شيء يمسني، وكذلك الأخ صالح العرموطي لم يُبَلَّغ، كان المفروض أن توضع هذه الجهات الثلاثة بالصورة، وأشيع في ذلك الوقت بأن بانكوك فيها موساد كثيرون.

غادرت وفي ذهني ما ذكر الأخ (أ. ب.) أن أقوم به، ركبنا الطائرة وغادر معي (أ. هـ.)، سألته إلى أين؟ فلم يجب، طبعاً جواز سفري كان معهم والخلوي معهم، ولا أملك إلا شيئاً بسيطاً من النقود، جلست في الطائرة وعن يميني وعن يساري ضابطا أمن، وجلس (أ. هـ.) بعيداً خلفي، ولم أعلم إلى أين، فأعلن في الطائرة أن رحلة الملكية الأردنية رقم كذا تغادر إلى بانكوك، قلت الله أكبر، من عمّان إلى بانكوك أبعد نقطة في العالم حتى أعود لبيتي؟ وقلت طالما جرى الاتفاق فلم أعارض، ولو لم يكن هناك اتفاق لأقمت الدنيا ولم أقعدها. في الطائرة بعد فترة ذهبت إلى الحمام لأجدد وضوئي فرآني أحد الركاب الأردنيين وقال لي ألست أنت إبراهيم غوشة؟! قلت له يخلق من الشبه أربعين!! لأنني لا أريد أن أحبط هذه العملية، وكنت حريصاً على أن أعود إلى الأهل والوطن، نزلت الطائرة في دبي، وبعد ذلك سافرت إلى بانكوك، فقطعت القارة الهندية كلها، وهذه أول مرة في حياتي أذهب في هذا الاتجاه. وعندما وصلت فوق خليج البنغال فإذا بهذه الطائرة تهوي مسافة عدة أمتار مرة واحدة، حيث كانت هناك مطبات هوائية هائلة، لم أرَ مثلها طيلة سفراتي السابقة، وقيل لي فيما بعد بأن خليج البنغال فيه مطبات هوائية كثيرة، وخاصة في ذلك الوقت من السنة أي شهري حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو؛ أما مَنْ كانا على يميني ويساري فأحدهما لم ينبس ببنت شفة، وكان الرعب قد عقد لسانه، وأما الآخر فقد كان وجهه مصفراً، أما أنا فقد كنت أقول: يا لطيف الطف بنا، لأن المؤمن عندما يتعرض للمخاطر يجد نفسه قريباً من الله تعالى، فكنت مطمئناً بإيماني بشكل كبير، مكثنا هكذا حوالي نصف ساعة، وأحدهما استفرغ بسبب ذلك، وبعد فترة نزلنا في مطار بانكوك.

في بانكوك نزلنا جميعاً، وأخذوني إلى فندق في المنطقة الحرة، أي أنني لم أدخل تايلاند، وإنما كنت في المنطقة الحرة، وهناك كان يوجد فندق، فأعطوني غرفة وأعطوا (أ. هـ.) غرفة بجانب غرفتي، والغرفة الثالثة لضابطي الأمن، أي أنني منذ مغادرة عمّان حتى عودتي لم أكن أملك حريتي أبداً. وبدأت بعد ذلك جلسات المفاوضات بيني وبينهم على إصدار

البيان الذي طلبه مني الأخ (أ. ب.) بأنه حتى تصدر موافقة ملكية لا بدّ من إصداره، فكتبت صيغة وأعطيتها لـ(أ. هـ)، وكان يرسلها كما يبدو بالفاكس إلى مدير المخابرات سعد خير وقد كان في رفقة الملك عبد الله في لندن. وعندما جاء الجواب كان مغايراً للصيغة التي كتبتها، ووضعت صيغة لا يمكن أن أقبل بها، إذ كان فيها تذللٌ لا يمكن أن أقبل به. قلت له اسمع يا (أ. هـ) والله العظيم لو تركتموني في شوارع بانكوك، بدون جواز سفر، وبدون مال، وبدون الخلوي، والله لن تأخذوا مني توقيعاً على هكذا صيغة!! قال لي اعمل صيغة أخرى، فعملت صيغة أخرى، فردّوا من هناك بصيغة أخرى رفضتها، وهكذا **مكثنا ست ساعات**، وقد وصلنا المطار منهكين ومتعبين ولم نذق شيئاً. وبعد ست ساعات من الأخذ والعطاء اتفق على الصيغة التي ظهرت بعد ذلك في الإعلام، وبها تعديل بسيط، وبعد الموافقة على هذه الصيغة قلت لـ(أ. هـ) أريد أن أطمئن أهلي، وفعلاً كان أهلي على نار، فسمح لي بأن أتصل، وكما قلت سابقاً لم أكن أملك حريتي. اتصلت هاتفياً بعمّان مع الأهل وطمأنتهم عني، فاستبشروا جداً، وقالوا لي لقد أعلن التلفزيون الأردني قبل قليل نص التصريح الذي أصدرته، وأيضاً أعلن أن جلالة الملك قد سمح للمواطن الأردني إبراهيم غوشة بأن يدخل الأردن كأي مواطن أردني. عدت إلى الغرفة وكنا في منتصف الليل. لم أنم تلك الليلة.

وبعد صلاة الفجر طُرق باب الغرفة، وقالوا لي حضر نفسك سنسافر، وفعلاً غادرنا المنطقة الحرة في بانكوك في الطائرة المتوجهة إلى كوالالمبور في ماليزيا. فقد أذيع في ذلك الوقت أن عضو المكتب السياسي لحماس إبراهيم غوشة موجود الآن في بانكوك، ويبدو أن حكومة تايلاند بدأت تفتش عني، وعلم المرافقون لي بذلك فاستعجلوا بترحيلي إلى كوالالمبور، وهكذا غادرت إلى كوالالمبور، وهناك المطار مرتب ونظيف، وأعطوني غرفة مستقلة، ومدير محطة الملكية الأردنية في كوالالمبور دعانا أنا والسيد (أ. هـ) على الغداء، وتغدينا وتجولنا قليلاً في المطار. واتصلت مع الأهل في عمّان وقيل لي يأتي أهلك المقربون فقط إلى المطار في عمّان، ولا يأتي أحد ولا يعلم أحد بوصولك كائناً من كان. اتصلت بالأهل وقلت لهم إنني أحدثكم من كوالالمبور، وبإذن الله سأكون عندكم فجر 30 حزيران/ يونيو وستصل الطائرة الساعة الرابعة فجراً. وغادرت الطائرة بعد ذلك إلى عمّان مروراً بدبي، وأذكر أنني رأيت في الطائرة مدير البنك الإسلامي حيث تبادلنا

التحية فقط، وكان معي في العودة أيضاً مساعد مدير المخابرات (أ. هـ.) في الطائرة نفسها، وجاءت مضيفة أردنية وقالت إن أبي معجب بك وبمواقفك السياسية، أريد أن آخذ صورة لي معك، (أنا أريد أن أنجح عملية العودة، وهذه الصورة ربما تسبب لي المشاكل)، فقلت لها أنا أشكر والدك وبلغيه تحياتي ولكن لا أستطيع أن آخذ صورة. وصلنا إلى عمّان فجر الأحد 30 حزيران/ يونيو.

في المطار نزل الركاب وأخذني ضباط الأمن في سيارة جانباً، أخذوا جواز سفري وختموا عليه ختم الدخول وسلموه لي، وأخذوني بالسيارة وبقيت فيها قليلاً، في هذه الفترة قال لي ابني إننا ونحن ننتظر جاءنا أحد ضباط الأمن باللباس المدني، كما يبدو، وسألهم من أنتم؟ قلنا نحن عائلة المهندس إبراهيم غوشة، قال إذن اتبعوني، فذهبنا بسيارتنا إلى حيث السيارة التي كنت بها، وهكذا التأم الشمل مرة أخرى. وقد عدت إلى البيت في صبيحة ذلك اليوم، وكان قد مرّ علي بعيداً عن البيت حوالي 22 شهراً، منذ شهر آب/ أغسطس 1999 إلى أن عدت في أواخر شهر حزيران/ يونيو 2001، كان الصحافيون والفضائيات في الخارج وأخذوا يطالبون بالتصريحات، كنت متعباً جداً وقلت لابني اعتذر لأنني ملتزم بالاتفاقية، وهكذا تمت آخر فصول عودة الأمر الواقع لي إلى الأردن.

هكذا نكون أنهينا عودة أحد الأربعة الذين أبعدوا، وإن شاء الله تأتي جهود ويعود الإخوة إلى الأردن وإلى الشعب الأردني، الحضن الدافئ لحركة المقاومة الإسلامية حماس، وجميعهم يسكن أهلهم في عمّان، الأخ أبو الوليد والده ووالدته في عمّان وكذلك عائلته، الأخ عزت الرشق والده والدته وعائلته في عمّان، والأخ سامي خاطر أيضاً عائلته وأهله وإخوانه في الأردن أيضاً، وذلك ليس على الله ببعيد، أن تتغير الأمور السياسية وتقف حالة الانضباع والتطبيع مع العدو الصهيوني، وتعود الأمور إلى أصولها. علماً بأن حركة حماس وكما أكدت أكثر من مرة لكل من كان يحاورني أو يحقق معي بأن حركة حماس تكنّ للأردن محبة ومعزة كبيرة في قلوب أبنائها تماماً مثل المحبة والمعزة لأرض فلسطين. وإن من حقنا نحن كأردنيين من أصل فلسطيني أن نبقى نتطلع إلى تحرير أرض فلسطين، ويجب أن لا يحول أحد بيننا وبين العمل للعودة إلى أرض فلسطين. ونحن في

حركة حماس ومنذ صدور ميثاقنا نتمسك بكل فلسطين من نهرها إلى بحرها، ولا نمانع أبداً بأي تحرير مرحلي، مثلاً أن تعود مناطق الضفة والقطاع والقدس كمرحلة أولى، ولكن لا يمكن أن نتنازل عن شبر من أرض فلسطين. ونحن مقتنعون بأن هذه الأرض لن تعود إلا بالمقاومة الطويلة، تلك المقاومة التي حررت الجزائر بعد 132 عاماً، ونحن لم يمرّ علينا بعد في فلسطين سوى 60 عاماً. وينبغي على الدول العربية، وخاصة الأردن وسورية ومصر ولبنان، المحيطة بفلسطين أن تساعد هذا الشعب الفلسطيني، وتقدم له كل الدعم للعودة بما فيه التضامن معه والتضامن مع طروحاته السياسية.

منذ عودتي للأردن في 30/6/2001 وإلى الآن في الثلث الأخير من سنة 2007 التزمت بالاتفاقية، ما عدا مناسبة استشهاد الشيخ أحمد ياسين واستشهاد الدكتور الرنتيسي، فقد ألقيت خطبتين ضروريتين، ولكني شاركت بكل المسيرات تقريباً للأحزاب والنقابات في القضايا الإسلامية والوطنية، وكذلك بالاعتصامات والندوات والمؤتمرات. وطيلة هذه الفترة كنت ومازلت أُدعى لإلقاء محاضرات داخلية حول آخر مستجدات القضية الفلسطينية، وذلك في شعب الإخوان المختلفة.

وفرض علي إقامة جبرية تقريباً ماعدا خروجي ست مرات خلال ست سنوات، أربعة منها لأداء العمرة واثنتان لمؤسسة القدس في صنعاء والجزائر مع أن اتفاقية 27/6/2001 لا تنص على منعي من السفر. ولكن قضية حماس ما تزال معلقة، والأردن لم يغير موقفه من الحركة بتاتاً، وهو موقف يراعي التزاماته وحساباته السياسية، وبالتالي فهو يراعي حسب رأيي الموقف الأمريكي والصهيوني.

أحداث 11/9/2001:

الحدث الآخر الكبير في سنة 2001 هو ما حصل في 11/9/2001، عندما تم عملية تدمير برجي نيويورك وإصابة مبنى البنتاغون أيضاً في واشنطن، هذه العملية الكبيرة التي لم تهز الولايات المتحدة فقط وإنما هزت العالم، وكانت لها نتائج وخيمة جداً على القضية الفلسطينية وعلى الأمة العربية وعلى الأمة الإسلامية، وكانت السبب المباشر لاحتلال أفغانستان واحتلال العراق، وربما احتلال بلاد عربية وإسلامية أخرى، ومازال بوش يخطط لها في نهاية مرحلته التي تنتهي في نهاية سنة 2008. هذه القضية

أنا كمهندس وكسياسي أعتبرها قضية مدبرة. أما من الناحية السياسية فقد تحدّث المحافظون الجدد في مذكرتهم التي أعدوها سنة 1996 وقدموها إلى نتنياهو، الذي كان رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني في ذلك الوقت، حول حماية الكيان الصهيوني، وضرب جميع المواقع التي يمكن أن تؤثر سلباً على هذا الكيان. وطبعاً كان العراق في المقدمة، لأن العراق هو البلد العربي الذي قصف الكيان الصهيوني سنة 1990 بحوالي 39 صاروخاً، وكان عليه أن يدفع الثمن، والولايات المتحدة هي التي تنوب عن الكيان الصهيوني في تدمير العراق، وفعلاً فقد دمر العراق. وكان جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت، قد هدد في 14/1/1991 طارق عزيز نائب الرئيس العراقي، بأنكم إذا لم تنسحبوا من الكويت فسنحتل العراق، ونجعلها تعود إلى العصر الحجري. وما يجري في العراق الآن فعلاً هو عملية تدمير منهجي كامل للبنية الاقتصادية والبشرية، وإثارة الحرب الأهلية بين المذاهب وبين القوميات، وهذه كلها ليدفع العراق ثمن تهديده للكيان الصهيوني، هذا من ناحية سياسية.

أما من ناحية فنية وهندسية، فلأول وهلة عندما نقرأ أو نسمع أو نرى بأن طائرة اصطدمت بمبنى ضخم، للوهلة الأولى نظن أن هذه الطائرة ستسقط على الأرض وتُدمر بمن فيها، وأن هذا البرج الضخم سيهتز قليلاً ويبقى مكانه. ولكن ما حصل في هذه العملية، وهي مخططة ومدبرة تماماً، وقضية الـ 19 شخصاً ومنهم عدد كبير من السعوديين، الذين اتهموا بها هؤلاء ربما قد استعملوا في هذه العملية كتبرير وغطاء، ولكن المخططين الأساسيين هم في تقديري لهم علاقة بالمحافظين الجدد الذين وضعوا مخططاً لاكتساح العالم الإسلامي، وكانوا بحاجة إلى مبرر، وكان المبرر في رأيي هو هذه العملية. لماذا؟ لقد لاحظنا أن الطائرتين اللتين ضربتا البرجين، قيل بأنهما كانتا تتجهان إلى الساحل الغربي للولايات المتحدة وكانتا ممتلئتين بالوقود، ورأينا جميعاً كيف أن الطائرة، وخاصة الثانية كانت تتمايل على ارتفاع منخفض، وهذا الطيران صعب جداً، وتضرب البرج بصورة ماهرة جداً، ولأول وهلة هل يعقل أن هؤلاء الـ 19 الذين أخذوا بعض الدورات بالتعلم على طائرات بمروحة ومروحتين أن يقودوا الطائرة بهذه المهارة؟ وهل هذا الطيران الذي قد يكون إلكترونياً قد تمّ توجيهه بطريقة فنية؟ ولاحظنا أيضاً أن الطائرتين قد ضربتا البرجين على مسافتين مختلفتين، بعضها تحت الطابق الـ 20

وبعضها ربما تحت الطابق الـ 30. ولاحظنا أن الطائرة الثانية التي ضربت البرج تحت الطابق الـ30. أدت إلى انهيار البرج الثاني وبينها وقت قبل البرج الأول. والسبب فنياً، هو ثقل الطوابق الـ 30 حيث أن لها ثقل ووزن أكثر من الطوابق الـ 20 فهذه سرّعت انهيار البرج الثاني وبعد ذلك البرج الأول. وطبعاً هذه الأبراج مبنية من حديد، ومعلوم لدينا في علم الهندسة أن النيران هي أخطر شيء على البناء المعتمد على الحديد، عندما تكون النيران بكمية هائلة من الوقود تنصهر في الطابق المعني، وعندما تنصهر لا تستطيع أن تحمل الطوابق الـ30 والطوابق الـ20 فينزل مرة واحدة ثقل 30 أو 20 طابق على الطوابق التي تليه، ولا يستطيع أن يتحمل، فينسحق وينزل على الطابق الذي أسفله وهكذا. وهذا ما رأيناه رأي العين، فتهاوت الطوابق مثل لعبة الدومينو، فهل يعقل أن الشيخ بن لادن خطط هذه العملية، وهو في مغاور أفغانستان، بهذه الدقة وبهذه الفعالية؟ أم أن هذه العملية قد تمّ تخطيطها، وربما بمختبرات معينة وبأبراج بنسب أقل وربما بمقياس (1 إلى 100)، حيث تم تعريض الأبراج للتجربة، ومراقبة النتائج، ثم تمّ تطبيق هذه العملية.

وأنا كمهندس إنشائي وتخصصت في السدود، أذكر جيداً قبل أن نبني مهرب سدّ الملك طلال، وكان يكلف ملايين الدنانير، وهو من الباطون (الإسمنت) المسلح، فعندما تأتي كميات كبيرة من مياه الفيضانات تفتح البوابات فتنزل المياه من هذا المهرب. وعندما تنزل المياه بقوة يتعرض هذا المهرب إلى إجهادات كبيرة، وهذه الإجهادات كان من المهم جداً أن ندرسها. وفعلاً دعتنا شركة إنيرجو بروجكت في سنة 1974 إلى بلغراد لمشاهدة **نماذج بمقياس (1 إلى 100)**، عرَضتها إلى قوى تتناسب مع القوى المتوقعة من الفيضانات، وتمت دراسة الإجهادات على هذا النموذج قبل تنفيذه على الواقع. أنا لا أستبعد أن هذه العملية قد تمّ تجربتها في مختبرات معينة، ولذلك تمت بصورة دقيقة. وهناك طبعاً من تكلم عن قضايا كثيرة ومخالفات كثيرة وتساؤلات كثيرة، وألفت كتب حول هذا الموضوع، ولكني أحببت أن أتناول هذه القضية من المنطلق الإنشائي.

وأعتقد أن وراء العملية قوة من الموساد الصهيوني ومن المحافظين الجدد، وهذا ربما يُكشف الستار عنه بعد عشرات السنوات. ونحن لا نستبعد أن يقوم بذلك أناس من داخل الولايات المتحدة، ويكفي أن نذكر بعملية أوكلاهوما التي قام بها مجموعة من

المتعصبين المسيحيين الأمريكيين، الذين يكرهون الحكم الفيدرالي والحكومة الأمريكية، حيث قتل أكثر من 205 موظفين في تلك العمارة، في منطقة أوكلاهوما، وقد أعدم هذا الأمريكي بدون أن تسلط الأضواء على من حوله. فهذا ما ستكشفه الأيام. أنا أستبعد استبعاداً كبيراً أن تكون هذه العملية قد قامت بها مجموعة بن لادن.

ونحن في حركة المقاومة الإسلامية حماس لا نؤيد أي عملية تستهدف المدنيين سواء في أمريكا أو بريطانيا أو إسبانيا، وقد يقول قائل لماذا تقومون بعمليات أيضاً في فلسطين، ضدّ الصهاينة؟ نقول لهم إن الصهاينة يقتلون من شعبنا الفلسطيني كل يوم بالطائرات والدبابات وبقوات نظامية، أطفالاً ونساءً، لا يملك الشعب الفلسطيني الطائرات والدبابات ليردّ عليهم، ما يملكه هو القنابل البشرية، ومن حقّ هذا الشعب أن يردّ على الاعتداء. وأحب أن أذكّر أنه عندما قام النازيون بقيادة هتلر بقصف المدنيين في لندن في الحرب العالمية الثانية، وكان يسقط المئات بل الآلاف، ردّ البريطانيون والأمريكيون على قصف مدنيين ألمان، وخاصة مدينة درسدن التي اختفت عن الوجود وراح ضحيتها عشرات الآلاف، فإذن من صفات الحرب أنه يحق للطرف الذي يعتدى عليه أن يردّ.

الفصل الرابع عشر

الفترة 2002 – 2004

من أحداث سنة 2002:

في عامي 2002 و2003 جرت عمليات تصفية واسعة لقادة سياسيين وعسكريين في انتفاضة الأقصى منهم قادة حماس في نابلس الشهيدين جمال سليم وجمال منصور، والشهيد دروزة، والشهيد أبو علي مصطفى، الذي قامت الجبهة الشعبية باغتيال أحد الوزراء الصهاينة المتعصبين زئيفي انتقاماً لاغتياله، كذلك تمّ اغتيال رائد الكرمي من شهداء الأقصى، وكذلك تمّ اغتيال الشهيد محمود أبو هنود ابن عصيرة الشمالية وهو من تلامذة يحيى عياش أحد مؤسسي كتائب القسام، وكذلك العملية الكبيرة التي استهدفت القائد الكبير صلاح شحادة قائد كتائب القسام، وأحد مؤسسي العمل العسكري لحماس، وهي عملية إجرامية حيث أن أحد العملاء راقبه عندما دخل هو وزوجته إلى أحد المنازل في حي الدرج في غزة، وأرسل إشارة وصلت إلى الشاباك الصهيوني. واجتمع بنيامين بن إليعازر وزير الدفاع الصهيوني في ذلك الوقت مع آفي دختر مسؤول الشاباك ومع قائد الطيران دان حالوتس، وأخذ القرار بقصف هذا البيت مهما يكن عدد الضحايا المدنيين. وفعلاً قامت طائرة إف - 16 بقصفه واستشهد صلاح شحادة وزوجته وحوالي 18 شهيداً من النساء والأطفال، وهدم عدد كبير من البيوت، وكانت جريمة كبيرة جداً، ولكن للأسف العالم الأوروبي والأمريكي يُعتّم على هذه الجرائم التي تستهدف المدنيين. يمكن القول إن هذين العامين هما العامان اللذان مثلا ذروة انتفاضة الأقصى، وقد سقط في هذه الفترة أعداد كبيرة من الصهاينة سواء بالعمليات الفدائية أم الاستشهادية، وأصبح الوضع عند الكيان الصهيوني مهتزاً لدرجة أن بعض المفكرين صاروا يقولون إننا نعيش مثل أيام الاستقلال سنة 1948، وصلت الأمور بأن السياحة قد توقفت، وحتى مباريات كرة القدم كانوا يرفضون أن يجرونها على أرض الكيان الصهيوني، والخطوط الدولية كانت تُنْزِل ركابها في مطار بن جوريون، وتعود لتبيت في قبرص، هذا الوضع كان سائداً في عامي 2002 و2003. والحقيقة إن حركة المقاومة الإسلامية حماس كان لها دور حاسم وكبير في هزّ أركان دولة الكيان الصهيوني، فالقتلى الصهاينة في انتفاضة الأقصى، وهم حوالي أكثر من ألف قتيل مقابل أكثر من أربعة آلاف من الفلسطينيين، أوقعت حركة حماس أكثر من نصفهم ومعظمهم سقط على أيدي القسام في الضفة الغربية، حيث أن التجمعات السكنية الصهيونية أقرب

إلى الضفة الغربية، بينما القسام في قطاع غزة في شبه سجن، ومن الصعوبة أن يخرج الشباب في عمليات رئيسية إلى خارج القطاع.

هذه المقدمة تمثل الأجواء في هذين العامين، ومن أهم العمليات التي حصلت، وهي كثيرة، عملية عيون الحرامية قرب سلواد؛ حيث استطاع قناص إسقاط 20 جندياً صهيونياً بين قتيل وجريح ببندقية قديمة. وثمة عملية أخرى تمت في أواخر شهر آذار/ مارس 2002 في فندق بارك في شمال فلسطين المحتلة، حيث قتل 36 صهيونياً وجرح نحو 190 آخرين، وهذه العملية جعلت شارون يتحول إلى وحش هائج.

وفي هذه الفترة نفسها عقد مؤتمر القمة العربي في بيروت، ولم يسمح لعرفات بحضور المؤتمر في بيروت وكان ذلك بداية الحصار عليه، وهذا المؤتمر تميز بتبني المبادرة العربية، التي اقترحتها السعودية. وملخص المبادرة، أنه مقابل انسحاب الاحتلال الصهيوني من الأراضي التي احتلت سنة 1967، تقوم الدول العربية جميعها بعمل صلح وتمثيل دبلوماسي كامل واقتصادي كامل مع دولة الكيان الصهيوني. وقد نقلت الفكرة من القمة العربية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، والتي اتخذت أيضاً قراراً بتبني المبادرة. وقد رفضت حماس المبادرة لأن الحركة ترفض الاعتراف بالكيان الصهيوني، كما ترفض التنازل عن أي جزء من فلسطين بما في ذلك الأراضي المحتلة سنة 1948 والتي تبلغ نحو 78% من أرض فلسطين؛ فضلاً عن رفض حماس التطبيع مع الكيان الإسرائيلي.

ورداً على عملية فندق بارك قام شارون بحملة سميت **بالسور الواقي**، وقد استهدفت جميع المدن والقرى في الضفة الغربية المشمولة بمنطقة "أ" و"ب" في اتفاقية أوسلو، فاحتلها جميعها بالدبابات وارتكب المجازر، وهاجم المقاطعة التي يقيم بها عرفات وهدم جزءاً منها، وفرض عليه حصاراً حتى آخر يوم في حياته. وهذه العملية أيضاً استهدفت مدينة ومخيم جنين، قاوم المجاهدون في المدينة والمخيم، سرايا القدس وكتائب القسام وشهداء الأقصى وغيرهم عدة أيام في المخيم، واستطاعوا أن يوقعوا في العدو الصهيوني على الأقل 25 قتيلاً صهيونياً. وقد استعمل العدو الصهيوني الدبابات والجرافات، واستشهد من سكان المخيم حوالي 50 شهيداً، وقد سجلت المعركة محطة فارقة في مقاومة

الشعب الفلسطيني لآلة الحرب الصهيوني، وهزت العالم العربي والإسلامي.

تحركت الأمم المتحدة واتفق على إرسال وفد للتحقيق في هذه المجزرة التي حدثت في جنين، ولكن شارون رفض وتحدى هيئة الأمم وغطته الولايات المتحدة، ومع أن كوفي عنان وصل إلى جنيف في سويسرا وكان يعد نفسه للمجيء لفلسطين إلا أنه صرف النظر عن الزيارة، ولم يسمح لهم بالتحقيق في هذه المجزرة. أما في العالم العربي والإسلامي فقد تحرك الشعب في كل عاصمة استنكاراً لمجزرة شارون، وتضامناً مع مقاومة الشعب الفلسطيني، ومن التحركات التي حصلت في الأردن، وخاصة في مدينة عمّان، دعوة الأحزاب الأردنية والنقابات إلى تحرك ومظاهرة باتجاه السفارة الصهيونية في منطقة الرابية، كان الشباب متحمساً جداً؛ حيث توجهنا لنصلي الجمعة في المسجد المقابل للنقابات، ثم نتوجه مع النقابات باتجاه الرابية، فوجدنا أن عمّان أصبحت تحت سيطرة الجيش الأردني، وأجبرنا على أن نصلي في مسجد قريب. وفي الوقت نفسه مورست ضغوط كبيرة على قادة النقابات وقادة الأحزاب، وللأسف، حصل تراجع سياسي وتراجع في قرار تسيير هذه المسيرة من كافة القوى القومية واليسارية والإسلامية، وهو ما خلف نوعاً من الإحباط لدى الشباب المتحمس في الأردن. بعد ذلك يمكن أن نسجل أن قمع هذه المحاولة وتراجع القوى الإسلامية والقومية والوطنية عن تسيير هذه المسيرة أثرت في جميع النشاطات التي تمّ الدعوة إليها للتضامن مع القضية الفلسطينية، وكذلك في مصر وموريتانيا وتونس والمغرب وقطر وعُمان، كلها أثرت عليها.

ومن المدن التي تمّ التركيز عليها واجتياحها أيضاً مدينة نابلس، خاصة المدينة القديمة، حيث سقط 100 شهيد، وأبلت المقاومة الإسلامية والقومية والوطنية بلاءً حسناً. وبعد السور الواقي ركز جيش الاحتلال الصهيوني على فصائل المقاومة، وفي مقدمتها حركة حماس وكتائب القسام، وزجّ بهم بالآلاف بالسجون، والآن ثمّة قادة كثيرين ما زالوا داخل السجون الصهيونية منذ أحداث السور الواقي.

وبدأت مرحلة جديدة في حصار عرفات وبدأوا بمحاولة فرض إرادتهم عليه، وبدأ شارون ببناء جدار الفصل العنصري الذي أخرج مئات الألوف من الشعب الفلسطيني وراء الجدار، وحصرهم ما بين الجدار وما بين الخط الأخضر، وطول هذه الجدار

سيكون عند اكتماله حوالي 770 كيلومتر، ويحيط الجدار الآن بالضفة الغربية من شمالها في منطقة سالم إلى جنوبها في منطقة الخليل. ويبدأ العدو الصهيوني بعمل جدار لحصر الشعب الفلسطيني بين جدارين غربي وشرقي؛ بحيث إن الغور كله، وهو يمثل حوالي 20% من أراضي الضفة الغربية يضمه إليه، ويجعل الشعب الفلسطيني كله في كانتونات داخل جدارين؛ الكانتون الأول في منطقة نابلس، والكانتون الثاني في منطقة رام الله، والكانتون الثالث في منطقة الخليل، والخطة الآن تسير على قدم وساق وفي مراحلها الأخيرة.

في هذا العام، في 2002، قدمت طلباً لأداء العمرة، كما قدمت طلباً في نهاية سنة 2001 عندما عدت من قطر، ولم يسمح لي أيضاً بالسفر.

من أحداث سنة 2003:

وفي سنة 2003 حصلت تطورات عسكرية وسياسية، بالنسبة للتطورات العسكرية استمرت المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة على وتيرة عالية؛ حيث تمت عدة عمليات من كافة الفصائل الفلسطينية. لكن في هذا العام فرضت الولايات المتحدة على عرفات أن يعدِّل في القانون الأساسي الفلسطيني، بحيث يستحدث منصب رئيس الوزراء، وتمت المراهنة على تولي محمود عباس للمنصب، ورضخ عرفات فعين محمود عباس رئيساً للوزراء، وكان ممن وقف مع عباس محمد دحلان ونبيل عمرو.

وفي هذه الفترة عقد **مؤتمر في العقبة حضره شارون ومحمود عباس والملك عبد الله الثاني**، وفي هذا المؤتمر ألقى محمود عباس خطاباً مثل سياسته التي ما زال يسير عليها حتى الآن، وتشمل وقف عسكرة الانتفاضة، وبقاء سلاح واحد للسلطة ومتابعة مسار التسوية. وفي هذه الفترة أيضاً تمّ توقيع وثيقة جنيف من عدد من الشخصيات الفلسطينية المقربة من قيادة السلطة الفلسطينية، ومن عدد من الإسرائيليين المحسوبين خصوصاً على حزب العمل واليسار الإسرائيلي. وفي الوثيقة تخلّى الموقّعون الفلسطينيون عن حق العودة إلى فلسطين المحتلة سنة 1948، وهو من أخطر التنازلات، التي توقع عليها شخصيات اعتبارية فلسطينية.

هذا العام مثّل أيضاً تزايد الضغوط السياسيّة على حماس والجهاد الإسلامي، بهدف وقف الانتفاضة أو إعلان التهدئة، حيث إن هاتين الحركتين في توجهاتها تريان أن الجهاد هو المكون الرئيسي لبرنامجهما السياسي. كانت لقاءات القاهرة كثيرة، ونتيجة لذلك وافقت كل من حركة الجهاد وحماس على القيام بتهدئة من طرف واحد، على شرط أن يوقف الكيان الصهيوني عملياته في الضفة والقطاع. استمرت هذه التهدئة أقل من شهرين تقريباً (2003/6/29-2003/8/22)، لكن العدو الصهيوني استمر في اعتداءاته من اغتيالات واجتياحات، وعندما تمّ تصفية واغتيال أحد قادة القسام الكبار، وهو عبد الله القواسمي في مدينة الخليل، قامت كتائب القسام بالردّ على هذه العملية بتفجير باص في منطقة القدس، وقتل في العملية 20 صهيونياً وجرح العشرات، فجنّ جنون الاحتلال الصهيوني، وقامت إحدى الطائرات بإطلاق صاروخ على سيارة الشهيد والقيادي في حركة حماس إسماعيل أبو شنب. وهكذا انتهت التهدئة التي استمرت أقل من شهرين، وبعد انتهاء هذه التهدئة قدم محمود عباس استقالته كرئيس وزراء في السلطة.

وفي هذا العام 2003 **سمح لي ولأول مرة بالسفر لأداء العمرة**، مع أنني حسب الاتفاقية التي عقدت مع السلطات الأردنية، ولم يكن بها أي بند يمنعني من السفر. وقد اتصل بي وزيران في ذلك الوقت هما سمير الحباشنة وتوفيق كريشان وقالا إن الحكومة تسمح لك بالسفر بشرط أن لا تقوم بأي تصريح في الخارج. وهكذا سافرت والتقيت مع الإخوة في السعودية في مكة وجدة. قال لي الشيخ الغنوشي "مرحباً بك يا شيخ إبراهيم بعد أن خرجت من النفق بعد ثلاث سنوات". طبعاً قابلنا كثيراً من الإخوة من بينهم خالد مشعل وأعضاء المكتب السياسي للحركة.

لا بدّ أن نتحدث باختصار عن **العدوان الأمريكي على العراق**، كما هو معلوم بدأ هذا العدوان على العراق في شهر آذار/ مارس 2003، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، أي ما بعد منتصف سنة 2007. استطاعت جيوش الاحتلال الأمريكي أن تحسم المعركة بسرعة، وخاصة معركة بغداد مما ألقى بظلال من الإحباط على كل المجتمع العربي والإسلامي عندما سقطت بغداد بسرعة. ولاشك فقد أسهم في ذلك خيانات بعض ضباط الجيش العراقي الذين كانوا مخترقين، وثبت ذلك فيما بعد في تطورات القضية العراقية.

الشعب العراقي أثبت أصالته، حيث ما إن أعلن بوش من على حاملة الطائرات بأن الحرب قد حققت أهدافها، وأن النصر كان من جانب الأمريكيين، حتى بدأت مقاومة متدرجة وفاعلة في العراق، واستهدفت جيش الاحتلال الأمريكي في كل مكان، وتركزت أكثر ما تركزت في منطقة الأنبار، وتمّ تدمير إحدى مدن الأنبار الرئيسية، وهي الفلوجة، مرتين بسبب مقاومتها الشديدة ضدّ الاحتلال الأمريكي، ولاشك أن العدوان الأمريكي كان مدعوماً من الغرب ومن الأمم المتحدة ومن بعض الدول العربية للأسف.

تطورات المقاومة العراقية جعلت من الأمريكيين ومن ورائهم الصهاينة يبدأون بتآمر داخلي بتأليب مقومات الشعب العراقي على بعضه البعض، من الناحية القومية ومن الناحية الطائفية والمذهبية، وقد لاحظنا وجود صراعات بين الأكراد وبين العرب، وأخطر من ذلك صراعات وشبه حرب أهلية بين الشيعة والسنة. مع أنه قد مرت قرون لم يكن هناك أي قتال بين السنة والشيعة، وإنما كان هناك تباينات فقهية بين السنة والشيعة، ولكن أساطين الصهاينة والمحافظين الجدد عمقوا هذا الخلاف تعميقاً شديداً، ووصلت الأمور في العراق إلى وضع شديد الحساسية وشديد الألم، حيث لا يكاد يمرّ يوم إلا ويعلن عن جثث ملقاة هنا وهناك، ويعلن عن مجازر سواء بين السنة وبين الشيعة، في مساجد الشيعة ومساجد السنة. لا شك أن وراء هذه المؤامرة الإسرائيليون والصهاينة الذين يحركون المحافظين الجدد. ومما زاد الطين بلة، أن هناك من ادعوا بأنهم من السلفيين، الذين جعلوا محاربة الشيعة قبل محاربة الأمريكيين، وهناك من الشيعة المتشددين الذين جعلوا محاربة السنة قبل محاربة أي شيء آخر. والحقيقة أنّ هذا الأمر بحاجة إلى معالجة، ومعالجته ليست سهلة، ولكن ينبغي على القيادات الإسلامية من الشيعة ومن السنة أن يجلسوا معاً ويحلوا هذه المعضلة الكبيرة.

أما بالنسبة لدور الحركات الإسلامية في العراق، فهناك بعض الحركات الإسلامية التي وقفت مع المقاومة خاصة فصائل المقاومة في العراق، وهذه تمثل العمق الإسلامي الصحيح، وهناك جماعة هيئة علماء المسلمين في العراق، ولها موقف قوي، إذ ترفض الاعتراف بالاحتلال، وترفض الانخراط في العمل السياسي في ظلّ الاحتلال. ولكن للأسف فإن الحزب الإسلامي العراقي انخرط مبكراً منذ أن قَبِلَ أن يكون في حكومة

بريمر، ودخل بعد ذلك في حكومة الجعفري وحكومة المالكي. وفي تقديري أن هذه الخطوة لم تكن موفقة من جانب الحزب الإسلامي، لأن تاريخ الحركة الإسلامية التي يمثلها الإخوان المسلمون، أظهرت أنهم دائماً كانوا ضدّ الاحتلال مهما كانت نوعية النظام في ذلك الوقت، فالإسلاميون وقفوا مع عبد الناصر كما ذكرنا سابقاً عند العدوان الثلاثي على مصر على الرغم من الاضطهاد الذي تعرض له الإخوان المسلمون تحت حكم عبد الناصر، أيضاً وقف الإسلاميون مع الرئيس صدام حسين ضدّ العدوان الأمريكي، مع أن صدام استهدف فيمن استهدف الإسلاميين وبعض الإخوان المسلمين. وهذه الخطوة التي اختطها الحزب الإسلامي خطوة مناقضة في رأيي لطريق الإخوان المسلمين، ونأمل أن يخرجوا بأسرع وقت من هذا المأزق الشديد.

الولايات المتحدة الآن تغوص يوماً بعد يوم في المستنقع العراقي، فلديها الآن حوالي أربعة آلاف قتيل أمريكي وأكثر من 30 ألف جريح، وهناك مئات المليارات من الدولارات أنفقت على هذه الحرب، والآن المجتمع الأمريكي يقف موقفاً قوياً مع الانسحاب من العراق، والديموقراطيون استطاعوا أن يسيطروا على مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وهناك أيام قادمة حاسمة قبل نهاية فترة بوش التي تنتهي في سنة 2008، ولاشك أن الخسارة الكبيرة للولايات المتحدة في العراق، ستنعكس على كل خطط الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، بما فيها القاعدة الرئيسية للولايات المتحدة وهي دولة الكيان الصهيوني.

من أحداث سنة 2004:

في سنة 2004 استمرت محاولات الحوار في القاهرة التي كانت تقوم بها السلطة ووزير الاستخبارات المصري. أهم الأحداث في هذا العام بالنسبة لحماس هي عملية **اغتيال الشهيد الشيخ أحمد ياسين في 22/3/2004**، حيث تمت هذه العملية الإجرامية بعد صلاة الفجر، عندما خرج الشيخ أحمد على عربته التي يقودها أحد الشباب، إذ أطلقت إحدى الطائرات الصهيونية صاروخاً واستشهد الشيخ أمام العالم جميعاً، وأحدهم أخذ عباءة الشيخ وأخذ يولول، وآخر أخذ ما تبقى من العربة التي كان عليها مُذَكِّراً أن العدو لا ينفع معه إلا المقاومة المستمرة والشرسة، حيث لم يتردد الاحتلال

في قتل هذا الشيخ المعاق الذي لا يهدد أحداً. هذه العملية، اغتيال الشيخ أحمد ياسين، هزت الشعب الفلسطيني والعالم العربي والإسلامي، فخرجت المظاهرات المستنكرة لاغتياله، والمتضامنة مع المقاومة في كل مكان، من جاكرتا شرقاً إلى الرباط غرباً. وفي مدينة غزة حيث شيع الشيخ أحمد، خرج مئات الألوف من المتظاهرين تضامناً مع المقاومة وحزناً على فقدان الشيخ أحمد ياسين، الذي كان له الدور الأبرز لتأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس. وفي عمّان دعت الأحزاب، وفي مقدمتهم الإخوان المسلمين، والنقابات ومنها نقابة المهندسين إلى مسيرة، وخرج فيها أكثر من 20 ألف شخص بعد أداء صلاة العصر في المسجد الحسيني الكبير في وسط العاصمة، خرجوا وهم يحملون الرايات ويطلقون الهتافات حزناً على الشيخ أحمد، وتضامناً مع خطّ المقاومة والجهاد في فلسطين. وقتها قلت للشيخ همام سعيد نائب المراقب العام للإخوان المسلمين "لا يمكنني إلا أن أقول كلمة في هذه المسيرة"، قال على الرحب والسعة، فاعتليت السيارة الرئيسية، ولأول مرة ألقيت كلمة في الجماهير باسم حركة المقاومة الإسلامية حماس في وسط عمّان، وعلّق الإعلام على هذه الكلمة، وكان لا بد أن أعبر في هذه المناسبة المهمة جداً. وأقمنا سرادق قبول تهنئة بالشهيد، حضره الآلاف المؤلفة الشعبية من كل مكان حيث استمرت ثلاثة أيام، هذا يدل على مدى محبة وتضامن الشعب الأردني، شأنه شأن الشعوب العربية والإسلامية مع هذه الحركة المباركة، التي جعلت المقاومة أهم مقومات برنامجها السياسي.

ولم تكد تمر ثلاثة أسابيع على استشهاد الشيخ أحمد إلا **ويستشهد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي**، وقد تمّ انتخاب الدكتور الرنتيسي مسؤولاً عن حركة المقاومة الإسلامية حماس بعد الشيخ أحمد ياسين في غزة، وقد قال هذا الرجل كلمة قاطعة عندما سئل من هو مرجعيتك؟ قال، إن مرجعيتي هو الأخ المجاهد خالد مشعل وأنا أسمع له وأطيع. وبهذا ألغى نهائياً لما كان يخطط له البعض من تقسيم حماس بين الخارج والداخل، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي من الإخوة الذين أكن لهم محبة كبيرة، وتحدثت معه عدة مرات، وتقابلت معه مرتين في مرج الزهور، وقلت في نفسي أنا وإياه على خط واحد من الناحية الفكرية والسياسية وقد تعرض الدكتور الرنتيسي، وللمرة الثانية، لمحاولة اغتيال، كانت إصابته هذه المرة بليغة وتوفي بعدها في 2004/4/17، وخرجت مظاهرات

في كل مكان تضامناً وتكريماً لهذا البطل المجاهد الذي له دور في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس. ولا أنسى موقفه عندما أبعد نهاية شتاء 1992 إلى جنوب لبنان في مرج الزهور، وانتخب قائداً للمبعدين وأعلن في الساعات الأولى أننا سنبقى على الحدود، وسنقيم مخيم العودة، ومكثوا حوالي العام في هذا المخيم، وحوّلوا المحنة التي تعرضوا لها إلى منحة، حيث ظهرت حركة المقاومة الإسلامية حماس بقوة إلى العالم. وأيضاً كانت جنازة الشهيد الرنتيسي ضخمة في غزة، حيث كان الدكتور الرنتيسي محبوباً، وخاصة بين الشباب، وفي عمّان أيضاً قامت مسيرة زاد عدد المشاركين فيها عن العشرة آلاف، وقد ألقيت كلمة أيضاً باسم حركة المقاومة الإسلامية حماس بالتهنئة باستشهاده والتعزية بفقدان هذا القائد الكبير.

في هذه الأثناء تمت عدة عمليات فدائية واستشهادية، قامت بها خلية سلوان بقيادة المجاهد الأسير وائل قاسم وإخوانه، ومن ورائهم المجاهد الكبير الأسير عبد الله البرغوثي المحكوم بـ 67 مؤبداً، أبرزها عملية الجامعة العبرية في القدس.

وفي هذا العام كان من الأحداث المهمة **مرض ياسر عرفات**، حضر إليه الأطباء من مختلف الدول العربية من الأردن ومصر وتونس لمعالجته وهو محاصر في المقاطعة، واتفق هؤلاء الأطباء على أن ينقل إلى الخارج للعلاج، حيث تمّ نقله إلى باريس ومكث هناك فترة، وبعد ذلك أعلن عن وفاته في 11/11/2004، وأُحْضِر بطائرة؛ حيث دفن في رام الله قريباً من المقاطعة. ومما هو جدير بالذكر أن ممن زاره في باريس محمود عباس رئيس الوزراء السابق، الذي اختير بعد ذلك رئيساً للسلطة الفلسطينية، ورئيساً لحركة فتح، ورئيساً لمنظمة التحرير، وأيضاً زوجته سهى وبعض القادة من حركة فتح ومنظمة التحرير كانوا هناك. والغريب إنه حتى هذه اللحظة فإن وفاة عرفات ما تزال غامضة، والروايات كثرت بأنه توفي بالسم. وذكر أحد المستشارين بسام أبو شريف مؤخراً بأن شيراك رئيس فرنسا السابق يعلم بالضبط سبب الوفاة هو والأطباء الفرنسيين. والجدير بالذكر أن طبيبه الخاص أشرف الكردي لم يسمح له بمرافقة عرفات عندما ذهب إلى فرنسا، أي أن هناك علامة استفهام كبيرة عمن وراء هذه العملية، وكيف تمت؟. والجدير بالذكر أيضاً في آخر زيارة لشارون إلى واشنطن ولقائه مع جورج بوش تحدثا

عن عرفات، قال بوش لشارون "لا تقترب من عرفات"، قال شارون "إن الله بحاجة إلى مساعدة أحياناً". وهذه المقابلة نشرت في الجرائد العبرية قبل وفاة عرفات، وهو ما يؤكد بأن شارون كان لديه الإصرار على تسميم عرفات. والجدير بالذكر بأن أول من شكك في اغتيال عرفات هو الأخ المجاهد خالد مشعل، لأنه نفسه قد مرّ بتجربة عندما تمّ تسميمه بصورة كيماوية، ولولا لطف الله أولاً، والتطورات التي حصلت فيما بعد بإلقاء القبض على عملاء الموساد الاثنين لما نجا أبو الوليد. وهذا الجانب من وفاة عرفات، والجانب الآخر الأموال التي لديه، وقد تحدث الإعلام قبل ذلك أن ما لدى عرفات لا يقل عن خمسة مليارات دولار، وحتى هذه اللحظة لا أحد يعرف مصير هذه الأموال، خاصة أن مستشاره الاقتصادي الكردي الغامض محمد رشيد (خالد سلام) قد اختفى بعد ذلك، وربما يتنقل في أكثر من مكان، إذن أسرار وفاة عرفات ما زالت غامضة، وأسرار أمواله وهي أموال الشعب الفلسطيني ما زالت غامضة.

في هذا العام 2004 جرى لقاء لمجلس الشورى في الحركة، في هذا اللقاء طلبت أن لا أترشح لرئاسة المجلس، لأنني لا أستطيع أن أتحرك من الأردن بسبب فرض الإقامة الجبرية عليّ، وهكذا تمّ اختيار أحد الإخوة.

في ظلّ التطورات الخطيرة جداً في المنطقة، والمؤامرات التي تستهدف المقاومة الفلسطينية طالب عدد من الإخوة أعضاء مجلس الشورى تغيير النظام الأساسي الداخلي للحركة، سابقاً كان النظام ينص على أن رئيس أو قائد حركة حماس له دورتان على الأكثر، جرى تعديل للقانون الأساسي، وفتحت الدورات وذلك أسوة بمواقع أخرى للحركات الإسلامية حيث لا تشترط حصر انتخاب الرئيس بعدد مُعيّن من الدورات، ولكنها تترك لمجلس الشورى حق اختيار الشخص أكثر من دورتين، وهكذا فقد تمّ انتخاب الأخ خالد ليكون قائداً لحركة حماس لفترة ثالثة.

الفصل الخامس عشر

الفترة 2005 – 2007

من أحداث سنة 2005:

من الأحداث التي حصلت في سنة 2005 اغتيال رفيق الحريري يوم 2005/2/14، ورفيق الحريري له جوانب إيجابية وله جوانب سلبية، من إيجابياته أنه كان الرجل الذي بنى لبنان وبيروت خاصة بعد تدميرها بسبب الحرب الأهلية، ولقد شاهدت بنفسي في أثناء بعض زياراتي إلى لبنان المشاريع الضخمة التي تمّ تنفيذها، خاصة في وسط بيروت وفي أماكن كثيرة. وهذا الرجل أيضاً أصبح بالغ الثراء وأنفق على قطاعات فقيرة من كافة ألوان المجتمع اللبناني، وهناك معلومات بأنه علّم أكثر من 35 ألف طالب جامعي، هذه المساعدات الكبيرة جعلت له شعبية كبيرة في لبنان وخاصة عند السنة اللبنانيين، مع أن خط الحريري هو خط ليبرالي متحرر، وفي الانتخابات الأخيرة استطاع تيار المستقبل أن يسيطر، وأن يفرز عدداً كبيراً من النواب السنة ممن يتضامنون معه، أما سلبياته فهو انحيازه للغرب ممثلاً بالولايات المتحدة وفرنسا.

اغتيال الحريري تضاربت حوله التحليلات، وأنا ممن كتبت مبكراً بأن من وراء اغتياله لا بدّ أن تكون قوى خارجية، وخاصة قوى الموساد الصهيوني، لسبب بسيط وهو أن اغتيال الحريري سيفكك المجتمع اللبناني وهذا ما حصل بعد ذلك، وهذا ما يريده العدو الصهيوني، الذي يريد إضعاف مكونات المجتمع اللبناني حتى إذا حصلت أي مواجهة مع المقاومة الإسلامية في لبنان يستطيع الصهاينة أن يوجهوا ضربات قوية لهذا الخطر الذي يمثله حزب الله. وفعلاً حصل انشقاق كبير، وهذا الانشقاق أفرز ما يسمى بالأكثرية أو الموالاة أو قوى 14 آذار وتتشكل من جماعة المستقبل ومن جماعة جنبلاط وجماعة جعجع، وغيرها في جهة، ويقابلها في الجهة الأخرى حزب الله وأمل وجماعة ميشيل عون أو التيار الوطني الحر وغيرها، ومازالت حتى هذه اللحظة (صيف 2007) هناك أزمة شديدة داخل المجتمع. وفي الوقت الذي يدعو حزب الله وكتلته إلى قيام حكومة وطنية، تعطي للمعارضة ما يسمى بالثلث الضامن ترفض الأكثرية ذلك وتقف الولايات المتحدة ضدّ إقامة مثل هكذا حكومة، بينما تأخذ الولايات المتحدة موقفاً مناقضاً في فلسطين، بين حركة حماس وفتح فهي مع إجراء انتخابات مبكرة، وضدّ الديموقراطية التي أفرزت حركة حماس في 2006/1/25، وترفض أي حكومة وحدة وطنية، هذه المواقف المتباينة

للولايات المتحدة تفرضها المصلحة الأمريكية والصهيونية. وهذا يقودنا فيما بعد عندما يأتي الحديث عن حرب تموز التي حصلت في لبنان في شهر تموز/ يوليو 2006.

في عام 2005 حصل **لقاء مهم في القاهرة** حيث التقت الفصائل الفلسطينية جميعها تحت إشراف حكومة مصر، وكان يمثلها وزير الاستخبارات المصري عمر سليمان، وكانت أهم الفصائل المشاركة فتح وحماس والجهاد والشعبية والديموقراطية وغيرها. اجتمعت هذه الفصائل في القاهرة لمدة طويلة، وخلاصة هذه اللقاءات تمت **بإعلان قرارات القاهرة في 17/3/2005** فيما يعرف بإعلان القاهرة، هذه القرارات فيها جوانب إيجابية وفيها جوانب سلبية. من الإيجابيات التركيز على عودة اللاجئين إلى ممتلكاتهم وأراضيهم في مناطق 1948، هذا نصّ واضح ومهم جداً، لأنه لا يمكن حلّ القضية الفلسطينية دون حلّ قضية اللاجئين وقضية القدس. وأيضاً من الجوانب الإيجابية إعادة بناء منظمة التحرير على أسس تنظيمية وسياسية جديدة، بما فيها المجلس الوطني الفلسطيني، بحيث يتمّ تحت آلية الانتخابات. أما من الجوانب السلبية في رأيي، فهو قرار التهدئة، منذ توقيع هذه الاتفاقية حتى نهاية سنة 2005، وعملياً فقد مرّ عام 2005 بدون عمليات مقاومة، على الرغم من أن الاجتياحات والاغتيالات الصهيونية لم تتوقف، وخطورة موافقة حركات المقاومة، وفي مقدمتها حماس والجهاد على هذه الاتفاقية، أن آلية المقاومة عندما تتوقف لفترة طويلة تتراجع بعد ذلك، ويصبح من الصعوبة بمكان أن تستأنفها مرة ثانية. ونحن نذكر بالتاريخ الفلسطيني عندما وجه حكام العرب في ثورة 1936 رسالة إلى الشعب الفلسطيني بوقف الثورة والاعتماد على نوايا حليفة العرب بريطانيا في ذلك الوقت، وجدنا أن المقاومة توقفت بعد ذلك، وكان من الممكن لها أن تستمر وتأتي بنتيجة أفضل.

اتفاق القاهرة بعد ذلك لم ينفذ، فالأمور الإيجابية مثل إعادة بناء منظمة التحرير أخذ محمود عباس يماطل فيها حتى هذا التاريخ، أي بعد أواسط سنة 2007، وبعد ذلك سيطر محمود عباس على كل مؤسسات منظمة التحرير بما فيها الجنة التنفيذية، وهي لا تملك الشرعية الآن، والمجلس الوطني الذي لم يجتمع منذ حوالي عشر سنوات، والمجلس المركزي الذي أخذ يستدعيه من وقت لآخر، وكل آليات منظمة التحرير أخذ محمود عباس

يحركها للضغط على حركة حماس. وفي آخر خطاب له أمام المجلس المركزي قال لقد تمّ إلغاء اتفاقية القاهرة، وتمّ إلغاء اتفاقية مكة، وقال من يريد أن ينضم إلى منظمة التحرير فليقدم طلباً إلى منظمة التحرير الحالية، وللمجلس الوطني الحالي. وهكذا يكون عباس قد خدع حركة حماس وحركة الجهاد بالحديث عن إعادة بناء منظمة التحرير كتخدير لهم حتى يحصل على وقف المقاومة طيلة أكثر من عامين.

في سنة 2005 بدأ الحديث عن انتخابات المجلس التشريعي التي ستجرى في 2006/1/25، وقد قدمت قيادة حركة حماس ورقة مدروسة دراسة عميقة لكل كوادر حركة حماس في الداخل وفي الخارج، وأيضاً تمّ إطلاع الحركات الإسلامية عليها، بمن فيهم مثلاً الإخوان المسلمون في الأردن وجبهة العمل الإسلامي، وطلب أخذ الآراء في هذه الورقة. وهذه الورقة من ناحية موضوعية تضع إيجابيات المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي وسلبياتها، وقد اشتملت على كل الجوانب من ناحية موضوعية. ولكن المهم أن الورقة كانت تتحدث عن المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي؛ للحصول على كتلة ممانعة داخل المجلس التشريعي تحمي المقاومة الفلسطينية، أي بأن لا تتجاوز الأكثرية أي لا تتجاوز نسبة الـ 50% من أعضاء المجلس التشريعي، وهذا هو نص وروح الورقة التي قدمت.

قدمت آراء كثير من الإخوة، خاصة في حركة المقاومة الإسلامية حماس في الداخل وفي الخارج وفي السجون، كل أدلى بدلوه، ويمكن أن أقول بأنه كان هناك أغلبية للدخول في المجلس التشريعي، ضمن السقف الذي ذكرته أي أن لا يزيد عن 50%، وبحدود متوقعة بين 30% إلى 40%. وممن دفع بقوة باتجاه الدخول في المجلس التشريعي الإخوة في قطاع غزة، والإخوة في مدينة نابلس، بينما الإخوة في الخليل والقدس وقلقيلية كانوا متحفظين على مبدأ الدخول في المجلس التشريعي. وحتى أكون منصفاً فإن عدداً من الأكاديميين القريبين من الحركة كان لهم دور كبير في جر وإقناع هذه الحركة بالمشاركة في انتخابات التشريعي. وكما هو معلوم فإن هؤلاء الأكاديميين لا يمثلون القيادات والكوادر المجاهدة والمناضلة، فهم عادة يضعون الإيجابيات والسلبيات والخيارات، وهكذا، هؤلاء دفعوا باتجاه أن تدخل الحركة في الانتخابات. أما في السجون فكان هناك آراء متباينة، فهناك من

وافق على المشاركة وهناك من رفض بشدة المشاركة في انتخابات التشريعي. أنا شخصياً أرسلت رأيي إلى قيادة الحركة، ووضعت بعض الحيثيات بتحفظي على المشاركة أصلاً في المجلس التشريعي، وأهم النقاط الأساسية التي اعتمدت عليها، أنه لا يوجد انتخابات ديموقراطية في ظلّ الاحتلال، وأن كل الثورات في العالم بما فيها الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية لم نسمع أنها شاركت في انتخابات في ظلّ الاحتلال أو شكلت حكومة في ظلّ الاحتلال، فالأصل هو التركيز على مقاومة الاحتلال ودحره أولاً. والنقطة الثانية أن مشاركتنا في هذه الانتخابات ستكون على حساب المقاومة، فبالإضافة إلى قرار التهدئة الذي أُخذ في القاهرة، فإن هذه الانتخابات والمشاركة فيها ستمدد من هذه التهدئة بصورة تلقائية، وهكذا سنفقد المحور الرئيسي الذي قامت عليه حركة حماس وهو محور المقاومة. وأيضاً كان بوجهة نظري أن الظروف والمعطيات سنة 2006 لم تختلف عن الظروف والمعطيات في سنة 1996 التي أخذنا قراراً بأغلبية ساحقة، كما ذكرت سابقاً، بعدم الدخول في المجلس التشريعي، لأن المجلس التشريعي هو أحد إفرازات أوسلو، فنحن إذا دخلنا الانتخابات سندخلها تحت سقف الاحتلال، وتحت سقف أوسلو. هذه الحيثيات وغيرها قدمتها بقوة لأكون منسجماً مع نفسي، وتجاه ربي سبحانه وتعالى، ولكنني كشخص أعمل ضمن حركة جماعية، نحترم رأي الأغلبية، وألتزم بما تلتزم به الأغلبية.

أما بالنسبة لرأي الحركات الإسلامية فأضرب مثالين، المثال الأول: سلمت هذه الورقة إلى قيادة الإخوان المسلمين في الأردن، والمثال الثاني: تقدمت بهذه الورقة إلى قيادة جبهة العمل الإسلامي في الأردن. قيادة الإخوان المسلمين للأسف مطمطت الأمور ولم تعلن رأيها، وقد وافقت بعد ذلك بعد أن أُخِذَ قرار الحركة بالمشاركة. أما جبهة العمل الإسلامي فقد سلمتني ردها وأرسلته إلى قيادة الحركة، كان الرد مختصراً ويعتمد على نصيحتين، النصيحة الأولى أن الخيار هو بين السيئ والأسوأ، والنصيحة الثانية أنه مهم جداً أن لا تتجه حركة حماس لأخذ أكثرية، وأن تكون ضمن نسبة الـ 40%. بعد ذلك أُعلِنَ قرار المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي، وكان ذلك في سنة 2005.

الشيء المؤلم أيضاً، ولم تتطرق له الورقة، هو استشراف العقبات القادمة بدخول حركة حماس في المجلس التشريعي أو تشكيلها للحكومة، لم يتطرق لهذا الموضوع

أحد. أذكر أنني التقيت في عمّان مع أحد الوزراء من الضفة الغربية، وقلت له هل كنتم تتوقعون هذه العقبات التي انصبت عليكم، قال لا، ولم يلتفت أحد إلى هذه العقبات، وفعلاً العقبات التي جاءت فيما بعد، وسنتحدث عنها، كانت فوق الخيال من التعقيدات ومن الضغوطات.

من أحداث سنة 2006:

أخذ القرار، وأعطى نظام الانتخابات فرصة حتى 1/1/2006 ليستطيع من خلالها أي حزب أو فصيل أن يعيد النظر في تشكيل قوائمه إذا أراد، وهذا ما استغلته حركة فتح حيث كانت لديها قائمتان، قائمة بقيادة مروان البرغوثي وقائمة بقيادة جماعة محمود عباس، وقد تمّ توحيدهما معاً، هذه القائمة بالنسبة لانتخابات القائمة الواحدة، لأن الانتخابات في الضفة والقطاع كانت على نوعين من الانتخابات، نوع نصفهم بالقوائم النسبية على مستوى الضفة والقطاع، والنصف الآخر بمرشحين حسب المناطق.

قرأت في جريدة القدس المقدسية قائمة للإخوة الذين سينزلون للانتخابات من حماس، سواء في القائمة الموحدة أو الفردية فإذا بهم حوالي 132 أخاً، أي في جميع المقاعد، وقرأت الأسماء فإذا بها قيادات سياسية، وقيادات إعلامية، وقيادات عسكرية، وقيادات تنظيمية، أي أننا أخرجنا كل تنظيم حركة حماس ووضعناه على السطح. وهذا كان له ما بعده، دفعنا ثمناً كبيراً بسبب هذا القرار المتسرع وغير العميق، أرسلت رسالة مستعجلة إلى قيادة الحركة، وطلبت منهم أن لا ينزلوا 132 مرشحاً وأن يكون العدد فقط 50%، وقلت لهم في كتابي إننا إذا أنزلنا هؤلاء، وفي ظلّ أن الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع والقدس ناقم على السلطة، فإن الشعب سيلقي بثقله علينا على أساس أننا سنكون المخلصين، وسنجبر على تشكيل الحكومة، وطالما أن الوضع كذلك فإن قرارنا سيصبح ليس بأيدينا وإنما بأيدي الشارع. مع الأسف لم يؤخذ بهذا الرأي، ونزل الإخوة في الانتخابات في كل المواقع.

ماذا جرى يوم الانتخابات، كانت مراكز الاستطلاع والأبحاث تصدر بيانات تقول بأن حركة حماس ستنال حوالي 35-40%، وفتح ستأخذ الأغلبية، وهكذا أمريكا كانت مطمئنة، والكيان الصهيوني كان مطمئناً، ومحمود عباس كان مطمئناً، ولذلك فإن أمريكا

والكيان الصهيوني وعباس مرروا الانتخابات، ووافق الكيان الصهيوني على أن تجرى الانتخابات بالشكل الذي تمت به سابقاً في منطقة القدس. كانوا يخططون لجرّ حركة حماس للانغماس في إطار التسوية شيئاً فشيئاً من خلال دخولها المجلس التشريعي. عندما كان الإعلام يسأل المنتخبين العاديين، من انتخبت؟ كان المواطن ينظر حوله فيجد الأمن الفلسطيني ورجال فتح فيخاف في داخله فيقول انتخبت فتح، وهذه مما جعل الاستبيانات تصبّ على أن فتح ستأخذ الأغلبية، وقد قُدِّر أن حوالي 20% ممن انتخبوا قالوا انتخبنا فتح وليس حماس، وهم في الحقيقة انتخبوا حماس. وعندما أعلنت النتيجة، كانت حركة حماس قد اكتسحت الانتخابات، فقد نالت حركة حماس 74 مقعداً من أصل 132 ودعمت أربعة من المستقلين، أي أنها أخذت 60% من المجلس التشريعي، واكتسحت حركة حماس في الانتخابات الفردية أكثر بكثير مما اكتسحت في القائمة. في القائمة أخذت 44.4% بينما أخذت فتح 41.4% (29 مقعداً لحماس مقابل 28 مقعداً لفتح)، أما في انتخابات المناطق فثمة مناطق اكتسحتها حماس كاملة، الخليل كاملة، والقدس تقريباً كاملة ما عدا المسيحيين. كما اكتسحت في نابلس وغزة وغيرها. فمن أصل 66 مقعداً في الدوائر الانتخابية فازت حماس بـ 45 مقعداً وفاز إلى جانبها أربعة مستقلين قامت بدعمهم، بينما فازت فتح بـ 17 مقعداً.

في هذا اليوم أي يوم الانتخابات اتصل بي ضابط من المخابرات الأردنية، وقال لي إن المسؤول يريد أن يراك غداً، أي يوم الإثنين 26/1/2006، توجهت إلى هناك، وقابلت عدداً من ضباط المخابرات، بمن فيهم مساعد مدير المخابرات، وتحدثنا معاً. تحدثوا معي يوم الانتخابات عصراً، وهذا يدل على أن المخابرات الأردنية قد لاحظت عيونهم الإقبال الشديد من اليوم الأول، وقبل أن تفرز النتائج لحركة حماس، ومن هنا جاء الطلب المبكر. تحدث معي المسؤول وكان منفتحاً تماماً، قال لي ها قد اكتسحتم الانتخابات، كيف ستتعاملون في المرحة القادمة، تحدثنا في ذلك، ثم لمح إلى العلاقة بين حماس وبين الأردن، وتساءل هل يمكن حلّ هذه العلاقة، قلت له يمكن بدعوة سريعة يحضرها الباشا مدير المخابرات وأنت، ويحضرها أنا وبعض الإخوة من حماس، فوافق. وهكذا تمّ الترتيب للقاء في الأسبوع التالي، وتمّ هذا اللقاء يوم 1/2/2006، والوفد تشكل مني ومن الأخ محمد نزال والأخ محمد نصر، جلسنا مع مدير المخابرات ومع مساعده،

وكانت الجلسة تصالحية، بدأت الحديث، وقدمت الأخوين للمدير وقلت إن حركة حماس ترحب بفتح صفحة جديدة بين الأردن وحركة حماس، قال نعم ولكن أنتم أحرجتمونا في السابق، قلت لا نريد أن نفتح هذا الملف فهو طويل، وله ما له وعليه ما عليه. فعلاً تكلمنا كثيراً حول فتح ملف جديد، وكان مدير المخابرات متحمساً جداً، لفتح هذا الملف، وقال لنا إنه سيغادر إلى الولايات المتحدة لأن الملك كان هناك، وأنه سيدفع حسبما ذكر لتسريع إزالة العوائق بين حركة حماس وبين الأردن، وباستقبال وفد بقيادة الأخ خالد مشعل. قلنا له جيد، وودعناه وانتظرنا أسبوعاً، وغادر الإخوة إلى دمشق. بعد أسبوع اتصلت بهم حتى نأخذ الجواب، قالوا غداً، وفي اليوم الثاني التقيت مع مساعد المدير، وتحدثنا عن آلية اللقاء، وكان وفد حركة حماس قد بدأ زياراته في العالم العربي والإسلامي والدولي، وكان الأخ خالد مشعل في ذلك الوقت قد بدأ بالقاهرة. وفي لقاءنا مع مدير المخابرات، كنا نحن وهم حريصون على أن تكون الزيارة الثانية لوفد حركة حماس بقيادة الأخ خالد مشعل إلى الأردن بعد القاهرة، لأن الأردن مهم جداً بالنسبة للقضية الفلسطينية، ولكن لاحظت أن الجو قد تغير، وعرض مساعد مدير المخابرات أن يكون الوفد من قطاع غزة ليلتقوا به، لأنه لا يمكن لقاء وفد يحمل جوازات سفر أردنية، قلت له وهل ترون أن فلسطين فقط قطاع غزة، وتسقطون الضفة الغربية وتسقطون الخارج؟، وبالنسبة لكم فإنكم تقابلون حملة الجوازات الأردنية في م. ت. ف.، قال من الممكن أن نقابل أناساً آخرين. المهم إن الجو اختلف، وواضح أن القرارات العليا في الأردن قد تناغمت مع توجهات الولايات المتحدة بعدم فتح أي نافذة مع حركة حماس، اتصلت بالأخ خالد مشعل ووضعته في الصورة، قال لا بأس وكل واحد عند أهله، وفعلاً انتهت هذه المحاولة التي بدأت سريعاً وتوقفت سريعاً، وعادت الأمور بين حماس وبين الأردن كما كانت سابقاً، إن لم تتوتر أكثر فيما بعد.

في الداخل وفي موازاة الوفد الذي بدأه الأخ خالد مشعل وزار به عدداً من الدول العربية والإسلامية استقبل في تركيا وفي روسيا وغيرها. وبدأت محاولات في الداخل لتشكيل حكومة، لأنه حسب القانون الأساسي الفلسطيني من يحصل على أعلى الأصوات هو الذي يكلف بتشكيل الحكومة، وهذا ما تمّ بالضبط مع محمود عباس وتكليفه لإسماعيل هنية. استمرت الحوارات حوالي شهرين بين وفد من حركة حماس وبين فتح والفصائل الفلسطينية، وأطلق دحلان الشخصية الفتحاوية القوية في قطاع غزة مقولته "إنه من العار أن ندخل

في حكومة مع حركة حماس"، وهذا الحوار لمدة شهرين لم يأتِ بنتيجة، ورفضت حركة فتح أن تشارك في حكومة الوحدة الوطنية، طبعاً لأسباب كثيرة، أهمها أنها كانت تريد أن تسقط تجربة حركة حماس. وقد صرّح كارتر الرئيس الأمريكي السابق، وأحد أبرز المشرفين الدوليين على الانتخابات في الضفة والقطاع. وكان يعرف ما هي توجهات حركة فتح، قال ربما تجري انتخابات بعد ثلاثة أشهر، أي أن التجربة لن تكون لأكثر من ثلاثة أشهر. أما الفصائل الفلسطينية الأخرى أيضاً فشلت معها المفاوضات بسبب ظاهري، وهو أن أمريكا هددت كل من يشترك في حكومة حماس بأنه سيحظر عليه دخول الولايات المتحدة، وسينظر إليه على أنه قريب من "الإرهابيين". والسبب الأهم أن هذه الفصائل الفلسطينية جميعها تتقاضى مخصصات شهرية من منظمة التحرير الفلسطينية منذ عقود، ومن يملك مفتاح هذه المخصصات، هو عباس وحركة فتح، فرفضوا أن يشاركوا في هذه الحكومة، والحقيقة إن حركة حماس كانت حريصة أن تشارك معها فصائل أخرى.

في هذه الآونة أعلن أولمرت وبوش نواياهما بوضوح بأنهما سيحاربان حركة حماس حرباً شعواء، وسيسدان عليها جميع المنافذ، ذكرا ذلك مبكراً وهذا ما حصل بعد ذلك. تشكلت حكومة هنية ومارست عملها، وقام محمود عباس مبكراً أيضاً بعد نجاح حركة حماس بإصدار قرارات رئاسية أسندت جميع المواقع المهمة والحساسة إلى رجالاته وربطهم بالرئاسة. مثال على ذلك، عين رشيد أبو شباك مديراً للأمن الوطني في قطاع غزة، ليكون مسؤولاً عن الأمن الوقائي وعن الشرطة وعن الدفاع المدني، وربطه به، وربط المعابر جميعها بالرئاسة بما فيها معبر رفح ومعبر المنطار (كارني)، وربط الإذاعة والتلفزيون بالرئاسة بحيث أصبح وزير الإعلام الدكتور يوسف رزقة لا يملك من أمره شيئاً... وهكذا. وبدأ محمود عباس في كل لقاءاته مع الوفود الغربية وفي سفرياته إلى الدول الغربية يشنّ حملة مركزة على حركة حماس، ذكر لي صديق بأن له قريباً يعمل مترجماً في رام الله، وأنه خلال ساعة ونصف مع وزير خارجية لإحدى الدول الأوروبية، كان هذا القريب يترجم ما يقوله محمود عباس، وجميعه يصبّ على عزل حكومة حماس. وفعلاً رئيس السلطة محمود عباس لم يصطحب معه ولا وزير واحد من حكومة هنية في أي جولة له في الخارج، وحتى إنه قد أخر تشكيل الحكومة إلى حين انتهاء مؤتمر القمة في أواخر شهر آذار/ مارس، وأخذ معه شخصاً آخر من فتح ليقوم مقام وزير الخارجية.

وهذه المعلومات كشف النقاب عنها في خطاب الأخ خالد مشعل في مخيم اليرموك في دمشق، فانتقد محمود عباس وقال بأنه يعرقل عمل الحكومة ويحرض على هذه الحكومة، هذه الكلمات التي قالها الأخ خالد، استخدمت من فتح كإشارة للبدء بمظاهرات صاخبة نزلت في مدن الضفة والقطاع ضدّ خالد مشعل، وهاجموه هجوماً شديداً. وللأسف حركة حماس لم تحسن اختيار الوزراء، ومن هؤلاء نائب رئيس الوزراء. وقال إن من يمثلنا هو الناطق باسم الحكومة وليس خالد مشعل، وهذا يدلّ على أن هناك تسرعاً في اختيار هذه النوعيات، ولم تختر نوعية صلبه قوية ملتزمة التزاماً قوياً.

الجولة التي قام بها الأخ خالد كانت مهمة جداً لجمع بعض الأموال لدعم هذه الحكومة، وفعلاً جاءت بعض الأموال لإيقاف هذه الحكومة على رجليها، وعندما تجاوزت هذه الحكومة عدداً من العقبات، حاول محمود عباس أن يستثمر ما يسمى بوثيقة الأسرى، حيث أعلن في 2006/5/11 وكما قرأت في جريدة القدس المقدسية بأن عدداً من الأسرى، منهم مروان البرغوثي من فتح، ومنهم عبد الخالق النتشة من حماس، ومنهم السعدي من الجهاد، وملوح من الشعبية، وآخر من الديموقراطية...إلخ، قد أعدوا وثيقة للوحدة الوطنية. هذه الوثيقة، وكنت أول من نقدها في مقال كتبته في جريدة المجد مبكراً "قراءة في وثيقة الأسرى"، فعندما قرأتها وجدت أنها لا تحمل برنامج حركة حماس ولا الجهاد الإسلامي، كما أن مشاركة الأخ عبد الخالق النتشة (ونحن نكن له كل احترام)، كانت خطأ، علماً بأن أعداداً كبيرة من الأسرى في السجون الصهيونية، ومنهم قيادات كبيرة من حماس لم تطلع عليها. وعندما اطلعت على هذه الوثيقة انتقدتها بشدة ورفضتها، ونحن كما ذكرت سابقاً أننا نسير على تقليد، وهو أنه عندما يكون الأخ من حماس معتقلاً في السجن لا يجوز له أن يوقع اتفاقيات ولا أن يفاوض، لأنه لا يملك حريته ولا يعلم الأجواء الخارجية، أما عباس فقد تمسك بهذه الوثيقة.

وقد كتبت الجرائد العبرية قصة هذه الوثيقة وباختصار: هذه الوثيقة أعدها رجال مقربون لعباس، حيث إن من كتبها هو أكرم هنية، وهو أول رئيس وفد لفتح حاورني في صنعاء سنة 1990، وهو رئيس جريدة الأيام، كتب هذه الوثيقة وتمّ إدخالها إلى مروان البرغوثي، ومروان البرغوثي روجها بين الأسرى، وصدرت وكأنها من الأسرى.

محمود عباس بدأ يلوح بأنه إذا لم توافق حركة حماس على الوثيقة فسيدعو إلى استفتاء، وحصل ضغط كبير على حركة حماس للتوقيع على هذه الاتفاقية، وبدأت فكرة الحوار حولها من رام الله ثم انتقلت إلى غزة، وبدأ الإخوة في الداخل يجرون بعض التعديلات، ومن قراءتي لهذه التعديلات رأيت أنها تعديلات هامشية، أبقت الأمور كما هي، لأن فيها حسب رأيي بنوداً تناقض برنامج حركة حماس.

في ظلّ هذه الأجواء قامت كتائب القسام بعملية نوعية، هي عملية الوهم المتبدد في 2006/6/25، حيث تمّ اقتحام تجمع عسكري صهيوني وراء خطّ الحدود، وقتل عدد من الجنود، وأسر أحدهم وهو جلعاد شاليط. هذه العملية قلبت الطاولة، كل شيء توقف. ودفعت حركة حماس ثمناً باهظاً لهذه العملية، حيث جرت اجتياحات لقطاع غزة واستشهد فيها المئات، وجنّ جنون أولمرت، كيف تمت هذه العملية في المنطقة المحتلة سنة 1948؟ لقد كانت عملية عسكرية ضدّ جنود عسكريين، وكان الأسير جندياً عسكرياً. وصمدت الحركة وقاومت قدر ما تستطيع، وفي ظلّ هذه الأجواء المتصاعدة على حركة حماس بسبب هذه العملية، مع الأسف وقع الإخوة في قطاع غزة في خطأ، أنهم في 2006/6/27 أي بعد يومين من الوهم المتبدد، وقّع رئيس كتلة حماس في المجلس التشريعي على هذه الوثيقة، بحجة أنه قد جرت بعض التعديلات، وأنا أقول إنها تعديلات هامشية، لأن النقاط الأساسية في هذه الوثيقة تتناقض مع برنامجنا ومع ميثاقنا، مثلاً أن تقتصر المقاومة على مناطق 1967، وأن نفوض محمود عباس بإجراء المفاوضات مع العدو الصهيوني وبعد ذلك تعرض هذه المفاوضات على المجلس الوطني الذي سينتخب، وهو لم ينتخب حتى هذه اللحظة، أو تعرض على استفتاء شعبي في الداخل وفي الخارج، ومن المعلوم أنه في الخارج ثمة دول سترفض هذا الاستفتاء ويبقى في الداخل أي في الضفة والقطاع، ويستطيع محمود عباس ومعاونوه أن يجروا استفتاء موجهاً كما يريدون إذا وصلوا إلى نتائج معينة في هذه المفاوضات. كيف نعطي نحن محمود عباس هذه الصلاحيات في المفاوضات، ومحمود عباس هو الذي أجرى ووقع اتفاقية أوسلو.

بعد عملية الوهم المتبدد، وفي ظلّ الهجمة الشرسة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة

خاصة وسقوط المئات من الشهداء جاء التأييد من الشمال، حيث قامت قوات المقاومة الإسلامية في لبنان التابعة لحزب الله بعملية نوعية اسمها **الوعد الصادق في 2006/7/12**، وجاءت في وقتها لتخفف ضغط الضربات الشديدة على قطاع غزة، حيث قتل عدد من الجنود الصهاينة وأسر جنديان، وبالتالي أصبح عدد الأسرى الصهاينة ثلاثة أسرى، فجنّ جنون أولمرت، وأقول جنون بمعنى الكلمة، وشنّ هجوماً كاسحاً على لبنان، وللأسف فإن عدداً من الدول العربية أخذت تلوم حزب الله وتحمله نتائج هذه الحرب، مع أنه بعد أربعة أشهر أعلن أولمرت للجنة فينوغراد بأنه كان يوجد مخطط معدّ لتوجيه ضربة إلى حزب الله مبكراً، وكان واضحاً في هذه الحرب الدعم الأمريكي القوي لهذا الهجوم، لدرجة أن كوندوليزا رايس وبعد عدة أيام من هذا الهجوم، وفي ظلّ مجازر قامت بها المدفعية والطائرات والصواريخ الإسرائيلية على المناطق المدنية، وبينما تتناثر أشلاء الأطفال والنساء، قالت إن ما يجري ما هو إلا إرهاصات لشرق أوسط جديد.

إذن الخطة صهيونية مدعومة من الولايات المتحدة، لكسر شوكة حزب الله في لبنان، والانطلاق من هذا الموقع لتشكيل شرق أوسط جديد في المنطقة، وتخفيف الأزمة التي يمرّ بها الجيش الأمريكي في العراق. صمدت المقاومة وقاتلت قتالاً جباراً، حتى المدن الصغيرة على الحدود مثل مارون الراس وغيرها لم يستطع الصهاينة أن يقتحموها لا بالدبابات ولا بالطائرات، بضعة آلاف من المجاهدين وقفوا أمام أكثر من 20 ألف جندي، غارات الطائرات كانت دائمة على مدى 24 ساعة، كان هناك 200 طائرة من جميع الأشكال، وكانت طوال الوقت موجودة فوق كل لبنان، وقصفت الجسور والموانئ وكل المناطق السكنية، وتمّ التركيز على الضاحية الجنوبية من بيروت، ومن يَرَ المباني المهدمة يتذكر المباني التي تمّ تدميرها في الحرب العالمية الثانية. استمرت هذه الحرب من 12 تموز/ يوليو حتى 14 آب/ أغسطس، وأعلن بعد ذلك انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان على أكبر جيش في منطقة الشرق الأوسط. لقد عجز هذا الجيش أن يكسر هذه المقاومة، والأكثر من ذلك كان سقوط أعداد من دبابات الميركافا، أحدث الدبابات، بصواريخ استطاع حزب الله أن يحصل عليها وهي بعيدة المدى، وهو ما تحتاجه المقاومة الفلسطينية في الضفة والقطاع، ولديه صواريخ بعيدة المدى وصلت إلى ما بعد حيفا، وأصبحت المدن الصهيونية تحت رحمة هذه الصواريخ. ولأول مرة

عاشت الجبهة الداخلية الصهيونية مرارة الحرب، حيث قصفت بآلاف الصواريخ. وطبعاً صبر الشعب اللبناني، ووقف جميعه وقفة رجل واحد حتى تمّ النصر على هذا العدوان الغاشم، ونحن الآن في النصف الثاني من سنة 2007 هناك مؤشرات ربما تشير إلى حرب ضدّ لبنان مرة أخرى وضدّ المقاومة الإسلامية وضدّ سورية، وأيضاً هناك حشد كبير في الخليج ضدّ إيران.

وضعت اللجنة الرباعية التي تتشكل من الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا ثلاثة شروط لحكومة هنية، وهي أولاً الاعتراف بدولة الكيان الصهيوني، وثانياً نبذ العنف أي نبذ المقاومة، وثالثاً الاعتراف والالتزام بجميع الاتفاقيات المعقودة بين السلطة الفلسطينية وبين الكيان الصهيوني. رفضت حركة حماس هذه الشروط، فازدادت النقمة على حكومة إسماعيل هنية.

وما إن مر شهر على عملية الوهم المتبدد حتى قام العدو الصهيوني بأكبر عملية لتخريب هيكلية حركة حماس الداخلية، وهي اعتقال 40 نائباً من المجلس التشريعي وعلى رأسهم الدكتور عبد العزيز الدويك، رئيس المجلس، وأمين سرّ المجلس الدكتور محمود الرمحي، ووزراء مثل وزير المالية ووزير الأوقاف ووزير شؤون القدس وغيرهم ورؤساء بلديات. وجهت ضربة كبيرة جداً، شلت المجلس التشريعي، ولم تعد حماس تملك أي أغلبية في المجلس التشريعي، وأصبح المجلس فيه 45 عضواً من فتح وعشرة من الفصائل الأخرى ومن حماس حوالي 35، فلا تستطيع فتح أن تأخذ الأغلبية المطلقة وهي 67 نائباً ولا تستطيع حركة حماس أن تأخذ الأغلبية، ولا يستطيع هذا المجلس أن ينعقد إلا إذا اتفق الطرفان. هذه من الأمور التي ذكرتها سابقاً بأن الإخوة الذين خططوا للدخول في الانتخابات، ومن ثم تشكيل الحكومة، لم يأخذوا بالاعتبار ما سيفعله الاحتلال، وهذا يؤكد على أنه لا مستقبل لأي عمل ديموقراطي في ظلّ الاحتلال.

الحكومة الفلسطينية لم يكن بيدها شيء لا من الناحية الإعلامية، ولا من الناحية الجمركية، ولا من الناحية الأمنية، فخطرت لها فكرة تشكيل القوة التنفيذية. والحقيقة أن الأخ سعيد صيام وزير الداخلية لا بدّ أن يقدم له الشكر على تشكيل هذه القوة، وهي مشكّلة أساساً من حركة حماس ومعها بعض الفصائل الأخرى، وهذه القوة التنفيذية

هي السلاح الوحيد الذي كان بيد رئيس الوزراء إسماعيل هنية، إذ لم يكن رشيد أبو شباك ومن معه من قيادات أمنية وما تحت أيديهم من قوات والأمن الوقائي والأمن الرئاسي وغيره الذين يشكلون حوالي 50 ألف عسكري، لم يكونوا يستجيبون لأوامر الحكومة. ومنذ تشكيل القوة التنفيذية وحتى هذه اللحظة تواصلت الحملة عليها. وقد جرى مؤخراً جعلها، كما يقول المثل الشعبي لدينا "فحمة سوداء"، الكل يتحدث عنها وينتقدها ويهاجمها، ليس إلا لكونها الذراع الذي استعانت به الحكومة التي تقودها حركة المقاومة الإسلامية حماس.

قام محمود عباس بتحريك أوراق أخرى، فكلما فشلت ورقة استعمل ورقة أخرى، قام بتحريك الموظفين للإضراب، وكان عدد موظفي القطاع العام في الضفة والقطاع حوالي 165 ألف موظف، لو قلنا أن أغلبيتهم الساحقة من حركة فتح وأنصارها لما كنا مغالين، بدأوا الإضرابات وبعضها إضرابات خطيرة على الشعب الفلسطيني، مثل إضراب المعلمين والمعلمات، حيث أصبح التلاميذ في الشوارع، وإضرابات موظفي الصحة والمستشفيات. ولكن هذا لم يكن مهماً لدى محمود عباس، فالمهم كسر شوكة حركة حماس، وأن تعود فتح كما كانت. وهذا يدل على خاصية متجذرة في حركة فتح منذ نشأتها "أنا ابن فتح ما هتفت لغيرها"... و"إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر"، وهذا يعبر عن المصلحة الحزبية القاتلة، وقد ذكرت آنفاً أن كل حواراتنا كانت تفشل بسبب هذه الفوقية حيث يرون أنفسهم أنهم رواد المقاومة وقادتها وقادة الشعب الفلسطيني، علماً بأن المقاومة بدأت مبكرة منذ سنة 1920.

وبدأ التضييق أيضاً على المعابر بما فيها معبر رفح. وزاد الطين بلة نزول العسكريين بإضرابات مسلحة إلى الشوارع، حتى إنهم أطلقوا الرصاص على دوائر الحكومة، بما فيها المجلس التشريعي، وأحرقوا بعضها وخاصة في الضفة الغربية.

في هذه الفترة، وتسبب هذا الضغط الشديد في جعل الإخوة في قطاع غزة يرضخون لما يُسمى بورقة المحددات، فقد تمّ تقديم ورقة محددات من ثمانية بنود تصب في مصلحة محمود عباس. وما إن علمت القيادة السياسية بذلك حتى أوقفتها، وطلبت من **إسماعيل هنية أن يرد عليها باستدراكات**، وهذا ما تمّ، فرفضها محمود عباس. وهنا نقطة مهمة، لا يجوز لأي منطقة من حركة حماس سواء في القطاع أو الضفة أو السجون

أو الخارج أن تقوم بموقف منفرد، يجب دائماً التقيد بالشورى والرأي الذي يحصل على الأغلبية هو الرأي الملزم.

بدأت الاشتباكات تحصل في قطاع غزة في أواخر سنة 2006، وأصبحت الاشتباكات شبه يومية، ونزل جام غضب حركة فتح على الإخوة في الضفة الغربية، وذات مرة كان هناك مسيرة سلمية، قامت في البيرة يوم 2006/12/20، من الرجال والنساء بعد صلاة الجمعة من أجل الاحتفال بذكرى انطلاقة حركة حماس، نزلت قوات الأمن الفلسطيني بأسلحتها، وأطلقت النار على هذه المظاهرة، واستعملت الهراوات. وفعلاً جرح العشرات، وأحدهم كانت جراحه بالغة، واعتدي على النساء. وهذه من المرات التي استطاعت الفضائيات أن تصورها، وبعد ذلك منعت الفضائيات من تصوير أي شيء في الضفة الغربية، وفي غمرة هذه الحملة الشديدة والموجهة، لوحظت بعض الطروحات الإعلامية والسياسية التراجعية من بعض القريبين من حركة حماس، ومنهم المستشار السياسي لرئيس الحكومة، ونائب رئيس الحكومة، والناطق باسم الحكومة، حيث أدلوا بمواقف إعلامية وسياسية لا تنسجم مع مواقف حركة حماس، ومع برنامج حركة حماس، ومع ميثاق حركة حماس. وهذه من الأمور التي يجب أن تنتبه لها الحركة جيداً، وأن تضع دائماً الشخص القوي الذي يستطيع أن يعبر عن الحركة، وأن يفهم ماذا تريد الحركة.

وفي نهاية سنة 2006 تم إعدام الرئيس صدام حسين: في يوم عيد الأضحى (عيد النحر) سلم الضباط الأمريكيون في العراق صدام حسين، وبتخطيط صهيوني، إلى رئيس الوزراء المالكي الذي سلمه إلى زبانيته، وتمّ بث فيلم لوضع المشنقة في عنقه ودفعه للحفرة، وسط هتافات مذهبية لا تمت للإسلام بصلة. وقد أثار هذا المشهد المسلمين السنة، وخرجت المظاهرات المستنكرة في كل مكان. والنقمة ينبغي أن تقع على بوش وعلى المالكي وعلى الصهاينة، الذين قيل بأن حبل المشنقة كان طوله 39 قدماً بنفس عدد الصواريخ التي سقطت على تل أبيب في أوائل سنة 1991.

من أحداث سنة 2007:

ابتدأ عام 2007 ساخناً بمؤتمر حاشد في قطاع غزة أقامته حركة فتح، وألقى فيه محمد دحلان الرجل الذي انتدبه محمود عباس ليقوم بالإشراف على أجهزة الأمن جميعها في قطاع غزة، وعينه طبعاً مستشاراً أمنياً له فيما بعد. خطب دحلان خطبة نارية هدد فيها حركة حماس بإطلاق الرصاص على قادتها، وكانت جموع فتح يهتفون "شيعة... شيعة"، أي أن حركة حماس هي بيد الشيعة. ولاشك أن هذا المهرجان دفع كثيراً باتجاه توتير الأوضاع. وفي ظلّ الاشتباكات التي توالت وتواصلت بقوة بين مسلحي حماس ومسلحي فتح تدخل الملك عبد الله بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين، ودعا كلاً من حماس وفتح إلى مكة المكرمة. وسافر وفد حماس إلى مكة برئاسة الأخ خالد مشعل وفتح برئاسة محمود عباس، استمرت المفاوضات والحوارات مدة ثلاثة أيام حتى أعلن **اتفاق مكة** في 8/2/2007. هذا الاتفاق كاتفاق لا غبار عليه، لأنه ينص على وقف إطلاق النار، وتشكيل حكومة وحدة وطنية، وإعادة بناء منظمة التحرير، وتفعيل الشراكة السياسية، أربعة بنود لا يستطيع أحد أن ينتقدها. لكن **خطاب التكليف** لإسماعيل هنية كان فيه ثغرات مخالفة تماماً لبرنامج حركة حماس، وكذلك **برنامج الحكومة** الذي أعلن في الجرائد، أهم النقاط التي تخالف برنامج وميثاق حركة حماس: ما نصّ على الالتزام بقرارات المجالس الوطنية، وقرارات القمم العربية، واحترام قرارات الشرعية الدولية والاتفاقات التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية، هذا مناقض تماماً لبرنامج حماس ولسياسة حماس طيلة حوالي عقدين من الزمن. سيقول قائل هذا موقف الحكومة وليس موقف حماس، ولكن هذا كلام ساذج، لأن رئيس الحكومة هو من حماس، وحماس هي المشكل الرئيسي لهذه الحكومة. الالتزام مثلاً بقرارات القمم العربية يعني الالتزام بالمبادرة العربية، وقد تحدثنا عنها، والثغرات الكبيرة فيها. الموافقة على المجالس الوطنية مثلاً المجلس الوطني في 15/11/1988 وافق على قرار 242، وهذا القرار يعني التنازل عن 78% من أرض فلسطين لدولة الكيان الصهيوني، والاعتراف الضمني بالكيان الصهيوني. احترام قرارات الشرعية الدولية، هناك قرارات للشرعية الدولية تمسّ الشعب الفلسطيني، كيف نحترمها؟ وكيف نقبلها؟ احترامها يعني القبول. أيضاً احترام اتفاقيات منظمة

التحرير التي عقدتها مع الكيان الصهيوني منها مثلاً الرسالة التي وقعها رابين وعرفات في 1993/9/9 والتي تنص على حقّ "إسرائيل" في الوجود، هل حركة حماس تحترم هكذا اتفاقيات؟ ثم موضوع تكليف محمود عباس بالمفاوضات، ثم حصر المقاومة فقط في أراضي 1967، وأمور كثيرة لا يتسع المجال للتركيز عليها جميعها. إذن خطاب التكليف وبرنامج وزارة إسماعيل هنية لحكومة الوحدة الوطنية كان مخالفاً، وأقول ذلك بوضوح، كان مخالفاً لبرنامج حركة المقاومة الإسلامية حماس.

بعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية ماذا فعل محمود عباس، عزل وزراء حركة حماس، وحصروا في قطاع غزة، فتحرك نائب رئيس الوزراء عزام الأحمد، وأخذ يصول ويجول ويقابل المسؤولين الأوروبيين والأمريكيين وغيرهم في العالم نيابة عن إسماعيل هنية، والأخير قابع في غزة لا يستطيع أن يتحرك، ووزير الخارجية زياد أبو عمرو وهو قريب من حركة فتح، ومرضي عنه أمريكياً، أيضاً أخذ يصول ويجول في العالم، وأما سلام فياض وزير المالية المرضي عنه أمريكياً أيضاً، فتحت له العواصم، والذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء، ووزير الإعلام مصطفى البرغوثي أيضاً يصول ويجول مع أنه ربما في تقديري شخصياً هو أقربهم سياسياً إلينا. هكذا أصبحت حكومة الوحدة الوطنية مشلولة، وتعاظمت الأمور، وكانت مجموعة دحلان المدعومة من محمود عباس، ولا يظنن أحد أن دحلان هو على خلاف مع عباس، فكل خطوة كان يقوم بها دحلان ومعسكره رشيد أبو شباك والمشهراوي وتوفيق أبو خوصة وهم الأشخاص الأساسيون، كان محمود عباس في رأيي هو الذي يوجههم.

انفجر الوضع في 2007/6/10، وحدثت اشتباكات كبيرة في منطقة الأبراج، وشنت كتائب القسام والقوة التنفيذية هجوماً على مقرّ الأمن الوقائي وكان محصناً جداً، وكانت تتمّ فيه كل الاعتقالات والتعذيب، وسجن فيه كثير من قيادات الحركة مثل الشهيد الرنتيسي والشهيد المقادمة وغيرهم. سقطت هذه القلعة الحصينة، ونتيجة لسقوطها سقط مبنى المخابرات، ثم سقطت السرايا، ثم سقط المنتدى مقرّ الرئيس. كانت قيادات حركة فتح التي ذكرتها جميعها في القاهرة، وبقية القيادات الوسطى هربت إما عن طريق معبر إيريز بتسهيل من العدو الإسرائيلي، وإما عن طريق مصر، وهكذا خلال ثلاثة

أيام أصبحت حركة حماس مسيطرة على قطاع غزة. أنا في هذه اللحظة لا أدري بالضبط هل قرار الحسم هذا كان قراراً محلياً أي من قطاع غزة، أم قراراً سياسياً من الحركة. على أي حال، كتقويم لهذه العملية أنا أرى أن حركة المقاومة الإسلامية حماس صبرت كثيراً على استفزازات مجموعة دحلان ومنذ سنة 1996، وما قامت به هو رد فعل على هذه الاضطهادات والاستفزازات والتعذيب السابق واللاحق، ولكن الهيمنة على القطاع من الناحية السياسية ليس بالسهل، ففي قطاع غزة يتواجد مليون ونصف من الشعب الفلسطيني، وهؤلاء يريدون أن يأكلوا وأن يعيشوا، وقطاع غزة محاصر، وهو سجن كبير، وقد أغلق معبر رفح حتى هذه اللحظة، أكثر من شهرين، وقطاع غزة من ناحية استراتيجية لا قيمة له، وقد تذكرنا إسحق رابين عندما قال إنه يودُّ أن يَغرَق قطاع غزة في البحر، ورأينا شارون أخيراً ينفذ الانسحاب الأحادي الجانب من قطاع غزة، ويفكك المستوطنات. فالحقيقة الوضع الآن ليس سهلاً، الصناعات الآن متوقفة، ومعظم الناس تحت خط الفقر، ويعيشون على المساعدات الإنسانية.

يوم 2007/6/14 ألقى الأخ خالد مشعل خطاباً من دمشق، وأعلن أن ما حصل في قطاع غزة كان خطوة اضطرارية بسبب تآمر مجموعة دحلان والجنرال الأمريكي دايتون، وأن حركة حماس لم تزل تعترف بأن محمود عباس الذي انتخب في أوائل سنة 2005 مازال رئيساً للسلطة الفلسطينية، وأن هناك بعض الأخطاء التي حصلت. فعلاً حصلت بعض الأخطاء من الشباب، مثل تنزيل علم فلسطين، لأن علم فلسطين هو ليس علم فتح هو علم الشعب الفلسطيني فثورة 1929 و1936 و1948 كلها تمت في ظلاله، فيبدو أن أحد الشباب تصرف تصرفاً خاطئاً وتوجد أمثلة أخرى، وقد أكد الأخ خالد أن هناك بعض الأخطاء، ولكن ما حصل، أن هذه الأخطاء الصغيرة أخذ محمود عباس ينفخ فيها نفخاً، وأخذ يعتبر أن ما جرى هو انقلاب. والسؤال طالما أن حركة حماس أخذت الأغلبية الشرعية في التشريعي في 2006/1/25 وبعد انتخاب محمود عباس بعام، فكيف تنقلب هي على الشرعية وهي التي تمثل الشرعية؟ ولكن إعلام فتح مازال يضخ ضخاً: حركة انقلابية، حركة ظلامية، وهذا ما جاء على لسان محمود عباس في خطابه الشديد جداً، والذي استعمل فيه ألفاظاً غير مناسبة أبداً، ولا تليق به كسياسي وكمسؤول، علماً بأن كل ما كان يعمله دحلان وجماعته كان بضوء أخضر من عباس، ومن يظن غير

ذلك فهو ساذج. بعد ذلك دعا محمود عباس إلى اجتماع المجلس المركزي، بعد أن أصدر عدّة قرارات منها إقالة حكومة إسماعيل هنية، وهي تعتبر حكومة شرعية، والأصل أن تبقى حكومة تسيير أعمال، لا أن يأتي بحكومة ثانية وهي حكومة سلام فياض، فهذه مخالفة للقانون الأساسي. كما قام بعدد من الإجراءات ضد الحكومة في قطاع غزة. وعانى القطاع من الحصار؛ وقد أجبر العالقون عند معبر رفح على الدخول من المعابر الصهيونية. ولاشك أن المصريين أيضاً تقع عليهم مسؤولية كبيرة لأن مصر دولة كبيرة، والأصل أن تفتح هذا المعبر، وتضرب عرض الحائط بكل الأمور، وهي قادرة على ذلك، ولكن لم تفعله والسبب معروف وهو نفوذ وضغط الولايات المتحدة. المجلس المركزي أصدر عدة قرارات أيضاً، وأخذ محمود عباس يعتبر المجلس المركزي بديلاً عن المجلس التشريعي، فدعاه في منتصف شهر حزيران/ يونيو 2007، ودعاه في أواخر الشهر نفسه، وبعد ذلك استصدر قراراً بإجراء الانتخابات القادمة بعد ستة أشهر، ولا أدري كيف يستطيع أن يجريها في قطاع غزة؟ أم هل سيجريها فقط في الضفة الغربية؟ هذا ما ستكشف عنه الأيام، ويريد أن تكون الانتخابات على أساس القائمة النسبية. كما ذكرت سابقاً في الدوائر فتح تراجعت فيها كثيراً، ويريدون أن يقوموا بانتخاب نسبي. من ناحية تنظيمية إدارية لا مانع من طرح هذا الموضوع على المجلس التشريعي، لكن القرار ليس بيد محمود عباس بل بيد المجلس التشريعي.

ويقوم محمود عباس حالياً (صيف 2007) بحملة سياسية إعلامية شرسة، ويحضّر إلى ما يسمى بالعصيان المدني في قطاع غزة، وأي قضية صغيرة يركز عليها الأضواء، بينما في الضفة الغربية يقوم في ظلّ التعتيم الإعلامي بحملة شديدة جداً منذ شهرين وحتى اليوم باعتقالات ضد حماس وأنصارها شملت حوالي 500 معتقل، وتشمل اجتياحات في كل مكان واغتيالات حيث تمّ اغتيال أربعة في منطقة نابلس، وتشمل إحراق مؤسسات وجمعيات خيرية وإحراق غيرها بما فيها بيت رئيس الشرعية الفلسطينية الدكتور عبد العزيز الدويك، كل هذا يقوم به محمود عباس في الضفة الغربية تحت تعتيم إعلامي.

ومن جانب آخر ازدادت اللقاءات بين محمود عباس وأولمرت بدعم أمريكي، ورفع الحظر الكامل الذي فرض على حكومة حماس طيلة عام ونصف، وفتحت أبواب المال

لحكومة فياض من أمريكا ومن الغرب ومن بعض الدول العربية. ويرفض عباس الآن فكرة الحوار التي طرحتها حماس وطرحتها بعض الجهات العربية مثل اليمن وقطر وسورية ومصر والسعودية، ويستقوي بعلاقاته مع الكيان الإسرائيلي ومع أمريكا.

أما بالنسبة لما يسمى **بمؤتمر الخريف** الذي سيعقد في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2007، فهو لا يعدّ مؤتمراً دولياً إنما هو مؤتمر لدعم محمود عباس في الدرجة الأولى، يحضره عباس وأولمرت وبوش وبعض الدول المعتدلة، مع محاولة جرّ بعض الدول مثل السعودية إلى هذا المؤتمر. غير أنه لا يوجد أي أفق سياسي لأي انسحاب من الضفة الغربية أو من القدس.

نستطيع أن نقول إن الشعب الفلسطيني الآن هو في مأزق، وهذا المأزق في تقديري لا يمكن الخروج منه إلا بالعودة إلى الطريق التي بدأت منذ سنة 1987 في الانتفاضة الأولى، ومنذ 28/9/2000 في الانتفاضة الثانية، وهو طريق تفعيل المقاومة والجهاد، وللجهاد بركات كثيرة. أرى أن حركة حماس يجب أن تركز على تفعيل هذا الجانب، وأن تبني جبهة مع القوى الإسلامية والوطنية النظيفة والشريفة، ابتداء من الجهاد الإسلامي وأي قوميين أو وطنيين آخرين، وأن تستأنف المقاومة التي افتقدناها طيلة عامين ونصف تقريباً، لأن المقاومة، وخاصة في الضفة الغربية حيث التجمعات الصهيونية والاستيطانية الكثيرة، ستهز ضرباتها الكيان الصهيوني ولو كانت البداية محدودة. يجب أن تبدأ هذه المقاومة في القدس وفي منطقة جنين ونابلس والخليل ورام الله. ويجب أن تتجه أيضاً هذه لما وراء الجدار العازل، وأن تسعى لإحباط جميع المخططات الصهيونية، لضم الضفة الغربية ومصادرة أراضيها لصالح الدولة الصهيونية.

هذا هو الطريق طريق استئناف المقاومة، هو الطريق الوحيد للخروج من الأزمة والمأزق، وعودة عربة حماس إلى السكة الصحيحة بعد أن تاهت البوصلة لمدة عامين ونصف، وتأكد أن الأولوية هو للجهاد والمقاومة وليس للانتخابات والسلطة الوهمية في ظلّ الاحتلال.

بعد إزالة الاحتلال على أيدي المخلصين، تنكشف سماء الحرية، ويتنفس الفلسطينيون الصعداء ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾.

ملحق وثائق

وثيقة تنظيم العلاقة بين فتح وحماس الصادرة في 1990/9/21

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ .

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ صدق الله العظيم

بيان لشعبنا الصامد صادر عن :

حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » وحركة المقاومة الاسلامية « حماس »

أهلنا الصابرين المرابطين في كل فلسطين :

يا من سطرتم أروع آيات البطولة والفداء وأنتم تقارعون دولة البغي ومن خلفها بقلوب مؤمنة وعقيدة ثابتة فكنتم مثالاً لكل الشعوب التي تطالب بحقها وحريتها فدفعتم ثمن ذلك من دماء الشهداء وأنات الجرحى وآلام المعتقلين وستبقى على العهد شوكة في حلوق الأعداء تقارعونهم بكل الوسائل حتى يأذن الله بالنصر المبين .

أهلنا الصابرين : إننا كنا ولم نزل نؤمن أن إيماننا بالله ووحدة شعبنا الراسخة هما أهم أسباب النصر وإن حاول عدونا مراراً النيل منها وإلحاقه باء بالفشل وذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل وعيكم وصدق توجهكم ولن يفلح بإذن الله في شق صفنا والنيل من وحدتنا . وإننا نؤكد ونذكر على أصالة وعمق روابط الأخوة والمحبة في هذا الشعب مسلمين ومسيحيين شركاء في الصمود مستلهمين قول الله تعالى :

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ .

شعبنا المجاهد : لقد وقعت بعض الأحداث المؤسفة في أماكن متفرقة من بلادنا العزيزة شوهت جمال وحدتنا وحاول العدو أن يستغلها . فطويت الصفحة عليه ولكي تكون الجهود كلها موجهة نحو مواجهة العدو الغاشم قام الطرفان بإصدار هذه الوثيقة التي تنظم العلاقة في المرحلة القادمة وهي تنص على ما يلي :

١ ـ الإيمان أن الاختلاف في الرأي أمر طبيعي وظاهرة صحية فلكل فصيل أو فرد اجتهاده الفكري والسياسي ولا يجوز أن يكون ذلك سبباً في الفرقة وحدوث المشاكل .

٢ ـ اعتماد الحوار البناء وسيلة لفض النزاعات التي قد تحدث ولأجل ذلك تقرر تشكيل لجنة مركزية ، ولجان فرعية في المناطق للإصلاح وتطويق الأحداث قبل تفاقمها .

٣ ـ إنهاء كافة المشاكل العالقة واعتبارها منتهية وفتح صفحة جديدة للمستقبل .

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ .

٤ ـ احترام عقيدة الأمة وشعائرها ومقدساتها وعدم السماح لأي كان بالتطاول عليها ، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٥ ـ المساجد هويتنا ومكانتها المقدسة في ضمير شعبنا المسلم ونحن نؤكد على حرمتها وقدسيتها ونؤكد وجوب احترام قدسيتها ودفاعها من أي طرف كان .

٦ ـ حشد طاقات شعبنا الفلسطيني كلها وتوجيهها ضد العدو الصهيوني ومصالحه وعملائه والتعاون والتنسيق في ذلك .

٧ ـ المحافظة على طاقات شعبنا المجاهد وممتلكاته وأعراضه من كل يد عابثة ورفض أسلوب جباية الأموال تحت أي مبرر .

٨ ـ العمل على سلامة المؤسسات الوطنية وحمايتها وفتح أبوابها أمام جميع الشعب دون تمييز ، واحترام قوانينها واعتماد الكفاءة العلمية عند التوظيف والعدل في التعيين للأطراف جميعاً .

٩ ـ تكفل لكل فصيل الحق في أي مكان من بلدنا العزيز في أداء فعالياته كاملة دون تعرض أي فصيل آخر له .

١٠ ـ عدم التراشق في الاتهامات وتكفل لكل فصيل الحق في التحقق من صدق الرواية .

١١ ـ وبناء على الاتصالات التي قامت بها حركة « فتح » مع أطراف القيادة الوطنية الموحدة فقد تم الاتفاق على ما يلي :

أ ـ حل مشاكل السجون جميعاً وذلك بأن تمثل حركة « حماس » كغيرها من الفصائل في كافة اللجان بما فيها اللجنة النضالية العليا وحل مشكلات السجون بالتفاهم والحوار الهادئ .

ب ـ تحترم بيانات « ق.و.م » وحركة « حماس » اعتباراً من النداء ٦٣ والبيان ٦٥ بتطبيق نفس الفعاليات ، بحيث تطبق كل حركة فعاليات الحركة الأخرى باعتبارها فعالياتها .

١٢ ـ عودة المهجرين الذين أخرجوا من قراهم قسراً إلى أماكن سكناهم دون التعرض لهم بسوء .

١٣ ـ صرف رواتب موظفي الجامعة الإسلامية دون تمييز بين فئة وأخرى واحترام قوانين وأنظمة ومؤسسات وهيئات الجامعة .

شعبنا المجاهد : إن إيماننا بالله جل وعلا ووحدة تلاحم شعبنا هو قوتنا وسلاحنا ورابطنا في معركة المصير الواحد معركة تحرير الأقصى والثرى الفلسطيني المبارك ولتعلم أمتنا أننا جميعاً مؤمنون بالله ونعتز بعقيدتنا السمحة ونؤكد في الحركتين أن الإسلام راسخ في أعماقنا وهو عقيدتنا كمسلمين ومنهاج حياتنا مؤكدين أن منزلة الإنسان عند ربه تقررها التقوى وعمل الخير والجهاد والعبادة . ومن أجل التطبيق الفوري لروح هذه الوثيقة ومحتوياتها فإننا نعلن قراراً رسمياً لكافة سواعدنا الرامية وقواتنا الضاربة ، ندعوهم فيه للكف عن الاقتتال ورأب الصدع وتنظيم الفعاليات الجهادية المشتركة وحفظ الأمن للمواطنين والتنسيق والتعاون وتوجيه الغضب الجماهيري نحو العدو وقواته وصولاً للنصر والفوز وتحقيق الحرية والاستقلال بإذن الله رب العالمين . كما تعهد الطرفان باحترام الوثيقة وتطبيقها نصاً وروحاً . والله على ما نقول وكيل .

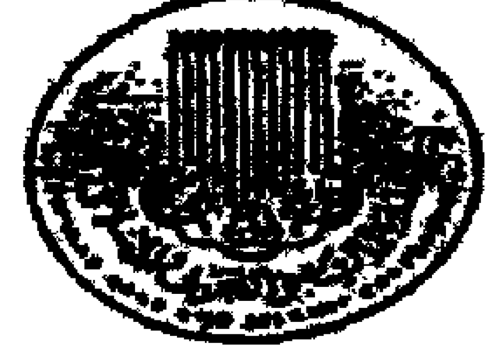
﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ صدق الله العظيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح »
حركة المقاومة الإسلامية « حماس »
دولة فلسطين

(٢١ / ٩ / ١٩٩٠م)

وثيقة تفاهم بين بين فتح وحماس برعاية المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي في 2-1993/1/4

بسم الله الرحمن الرحيم



المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي
POPULAR ARAB AND ISLAMIC CONFERENCE

الامين العــــام

بناء على دعوة من الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي العربي والإسلامي اجتمع في الخرطوم في الأيام من ٢، ٣، ٤ من شهر يناير ١٩٩٣ وفدان فلسطينيان يمثلان حركة فتح و حركة حماس وراعي المؤتمر الدكتور حسن الترابي الأمين العام للمؤتمر ومجموعة من السودانيين وشهده كذلك السيد ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وتشكل الوفدان كما يلي :

وفد فتح: سليم الزعنون رئيسا ونصر يوسف وعبد العزيز شاهين ومحمود دحلان وعمر شلايل والعميد صائب العاجز وعبد المنعم سرداته.

وفد حماس : د: موسى أبو مرزوق رئيسا وابراهيم غوشة ، ود. محمد الشيخ صيام :

وعماد العلمي ود. محمد أحمدعبد الله ومنير سعيد وصبيح المعايطة .

وقد تواضع الإجتماع على جدول أعمال للتداول حول العلاقات التنظيمية في منظمة التحرير الفلسطينية وفي سائر أطر التعاون والتنسيق وحول المواقف والسياسات في شأ ن المبعدين وفي أمور الإنتفاضه والكفاح المسلح وفي أمر المفاوضات الدوليه حول فلسطين ثم جرى التداول ونتج عنه ما يلي :

١. تؤكد حركة فتح أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني

٢. تؤكد حماس حرصها على مبدأ الإنتماء لمنظمة التحرير الفلسطينية إطاراً لازماً لوحدة الشعب الفلسطيني واتفق في سبيل ذلك على اتصال الحوار حول نظم التمثيل ونسبه واجراءات عمل المنظمة وحول المواقف السياسية الحاضرة المتباينة وذلك لتسوية الطريق لدخول حماس إلى المنظمة.

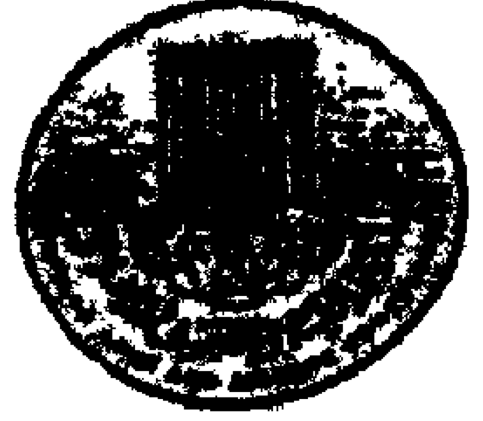
٣. اتفق الوفدان على تأسيس لجنة عامة للحوار بينهما حول العلاقات والقضايا كافة على أن ينتج من بين أعمالها إطاراً للتنسيق في الكفاح المسلح وإطاراً للتنسيق في الإتصالات العالمية العربية والدولية.

٤. اتفق الوفدان على تأسيس لجنة تنسيق عامة في الداخل لتبادل المعلومات والمشورة وترتيب العلاقات وتسوية وتقريب أسباب الوحدة الوطنية.

٥. اتفق الوفدان على تأسيس قيادة مشتركة بين جميع القوى الفلسطينية لشئون الإنتفاضة.

٦. اتفق الوفدان على تأسيس لجنة لشئون المبعدين تضم فتح وحماس وسائر القوى الفلسطينية التي تنضم إليها. وقدمت أسماء الممثلين للجنة واتفق على أن تعنى بالشئون الخدمية لحفظ المبعدين وعودتهم وتعبئة الدعم الشعبي والإعلان لهم وتنسيق الحركة السياسية والدبلوماسية لردع اتجاهات ترحيل الفلسطينيين من الأرض المحتلة ولتأكيد الظلم من تدابير الدولة والمجتمع الإسرائيلي لدفع ضمان العدالة في الأحكام والقرارات الدولية حول فلسطين ولتحريك ميل الرأي العام العالمي لصالح الشعب الفلسطيني وتعزيز اتجاه

بسم الله الرحمن الرحيم



المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي

POPULAR ARAB AND ISLAMIC CONFERENCE

الأمين العـــام

الشعب الفلسطيني نحو الوحدة الوطنية. وتتفرع عن اللجنة اللجان التي ترعى شئون الإمداد والإعلام والتعبئة الجماهيرية والسياسية وتتصل اللجنة بالسيد ياسر عرفات في تحريك العمل الرسمي الدبلوماسي. وعلى اللجنة أن تجتمع في كل مكان حسب حاجة الوظيفة التي تؤديها في الاجتماع ومن ذلك في لبنان والأردن وتونس.

٧. اتفق على أن يعود أربعة بحثون الوفدين إلى الخرطوم عند تمام أسبوعين ذلك لتسمية أعضاء سائر اللجان منهما، والتشاور حول الأمكنة التي تجتمع أو تعمل فيها اللجان وأي تدابير إجرائية بشأن ذلك.

٨. اتفق على أن تستأنف لجنة الجامعة الإسلامية بغزة أعمالها ويجري الاتصال والتشاور مع الأخ أبي عمار والجهات المعنية بشأنها.

٩. اتفق الطرفان على مراجعة المواثيق التي حررت أولياً بينهما لإجازتها وتأكيدها هادياً للعمل التنسيقي المشترك.

١٠. اتفق الطرفان على أن يلتزما صدقاً بأن تجتنب أصوات الإعلام الصادرة عنهما أي تهجم على الآخر أو ذكر سلبي مباشر أو غير مباشر وأن يضبطا قواعدهما عن أي مظهر للصراع أو فعل للاشتباك أو الكيد والقتال مع الآخر وأن يراعيا عموماً في النشاط والعمل الفلسطيني حسن الخطاب المتبادل رغم بعض اختلاف الرأي وروح الوحدة الفلسطينية رغم تعدد التنظيمات.

٩٢/١/٩

د. موسى أبو مرزوق

رئيس وفد حركة حماس

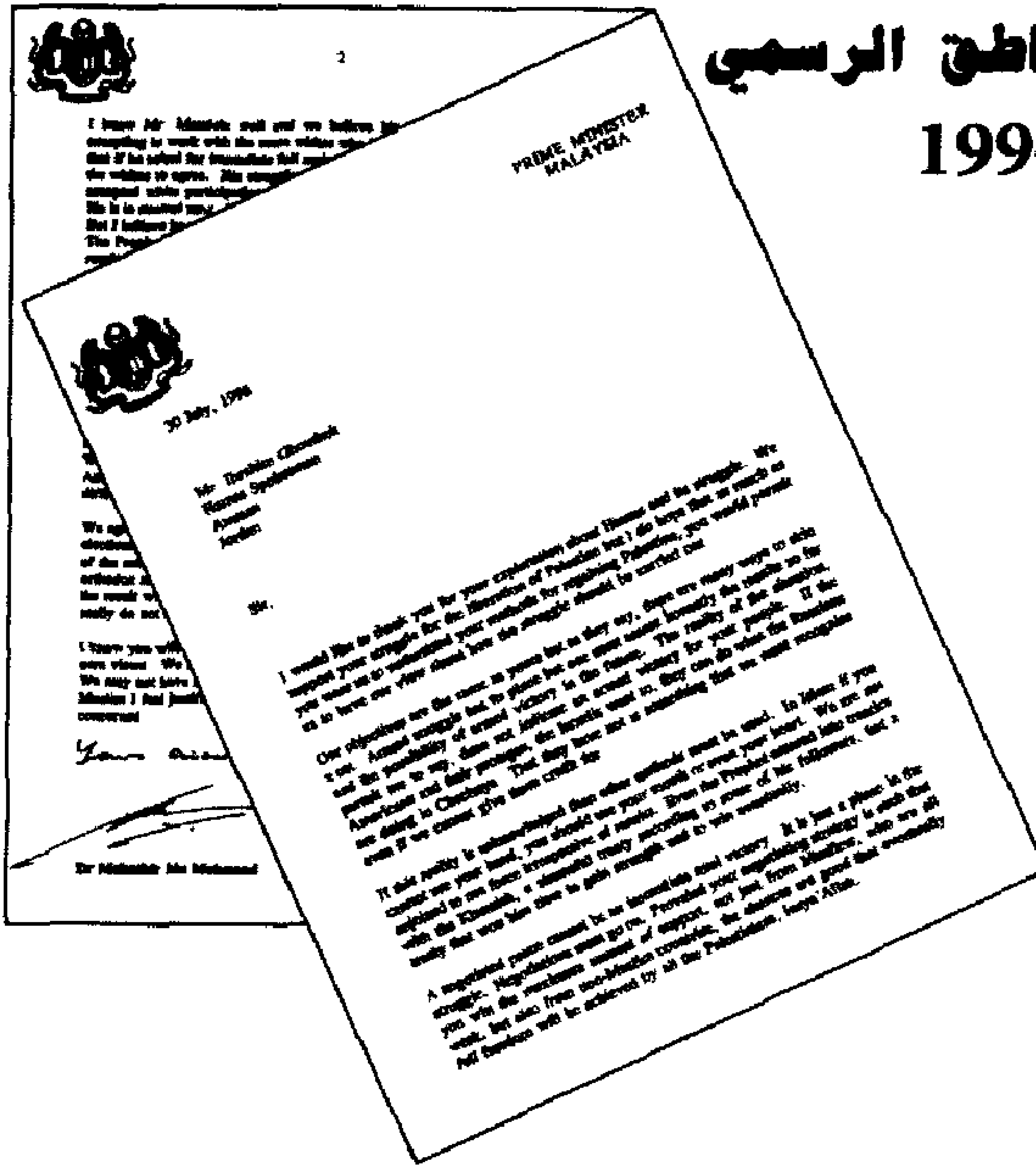
سليم الزعنون

رئيس وفد حركة فتح

د. حسن الترابي

الأمين العام للمؤتمر الشعبي العربي الإسلامي

ترجمة رسالة من محاضير بن محمد رئيس وزراء ماليزيا إلى إبراهيم غوشة الناطق الرسمي باسم حماس، في 1996/7/30



PRIME MINISTER
MALAYSIA

30 July, 1996

رئيس الوزراء

ماليزيا

30 تموز/ يوليو 1996

السيد إبراهيم غوشة

الناطق باسم حماس

عمّان

الأردن

أود أن أتوجه إليك بالشكر على التوضيحات، التي قدمتها حول حركة حماس ونضالها. ونحن ندعم نضالكم من أجل تحرير فلسطين، ولكنني بقدر ما تتمنون أن نتفهم أدوات الصراع التي تعتمدونها من أجل استعادة فلسطين، نتمنى عليكم أن تسمحوا لنا بأن يكون لدينا وجهة نظرنا الخاصة، حول كيفية خوض النضال من أجل هذا الهدف.

إن أهدافنا هي أهدافكم نفسها، ولكن هناك عدة طرق للقيام بالأمر. فالنضال المسلح له مكانته، ولكننا يجب أن نقيّم بصدق النتائج التي تمّ التوصل إليها، وما إذا كانت هناك إمكانية تحقيق نصر عسكري في المستقبل. إن حقيقة الواقع القائم تسمح لي بالقول، بأنه ليس هناك ما يؤشر على إمكانية تحقيق نصر عسكري لشعبكم. فإذا ما أراد الإسرائيليون وحماتهم الأمريكيون فإن بإمكانهم القيام بما يقوم به الروس في الشيشان. وكونهم لم يقوموا بمثل هذه الخطوة حتى الآن، أمر يجب أن نعترف به ونأخذه بعين الاعتبار، على الرغم من أننا لا نستطيع أن نرى فيه نقطة تسجل لصالحهم.

وإذا ما تمّ الاعتراف بهذه الحقيقة، فإنه يجب استخدام أدوات أخرى في الصراع. ففي الإسلام إذا لم تتمكن من استخدام يدك، فعليك أن تستخدم لسانك أو حتى قلبك؛ حيث إنه لا يمكننا استخدام القوة إذا كانت النتائج غير متناسبة. وحتى الرسول دخل في معاهدة

مع قريش، رآها بعض أصحابه حينها أنها مذلة، ولكنها أكسبته الوقت، الذي استطاع من خلاله أن يبني قوته ويحقق النصر في النهاية.

لا يمكن أن يكون التوصل إلى اتفاق سلام من خلال المفاوضات نصراً فورياً حاسماً، بل هو مجرد مرحلة من مراحل الصراع. يجب أن تستمر المفاوضات، شرط انتهاج استراتيجية مفاوضات تضمن لكم أقصى درجات الدعم ليس فقط من جانب المسلمين، الذين يعانون جميعاً من الضعف، بل أيضاً من الدول غير الإسلامية. وهناك فرص جيدة، ستؤدي في النهاية إلى تحقيق الحرية الكاملة لكل الفلسطينيين إن شاء الله.

أنا أعرف السيد مانديلا جيداً، وأظن أن استراتيجية المفاوضات التي انتهجها، تضمنت قبول العمل مع البيض أنفسهم، الذين تعاملوا بوحشية مع شعبه. إذ أدرك أنه لو طالب بحكم مباشر للأغلبية، أي بحكم السود، فإنه لن يحصل على موافقة البيض، ولأخذ نضاله وقتاً أطول، وكانت كلفته أكثر. ولذلك، فإنه قَبِل بالمشاركة في حكومة مؤقتة. وقد نجحت استراتيجيته، وها هو الآن في الحكم. سوف تجرى انتخابات الآن، وهو قادر على أن يفوز بها، ولكن أظن أنه سوف يستمر بالعمل مع البيض، كجزء من استراتيجيته المتبعة. لقد هاجم الرسول العصبيات القبلية العمياء التي سادت في فترة الجاهلية، والتي أدت إلى صراع دائم، ووحد القبائل من خلال رسالة الإسلام، ومن خلال إحلال السلام بين القبائل، ليصبحوا فيما بعد قوة عالمية.

أنا سعيد بتأييد غالبية الفلسطينيين لكم، ولكن هذا التأييد سوف يكون أفضل فيما لو شاركتم في الانتخابات، ونحن نرغب بشدة بالمساعدة في تأمين انتخابات نزيهة، ولكن أهم ما في هذه الانتخابات هو قبول النتائج مهما كانت. فإذا ما قبلت الغالبية باستراتيجيتكم، فحينها يجب أن يستمر الصراع المسلح، وسوف ندعم نضالكم المسلح المحصور باستهداف العسكريين.

لم يسبق لنا أن انتقدنا حماس، ولكن خلال الانتخابات الإسرائيلية، وعلى الرغم من أنكم لم تعملوا في يوم من الأيام مع حزب الليكود، إلا أن أفعالكم أسهمت في نجاحه في الانتخابات. وسواء كان ذلك عن قصد أم من غير قصد منكم، فإن القضية ليست هنا. لقد فاز الليكود، والآن يدعم الكثير من الأمريكيين مواقفه المتشددة. قد ترون أن ذلك لا يشكل

فارقاً، ولكننا نرى أن التوصل إلى سلام عادل أصبح أصعب الآن.

نحن نتفق معكم أن كلاً من بيريز ونتنياهو صهيونيان، ولكن في الحرب، كما في الانتخابات، فإن الاستراتيجية الجيدة تكمن في تفريق العدو من أجل ضرب أكثر المتطرفين تطرفاً. فلو فاز بيريز، لكان تأثير الصهاينة الأكثر تطرفاً، وخاصة الجماعات الدينية المتشددة، في مستقبل إسرائيل، أقل شأناً.

أتمنى أن تساعد هذه النتيجة الفلسطينيين في تحقيق النصر، وبشكل أسرع، ولكن في الحقيقة لا أظن أن ذلك سيحدث.

أعرف أنك لن تتفق معي، ولكن أتمنى أن تقدر وجهات نظري الخاصة. نحن لم نتوقف يوماً عن مساعدة الفلسطينيين في نضالهم العادل. وقد لا يكون لنا الحقّ في التدخل كوننا لسنا فلسطينيين، ولكنني كمسلم ملتزم، أجد التبرير الكافي، الذي يدفعني إلى أخذ موقف حين يتعلق الأمر بمصير المسلمين في أي مكان.

المخلص لكم،

الدكتور محاضير بن محمد

فهرس الأسماء
والأماكن

< أ >

< ت >

< ف >

المئذنة الحمراء

سيرة ذاتية

إبراهيم غوشة

The Red Minaret

Memoirs of Ibrahim Ghusheh

(Ex-Spokesman of Hamas)

هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب مجرد سيرة ذاتية للأستاذ إبراهيم غوشة؛ ولكنه أيضاً شهادة حيّة حول تجربة الإخوان المسلمين الفلسطينيين والأردنيين على مدى خمسين عاماً.

والأستاذ إبراهيم غوشة هو الناطق الرسمي باسم حركة حماس في الفترة 1991-1999، مذكراته تُقدّم مادة غنية ومعلومات تنشر لأول مرة، لرجل كان حاضراً في صناعة القرار السياسي لحماس، خصوصاً في السنوات الاثنتي عشرة الأولى من نشأتها.

ومذكرات الأستاذ غوشة تتميز بالوضوح والصراحة، وتبيّن الكثير من النقاط ووجهات النظر لدى حماس من عدد من القضايا، والتي قد تكون مثار جدل بين الباحثين، وبالذات في الفترة التي سبقت انتفاضة الأقصى.

وبلا شك، فلا غنى عن هذا الكتاب لكل المعنيين بالدراسات الفلسطينية، وبالتاريخ المعاصر لقضية فلسطين.

ISBN 978-9953-500-41-6





مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت